

سلسلة الرسائل الجامعية - ١٢

١٤٧

تجارة الجزيرة العربية

خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة
التاسع والعاشر للميلاد

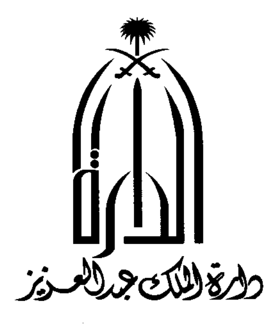


د. سعيد بن عبد الله بن بنيه القحطاني

تجارة الجزيرة العربية

خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة
التاسع والعاشر للميلاد

د. سعيد بن عبدالله بن بنيه القحطاني



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن عبدالله بن بنية

تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة. ... / سعيد بن عبدالله بن بنية القحطاني.- الرياض، ١٤٢٤هـ

٤٨٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم (سلسلة الرسائل الجامعية؛ ١٢)

ردمك ٦-٥١-٨٨٠-٩٩٦٠

١ - الجزيرة العربية - التجارة الخارجية - تاريخ

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٩٥٣٠٠١ ، ٣٨٠ ١٤٢٤/٦٧٢٦

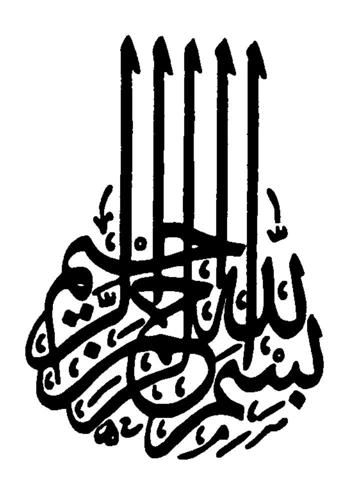
رقم الإيداع : ١٤٢٤/٦٧٢٦

ردمك ٦-٥١-٨٨٠-٩٩٦٠

تجارة الجزيرة العربية

خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة

التاسع والعاشر للميلاد


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن دارة الملك عبدالعزيز منذ إنشائها إلى اليوم وهي ماضية في خدمة تاريخ الجزيرة العربية ، وقد تمثلت تلك الخدمة فيما تقدمه بين يدي القراء الكرام من الكتب القيمة التي تفيد الباحثين ، وتجلي الغموض وتكشف الحجاب عن الفترات التاريخية التي شحت المعلومات فيها وندرت الدراسات حولها .

ومن بين الكتب التي تندرج في هذا السياق هذا الكتاب الذي نقدم له، والذي يتناول تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، التاسع والعاشر للميلاد .

وقد دُرس موضوع التجارة في عدد من الأقاليم العربية المختلفة ، إلا أن الجزيرة العربية لم تحظ بدراسة علمية في هذا المجال على الرغم من أهمية الجزيرة العربية وإسهامها البارز في ازدهار التجارة في عصر الدولة العباسية.

وقد تناول هذا الكتاب دراسة العوامل المؤثرة سلبًا وإيجابًا في تجارة الجزيرة العربية ، وبيَّن أن الحج والإنفاق على الحرمين الشريفين من قبل الخلفاء ومحبي الخير كان من أبرز الدوافع التي روجت للتجارة فيها .

إلا أن اشتعال الفتن في المنطقة ونشوب الثورات وانعدام الأمن وما نتج عنه من كثرة قطاع الطرق ولصوص القوافل ، وما أحدثه القرامطة من فوضى

وارتبـاك وقطع لمسـالك الحج قـد أثر كل ذلك وأدى إلـى تدهور جلي للتـجـارة في الجزيرة العربية.

وقد درس الكتـاب أيضًا مـوضوعـات مختلفة يتعلق أبـرزهـا بالتجارة الـداخلية للجـزيرة العـربيـة ، ووضَّح مـا فيـهـا من أسـواق ومـحطات تجـارية ، وبين أسـعـارهـا ووسـائل التـعـامل التـجـاري والرقـابة التي كـانت مـفـروضـة علـى أسـواقـهـا . وألقى الضوء بعد ذلك على السلع والمنتجات المحلية الزراعية والصناعية والحيوانية إلى غير ذلك من التناولات الأخرى التي عرض لها الكتاب بتفصيل علمي شيق.

وقـد رأت دارة الملك عـبـدالعـزيـز أن تنشـر هـذا الكتـاب إيمانًا منـهـا بأهـمـيـة موضوعه لكونه يتناول جزءًا من تاريخ الجزيرة العربيـة ، ولانعدام الدراسات التي خصصت للحديث عن تجارة الجزيرة العربية في تلك الفترة.

نسأل الله أن ينفع به وأن يلقى قبولاً ، وينشر فائدة بين القارئين والباحثين.

دارة الملك عبدالعزيز

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فقد كانت الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية في العصر العباسي غنية في جوانبها المختلفة ؛ وعلى الرغم من أهمية تلك الجوانب إلا أن الباحثين المحدثين أحجموا عن دراستها لصعوبتها من ناحية ، وتشتتت مادتها التاريخية في بطون المصادر المختلفة من ناحية أخرى .

ولما كانت التجارة في الدولة العباسية مزدهرة في القرنين الثالث والرابع للهجرة في مختلف أقاليم الدولة مثل العراق ومصر وأفريقية وبلاد ما وراء النهر وبلاد فارس ، حيث أثبت ذلك بعض الدارسين المحدثين الذين درسوا هذه الأقاليم، إلا أن الجزيرة العربية لم تحظ بدراسة شاملة عن التجارة فيها شأن غيرها من الأقاليم الإسلامية الأخرى لمعرفة ما إذا كانت قد أسهمت في هذا الازدهار، خاصة وأن الجزيرة العربية مرت بانقسام سياسي خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة.

ومن هذا المنطلق درس الدكتور سعيد بن عبدالله القحطاني موضوع « تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة »، ودراسة موضوع مثل هذا تتميز بالصعوبة ، وتتطلب البحث بصبر وأناة وجد ، ورجوع إلى مصادر مختلفة

تاريخية وجغرافية ودينية وأدبية ولغوية وكتب تراجم وأنساب ، إضافة إلى المراجع والدراسات الحديثة . وقد وفق المؤلف في ذلك سواء فيما يتعلق بجمع المادة العلمية ، أو دراستها وتحليلها ، متحلياً بالأسلوب العلمي الدقيق ، والنظرة الشاملة العميقة حتى أخرج لنا هذا الكتاب القيم .

لقد قام المؤلف بدراسة الكيانات السياسية في الجزيرة العربية مبيناً الوحدة والتنوع في أنظمتها وأثر ذلك في تجارتها ، وركز على إبراز دور الجزيرة العربية بكل أقاليمها ، وحجم نشاطها التجاري مع الأقاليم الإسلامية ، وأقاليم العالم الأخرى. كما وضح الأسواق التجارية والأسعار والسلع المتبادلة ، والطرق والموانئ ، وما تتميز به كل منطقة من مناطق الجزيرة العربية من تنوع في البضائع والثروات الطبيعية ، ومدى إسهامها في التجارة في الدولة العباسية .

والباحث في هذا الكتاب تناول جانباً مهماً من تاريخ الجزيرة العربية ، وقدَّم إلينا معلومات جديدة وموثقة عما كانت عليه التجارة في الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وإنني آمل أن يسد هذا الكتاب ثغرة من ثغرات تاريخ الجزيرة العربية الذي لا تزال بعض جوانبه تعاني من الإهمال ، كما أرجو من المؤلف أن يتابع جهوده لخدمة التاريخ الإسلامي ، ولا سيما تاريخ الجزيرة العربية فيلقي الضوء على فترة أخرى وجانب آخر من جوانب هذا التاريخ الذي لا يزال بحاجة إلى البحث والتنقيب.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،

أ. د. عبدالله بن محمد بن ناصر السيف
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

مقدمة المؤلف(*)

أ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره وعناصره :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على أثرهم إلى يوم الدين ، أما بعد:

فقد كانت التجارةُ خلال القرنين الثالثِ والرابع للهجرة/ التاسعِ والعاشرِ للميلاد مزدهرةً في الدولة العباسية. وقد قام بعض الباحثين المعاصرين بدراسة لأقاليمَ متعددةٍ منها وتوضيح مكانتها في ذلك الازدهار ، ومن هذه الأقاليم العراق ، حيث أشار إلى مكانته في التجارة ونموها كل من الدكتور عبدالعزيز الدّوري في كتابه "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م"، والدكتور حسين بن علي المسري في كتابه "تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م". كما تناول الدكتور عطية القوصي تجارة مصر في كتابه "تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة، القاهرة ، ١٩٧٦م". ودرست الأستاذة منيرة الراشد "الحياة الاقتصادية في إفريقيا في عهد الأغالبة" في رسالتها للماجستير، المقدمة لجامعة الملك سعود عام ١٤٠٩هـ. كما تناولت الأستاذة إلهام أحمد البابطين في رسالتها للماجستير، "الحياة الاقتصادية في بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي الأول" المقدّمة لجامعة الملك سعود عام ١٤٠٧هـ.

(*) أصل هذا الكتاب رسالة علمية قدمت إلى كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة الملك استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه ، عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

وهكذا حظي موضوع التجارة في أقاليم إسلامية مختلفة زمن الدولة العباسية باهتمامات عدد من الباحثين، على أن الجزيرة العربية لم تحظ بدراسة شاملة عن التجارة في القرنين الثالث والرابع للهجرة شأن غيرها من الأقاليم الإسلامية ؛ لذا فقد فضّلتُ دراسة هذا الموضوع لأهميته وجدِّته من ناحية ، ولقلة الدراسات التي تناولته بعمق من ناحية أخرى. كما تعيّن عليّ أن أبين مدى حظ تجارة الجزيرة من الازدهار خلال تلك الحقبة .

إن الازدهار التجاري للدولة العباسية في هذه الفترة يدعو إلى القول بأن الجزيرة العربية أسهمت في هذا الازدهار على الرغم من التفكك السياسي الذي كانت تشهده الجزيرة العربية خلال تلك المدة، حيث تجزأت الجزيرة إلى كيانات سياسية مختلفة.

لذلك قامت هذه الدراسة بمحاولة بيان مكانة الجزيرة العربية في التجارة مع الأقاليم الإسلامية والعالمية ، ومدى إسهامها في هذا الازدهار وحجم نشاطها التجاري.

ولم تكن الدراسة خالية من المصاعب ، بل كان من أبرزها : أن مادتها العلمية جاءت مبعثرة، مشتتة في بطون المصادر المختلفة، كما عانيت أيضاً من نُدرتها، وكابدت في ذلك من العقبات ما لا يعرفه إلا المختصون من روّاد البحث. وقد استغرق البحث في هذا الموضوع جهداً ووقتاً في سبيل الوقوف على متفرقات المادة العلمية من مصادر كثيرة ومتنوعة، فضلاً عن محاولات تنظيمها وتحليلها ومقارنتها.

ومما زاد من الأعباء والمسؤوليات امتداد مدة البحث الزمنية والمكانية ، حيث غطّت مئتي سنة من تاريخ الجزيرة العربية ، كما شملت مناطق

التبادل التجاري في مختلف الآفاق التي كانت للجزيرة العربية صلات تجارية بها سواءٌ ما كان منها داخل أرض الإسلام أم خارجها.

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تعريف بأهمية الموضوع وأسباب اختياره وعناصره، ودراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الكتاب .

أما التمهيد ، فهو يتحدث عن الكيانات السياسية الموجودة في أقاليم الجزيرة العربية إبّان زمن الدراسة، وقد تناول بإيجاز أهمّ هذه الكيانات، ومناطقَ نفوذها وعواملَ التوافق والاختلاف بين تلك الأنظمة السياسية والخلافة العباسية ، وفيما بعد الدولة الفاطمية في مصر ، وكذلك ملامح الاستقرار والتغير للنشاط التجاري .

أما الفصل الأول ، فقد انصرف لدراسة العوامل المؤثرة في التجارة الإيجابية منها والسلبية ، مثل أهمية الموقع الجغرافي ، وأثر الحج في التجارة والإنفاق على الحرمين الشريفين، وإصلاح الطرق المؤدية لهما، واهتمام بعض الخلفاء وأصحاب الشأن ومحبي الخير بهما وبمرافق المياه في الطرق وفي مكة المكرمة، وإلغاء الضرائب، وتباين مناطق الإنتاج الزراعي والصناعي والحيواني في مختلف أقاليم الجزيرة العربية، وتأمين أمن الطرق التي تسلكها قوافل التجار داخل الجزيرة العربية وسلامتها، وغير ذلك من العوامل الإيجابية المشجّعة للتجارة.

ثم تناول الكتاب في الفصل نفسه العوامل السلبية المؤثرة في التجارة مثل بعض الثورات والفتن وأثرها في الأسواق والطرق التجارية، وانعدام الأمن في بعض المناطق واعتداء اللصوص وقُطّاع الطرق على القوافل

التجارية ونهبها، وما أحدثه القرامطة من فوضى، واعتراضٍ لطرق الحج ، ونهبٍ لأموال التجار المرافقين للحجاج، فانقطع الحج بسببهم في كثير من المناطق التي يعترضونها في بعض الأعوام، كما اعتدوا على مكة وروعوا أهلها وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام، ونزعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى الأحساء . كما اتضح في هذا الفصل أثر الكوارث الناجمة عن السيول الجارفة، أو الجفاف، أو الزلازل، والحرائق، أو الأمراض والأوبئة، أو آثار الحيوانات الضارة في المزارع وخلافها، وكذلك الآثار السلبية لبعض الثورات الواقعة في بعض مناطق التبادل التجاري .

أما الفصل الثاني ، فقد أفردته للحديث عن التجارة الداخلية، مثل الأسواق من حيث نموها ومواقعها في المدن أو المحطات التجارية أو القرى ، وتنظيمها ، وأنواع التجار العاملين فيها، ووسائل التعامل ، والأسعار ، والرقابة على الأسواق ، ثم عرض الكتاب بعد ذلك للطرق الداخلية البرية منها والبحرية ، وحركة السلع والمنتجات المحلية من زراعيةٍ وصناعيةٍ وحيوانيةٍ بين مختلِف مناطِق الجزيرة العربية ، وبعد ذلك جاء الحديث عن أهم المحطات التجارية الواقعة على الطرق خاصة البرية منها.

أما الفصل الثالث ، فاختص بالحديث عن التجارة الخارجية وتناول مناطق التبادل التجاري ، كالعراق والشام ، ومصر ، وشمال إفريقيا والأندلس، وشرق إفريقيا، وبلاد فارس، والهند، والصين، وأواسط آسيا، وبلاد الفرنج، كما تناول مراكز الإنتاج في كل منِطقة، وما تتميز به من تنوع البضائع والثروات الطبيعية، والإشارة لبعض شواهد الصلات التجارية بين الجزيرة العربية وتلك المناطق.

وقد تطرق الحديث في هذا الفصل أيضًا إلى الطرق التجارية الخارجية؛ البريةِ منها والبحريةِ بشيء من التفصيل ، وكذلك وسائل النقل البرية والبحرية، وأهم موانئ التصدير والاستقبال في الجزيرة العربية. وتحدث هذا الفصل أيضاً عن السلع المتبادلة من حيث واردات الجزيرة العربية منها والصادرات إلى مختلف المناطق القريبة منها أو البعيدة مما أشارت إليه المصادر في هذه المدة. وأبرزَتِ الدراسةُ وسائل التعامل التجارية التي كانت قائمة في مناطق التبادل التجاري وعَرضتْ بعد ذلك لنماذج منها.

أما الخاتمة فقد تضمنت خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها، كما تم تذييل البحث بملحقات تشمل بعض البيانات والخرائط التوضيحية، وفهرسٍ للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في مادته وتحليلاته.

ب - دراسة المصادر:

أما مصادر هذه الدراسة فكثيرةٌ ومتنوعةٌ منها الجغرافيةُ ، والتاريخيةُ ، والأدبيةُ ، واللغويةُ ، وبعض المصادر الشرعية ، وكتبُ التراجم والأنساب ، وكتبُ النظم ، بالإضافة إلى ما أُشير إليه في ثبت المصادر من دراسات حديثة ، إذ كانت ثمة جولةٌ للتّتبُّع والاستقصاء في هذه المصادر والمراجع واستخراج كل ما له صلة بتجارة الجزيرة العربية من بطون المصادر المنوعة.

وتأتي الكتب الجغرافية في طليعة المصادر التي اعتمدتْ عليها الدراسة ومنها كتاب ابن خرداذبة "أبي القاسم عبيدالله، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م" المعروف باسم "المسالك والممالك"، إذ أفادت الدراسة منه في وصف الطريق الذي يربط الجزيرة العربية بالعراق، وكذلك الطريق البحري الذي يخرج من سواحل الجزيرة العربية الشرقية في اتجاه بلاد فارس والهند والصين، كما

أشار ابن خرداذبة إلى السلع المنقولة براً وبحراً التي كان يحملها التجار اليهود "الراذانية" إلى الجزيرة العربية وغيرها من الجهات الأخرى، واستخدم في ذكر المسافات مصطلح الفرسخ .

أما ابن رستة "أبو علي بن رستة، كان حيًا سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م" فقد كان يركّز في كتابه "الأعلاق النفيسة" على وصف الطرق البرية والمدن داخلَ أرض الخلافة أو خارجها، وقد أفادت الدراسة مما أشار إليه عن نوع المعاملة الحسنة التي كان يلقاها التجار العرب في بلاد الهند، وكذلك مما ذكره عن النقود التي كانت متداولة في بعض مناطق التبادل التجاري الشرقية. وقد وصف مكة المكرمة والمدينة بشيء من التفصيل، وعلى الرغم من اهتمامه بالطرق البرية إلا أنه أغفل ذكر الطرق البحرية التي تربط الجزيرة العربية بغيرها من الجهات الأخرى.

ونجد الإصطخري "أبا إسحاق إبراهيم بن محمد، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م" يذكر في كتابه "المسالك والممالك" المدن الرئيسة في الجزيرة العربية، وقد أفاد الكتاب مما أورده عنها من معلومات تجارية مثل صادرات اليمن التي أشار إليها بشيء من التفصيل ، كما أنه أمدنا بمعلومات جيدة عن الطرق البرية التي تربط الجزيرة العربية بالعراق والشام ومصر ، ولم يُغفل كذلك ذكر المحصولات الزراعية التي يتميز بها إقليم عُمان. ومما يميز كتابَ الإصطخري هذا الخرائطُ التوضيحية لكل مملكة على حِدة . كما أنه يصف بلاد فارس وسواحل الهند والأحوال الغالبة عليها. وقد عَدَّ بلاد الأندلس امتداداً للمغرب ، وكان يستخدم أحياناً مصطلح (إقليم) عند حديثه عن مناطق بلاد الخلافة المتباينة ويتخلى عنه أحياناً أخرى.

وأفادت هذه الدراسة أيضاً من كتاب ابن حوقل "أبي القاسم بن حوقل الناصبي، ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م" الموسوم بـ"صورة الأرض" الذي يتميز بالدقة، وقد أمدنا بمعلومات جيدة عن أقاليم الخلافة العباسية والأندلس، فذكر حدودها ومسالكها التجارية البرية والبحرية من واقع تجربته ؛ لأنه هو نفسه قد زاول التجارة، وجال في كثير من أرجاء المعمورة، فكانت معلوماته من واقع مشاهداته وممارساته، كما كانت على درجة كبيرة من الدقة، ولا سيما أنه دعّمها بخرائط تفصيلية عن الأقاليم التي تناولها في كتابه، وقد أفادت الدراسة منه معلومات عن السلع الزراعية ومناطق إنتاجها، وتجارة اللؤلؤ في ساحل الجزيرة الشرقي، ومع ما في كتابه من فائدة تخدم البحث، إلا أنه كان بإمكانه أن يقدم لنا معلومات أكثر شمولاً واستقصاءً عن جوانب الحياة الاقتصادية بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة، وأحسب أنّ انشغاله بعمله وعدم تفرغه للكتابة - شأن غيره - ربما كان السبب في قصور معلوماته .

وقد أسهم المقدسي "شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، ت٣٧٥هـ/٩٨٥م" في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" بمعلومات جيدة عن تجارة الجزيرة العربية في هذه المدة، فقد تجوّل في كثير من أقاليمها، بالإضافة إلى الأقطار الأخرى التي زارها وسجّل معلومات متميزة عنها، وقد خدمت موضوع الكتاب، حيث زودته بمعلومات عن السلع والبضائع التي تشتهر بها تلك الأقطار، كما وصف العملة والأوزان والمكاييل التي كانت مستعملة في بعض مناطق الجزيرة العربية في هذه المدة، وكذلك عدّد بعض المنتجات الزراعية والصناعية التي كانت تسوَّق في مختلف المواسم ، كما أنه ذكر الطرق التجارية البرية والبحرية، وفصّل في ذكر مراحلها

ومحطاتها، وأشار للضرائب التي كانت تجبى من التجار في الموانئ وغيرها من مراكز الجباية الأخرى . وقد جاءت معلوماته عن إقليم اليمامة أقلّ من غيرها من أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، فضلاً عما شاب لغته من التوعر والسجع المتعمد في أسلوبه.

وأمدّ ابن الفقيه "ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م" هذا الكتاب بمعلومات قيّمة عن التجارة في كتابه "مختصر البلدان"، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها مهمة، خاصة فيما يتعلق منها بإقليم اليمامة فقد انفرد بذكر أنواع تمورها، وتصديرها.

أما كتاب "البلدان" لليعقوبي "أحمد بن يعقوب بن جعفر، ٢٨٤هـ/٨٩٧م" فقد أفاد في معرفة الطرق التجارية البرية وأبرز صادرات الهند من السلع والبضائع للجزيرة العربية، وكذلك أنظمة بعض الأسواق وتحديد مواقعها، ومما يؤخذ عليه عدم الدقة في ذكر المدن والمحطات التجارية التي تقع على طرق المواصلات البرية.

أما الحربي "أبو إسحاق الحربي ، ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م"، فقد أفاد الدراسة بكتابه "المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة" وذلك فيما يتعلق بالطرق البرية ومحطاتها التجارية ، وما تمتاز به بعضها من نشاط تجاري ، وحركة أسواقها، ومثله لُغدة الأصفهاني "المتوفى في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي" في كتابه "بلاد العرب"، حيث أمد البحث ببعض المعلومات التجارية ، ومن أهمها نشاط بعض أسواق اليمامة التجارية.

ومن مصادر الدراسة كتاب سليمان التاجر "ت ١٣٧هـ/٨٥١م" المسمى "أخبار الصين والهند"، وقد أمد موضوع الكتاب بمعلومات قيّمة عن

وصف الطريق البحري من الجزيرة العربية إلى الهند ثم إلى الصين ، وهذا الوصف من واقع رحلة قام بها المؤلف إلى تلك الأماكن، وكان يذكر مراحل الطريق التي تقطعها السفن التجارية ، ويصف ما في بلاد الهند والصين وغيرها من البلدان الأخرى التي مرّ بها في رحلته من معادن ثمينة ومحصولات زراعية وسلع تجارية متنوعة . كما وصف بعض المعاملات التجارية، وعلاقة تجار الجزيرة العربية وغيرهم من المسلمين ببلاد الصين في هذه المدة.

ويبدو أن هذا الكتاب لا يخلو في أخباره من الأساطير إلا أن أكثر معلوماته حقائق تتفق مع ما جاء بعدها من دراسات.

أما رحلة بزرك بن شهريار "المتوفَّى في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي" المسماة "عجائب الهند بره وبحره وجزايره" فقد أمدنا بمعلومات عن أحوال الملاحة في المحيط الهندي ، ومغامرات الملاحين العُمانيين والتجار العرب في ذلك الوقت ، ونماذج من النشاط التجاري البحري بين سواحل الجزيرة العربية ، وغيرها من الأقطار الأخرى وبالأخص الهند، وشرق إفريقيا. وهذه الرحلة كتبت بأسلوب جيد، وفيها من العجائب والتهاويل الشيء الكثير ، ولكنْ أغفل كاتبها أخبار التجارة البرية في عهده ، حيث كان تركيزه فيما يبدو على أخبار البحار.

وأفاد هذا الكتاب أيضاً من المعلومات التجارية التي أوردها ابن الحائك الهَمْداني "ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م" في كتابيه : "صفة جزيرة العرب"، و"كتاب الجوهرتين"، حيث تناول فيهما كثيراً من السلع والبضائع التي تشتهر بها

بعض أقاليم الجزيرة العربية وكذلك المعادن الثمينة، وأنواع التجار الذين يزاولون أعمال التجارة في أسواق اليمن، وأمدنا بمعلومات عن الطرق البرية والمحطات التجارية وأسماء بعض الأسواق خاصة ما كان منها في إقليم اليمن، ومما يميز معلوماته طابع الحداثة إذ إن الهمداني معاصر لتلك المدة التي تدخل ضمن إطار هذا الكتاب.

ويروي المسعودي "ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م" في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" معلومات غزيرة عن السلع التجارية وعن الصلات بين الجزيرة العربية وبعض مناطق التبادل التجاري التي أفاد منها البحث ، كما أنه وصف الطريق البحري التي تربط سواحل الجزيرة العربية بالهند والصين ، وشرق إفريقيا، والعراق وفارس . وتتميز معلوماته بالدقة والواقعية ؛ لأنه قام بتدوينها في أثناء زيارته لتلك البلدان، كما أنه أشار إلى بعض صادرات الجزيرة من السلع والبضائع التجارية، ومما زاد أهمية معلوماته أنه تنقل في أرجاء بلاد الخلافة العباسية، وقد أشار إلى تجار الجزيرة العربية الذين استقروا في الهند والصين .

وقد أفاد البحث أيضاً من الكتب الجغرافية الأخرى مثل كتاب "المسالك والممالك" للبكري "٤٨٧هـ/١٠٤٩م" وبالذات القسم الخاص بالجزيرة العربية، ورحلة ابن جبير "ت ٦١٤هـ/١٢١٧م"، ورحلة ناصر خسرو "ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م" المسماة سفرنامه ، وكتاب الإدريسي "ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م"، وغيرها من الكتب المشار لها في قائمة المراجع، حيث ضمت هذه الكتب معلومات تجارية لها صلة بتجارة الجزيرة العربية.

واعتمدت الدراسةُ أيضاً على كتاب ياقوت الحموي "ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م" "معجم البلدان" على الرغم من تأخره عن المدة التي تخصها

الدراسة، لأهمية المعلومات التي ذكرها، إذ إنه اعتمد على مصادر من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي مثل محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي في معلوماته عن إقليم اليمامة، كما أنه أفاد في شرح بعض الأسماء والمدن والقرى التي جاءت في البحث وكانت تحتاج إلى تعريف.

أما الكتب التاريخية فقد أفاد هذا الكتاب من المعلومات والنصوص المتعلقة بموضع الدراسة وخاصة كتاب أخبار مكة للأزرقي "ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٣م" الذي أورد معلومات اقتصادية كثيرة عن مكة ولها صلة بالتجارة، منها الإنفاق على إصلاحات الحرم المكي وموارد المياه والسدود، كما أشار إلى بعض أسواق مكة والرقابة عليها، ومثله كتاب تاريخ مكة للفاكهي "ت نحو ٢٧٢هـ/٨٨٥م" حيث أورد بعض الإشارات عن النشاط التجاري بمكة المكرمة.

أما الطبري "ت ٣١٠هـ/٩٢٢م" فقد أفادت الدراسة من كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، فيما ورد فيه من أخبار عن الفتن والثورات التي نجمت في الحجاز واليمامة والبحرين وعُمان، وكذلك ما أشار إليه من أزمات وكوارثِ أثّرتْ في التجارة، مع أن حديثه عن اليمن كان في أضيق الحدود، كذلك لم يوجه اهتماماً كبيراً إلى تاريخ الأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية، وقد اكتفى بذكر الحوادث المهمة فيها. وكان يدوّن معلوماته وفق ترتيب زمني، ويهتم بذكر مصادره في أغلب الروايات.

ومن المصادر التاريخية كتاب "تجارب الأمم" ، لمسكويه ، أبي علي أحمد بن محمد "ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م" الذي لم يخل من بعض الإشارات التي

أثرت الدراسة، وقد أشير إليها في مواضعها من الكتاب. ومن المصادر التاريخية كذلك كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، لابن الجوزي "ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م". وقد أفاد بما ذكره عن بعض الظواهر الطبيعية التي أثَّرت في التجارة، وكذلك بعض الكيانات السياسية مثل القرامطة، وكان يغلب على أسلوبه الوعظ، بحكم تخصصه في علوم الحديث والفقه، وكان من كبار العلماء في هذا المجال في عصره.

أما ابن الأثير "علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م" فقد أورد في كتابه "الكامل في التاريخ" مادة خدمت الدراسة في بعض جوانبها، منها الكشف عن العوامل المؤثرة في التجارة والثورات التي حدثت في بعض أقاليم الجزيرة العربية، والعلاقات القائمة بين أئمة عُمان والخلافة العباسية في هذه المدة، وأشار إلى النشاط السياسي لقرامطة البحرين ضد الدولة العباسية وقطعهم طرق التجار والحجاج.

وهناك مصادر تاريخية أخرى خدمت موضوع الكتاب بمعلومات قليلة متباينة في قلتها منها - على سبيل المثال لا الحصر- كتابُ "البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عِذَارِي (٦٩٥هـ/١٢٩٥م) ، وابن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، و "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى"، للسمهودي "ت ٩١١هـ/١٥٠٥م" الذي كان يعتمد في كثير من معلوماته على مصادر قديمة تُعَدُّ هي الآن في عِداد الكتب المفقودة ككتاب أخبار المدينة، ليحيى بن الحسن العلوي "ت ٢٢٧هـ/٨٤١م"، وكتابِ الحرة، لمحمد بن عمر الواقدي "ت ٢٠٧هـ/٨٢١م".

ولم أُغفل كتب الأنساب والطبقات والتراجم، فقد وردت فيها معلومات أفاد منها الكتاب على الرغم من قلتها، ومن هذه الكتب أنساب الأشراف للبلاذري "ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م" وطبقات ابن سعد "ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م"، وجمهرة أنساب العرب ، لابن حزم "ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م"، وكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي "ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م" الذي أمدَّنا بأسماء بعض العلماء الذين اشتغلوا بالتجارة من أهل الأندلس في أسواق الجزيرة العربية .

أما الكتب الأدبية ، فقد أمدَّت الدراسة ببعض النصوص المتعلقة بالتجارة ؛ لأن الهدف الرئيس لهذه الكتب لم يكن منصبّاً على الأمور الاقتصادية ، ومع ذلك فلم نعدم الإفادة من بعض ما زودتنا به من أخبار متفرقة ، ومن أبرز هذه المصادر كتابُ التبصر بالتجارة ، للجاحظ "ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م" فقد ذكر مبادئ التجارة، وأشار إلى أهم المعادن الثمينة، وأفادنا بذكر بعض السلع التجارية من صادرات الجزيرة العربية كما لم يخلُ كتابه البيان والتبيين من الإشارات التي أفاد منها هذا الكتاب، ومن الكتب الأدبية أيضاً كتاب العقد الفريد ، لابن عبد ربه "ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م" ، وكتاب الأغاني ، للأصفهاني "ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م" ، ومنها كتب الثعالبي "ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م" التي منها ثمارُ القلوب ، ولطائف المعارف ، ورسالة ابن بطلان "ت ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م" المسّماة « شِرَى الرقيق وتقليب العبيد » ، فقد أعطتنا تفاصيل حول الرقيق من الهنود في بعض أقاليم الجزيرة وغيرها، وكتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ، لأبي الفضل الدّمَشْقِي "ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م" فقد وردت في هذه الكتب الأدبيةِ معلوماتٌ متفرقةٌ عن

السلع التجارية التي اختصت بها الجزيرة العربية ، مثل البخور واللبان ، والسيوف والرماح، والمنسوجات.

كما أفاد الكتاب أيضاً من كتب اللغة، مثل كتاب المخصّص، لابن سيده "ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م" ولسان العرب لابن منظور "ت ٧١١هـ/١٣١١م" لإيضاح بعض الكلمات التي تضمنها الكتاب وشرحِها.

وبالإضافة إلى المصادر المشار إليها فيما سبق فقد أفاد الكتاب من كتب النظم والفقه المتخصصة مثل كتابِ الخراج، ليحيى بن آدم "ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م" وكتاب الأموال ، لأبي عبيد القاسم ابن سلام "ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م"، وكتاب الخَرَاج وصنعة الكتابة، لقُدامةَ بن جعفر "ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م" الذي أشار إلى نشاط التجّار العراقيين في إقليم اليمن، وإلى العشور التي كانت تجبى من مختلف أقاليم الخلافة العباسية، وكتاب الأحكام السلطانية، للماوردي "ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م" في دراسة الحسبة، وكتاب المبسوط، للسرخسي "٤٨٣هـ/١٠٩٠م"، وكذلك كتب الحِسبة الأخرى التي أشرنا لها في قائمة المصادر ومن أهمها كتاب نهاية الرتبة في طلب الحِسبة، للشيزري "ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م"، والحسبة في الإسلام، لابن تيمية "ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م" ويغلب على هذه المصادر التخصصُ ، حيث إن كلاًّ منها يعالج موضوعاً معيناً.

كما لا يفوتني - أيضاً - الإشارة إلى إفادتي من الدراسات الحديثة، مثل كتب السكة، وكتب الآثار، والحضارة، والمقالات التي نشرت في مختلف المجلات العلمية والحوليات، وكان لها علاقة بالموضوع، بالإضافة إلى دراسات المستشرقين وبحوثهم في بعض جوانب التاريخ الإسلامي مما لها

علاقة كذلك بهذه الدراسة ، وقد أشير إلى تلك المراجع في الهوامش وفي قائمة المراجع.

وأود هنا أن أشكر كل من أسهم في إنجاز الكتاب من الزملاء والأساتذة سواءٌ كان هذا الإسهام مناقشة حول الموضوع أم إرشادًا إلى مصدر من مصادرها .

سائلاً الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.. والله الموفق .

تمهيد

الأحوال السياسية في الجزيرة العربية

في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد

الكيانات السياسية:

- **الحجاز.**
- **اليمن:**

١ - دولة بني زياد.

٢ - دولة بني يعفُر.

٣ - دولة بني الرّسّي.

٤ - القرامطة في اليمن.

- **عُمان.**
- **البحرين.**
- **اليمامة.**



الكيانات السياسية :

تأثرت الأحوال السياسية في الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد بأوضاع الدولة العباسية في العراق تأثرًا بالغًا، ولا غرابة في ذلك ؛ لأن الفترة فترة ضعف داخلي في مركز الخلافة نفسه ولا سيما أن أوضاع الجزيرة العربية شكّلت قلقًا للعباسيين حتى في طور ازدهارهم في العصر العباسي الأول "١٣٢-٢١٨هـ/ ٧٥٠-٨٣٣م"، خاصة الحجاز، غير أن العباسيين، شأنهم شأن الأمويين، حرصوا على إحكام سيطرتهم على إقليم الحجاز بصفة عامة وعلى مكة بصفة خاصة، فكانوا يواجهون أي حركة تثور بكل حزم، فلم يكن يسمح الخليفة العباسي بخروج الحجاز عن سلطته فهو يستمد قوته الدينية بوصفه حاكماً للمسلمين من خلال الاحتفاظ بالحرمين الشريفين والإبقاء عليهما تحت نفوذه، لذلك تصدى العباسيون في طور الازدهار للثورات التي نشبت في الحجاز. ومن المعلوم أن العلويين تزعموا ثورات عدة في تلك الفترة الأولى: ثورة محمد الملقب بالنفس الزكية[١] سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م التي قضى عليها الخليفة المنصور[٢] بجيش كثيف بقيادة عيسى بن موسى[٣].

---

(١) هو محمد بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولما عرف عنه من ورع وتقوى لُقّب بالنفس الزكيّة (الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير "ت ٣١٠هـ/٩٢٢م"، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٧هـ، ج٧، ص٦٠٣؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، "ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م"، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار المعرفة، ج٣، ص٢٨٤-٢٨٥).

(٢) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ولد سنة ٩٥هـ/٧١٣م، وتولى الخلافة العباسية بعد وفاة السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، أسس مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م واتّخذها عاصمة الدولة العباسية وكانت وفاته سنة ١٥٩هـ/٧٦٢م (ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم "ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٥، ص٤٦١ -٤٦٥).

(٣) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، "ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م" ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار صادر، ج٣ ، ص١١٠؛ أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، "ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م"، مقاتل الطالبيين ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص ٢٦٧ .

والثانية ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن علي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وقد أُجهِضَت في موقعة فَخ[١]. وعلى منوال هاتين الثورتين قامت ثورة ثالثة بقيادة الحسين الأفطس سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م في عهد المأمون، فتمكن الثائر من طرد داود بن عيسى عامل الخليفة العباسي على مكة، واستقل الأفطس بمكة عن مركز الخلافة، واستبد بالأمر فيها إلى أن تمكن الخليفة المأمون من إرسال جيش لمواجهة الثوار فأجلاهم عنها سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[٢]. وما إن خمدت هذه الثورة، حتى تعرضت مكة لثورة رابعة في سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م قادها إبراهيم بن موسى الكاظم قادمًا من اليمن[٣]، ولم يستطع الوالي العباسي يزيد بن حنظلة المخزومي مواجهة هذه الثورة، فانهزم أنصاره ولقي حتفه ودخل إبراهيم بن موسى الكاظم مكة، ولكنه فشل في ضبط الحجاز، واضطربت أحواله[٤]، وهو ما ساعد العباسيين على إعادة سيطرتهم على مكة[٥].

---

(١) اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٤؛ العصامي، عبدالملك بن حسين، "ت ١١١١هـ/١٦٩٩م"، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، المطبعة السلفية، ج٤، ص٥٦١؛ وفَخ هو موضع قريب من مكة، انظر: ياقوت الحموي، "ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م"، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج٤، ص٢٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤٠؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد،"ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م"، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص١٨١؛ ولمزيد من المعلومات انظر: أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٨١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣١١؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص١٨٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣١٣-٣١٤؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري، "ت نحو ٩٧٧هـ/١٥٦٩م"، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٨١؛ ولمزيد من المعلومات انظر: نجلة قاسم الصباغ، بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٧٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٦، ١٩٣؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن المالكي،"ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م" تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٧ وانظر: أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٢٠ .

من هذا يتضح أن الحجاز لم يسيطر عليه العباسيون في عصرهم الأول إلاَ بجَهد جهيد على الرغم مما كان لهم من قوة عسكرية.

ولم يكن حال اليمن بأحسن من حال الحجاز، فقد تعاقب عليه من ولاة الدولة العباسية في عصرها الأول ما يقرب من أربعين واليًا(١)، وذلك يدل على أن سيطرتهم على اليمن كانت قلقة. وربما تعود هذه الظاهرة إلى طبيعة اليمن الجغرافية وتضاريسه الجبلية وغلبة الحياة القبلية وبُعدِه عن مركز الخلافة.

أما عُمان فقد دخلت في طاعة الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ، وخضعت من بعده للخلفاء الراشدين، وكانت تحت سيطرة المدينة حاضرةِ الدولة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، إذ تُرك حكامها المحليون من آل الجلَنْدي يقومون بأمرها، ولكنهم عينوا معهم بعض العمال لمعاونتهم(٢).

---

(١) ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي "ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م"، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، بيروت، دار العودة، ص١٨-٢٥؛ نصارى، فهمي، الدولة الزيادية باليمن، رسالة غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧١م، ص٦١؛ ولمزيد من المعلومات انظر أيضاً: حسن الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، مكتبة مصر، ص٢٧؛ رحمة الزهراني، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة للدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص.١٣٨

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع "ت ٢٣٠هـ/٨٣٥م"، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ج١، ص٣٥١؛ البلاذري، أحمد بن يحيى "ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م"، فتوح البلدان، بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ، ص٧٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٣-٣١٤. في العام الثامن الهجري بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى عُمان، ومعه كتاب إلى كل من عبّاد وَجيْفَر ابني الجلندي بن المستكبر بن مسعود، فأجابا رسول الله ﷺ ومعهما قومهما، وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدّت بعض قبائل عُمان مع ذي التّاج لَقيط بن مالك الأزديّ، متنبئ عُمان عن الإسلام، فبعث أبو بكر رضي الله عنه بعض الألوية بقيادة حُذَيفة بن محصّن الغلّفاني، وعرفجةَ بن هرثمة البارقيّ، وعكْرمة بن أبي جهل لقتال المرتدين، وساعدوا هؤلاء ومن ثبت على إسلامه في عُمان بقيادة أميرها جيْفر وأخيه عبّاد؛ (انظر: ابن هشام، أبا محمد عبدالملك"ت سنة ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ"، السيرة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٢٥٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨-٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٤؛ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي "ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م" الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢م، ج١، ص٢٦٤؛ السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد"١٣٣٢هـ/١٩١٣م"، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، القاهرة، مطبعة الشباب، ١٣٥٠هـ، ج١، ص٨٨؛ وانظر أيضاً: WONDELL PHILLIPS, OMAN A HISTORY P.10.

وفي بداية عهد الدولة الأموية ظل حكام عُمان من آل الجَلَنْدي موالين للأمويين ويديرون شؤون بلادهم بشيء من الاستقلال، إلى أن برزت قوة الخوارج بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م فامتد نفوذهم إلى عُمان، ولكن عندما أعاد عبدالملك بن مروان "٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م" قوة خلافة بني أمية قضى على المعارضين في عُمان بمعاونة الحجاج بن يوسف الثقفي عامله على البصرة، وحرص الخلفاء الأمويون من بعده على إبقاء عُمان تحت السيطرة الأموية ، وخير مثل على ذلك ما حدث في عُمان نتيجة لثورة يزيد بن المهلب عندما استولى على البصرة سنة ١٠١هـ/٧١٩م، فلما قضى الأمويون عليه أعادوا سيطرتهم على عُمان[١].

ولهذا فإنه عندما قامت الدولة العباسية ونقلوا مركز الخلافة من الشام إلى العراق كان عليهم أن يُوْلوا أقاليم شرق الجزيرة العربية اهتمامًا بالغًا، وحرصوا أن تكون جميعًا تحت نفوذهم ؛ لأنها تشرف على الطريق التجاري البحري الذي يربط البصرة بالهند والصين وغيرهما من الجهات الأخرى[٢]. فكانت البحرين خاضعةً للخلافة العباسية، وكذلك اليمامة[٣]

---

(١) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، "ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م"، كتاب المحبّر، حيدر أباد الدكن، ١٣٦١هـ، ص٤٨٢؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ليدن، ١٨٧١م، ص٥٩؛ العاني، عبدالرحمن عبدالكريم، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، ص٨٨-٩٨.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم الدينوري، "ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م"، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٣٧٥؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر "ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م"، تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، ص٩٩.

(٣) يطلق اسم اليمامة على هضبة نجد الوسطى، ويقول عنها الأصفهاني: إن حَجْر سرة اليمامة، كما ذكرها المقدسي فقال: "إنها عاصمة اليمامة"، أي مدينة حَجْر، الأصفهاني، الحسن بن عبدالله المعروف بلغدة "ت٢١٠هـ/٨٢٥م"، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٣٥٧، المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد "ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م"، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم باعتناء دي غويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦م، ص٩٤، وانظر لمزيد من المعلومات الفصل الثالث من هذا الكتاب.

التي أخذها العباسيون من واليها الأموي المثنّى بن يزيد بن عمر بن هُبيرة الذي قُتل هو وأصحابه في عام ١٣٣هـ/ ٧٥١م[١].

ولم تشهد البحرين أو اليمامة خروجًا على العباسيين طوال العصر العباسي الأول كما لم يواجه العباسيون صعوبة في السيطرة على أقاليم الجزيرة العربية الشرقية إلا في عُمان، فلا غرو- إذن- أن يحرص الخلفاء العباسيون على بسط سيطرتهم على إقليم عُمان فأرسل السفّاح في سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م حملة بحرية إلى جُلَّفار[٢] لحرب الخوارج الذين يقودهم شيبان الخارجي[٣]. وترتّب على هذا أن دخلت عُمان تحت النفوذ العباسي، ومن وقتها لم يهمل العباسيون عُمان وحرص الخلفاء على بقائها تحت نفوذهم، فجعلوها قاعدة تخرج منها الحملات العسكرية في البلاد الشرقية[٤].

ولكن لم يهدأ أهلها، فكثر اضطرابهم، ولم يرضوا بالسيادة العباسية عليهم، فكانوا يثورون كلما واتتهم الفرصة، وأخطر ما واجهه العباسيون في عُمان ما حدث سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م، حيث قام الإباضية بثورة[٥]، فأرسل إليهم هارون الرشيد حملة عسكرية سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م بقيادة عيسى بن جعفر، إلا أن الثوار هزموه وأسروه وقتلوه[٦]. فعزم الخليفة على تأديبهم،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٥٩.

(٢) جُلَّفار، بلد بعُمان، عامر كثير الغنم والجبن والسمن، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٦٢- ٤٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٥٢.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٦٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص٤٥٢.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص٥١٢؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٢، ص٢٢٢.

(٦) زريق، ابن حبيب حميد بن محمد، "ت ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م"، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر، مرسي عبدالله، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٢٥- ٢٢٦؛ السالمي، تحفة الأعيان، ج١، ص٤٧-٤٨.

ولكن المنيـة عـاجلتـه[١]. وكـانت هذه الثـورة بداية لنفـوذ الإباضيـة في عُمـان ابتداءً من نهاية القرن الثاني الهجري[٢].

مما تقدم يتضح أن الجزيرة العربية باستثناء اليمامة والبحرين لم تكن سهلة القياد للعباسيين في العصر الأول على الرغم من قوتهم العسكرية وقدرتهم الإدارية وإمكانياتهم المالية وقوة شخصية خلفائهم وأعوانهم في تلك الفترة، مع أن الجزيرة العربية كانت قريبة منهم ، ناهيك عن المناطق البعيدة في الغرب الإسلامي التي انسلخت تمامًا عن الخلافة الإسلامية في الأندلس مع الأمويين ابتداءً من سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، والمغرب الأقصى مع الأدارسة من سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[٣]، والمغرب الأوسط مع الرستميين[٤] سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م، والمدرارين في الفترة نفسها، ولم يبق تابعًا للعباسيين إلا منطقة إفريقية التي تولاها الأغالبة من سنة "١٨٤ إلى ٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م" معترفين بالعباسيين اسمًا ومستقلين فعلاً[٥].

فإذا كان هذا هو حال الدولة العباسية إبّان ازدهارها وقوتها فلا غرو أن يتزايد عجزها عن السيطرة على المناطق البعيدة ابتداءً من القرن الثالث الهجري في شرقي العالم الإسلامي حيث بدأت تظهر الدويلات

---

(١) السالمي، المصدر السابق، ص٩١-٩٥.

(٢) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، "ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م"، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، بيروت، منشورات دار الآفاق، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٧٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٩٣، ٩٤، ١٥٦.

(٤) كوّن إباضية المغرب دولة خاصة بهم عرفت بالدولة الرُّستمية من سنة ١٤٤-٢٩٦هـ/٧٦١-٩٠٩م، ظهرت في المغرب الأوسط"الجزائر" ومؤسسها اسمه عبدالرحمن بن رستم الفارسي، وكان مركزها في مدينة تاهرت، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨-٣٩ وانظر: العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م، ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٥-١٥٧.

المستقلة أو شبه المستقلة كالصفاريين[١] والسّامانيين[٢]، وبلغ ذلك الضعف ذروته في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مع ظهور الخلافة الفاطمية التي ورثت حكم الطولونيين والإخشيديين المستقلين بمصر والشام استقلالاً فعليًا وإن خضعوا اسميًا للعباسيين. وقد جاء الفاطميون منافسين للعباسيين في الخلافة نفسها بكل ما لها من نفوذ وهيبة ، وما كان ذلك ليحدث لولا أن الدولة العباسية ابتداءً من عصر المعتصم "٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م" بدأ ينفرط عقدها من الوسط عندما أدخل المعتصم الأتراك وتعاظم نفوذهم ابتداءً من عهد الخليفة الواثق "٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٦١م"، حتى جاءت فترة[٣] سميت بفترة فوضى الأتراك في خلافة المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي "٢٤٧-٢٥٦هـ/ ٨٦١-٨٦٩". فكان الجند يعزلون الخلفاء ويولونهم كيف شاؤوا فأصبحوا هم أهل الحلّ والعقد لا ينازعهم أحد، فانفرط نظام الدولة لضعف الخلفاء وقلة حيلتهم، وكُفّت أيدي الوزراء فلم يعد لهم سلطان على الإدارة، وصار الجيش ممزق الأوصال بين المتنافسين من الأتراك ، فلم تعد الدولة تسيطر ولو على العراق نفسه فضلاً عن الولايات الأخرى ، ففي هذه الفترة ظهرت حركات

---

(١) تأسست إمارة الصفاريين في سِجِسْتان من سنة ٢٥٣-٣٩٣هـ/٨٦٧-١٠٠٣م، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٦٠.

(٢) قامت الدولة السامانية في خُراسان وما وراء النهر في الفترة من ٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٩١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩ وما بعدها؛ انظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٢م، ج١، ص١٤؛ عبدالعزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان، ١٩٤٥م، ص٥٩ وما بعدها؛ اللميلم، عبدالعزيز محمد، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٥٠.

الزُطّ(١) في البطائح ، والزَّنج(٢) في جنوبي العراق ، وحركة القرامطة(٣) طوال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ففقدت الخلافة العباسية هيبتها ودبّ الوهن في كيانها، وأصبح الخليفة ألعوبة في أيدي الأتراك، حيث تزايدَ نفوذهم وقوي شأنهم بعد سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) فقد كانت السلطة الحقيقية في أيديهم، فيما عدا فترة خلافة المعتمد(٤)، ما لبث بعدها أن عاد التدهور حتى وصل مداه في عهد الخليفة العباسي الراضي "٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م"، ففقدت الخلافة سيطرتها على العراق(٥). وقد صاحب الانحطاط الذي أصاب الخلافة العباسية ظهور قوة جديدة تغلبت هي أيضًا على مركز الخلافة تمثلت في نفوذ البويهيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على السلطة سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) فانتزعوا من الخليفة العباسي ما كان بقي له من نفوذه، ولم يكتفوا بنزع سلطانه بل شاركوه في شارات الخلافة وألقابها، وهم المختلفون عنه مذهبًا وعقيدة(٦).

---

(١) الزُطّ: هم جنس من الهنود من عبدة الأوثان كانت لهم أزياء خاصة ولغات خاصة، وكانوا يحترفون الصيد في نهر السند، وتحركوا على سواحل الخليج العربي في أيام المأمون، وعاثوا فساداً في جنوبي العراق، وقطعوا الطرق وسلبوا القرى وهددوا الأمن والاستقرار، واستمرت ثورتهم حتى عهد الخليفة العباسي المعتصم الذي قضى عليهم، المسعودي، التنبيه والإشراف، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨١م، ص٣٢٣؛ وانظر اللميلم، نفوذ الأتراك، ج١، ص٢٨٨.

(٢) الزَّنج: هم العبيد الذين ثاروا على الدولة العباسية في جنوبي العراق، واستمرت ثورتهم خلال الفترة من ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م، وعن هذه الثورة انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٠ وما بعدها؛ الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٧٥- ١٠٥.

(٣) من الحركات الباطنية ، وهي منسوبة إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقُرمُط الذي دخل في دعوة عبدالله بن ميمون القداح واضع دعامة المذهب الإسماعيلي، (ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١١٠-١١١).

(٤) تولى الخلافة من"٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م"، وقد ساعده أخوه أحمد الموفق الذي كانت السلطة الحقيقة بيده، وقد أظهر الموفق كل قدرة وكفاية الأمر الذي مكنه من استرجاع هيبة الخلافة، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٧٤- ٤٧٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر: الدوري، المصدر السابق، ص٧٨-٨٨.

(٥) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي "ت ٧٩٥هـ/١٢٠٠"، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٧م، ج١، ص٨٨؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي "ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م"، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦م، ج١، ص١٥.

(٦) ناصر خسرو، أبو معين المروزي "ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م"، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م، ص٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٤٩.

ولا عجب بعد هذا أن تتأثر الجزيرة العربية بهذه الأحداث التي هيمنت على الخلافة في مركزها خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد)، فتأثرت الجزيرة تأثرًا كبيرًا، إذ لم تخضع للعباسيين أيام عزهم إلا في أجزاء محدودة، هي البحرين واليمامة، في حين خضعت أقاليم أخرى بصعوبة بالغة وتكاليف باهظة، مثل الحجاز واليمن، أو خرجت تماماً عن الخلافة، كما في عُمان، من هنا شهدت أقاليم الجزيرة العربية خلال مدة هذه الدراسة ظهور دويلات صغيرة أو أُسَرٍ حاكمة تتبع العباسيين اسمًا وتستقل عنهم فعلاً، وفي بعض الأحيان حتى مجرد الاتباع الاسمي يسقط لحساب غيرهم كالذي حدث مع الفاطميين أو أن يستقل الحاكم عن الخلافتين معًا. وهذه الصورة تتضح من التتبع للأحداث السياسية في أجزاء الجزيرة العربية، إقليمًا إقليمًا ابتداءً بالحجاز فاليمن فعُمان فالبحرين ثم اليمامة.

الحجاز:

إن طبيعة الثورات التي اندلعت في الحجاز في العصر العباسي الأول كانت متجهة نحو تأسيس سلطة للعلويين فيه، وقد واتتهم هذه الفرصة نسبيًا في فترة ضعف العباسيين في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد)، وذلك بعد أن قاموا بثورتين اثنتين لم تنجحا في تحقيق الهدف المبتغى، الأولى ثورة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م حيث استولى على مكة وعلى جدة والمدينة وكان ظالمًا[1]، ولم يمهله القدر فلقي

---

(١) الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبدالله، "ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م"، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٤٦١؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر "ت ٩٠٢هـ ١٤٩٧/م"، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة، دار نشر الثقافة، ١٣٩٩هـ، ص٣٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٦، ١٩٣؛ ولمزيد من المعلومات انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥م، ج٢، ص١٩٣.

حتفه سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م وخلفه أخوه محمد الأُخيضر(١)، ولكنه لم يطل مقامه في مكة لسوء سيرة أخيه وعدم رضا أهل الحجاز عنه فانتقل إلى اليمامة وفيها أسس دولة بني الأُخيضر(٢).

ولم يكن مرد فشلهما لقوة الدولة العباسية بل كانت الخلافة في أوج ضعفها مع معاناتها من النفوذ التركي وثورة الزَّنْج، وإنما كان ذلك لأسباب محلية. وحاول أحمد بن طولون(٣) الذي كان يحكم مصر مستقلاً بها فعلاً ومعترفًا بالعباسيين اسمًا أن يملأ الفراغ السياسي في الحجاز، فدخلت قواته مكة، غير أن محاولته جاءت في وقت الانتعاش النسبي للخلافة العباسية مع الموفق، فهزم هارون بن مُحمد بن إسحاق الهاشمي والي العباسيين على الحجاز الطولونيين وأجلاهم عن مكة وذلك بمدد من بغداد بقيادة جعفر بن الباغمرديّ في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م(٤).

وقد حاول العلويون محاولتهم الثانية سنة ٣٠١هـ/٩١٣م في خلافة المقتدر فاستغل محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحوال العباسيين وأعلن ثورته وخلع طاعتهم وخطب لنفسه بالإمامة مؤسسًا إمارة فيها(٥). غير أن القضاء عليه لم يتم على أيدي العباسيين

(١) الحربي، المصدر السابق، ص٤٦١؛ السخاوي، المصدر السابق، ص٣٢٢.

(٢) وعن الدولة الأُخيضرية، انظر: المبحث الخاص باليمامة ضمن هذا التمهيد.

(٣) حكم أحمد بن طولون مصر نائباً عن واليها التركي، ثم لم يلبث أن انفرد بتدبير شؤونها وأقام بها دولة مستقلة، هي الدولة الطولونية ظلت نحو ثمانية وثلاثين عاماً "٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٤م"، ولمزيد من المعلومات انظر: محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ص٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٥٢-٦٥٤؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص١٨٨-١٨٩، ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد بن نجم الدين أمين القرشي، "ت نحو٩٦٠هـ/١٥٥٢م"، الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ، ص١٨٧.

(٥) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي "ت ٨٢١هـ/١٤١٨م"، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، الطبعة الأميرية، ١٩٦٣م، ج٤، ص٢٦٧-٢٦٨؛ الجامع اللطيف، ص١٨٧؛ الجزيري، درر الفرائد المنظمة، ص٤٨١-٤٨٣؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص١٩١؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص١٩٢؛ ولمزيد من المعلومات انظر: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٠-١١.

وإنما على أيدي الخارجين على العباسيين ممن اتخذوا حركة الغلو دثارًا وهم القرامطة الذين دخلوا مكة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م واستولوا عليها وأقاموا الخطبة لعُبيدالله المهدي الفاطمي[١]، وكان الجيش القرمطي بقيادة أبي الطاهر الذي أفسد على الحُجاج حجهم وعاث في البلد الحرام الفساد، ونهب أموال الناس وشردهم، ولم يقف عند هذا الحد بل تجرأ على الكعبة، وانتزع منها الحجر الأسود وحمله معه إلى الأحساء[٢]. وعلى الرغم من تقربه للخليفة الفاطمي والخطبة له بمكة بدلاً من الخليفة العباسي المقتدر، فإن الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي قد أنكر عليه فعلته هذه وقال له: "سجلت علينا في التاريخ نقطة سوداء في دولتنا لا تمحوها الليالي والأيام..." إلى أن قال: "قد حققت بفعلتك في دولتنا وشيعتنا ودعوتنا اسم الكفر والزندقة والإلحاد"[٣]. ثم أمره بأن يرد الحجر إلى موضعه في الكعبة وتوعده إن لم يستجب أن يُسيّر له جنودًا لا قِبل له بها وتبديد أمنه، فرد عليه أبو الطاهر أنه سيفعل برد الحجر إلى مكة إلا أن الحجر ظل في البحرين قرابة (٢٢) سنة حيث لم يُعَدْ لموضعه إلا في سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م بعد ضغط الخليفة الفاطمي المنصور[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٣- ٨٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد "ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م"، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م، ج٤، ص١٠٠؛ وانظر كذلك: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١١؛ أحمد الزيلعي، مكة وعلاقتها الخارجية، ص٢٢.

(٢) ثابت بن قرة الصابي "ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م"، أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، الرياض، دار الكوثر، ١٩٨٩م، ص٥٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٨؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مكتبة المدرسة بيروت، ودار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م، ج٤، ص٨٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٨٦؛ وانظر: فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية، ١٤٠٠هـ، ص٢٧٣.

وعلى الرغم من ذلك فإنه لم تغب سيادة العباسيين عن مكة إلا مدة قصيرة حيث عاد لها نفوذهم عندما انصرف عنها القرامطة عائدين إلى البحرين، فأعيدت الخطبة للراضي العباسي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م[١]. وأسند الخليفة ولاية الحجاز لوالي مصر آنذاك محمد الإخشيدي[٢].

ولعل هذا يدل دلالة واضحة على أن العباسيين لم يعد بإمكانهم السيطرة المباشرة على الحجاز، خاصة الحرمين على أهميتها، فقبلوا ذكر اسم الإخشيدي معهم في الخطبة على منابر مكة والمدينة[٣]. ولما سيطر البويهيون على الخلافة في بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م امتد سلطانهم إلى مكة، وشاركوا الخليفة في الخطبة على منابر الحرمين بدلاً من الإخشيديين، ومن هنا أصبح الحجاز مجال صراع بين الطرفين، البويهي والإخشيدي، ابتداءً من سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م، فنشبت الحرب بين أنصارهما في موسم الحج وانتهت بهزيمة أنصار الإخشيديين[٤]. ولما ورث الفاطميون الإخشيديين في مصر والشام امتد نفوذهم إلى الحجاز، فأقيمت الخطبة

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٨٥٤-٨٥٥.

(٢) تولى الإخشيديون بقيادة أبي بكر محمد بن طُغْج الإخشيدي ولاية مصر في المدة من ٣٢٣ - ٣٥٨هـ/٩٣٤ - ٩٦٨م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٥، ٣٢٣، ٣٤٣، ٣٦٣؛ وانظر لمزيد من المعلومات: سيدة إسماعيل الكاشف ، مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة ، ١٩٥٠م ، ص٨٢-٨٣.

(٣) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر "ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م"، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٢، ص٥٣-٥٤؛ أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي "ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م"، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م، ج٣، ص٢٣.

(٤) أبو الفداء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود "ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م"، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ، ج٢، ص١٠٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة الساحل الجنوبي، بيروت، دار العرفان، ١٩٥٩م، ج١، ص٣٣.

لهم في منابر الحرمين دون العباسيين(١). ومن ثم غدا الصراع في الحجاز بين الخلافتين المتنازعتين على زعامة العالم الإسلامي طمعًا في قيادة المسلمين وزعامتهم.

وكان العلويون المحليون يراقبون النزاع القائم بين العباسيين والفاطميين على بلاد الحجاز، فدخلوا طرفاً ثالثاً مستغلين الأحوال الجديدة لتحقيق ما عجزت عنه ثوراتهم من قبل(٢). فبادر جعفر بن محمد بن الحسن بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون، واستولى على مكة ودعا للخليفة الفاطمي المعز لدين الله "٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥١-٩٧٥م" في الحرمين الشريفين(٣). وكتب بذلك إلى جوهر الصّقلّي بعد فتح مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وذلك ما أكسبه رضا الفاطميين، فمالوا إليه، وأرسلوا له الأموال الكثيرة ليثبّتوا سلطاتهم بواسطته، وعلى هذا يمكن فهم ما قاله المقريزي من أنه: "في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م عمل المعز لدين الله على تثبيت سلطته في مكة والمدينة، فأرسل عسكرًا وأحمالاً عِدتها عشرون جملاً للحرمين وعدة أحمال متاع"(٤). وظل هذا الوضع إلى وفاة المعزّ في سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، ولم تُقطَع الخُطبة إلا في عهد العزيز بالله "٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م" عندما حاول العباسيون السيطرة على مكة مدة قصيرة جدًا واستعادها الفاطميون

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠٩؛ وانظر كذلك: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥٥.

(٢) انظر في هذا: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١٤-١٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٠٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م، ص١٤٥-١٤٦.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص١٠١؛ ولمزيد المعلومات حول هذا الموضوع انظر: الزيلعي، مكة وعلاقتها الخارجية، ص٤٢-٤٣.

منهم(١). واستمرت عائلة الجون هذه موالية للفاطميين حتى إنها حاولت أن تقيم أسرة حاكمة مستقلة عنهم وعن العباسيين في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

ولما تولى أبو الفتوح الحسن بن جعفر أمر مكة سنة ٤٨٣هـ/ ٤٩٩م بعد وفاة أخيه عيسى بن جعفر، وبتأييد من الخليفة الفاطمي العزيز بالله، ظلّ أبو الفتوح مخلصًا لهم في بداية أمره، وحاول الخليفة العباسي القادر بالله "٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م" استمالته فوعده بالأموال والهدايا وإبقاء الحكم في أسرته من بعده ولكن لم يستجب له(٢). وظلّ مواليًا للفاطميين مستمدًا منهم العون في توطيد دعائم إمارته في الحجاز(٣). وقد قويَ أمرُ أبي الفتوح وتوسّع نفوذه حتى أصبح أميرًا للحجاز بصفة عامة، مع ارتباط وثيق بالخليفة الفاطمي حتى إنه قدم على الحاكم بأمر الله في مصر سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م مهنئًا إياه بانتصاره على أبي ركوة(٤) والقضاء على ثورته واحتفل به الحاكم بأمر الله وخلع عليه(٥).

---

(١) الجزيري، درر الفرائد المنظمة، ص٥٢٧، ٥٢٨.

(٢) ابن فهد، نجم الدين بن عمر بن محمد بن أبي الخير محمد "ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م" إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ، ج٢، ص٤٢١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٩.

(٣) ابن فهد، المصدر السابق، ص٤٢٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢١٤؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فرج، الكويت، وزارة الإرشاد، ١٩٦٤م، ج١، ص٣٢٨.

(٤) أبو ركوة: هو الوليد بن هشام بن عبدالملك بن عبدالرحمن الأموي، كُني بأبي رَكوة، لركوة كان يحملها في أسفاره ، خرج على الحَاكم والتفت حوله قبائل بني قُرّة ولواتة ومزانة، وزناتة، أرسل إليه الحاكم جيشاً في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م بقيادة ينال التركي، فأنزل به هزيمة وقوي أمره، حتى عزم الحاكم على الخروج إلى الشام، وبرز بالعسكر والأموال إلى بلبيس فأشير عليه بالعودة إلى مصر فعاد، ثم ما لبث أن وقع أبو ركوة في أسر الجيوش الفاطمية حيث جيء به إلى القاهرة وأُعدِم سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٩٧.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٦٦؛ وانظر: الزيلعي، مكة وعلاقتها الخارجية، ص٥٧-٦٠ لتفصيلات أوسع.

بيد أن هذه العلاقة لم تدم طويلاً فسرعان ما تصدّعت حيث تباينت وجهة النظر من موقف الخلافة الفاطمية من بعض الصحابة، فقد غضب أبو الفتوح لما طلب منه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إعلان البراءة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لذلك أعلن استقلاله في مكة سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م وقطع العلاقات مع الحاكم بأمر الله الفاطمي وخطب لنفسه(١). وذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فبويع خليفةً وضُرِبت الدنانير والدراهم باسمه وسُميت بالفُتُحِية(٢).

ولم يقتصر نفوذه على الحجاز فحسب بل امتد إلى الرَّمْلَة(٣). وبايعه آل الجراح الطائيون بالخلافة، وذكر ابن فهد أنه تغلّب على أكثر بلاد الشام، إلا أن الحاكم بأمر الله سعى لإعادة السيطرة الفاطمية على الحجاز، مستعينًا بأبي الطيّب عم أبي الفتوح، مواليًا له على الحرمين، معينًا له بالمال ليواجه أبا الفتوح، كما استمال آل الجراح الطائيين وأغراهم بالأموال الجزيلة والهدايا الثمينة، حتى مالوا عن أبي الفتوح وانصاعوا لطاعة الخليفة الفاطمي(٤)، وعندما أحس أبو الفتوح بتغيّر الموقف وميول مناصريه بالأمس إلى الحاكم بأمر الله، بادر هو بالاعتذار للحاكم، فقبل

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٦٩؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص١٠١؛ أحمد الزيلعي، مكة وعلاقتها الخارجية، ص٥١.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ص١١٩، والفُتُحِية نسبة لأبي الفتوح.

(٣) الرَّمْلَة: واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين وكانت رباطاً للمسلمين، أسسها سليمان بن عبدالملك في عهد أخيه الوليد بن عبدالملك، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم ، ياقوت ، معجم البلدان، ج٣، ص٦٩.

(٤) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص٤٣٨-٤٣٩؛ وانظر لمزيد من المعلومات : جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص١٨؛ الزيلعي ، مكة وعلاقتها الخارجية ، ص٥١ وما بعدها.

عذره، وعفا عنه، وعاد إلى مكانه في مكة[١]، وظل مُطيعاً للفاطميين حتى وفاته سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، وحذا حذوه ابنه شُكر[٢].

ومن هذا يتضح أن الحجاز ظلّ خاضعًا للعباسيين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وللفاطميين في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وفي الحالين لم يكن الخضوع مستقرًا، بل شابته من الفتن والثورات المتمردة الشيء الكثير، وهو ما أثر في استتباب أمنه وأدى إلى اضطراب أحواله طوال مدة هذه الدراسة.

اليمن:

عجزت الدولة العباسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر الميلادي) عن بسط السيطرة المباشرة على اليمن لبعده عن مركز الخلافة المضطرب، فزادت الثورات والفتن في اليمن، ولا سيّما أن طبيعته الجغرافية الصعبة حالت دون إرسال قوة ضاربة للقضاء على تلك الفتن[٣]. فاكتفى العباسيون بالسيادة الاسمية عليه فأقيمت الخطبة لهم وحُمِلت

---

(١) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٤٧٣؛ وانظر: جمال الدين سرور، نفوذ الفاطميين في جزيرة العرب، ص١٩.

(٢) تولى شُكر وخلف والده من سنة ٤٣٠ - ٤٥٣هـ/١٠٣٨ - ١٠٦١م، انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص ٤٥٩؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ج ٥، ص١٤؛ الجزيري، درر الفرائد المنظمة، ص ٣٠٨ ؛ وانظر كذلك: دحلان، أحمد بن زيني "ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م"، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ، ص١٨.

(٣) ابن الديبع، وجيه الدين أبو عبدالله عبدالرحمن بن علي بن محمد "ت ٩٤٤هـ/١٩٣٧م"، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٣٧٤هـ، ص١٢٤-١٤٧، نصاري فهمي، الدولة الزيادية باليمن، ص٣٥، ٦١ وما بعدها؛ وانظر: صابر دياب، تطور الحالة السياسية في بلاد اليمن خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، ص١٢ وما بعدها.

الأموال والهدايا السنية إليهم ونقش اسمهم على السكة[١]. وقامت عدة كيانات سياسية من هذا النوع مثل بني زياد وبني يعفر وبني الرسي، فاستغل القرامطة الانقسامات في اليمن وحاولوا السيطرة عليه، وسنأتي على ذكر أهم الكيانات السياسية التي قامت في اليمن في مدة البحث وهي:

١- دولة بني زياد: "٢٠٤-٤١٢هـ/ ٨٢١-١٠٢١م":

لما اضطربت الأمور في اليمن في أوائل القرن الثالث الهجري خرج على طاعة الدولة العباسية بعض الثوّار[٢] في وادي زبيد، فعين الخليفة المأمون محمد بن عبدالله بن زياد[٣] واليًا على اليمن سنة ٢٠٣هـ/ ٨٢٠م[٤] ، ليعيد الأمور إلى نصابها، وأمده بجيش واختط ابن زياد مدينة زَبِيد[٥] سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢١م[٦]، وتمكّن من إعادة نفوذ الدولة العباسية على

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب"ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م" ، تاريخ ابن المجاور، المسمى تاريخ المستبصر، طبعة ليدن، ١٩٥١م، ص٥٤؛ وانظر لمزيد من المعلومات: رحمة الزهراني، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، ص١٥٩.

(٢) تمردت قبائل الأشاعرة وعَكّ في تهامة، وقد كانت القبيلة في بلاد اليمن تمثل الوحدة الاجتماعية الأساس لشعب اليمن، حيث تحرص على استقلالها الذاتي وتتجنّب السلطان ونفوذ الولاة، ابن الديبع، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ص١٤٧؛ نصاري فهمي، الدولة الزيادية في اليمن، ص١٠٠؛ رحمة الزهراني، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، ص١٣٨.

(٣) محمد بن عبدالله بن زياد بن محمود بن منصور بن عبدالله بن زياد الأموي، توفي سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، (ابن المجاور، تاريخ ابن المجاور، ص٥٤).

(٤) ابن عبدالمجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى الحجازي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٥-٢٨؛ محمد بن يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، القاهرة، دار الهنا للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص١٦٤.

(٥) زَبِيد: مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل باب المندب، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣١، وانظر ما ذكر عنها في الفصل الأول من هذا الكتاب).

(٦) عمارة، نجم الدين محمد عمارة بن علي بن زيدان أحمد حكمي، "ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م"، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ، مطبعة البيان العربي، ١٩٦٧م، ص٧؛ محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٣١.

معظم المناطق، كما فرض سيطرته على حَضرَموت(١)، وديار كِنْدَة(٢)، والشِّحْر(٣)، ومِرْبَاط(٤)، وأَبْيَن(٥)، وعَدَن، ولَحْج(٦)، والتهايم إلى حَلْي ابن يعقوب(٧)، واستولى على بعض المناطق الجبلية كذلك مثل الجَنَد(٨)، ومخلاف المَعَافِر(٩) ومخلاف جعفر(١٠) ، وسَيْحَان(١١) وعيّنَ على المخلافين عاملاً(١٢) فاختط مدينة المُذَيْخِرة(١٣). وقد واجه ابن زياد الوضع في حروبه ضد القبائل بشجاعة، فأصبح له شأن عظيم، وتمكن من القضاء

---

(١) حَضْرَموت: إقليم واسع في شرقي عدن بالقرب من البحر، ولها أعمال عريضة وحولها من جهتها الشمالية رمال كثيرة تُعرف بالأحقاف، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٧).

(٢) ديار كِنْدَة: هي من جبال اليمن مما يلي حَضرَموت، (ابن خلدون، كتاب العبر، ج٣، ص٣٢٧).

(٣) الشِّحْر: مدينة تقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٧).

(٤) مِرْبَاط: مدينة بين حَضرَموت وعُمان على الساحل، (ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٩٧).

(٥) أَبْيَن: مخلاف باليمن ويضم عَدَن، (ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٨٦).

(٦) لَحْج: مخلاف باليمن يُنسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن بن قحطان، (ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص١٤).

(٧) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٧، وانظر: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٦١؛ فضيلة الشامي، الدولة اليعفرية بصنعاء والجَنَد، بغداد، المؤرخ العربي، ١٩٧٩م، العدد ١١، ص٥٣٣. وحَلي قال عنها ياقوت: هي مدينة على ساحل البحر مما يلي اليمن، (معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧).

(٨) الجَنَد: مخلاف باليمن إلى الشمال الشرقي من تعز على نحو مرحلة ونصف مرحلة منها، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٦٩-١٧٠).

(٩) هو من المخاليف المشهورة في اليمن ويقع جنوب تعز وإليه تنسب الثياب المعافرية، (الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن الحايك، "ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م"، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، الرياض، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢٠٧).

(١٠) مخلاف جعفر يشمل مدينة إب وجبلة والمذيخرة، (ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن الكبرى، ص١٦٥).

(١١) مخلاف باليمن شرقي مَأرِب، (الهمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٥).

(١٢) هو جعفر مولى ابن زياد، (ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٣٠٥).

(١٣) الهَمْدَاني ، الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٦م، ج٢، ص٩٤، والمُذَيْخِرة: من أعمال صَنْعَاء وهو جبل فيه المزارع والمياه ونبت الوَرْس وفي شفيره الزعفران ولا يسلك إلا من طريق واحد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٩٠-٩١).

على تمرد قبيلة الأشاعرة[١] في وادي زبيد في التهايم، فأعاد الأمور إلى ما كانت عليه وأخضع تلك البلاد لحكم العباسيين[٢]. واستقرت الأحوال في عهده فهابه أهل اليمن وأطاعوه[٣]. وأصبح سيد الموقف في هذا الإقليم، وعظُم شأنه، ولكنه استغل ضعف الخلافة العباسية وانشغالها بالأمور الداخلية، فاستقل باليمن وجعله ولاية يتوارثها بنوه، إلا أنه لم يقطع صلته بالخليفة العباسي وظل معترفًا به ذاكرًا اسمه في الخطبة ناقشًا له في السكة، مستمرًا في إرسال الأموال والهدايا السنيّة إلى بغداد على عادته كل عام[٤]. فكسب جانب الخليفة العباسي بسياسته هذه وحث أبناءه على اتباعها، فالتزم ابنه إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن زياد"٢٤٢-٢٨٩هـ/ ٨٥٧-٩٠٢م" أسلوب والده، ومثله ابنه إسحاق بن إبراهيم الملقب بأبي الجيش الذي حكم إقليم التهايم مدة طويلة[٥]، وفي عهده كان غزو القرامطة لليمن[٦].

---

(١) الأشاعرة: قبيلة عزيزة مرهوبة الجانب، ومنها النفر الذين كان على رأس وفدهم أبو موسى الأشعري ، والذين قال فيهم النبي ﷺ : « جاءكم أهل اليمن أرقّ أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية»، (الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٤م، ص٧٣؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٤٥ وما بعدها؛ وانظر لمزيد من المعلومات: محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص١٣).

(٢) الكندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي "ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م"، السلوك في طبقات العلماء والملوك، وزارة الإعلام اليمنية، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٢؛ عمارة، المصدر السابق، ص٢٧، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص, ١٣١

(٣) ابن الديبع، بغية المستفيد في أخبار زبيد، ص٢٥؛ أبو مخرمة، أبو عبدالله الطيب بن أحمد "ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م"، تاريخ ثغر عدن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٢١٦.

(٤) عمارة اليمني، المصدر السابق، ص٢٧؛ ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ زبيد، ص, ٢٥

(٥) ابن المجاور، تاريخ ابن المجاور، ص٤٥، وانظر لمزيد من المعلومات: أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، الرياض، مطابع البادية للأوفست، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٨٩، ومدة حكمه تزيد على ثمانين عاماً٠

(٦) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص٩١-٩٣.

وقد اعتَرى الدولة الزيادية الضّعف في أواخر أيام أبي الجيش لطول مدة حكمه ولتقدّمه في السن فعجز في النهاية عن إدارة الحكم، فامتنعت عليه الأطراف وانقطعت عنه الخطبة، فقد أسقط اسمه منها صاحب عَثر[١]، وخرجت مثله عن سلطة الزياديين كثيرٌ من البلاد[٢].

ولا عجب بعد هذا أن ينتقل الحكم من بني زياد إلى أحد مواليهم وهو الحسين بن سلامة[٣] سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م واستمر في الحكم إلى وفاته عام ٤٠٢هـ/١٠١١م[٤]. وبوفاته انتقل الأمر إلى طفل من بني زياد، قال عنه عمارة: "أظن اسمه عبدالله"، ومن بعده إلى نهاية دولة بني زياد سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م أصبح الأمر لأطفال، وأوصياء من الموالي[٥].

ومما هو جدير بأن يُلحظ أن التهايم ظلت تابعة لبني زياد طوال مدة حكمهم إلا أن مقاطعات اليمن ومخاليفه الأخرى كانت تحكم بواسطة رؤساء العشائر الذين دانوا بالتبعية الاسمية للدولة الزيادية[٦]. ويبدو أن بني زياد لم يقضوا نهائيًا على نفوذ سلطة الأسر الحاكمة في اليمن، إلا

---

(١) عَثر، بلد بينها وبين مكة عشرة أيام، وصاحبها سليمان بن طرف الحكمي وهو من ملوك تهامة، وبلاده مسيرة عشرة أيام في عرض يومين وهي من الشرجة - الموسم حالياً - إلى حَلي. وتعرف هذه المنطقة باسم المخلاف السليماني، (انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٨٥، ابن المجاور، ج٢، ص١٨٤).

(٢) ابن المجاور، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٨.

(٣) هو أبو عبدالله الحسين بن سلامة كان أميراً كبيراً أسود نوبيًا وكان مولى الرشيد أحد موالي بن زياد وقد أعاد لدولة بني زياد هيبتها فدانت له معظم الأقاليم وأقام في الحكم ثلاثين سنة، توفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م، (أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٩١-٩٣).

(٤) الهمداني، الإكليل، ج٢، ص١٥٥؛ بامخرمة، المصدر السابق، ص٩١-٩٣.

(٥) عمارة، تاريخ اليمن، ص٣٧؛ وانظر كذلك: بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٩٤.

(٦) الهمداني، الإكليل، ص١٥٥؛ أبو مخرمة، المصدر السابق، ص٩٤؛ محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، الرياض، منشورات دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٦٨، ١٢٩.

أنهم حدّوا من سلطاتهم حتى دانت لهم بالطاعة والولاء، إلا ما حدث أواخر حكم أبي الجيش، ولم تنجح محاولات مولاهم الحسين بن سلامة في إعادة السلطة على المناطق البعيدة.

٢ - دولة بني يعفُر"٢٢٥-٣٩٣هـ/٨٣٩-١٠٠٢م":

تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها يعفُر بن عبدالرحمن بن كُريب الحَوالِيّ، وقد قامت بمهمة بارزة في تاريخ اليمن، وكان عبدالرحيم بن جعفر ابن سليمان بن علي الهاشمي والي الخليفة المعتصم على اليمن قد عين عبدالرحمن والد يعفر نائبًا على الجَنَد عام ٢٢٥هـ/٨٣٩م(١).

ولكن ابنه يعفُر الذي خلفه في النيابة نشط في عهد الخليفة العباسي الواثق"٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م"(٢)، فقوي وأظهر مقاومته للوالي العباسي على اليمن سنة ٢٣٠هـ/٨٢٤م(٣)، وظلّ الحال إلى عهد الخليفة المعتمد على الله "٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م" الذي أسند إلى محمد بن يعفر الحوالي سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م ولاية اليمن. وكان الحوالي قد بايع الخليفة ولم يعارضه كما فعل من سبقوه من الخلفاء. وقد اكتفى الخليفة المعتمد على الله بهذه البيعة التقليدية، وقنع بالمظاهر الشكلية، كذكر اسمه في الخطبة، وإرسال

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي "ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م"، جمهرة أنساب العرب، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٤١١؛ عمارة، المصدر السابق، ص٣٨.

(٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين،"ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م"، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٨٤.

(٣) الوالي العباسي الذي قدم اليمن سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م هو هرثمة بن بشر الذي خرج بنفسه ليحارب الحوالي الذي استمر في مقاومته للولاة العباسيين إلى أن تولى المعتمد على الله الخلافة فكاتبه الحوالي فأرسل له الخليفة في سنة ٢٥٢هـ/٨٧١م بكتاب يوليه على نجد اليمن، (ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٥٥؛ العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، عني بنشره الكرملي، القاهرة، مطبعة البرتيدي، ١٩٣٩م، ص ١٨).

الأمـوال والهـدايا له فـي بغـداد . وبهـذه البـيـعـة توطّد نفـوذ الحـواليـين على صَنْعَـاء[١] والجَنَد[٢]. ولم يغفل الحـوالي أهـميـة الدولـة الزيّادية، فـانصـاع لأميرها القـوي ابن زياد وهادنه، وأظهـر طاعته له، وذكـر اسـمه في الخطبة بعـد الخليفـة العبـاسـي وأرسـل له الهدايا وبعض الأموال[٣] حتـى تمكن من السلطة حتى إن بعض المؤرخين يعـدّ مـحـمـد بن يعفـر الحَـوالي المؤسس الحقيقي للدولة اليعفرية ، وقد امتد حكمه إلى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م وبلغ نفوذه مناطق واسـعـة في اليمن عدا مناطق التهايم التي كانت تحت سيطرة دولة بني زياد[٤]. وكـان له من الأعـمـال مـا يحـمـد له الذكـر، فـقـد أنشـأ جـامع صَنْعَاء، كما بنى جامع شبَام[٥]، وكَوْكَبان[٦].

ولقـد اضطرب الوضع في الدولة اليعفُرية بعـد مـقتل الأمـيـر محـمـد الحوالي فـاختل أمنُها وخـرج عليها كثير من رؤساء القبائل[٧] . وقد واجه ابنه إبراهيم هذه الاضطرابات بكل حـزم، ولكن لم تكن جهوده موفقة للقضاء على الخارجين عن طاعته، وفي ظل هذه الاضطرابات لم يستمر حكمه. ومما زاد

---

(١) مدينة عظيمة، كان اسمها في القديم أزال، ولما دخلها الأحباش سموها صنعاء لمنعتها وقوة تحصينها، وبينها وبين عدن ثمانية وستون فرسخًا، وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها فيما قبل، (الإدريسي، جزيرة العرب من نزهة المشتاق، ص٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٥-٤٢٦).

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣١؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٢٧؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٣٤.

(٣) الهَمْدَاني، الإكليل، ج٢، ص١١١ وما بعدها؛ حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩م، ص١٢٦.

(٤) الهَمْدَاني، الإكليل، ج٢، ص١٨١؛ وانظر: حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي، ص١٢٦.

(٥) شبَام: أقيان قوية بها مملكة بني حوال ويقال: إنها سميت بشبام بن عبدالله رجل من همدان، (الهَمْدَاني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٩).

(٦) الكندي، السلوك، ص٦٢؛ زامباور، إدوارد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي حسن وحسن محمود وسيدة كاشف، القاهرة، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م، ص١٧٩؛ وكَوْكَبَان جبل قرب صَنْعَاء وإليه يضاف قصر كوكبان، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٤).

(٧) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٩٧.

الأمر تعقيدًا سخط العامة عليه، لأنه قتل والده، فأشعل صنيعه البشع فتيل الاستياء والسّخط لدى رؤساء القبائل(١) فخرجوا على طاعته(٢).

وقد حاول الخليفة العباسي المعتمد حسم الموقف لصالح الدولة اليعفُرية وحرص على ألا تتفكك، فنحَّى إبراهيم بن محمد وولى مكانه ابنه يعفُر بن إبراهيم الحَكم ولم يمهله القدر فقتل في شِبَام سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م(٣). وخلفه يعفُر بن عبدالقادر بن أحمد بن يعفُر، وتولى الإمارة بعده أسعد بن إبراهيم بن محمد بن يعفر سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، وظهر القرامطة في عهده، لكنه قاومهم وصمد في مواجهتهم، وسار بجيش قوي لمقاتلتهم في المُذَيْخِرة، وضرب عليهم الحصار وقاتلهم حتى استسلموا وتمكن من قتل الفأفأ بن علي ابن الفضل واستأصل شأفتهم وقضى على خطرهم(٤).

وبهذا الانتصار استطاع أسعد الحوالي توطيد سلطانه على بعض مخاليف اليمن، وطالت مدة حكمه حيث ساد البلادَ في عهده بعض الهدوء والاستقرار وإن برزت بعض الفتن والاضطرابات من وقت لآخر، وتوفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م. ثم تعاقب على الدولة اليعفُرية من بعده عدد من الأمراء كان آخرهم أسعد بن عبدالله الذي لم تستتب الأمور في عهده، وقد أذن نفوذ اليعافرة بالزوال حيث انتهى حكمهم سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م وجاء بعدهم الصُّلَيحيون(٥).

---

(١) خرج كثير من الأمراء والقبائل عن طاعته مثل الدعام بن إبراهيم بن عبدالله الهمداني سيد قبيلة هَمْدَان، وانشق عنه كذلك الفضل بن يونس المرادي بالجوف (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٩٧، فضيلة الشامي، الدولة اليعفرية بَصَنْعاء والجند، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١١، لعام ١٩٧٩م، ص٣٤٣).

(٢) العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص٢٠.

(٣) ابن الديبع ، قُرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٦٤-١٦٥؛ العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص١٨؛ العقيلي، المخلاف السليماني، ج١، ص١٣٠.

(٤) يلقب الفأفأ بذلك لفأفأة كانت به، (الحميري، أبو سعيد نشوان، "ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م" الحور العين، ص٢٠٠؛ فضيلة الشامي، الدولة اليعفرية، ص٣٤٩).

(٥) الكندي، السلوك، ص٢٣١-٢٣٣؛ العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص١٩.

٣ - دولة بني الرَّسِّي:

في الوقت الذي ظلت فيه بلاد اليمن تدين بالطاعة والولاء للعباسيين في عهد الدولتين الزّيادية واليعفرية، برز من حين لآخر بعض الثوار الخارجين على السلطة، يتزعّمهم علويون ولكن على مذهب الزيدية.

ففي صَعْدَة ظهر الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن الحسين بن إبراهيم بن طباطبا الرَّسِّي سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، وكان أول من خرج باليمن يدعو للزيدية[١]. فبرزت دعوته على المسرح السياسي في بعض أقاليم اليمن عندما حلت عوامل الضعف والاضطرابات في الدولة الزيادية أواخر عهد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم الزّيّادي، فسنحت الفرصة للهادي (الإمام يحيى بن الحسين) لأن يدعو لمبادئ الزيدية أتباع زيد بن علي زين العابدين[٢]، فعظمُ شأنُه وكثُر أتباعه وزاد خطره، فسار إلى صنعاء واستولى عليها، وكانت بحوزة الأمير أسعد بن يعفُر الحَوالي، إلا أن الأخير تمكّن من دَحر الإمام الهادي وردّه عنها، فعاد الهادي إلى صعدة وأسس فيها دولة بني الرَّسِّي الزيدية ومنها أرسل دعاته إلى النواحي المختلفة في بلاد اليمن[٣]. وقد حاول مرة أخرى التغلب على صنعاء فدخلها عام ٢٨٨هـ/٩٠٠م ودعا لنفسه فبايعه الناس وضرب السَّكَّة، ولكن سرعان ما انقضّت عليه البلاد، فأخرجوه وأتباعه من صنعاء وانسحب منها، وعاد إلى صَعْدَة عام ٢٨٩هـ/٩٠١م[٤].

---

(١) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٨٣؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص١٣٤.

(٢) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٢٣٧.

(٣) الهمداني، الإكليل، ج١، ص٣٢٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق؛ ج٤، ص٢٣٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٠٧؛ ابن خلدون، المصدر السابق؛ جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٦١.

إلا أن الإمام الهادي عاد في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م فاستنهض بعض رؤساء القبائل الموالية له بالعودة إلى صَنْعَاء في محاولة أخرى للتغلب عليها، وتمكن من دخولها وطرد أسعد بن يعفر، ولكن لم يكتب له النجاح وعاد أدراجه إلى صَعْدَة، حيث قاومه أهلها حتى أخرجوه منها، وهرب بمن معه من قوة إلى الجهة التي جاء منها(١).

ولم يمهل القدر الإمام الهادي حيث تُوفي في سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م وخلفه ابنه المرتضى الذي استمر في الحكم بعد والده إلى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م(٢). وقام بعده عدد من الأئمة الزيدية(٣) من أبناء الإمام الهادي، وظلوا متغلبين على صَعْدَة وبعض المناطق الأخرى، حيث استقام ملكهم في تلك النواحي وتتابع أئمة الزيدية في بلاد اليمن بعد ذلك(٤).

ومما يُحمد لهؤلاء الأئمة وقوفُهم في وجه القرامطة وتصدّيهم لأفكارهم ودعوتهم التي ظهرت في اليمن آنذاك(٥).

---

(١) ابن الديبع، قُرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٧٤-١٧٥؛ وانظر: أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص١٨٧.

(٢) ابن عبدالمجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص٤١.

(٣) الأئمة الزيدية الذين تعاقبوا على السلطة في اليمن حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، هم:

١) يحيى الهادي محمد بن الحسن ٢٨٤-٢٩٨هـ/٨٩٧-٩١٠م.
٢) المرتضى محمد بن الهادي ٢٩٨-٣١٠هـ/٩١٠-٩٢٢م.
٣) الناصر بن أحمد بن الهادي ٣١٠-٣٢٥هـ/٩٢٢-٩٣٦م.
٤) المنصور بن يحيى الناصر ٣٢٥-٣٦٦هـ/٩٣٦-٩٧٦م.
٥) يوسف بن يحيى الناصر ٣٦٦-٣٨٩هـ/٩٧٦-٩٩٨م.
٦) المنصور القاسم بن علي ٣٨٩-٣٩٢هـ/٩٨٨-١٠٠٢م.
٧) المهدي الحسين القاسم ٣٩٣-٤٠٣هـ/١٠٠٢-١٠١٢م.

(ابن الديبع، قُرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٢١٨-٢٢٦؛ أحمد شرف الدين، المصدر السابق، ص٢٥٣).

(٤) عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص١٣٦؛ وانظر: محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص٣٨.

(٥) ابن عبدالمجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص٤١ وما بعدها؛ وأيضاً محمد عبدالعال، المصدر السابق، ص٣٨.

٤ - القرامطة في اليمن:

كانت بداية ظهور مذهب القرامطة على يد رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي المعروف بمنصور اليمن، يساعده علي بن الفضل الجندي الخنفري المؤسس الحقيقي للقرامطة باليمن، حيث بدأ أمرهما داعيين للإسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م(١). وقد عهد إلى هذين الداعيين بأمر الدعوة للمذهب الإسماعيلي في اليمن، وأظهر كل منهما التقوى والصلاح والزهد والتقشف والانصراف لطلب العلم والتفقه في المذاهب السنية حتى كثر أتباعهما(٢). ولم يظهرا على حقيقتهما إلا بعد أن أصبح لكل منهما شأن وقوة فركزا في دعوتهما في بادي الأمر لعبيدالله المهدي.

وقد افترقا بعد أن وصلا إلى غَلافِقَة(٣)، فاتجه منصور بن حَوشب إلى مغارب اليمن وابتنى حصنًا في جبل لاعَة(٤) وتمكن من أسر عامل الأمير إبراهيم بن محمد بن يعفُر الحَوالي واستولى على أكثر بلاد اليمن(٥). ثم حصّن موقعه هذا في جبل لاعَة وحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مؤن، ثم أظهر دعوته للمذهب الإسماعيلي التي من أجلها قدم إلى اليمن، ولما ظهرت حقيقته للناس أنكر عليه كثيرٌ منهم ذلك ، وقاتلوه، ولكنه تغلب عليهم

---

(١) نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، انظر: الحمادي، محمد بن مالك اليماني (عاش في أواسط القرن الخامس الهجري)، كشف أسرار الباطنية، القاهرة، مطبعة دار الأنوار، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م، ص١٧-١٩؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٧، ص٦١-٦٢.

(٢) ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٧٩، ١٩٨؛ حسن الهَمْدَاني، الصُليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٥م، ص٣١؛ محمد بن عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص٢٨-٢٩.

(٣) غَلافِقَة: بالفتح هو بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد، وهي مرسى زبيد، وبينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً، ترفأ إليها سفن البحر القاصدة لزبيد. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٨).

(٤) لاعَة: مدينة في جبل صبر من نواحي اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٧).

(٥) الحمادي، محمد بن مالك اليماني، كشف أسرار الباطنية، ص٢٨؛ محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص٢٩-٣٠.

واستطاع بسط نفوذه على بلاد عَيّان[١] وبني شاور، وحُمْلان، وذمَار، وشِبَام، والجبل المسمّى كَوْكَبان وأخرج الحَواليين من هذه البلاد[٢]. كما أعد جيشًا زحف به إلى صَنْعَاء وأخرجهم كذلك منها[٣].

أما علي بن الفضل فقد قعد بأرض يافع وزاد نفوذه، فاستولى على بعض مخاليف اليمن وقصد مدينة المُذَيْخِرة سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م وحصَّنها واستقر بها، ومنها انطلق إلى صَنْعَاء يريد إخراج الحَواليين منها كما فعل صاحبه ابن حَوشب من قبل. ولما سمعوا به هربوا منها ودخلها سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م[٤]، واشتدت وطأته عليهم وأحل المحرمات وادّعى النبوة[٥]. وتوجّه بعد ذلك إلى تهامة والجبال ودخل مدينة زَبِيد ففر حاكمها أبو الجيش إبراهيم الزّيادي من وجهه فاستباحها ثلاثة أيام[٦].

ولكن سرعان ما اختلف ابن الفضل مع ابن حَوشب، فثار الأول على ابن حوشب في محاولة لاستخلاص بلاد اليمن لنفسه، فأعد جيشًا لمحاربته الأمر الذي حمل ابن حوشب على طلب الصلح، فأجابه ابن الفضل على شرط أن يرسل له ابنه رهينة عنده ويضمن دخوله في طاعته وعدم الخروج عليه. وقد مكث عنده سنة[٧].

---

(١) وهذه البلاد من ناحية مخلاف جعفر باليمن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٧١).

(٢) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٣٠-٣١؛ المقريزي، اتعّاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م، ص٦٧-٦٨.

(٣) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٣١؛ جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في الجزيرة العربية، ص٦٠.

(٤) الكندي، السلوك، ص٦٢؛ الجَعْدي، عمر بن علي بن حمزة، "ألفه سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م"، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٧٦؛ الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص٤٤؛ العقيلي، المخلاف السليماني، ص١٢٢-١٢٣.

(٥) ابن الديبع، كتاب قُرّة العيون، ص٢٠٠-٢٠٣؛ حسين الهمْداني، الصُليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص٣٧.

(٦) ابن الديبع، قُرة العيون، ص١٩٨؛ محمد بن أحمد العقيلي، المخلاف السليماني، ص١٢٤-١٢٥.

(٧) الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص٣٣.

إلا أن هذا الصلح لم يؤدِّ إلى وحدة صفهما، فقد كان كل منهما يعمل على حدة مستقلاً عن الآخر وهو ما كان له أثره في إضعاف الدعوة الإسماعيلية في اليمن وخاصة بعد وفاة ابن حَوشب مؤسسها الأول بعد سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م[١] حيث قام بالدعوة بعده دعاة لم يكونوا بحماسة ابن حَوشب وقوته نفسها، فتغلب عليهم أهل السنة وقتلوا معظمهم وهرب الآخرون ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة[٢].

كان ابن الفضل مثل ابن حَوشب فعلى الرغم من قوته وكثرة المكاسب التي حققها عندما بسط نفوذه على كثير من بلاد اليمن، فإنه لم يستمر نفوذه طويلاً، فقد حاصره أسعد الحَوالي أكثر من سنة في المُذَيْخِرة وتغلب عليه بدخولها سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م. وقُتل ابن علي بن الفضل "الملقب بالفأفأ" سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م وقد مات والده قبله مسموماً، وبهذا النصر الذي أحرزه أسعد الحَوالي تحقق القضاء على القرامطة في اليمن وملاحقتهم وإبادتهم بعد أن أساؤوا السيرة في البلاد وعاثوا فيها فسادًا، وتأزمت الأمور في عهدهم واضطرب حال أهلها، فكثرت الفتن التي أصبحت الناس تخشاها[٣].

من كل هذا يتضح أن اليمن تعاقبت عليها دويلات محلية، مستقلة فعليًا عن العباسيين، متعاقبة ولكن لم يكن لأي منها استقرار تمامًا، وذلك بسبب عدم اهتمامهم بقيام دولة مستقلة ذات سيادة عامة، وإنما كان همهم نشر مذاهبهم المنحرفة، مثل الزيدية، والإسماعلية، والقرمطية.

---

(١) ابن الديبع، قرة العيون، ص١٨٢؛ الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص٤٠-٤٢؛ محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص٦، ٢٣.

(٢) الحمادي، المصدر السابق، ص٤٠-٤٢.

(٣) ابن الديبع، قُرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٨٠-١٨٥، ١٩٥، ١٩٦؛ وانظر : جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٥٩-٦٢.

عُمـــان :

استمرت السيطرة الإباضية على عُمان في ختام القرن الثاني الهجري، (الثامن الميلادي)، وفي القرن الثالث الهجري، (التاسع الميلادي) ، ولكن النزاعات القبلية المحلية أفسدت عليهم تلك السيطرة بعد بضعة عقود، فقد ورد أن عُمان قد تعرضت إلى سلسلة من الفتن والاضطرابات حتى قيل : "وأصبح الأمر في عُمان لعبًا ولهوًا وبغيًا وهوى ... حتى إنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة ولم يفوا بواحدة"(١).

ولما اشتد النزاع بين قبائل عُمان النزارية واليمانية، طلب بعضهم المساعدة من محمد بن ثوّر الوالي العباسي في البحرين سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م(٢) الذي وجهه الخليفة المعتضد إلى عُمان على رأس جيش قوامه ثمانية وعشرون ألفَ مقاتلٍ، وذكر الطبري أن جيش محمد بن ثوّر دخل مدن عُمان في سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م دون أن يلقى مقاومة تذكر(٣) ، وهذا مما يؤكد أن الناس على اختلاف مذاهبهم مع الخلافة العباسية، قد رضوا بها طلبًا للعافية والأمن والاستقرار، فأعادوا الخطبة للعباسيين في منابرهم(٤). ولم تنجح محاولة زعيمهم الأهيف بن حمحام الهنائي في الخروج على الوالي العباسي(٥).

وظلّت عُمان تدين بالطاعة للعباسيين منذ ذلك الوقت إلى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، حيث تعرضت إلى هجمات قرامطة البحرين الذين تمكنوا

(١) مؤلف مجهول، قصص وأخبار جرت في عُمان، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٠٦.

(٢) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٠هـ، ج١، ص٢٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣٣.

(٤) المسري، حسين علي، العلاقات السياسية والاقتصادية في منطقة الخليج، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٢م، ص١٣٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣٩.

من بسط نفـوذهـم عليـهـا في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م في عـهـد أبي طاهر القُرمطي، وخطبوا لعُبيدالله المهدي أول خليفة للفاطميين بالمغرب، وهذه هي السَّنة التي سيطر فيـهـا القـرامطة على كـثيـر من أنحـاء الجـزيرة العـربيـة(١). إلا أن سـيطرتهم على عُمـان كـانت بين مـدّ وجـزر إلى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، فلم تكن الأمور مستقرة، بل كانت متقلبة بين الاستقلال عن القرامطة والعباسيين والموالاة لهؤلاء أو أولئك، وخير مثل على ذلك أن أمير عُمان يوسف بن وجيه(٢) لم يتقيد بأوامر العباسيين(٣)، ولا يعرف أنه ائتمر بأمـر القـرامطة. وثار عليـه في سـنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م مـولاه نافع وتقلد إمـارة عُمان ودخل في طاعة العبـاسيين بعد أن تردد في بادئ الأمـر، وخطب لهم على المنابر وضـرب اسـمـهم على النقـود(٤)، وأرسل لهم الهـدايا سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م، إلا أن ولايتـه لم تطل فـقـد ثـار عليـه أهـل عُمـان وطردوه من بلادهم سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م(٥)، وولّوا عليهم عبدالوهاب بن أحمد بن مروان، ولكن سـرعـان ما عـزل هذا الأمـيـر وخلفه علي ابن أحمد الذي كان كـاتبًا للقـرامطة من قـبل(٦). وأعـاد عُمـان لنفـوذ القـرامطة، ولم يسـتمـر حكمـه

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص٦٩؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص١٩٨.

(٢) يوسف بن وجيه حاول توسيع رقعة إمارته فسار على رأس حملة بحرية يريد البصرة وكاد يستولي عليها لولا ما حصل بسفنه من جراء الحريق الذي دبره أعوان بني البريدي في عهد الخليفة المتقي ومضى يوسف بن وجيه هارباً في أوائل سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣١٠).

(٣) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، باعتناء، هـ. ف. آمدروز، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ج١، ص٣٢٣.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص١٨٦-١٨٧.

(٥) التنوخي، أبو علي الحسن بن علي، "ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م"، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص١٢٤؛ والقرطبي، عريب بن سعيد "ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م"، ذيول تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ طبع، ص٣٤٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٦-١٨٧؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص٤٤٣-٤٤٤.

طويلاً؛ ذلك لأن معز الدولة البويهي أرسل قوة بحرية إلى عُمان بقيادة أبي الفرج محمد بن عباس الذي استولى عليها بعد معارك طاحنة في سنة ٣٥٥-٣٥٦هـ/٩٦٥-٩٦٦م، وترتب على هذه المعارك أن أُجلي القرامطة عن عُمان وأصبحت الخطبة لمعز الدولة البويهي على منابرها[١].

وعندما توفي معز الدولة البويهي توجه أبو الفرج محمد بن عباس إلى بغداد تاركاً أمر عُمان لعمر بن نَبْهان الطائي الذي ثار عليه الزَّنْج وقتلوه، وولوا عليهم ابن حلاج[٢]. وبادرهم عضُد الدولة بإرسال قوة بقيادة حرب ابن طغان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م وقد أعاد المنطقة إلى طاعة الخلافة مستكملاً ذلك في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م[٣].

وبعد وفاة عضُد الدولة ونشوب الصراع بين صَمْصَام الدولة وشرف الدولة أهمل البويهيون أمر عُمان[٤]، فاستغل القرامطة الفرصة وكذا إباضية عُمان فصار الصراع ثلاثيًا بين القرامطة والإباضية والموالين للعباسيين، ثم كانت الغلبة للخوارج بزعامة الأزد[٥].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٧؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٣، ص٨٨٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٥٧؛ ووصف هؤلاء الزنج بالعنف والوحشية بحيث قيل إنهم من أكلة لحوم البشر، انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل "ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م"، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مكتبة الحسين التجارية، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ج٢، ص٣٢٠؛ لقد اتسم عهد عضُد الدولة بإحكام السيطرة على عُمان، انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ٣٣٨.

(٤) بعد وفاة عضد الدولة اضطرب الوضع في عُمان على إثر الخلافات التي حصلت في البيت البويهي على السلطة، (ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٣-١٢٤؛ أبو شجاع، محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله الروذراوري "ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م"، ذيل تجارب الأمم، د. ن، القاهرة، ١٩١٦م، ج٢، ص١٠٠-١٠١).

(٥) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص١٩٨-١٩٩.

وحاول العباسيون استرجاع نفوذهم فأرسل الطائع العباسي[١] لأهل عُمان رسالة في سنة ٣٧٧هـ/٩٧٨م يحثهم على طاعته وطاعة بني بُويه[٢]. ومما ساعد الدولة العباسية على استعادة نفوذها في عُمان نشوب الخلاف بين زعماء الأزد، فاستنجد بنو مَكرم[٣] بالبويهيين ضد أئمتهم أصحاب السلطة الإباضية[٤]. فأنجدوهم وتمكنوا من الاستيلاء على المدن وطردوا الخوارج إلى الجبال، وجعلوا الحكم لخلفائهم بني مَكرم سنة ٣٩٠/٩٩٩م[٥]. واستطاع أبو محمد بن مَكرم السيطرة على عُمان مع كسب رضا العباسيين فأنعموا عليه سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[٦].

ومن هنا يتضح أن عُمان في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي أصبحت تحت نفوذ الدولة العباسية بفضل تدخل البويهيين المستمر، واستمر هذا الوضع إلى أن ضعُف بنو بويه، فاستقل بنو مَكرم بعُمان سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م[٧]. وكان حرص البويهيين هذا مرتبطًا بأهمية عُمان في حماية خطوط التجارة البحرية.

---

(١) هو أبو الفضل عبدالكريم بن المُطيع، تولّى الخلافة العباسية خلال المدة ٣٦٣-٣٨٢هـ/٩٧٣-٩٩١م.

(٢) القُرطبي، ذيول تاريخ الطبري، ص٣٤٣؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٩٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٤١٣-٤١٤.

(٣) هم من أبرز أعيان أهل عُمان الذين ثاروا ضد الخوارج، (انظر: السالمي، نهضة الأعيان، ج١، ص٢١٠-٢١١).

(٤) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٧، ص٩٩١؛ السالمي، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١١.

(٥) الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن، "ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م"، تاريخ هلال الصّابي المذيّل على تجارب الأمم، القاهرة، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، ج٤، ص٣٧١؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص١٩٩.

(٦) أنعموا عليه بالإشراف على كَرْمَان إضافة إلى عُمان، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٩٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٤.

(٧) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٧، ص١٩٩؛ ذكر ابن الأثير أن نهاية بني مَكرم كانت على يد الإباضية الذين تمكنوا من التغلّب على عُمان في سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص٥٥؛ ومما هو جدير بالإشارة إليه أن العباسيين كانوا يحاولون السيطرة على عُمان، ليضمنوا سلامة تجارتهم التي تمر بالخليج العربي، ويتضح لنا هذا الاهتمام من الحملات العسكرية التي أرسلت من العراق إلى عُمان لإخضاع الكيانات السياسية الانفصالية التي كانت تظهر فيها من حين لآخر.

البَحْرَيْــن:

لقد سبقت الإشارة إلى أن البَحْرَيْن كانت خاضعة للعباسيين في العصر العباسي الأول دون حدوث اضطرابات مهمّة تذكر، ولكن في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي ظهرت بعض الحركات الدينية الباطنية المناوئة للسلطة العباسية وعقيدة أهل السنة والجماعة[١]. وكما شهد منتصف هذا القرن حركة الزَّنْج التي امتدت إلى البَحْرَيْن، فمهدت الطريق لبروز حركة القَرامطة في البَحْرَيْن بصورة خطيرة على العباسيين[٢]. والحركة القُرمطية منسوبة إلى حمدان قُرمُط[٣] الذي أنشأها في سواد العراق وامتد نفوذها إلى البَحْرَيْن، مُفيدةً من تفكك الدولة العباسية من جهة ومن الخلخلة التي أعقبت ثورة الزَّنْج من جهة أخرى[٤]. وقد تولى الحركة في البَحْرَيْن أبو سعيد الجُنّابيّ الذي أُرسل أولاً إلى جنوبي إيران لنشر الدعوة القُرمطية فيها، ولما فشل هرب إلى إقليم البَحْرَيْن وأخذ ينشر فيه دعوته ابتداءً من سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م فلقي قبولاً لدى أهلها خاصة الأعراب[٥].

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٠٦ -٢٠٧.

(٢) اتخذت حركة الزَّنْج أسلوب العنف والتخريب لتحقيق مطامعها وأقلقت الدولة العباسية على مدار أربع عشرة سنة، وما كادت الخلافة تتخلص منها حتى ابتليت بحركة أخرى أشد خطراً من الأولى، وهي ثورة القرامطة، (انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٠- ٤١٣).

(٣) ذكر ابن الجوزي أسباب تسمية هذه الحركة بالقَرامطة، (انظر: المنتظم، ج٥، ص١١٠-١١١).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١١١؛ وانظر كذلك لمزيد من المعلومات: مصطفى غالب، القَرامطة بين المد والجزر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص٤٥، ١٤٤.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٢٣٥؛ دي غويه، ميخائيل جان، القرامطة، ترجمة وتحقيق حسني زينة، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٨م، ص٣٩-٤١؛ عبدالعزيز الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص١٥٨.

ووضح في سنة ٢٨٦هـ[١] نجاحه في استمالة الجماهير إلى دعوته. فكثر أنصاره خاصة الأعراب المجاورين للمنطقة، وكان شديد البطش بكل من يخالفه، فهابه الناس وزاد أتباعه، ومكّنه جيشه الكثيف من الاستيلاء على مدينة هَجَر[٢] وما حولها[٣]. فشكّل خطرًا على الدولة العباسية وطرق تجارتها الرئيسة الخارجية والداخلية[٤].

ولما حاول المعتَضِد العباسي مواجهة خطورة القَرامطة، اتخذ التدابير اللازمة لمواجهة خطرهم الذي بات يهدد العراق نفسه عندما هاجموا البصرة في سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م فولّى العباس بن عمرو الغَنَويّ على اليمامة والبحرين وأمده بجيش قوامه ألفا مقاتل لمحاربة أبي سعيد الجُنّابي[٥]. وانتصر القَرامطة على الجيش العباسي انتصارًا ساحقًا وأعملوا فيه قتلاً وإحراقًا وأسّرًا. وكان لهذه الهزيمة أثرها السيِّئ في الخليفة المعتضِد الذي مات سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م وفي نفسه حسرة منها[٦]. فتوالت هجمات القَرامطة على جنوبي العراق معترضين قوافل التجارة والحُجّاج، فأصيب الناس بالذعر والخوف[٧]. وتوجه أبو سعيد الجُنّابي في

(١) ابن خلدون، كتاب العِبر، ج٤، ص٩١.

(٢) هَجَر: بفتح أوله وثانيه، وهي قاعدة البحرين، وربما قيل: ناحية البحرين كلها هَجَر، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٣).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧١؛ ابن كثير، الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر "ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م"، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف،١٩٧٩م، ج١١، ص٨١؛ وانظر: محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ص٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٩٨-٥٠٠؛ والنّويْري، شهاب الدين بن أحمد بن عبدالوهاب "ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م"، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٣-١٩٥٥م، ج٢٢، ص٣٢٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٥٧-٧٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٧٥-١٨٦؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد "ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م"، تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدس، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٧ - ١٣٦٨هـ، ج١، ص١٧٧.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٩٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥١٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٢٢٠.

توسعه إلى عُمان بنفسه، وضمها إلى نفوذه، ولم تنجح الخلافة في إيقاف الزحف القرمطي إلا عن سواد العراق حيث استطاع شِبل غلام أحمد بن محمد الطائي أن يهزم القرامطة بقيادة أبي الفوارس الذي أُسر وقُتل في بغداد[١].

وعظُم شأن القرامطة بعد وفاة المعتضد، فوطّد أبو سعيد الجنابي دعائم حكمه في بلاد البحرين فأصبحت لديه قوة مرهوبة الجانب[٢]. وأمام هذه القوة أصبحت الدولة العباسية تخشاها ولا سيما بعد قيام الدولة الفاطمية في إفريقية التي ارتبطت بقرامطة البحرين بعلاقة حسنة[٣]. وكانت لأبي سعيد الجنابي طموحات كبيرة في بسط نفوذه على جزيرة العرب كلها، ولكنه قُتل مسمومًا سنة ٣٠١هـ/٩١٣م على يد خادمه[٤]. وخلَفه ابنه سعيد وهو الأكبر ، ولكنه لم يطل حكمه فثار عليه أخوه أبو طاهر سُليمان وقتله في السنة نفسها، وأقر الفاطميون القاتل على أمر قرامطة البحرين[٥].

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ص٥١٢-٥١٣، ٥٢٦؛ النويري، نهاية الأرب، ص٣٣٨.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ص٥٢٤-٥٢٥؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، القاهرة، مصر، مطبعة الهلال بالفجالة، ١٩٠٣م، ج١، ص١١٠-١١١.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص٢٧؛ وانظر: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٢٤.

(٤) سمَّه خادمه الصقلي الذي كان قد أخذه من الجيش العباسي في جملة الأسرى، (الطّبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٨٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٢٢١، ٢٣٩؛ وانظر أيضاً: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص٣٣٩ ؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبدالهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨٥م، ص٢٠٢-٢٠٣).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٨٤؛ محمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص١٥٠؛ جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٣٤.

وعندما تولى أبو طاهر الأمر انتقل إلى مدينة الأحْسَاء، حيث أصبحت في عهده قاعدة للقَرامطة، ووحد جيشه وجمع قوته وسيطر على البحرين سيطرة تامة وأصبح همه العراق، فهزم جيش الخلافة في سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، ودخل الكوفة سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م وبدّد جيش الخلافة الذي أُرسل بقيادة أبي السَّاج[(١)].

ولهذا تميزت السنوات الأولى من حكم أبي طاهر سليمان بالهجوم على مُدن العراق مثل البصرة والكوفة والأنبار، وقد هاجم بغداد وكادت تسقط في يده سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م لولا لجوء مؤنس الخادم قائد المقتدر إلى الحيلة والدهاء فبعث بزوارق محملة فاكهة مسمومة فاعترضها جيش القرامطة ونهبها الجند وأكلوها فمات منهم عدد كبير، وهو ما أضعف موقف القرمطي فانهزم وعاد إلى البحرين[(٢)].

ولكن هذه الخَسارة لم تثنه عن مواصلة نشاطه في جهات أخرى، فتوجه نحو مكة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م منتهكًا حرمتها[(٣)]. وكانت هذه الحادثة

---

(١) حاول أبو الساج الإيقاع بأبي طاهر ، فطلب منه ملاقاته للتفاوض والدخول معه في صلح ولكنَّ أبا طاهر تنبه لهذه الحيلة ففاجأه بالقتال، وهزمه هزيمة شديدة، حيث قتل عدداً كبيراً من جيش الخلافة، (المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٣٠؛ الذهبي، تاريخ دول الإسلام، ج١، ص١٨٧؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين "ت ٩١١هـ/١٥٠٥م"، تاريخ الخلفاء، حققه وقدم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، الشيخ محمد العثماني، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٧١).

(٢) أصبح مؤنس صاحب الحول والطول في البلاط العباسي بعد أن قَضى على فتنة ابن المعتز، وأخذ يتدخل في تعيين الوزراء وعزلهم، وقوي شأنه في الجيش وتمكّن بمن معه من الجنود من إعلان الحرب على الخليفة العباسي المقتدر وقتله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وبإراقة دم المقتدر طُعِنت الخلافة في الصميم ولم يلتئم جرحها بعد ذلك، (انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤٣-١٤٦).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٠-١٧٥؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٢٤٢؛ وانظر كذلك لمزيد من المعلومات: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص ٣٥.

أعنف ضربة واجهتها الخلافة العباسية من قرامطة البحرين، فقد أثبتوا ضعفها في الدفاع عن المقدسات الإسلامية، ولم تستطع القيام بأي عمل ضد القرامطة، بل إن أبا طاهر عاد وهدّد بغداد نفسها في سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، فدخل الكوفة سافكًا للدماء ناهبًا للأموال، وعاد إلى البحرين بغنائم وفيرة، وقطع طريق الحَجّ العِراقي مانعًا حجّهم في تلك السنة[١]. وهكذا امتد نفوذهم من البحرين إلى الحجاز، فسيطروا على مكة نفسها سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، مما مهّد الطريق للفاطميين ليحاولوا التوسع شرقًا[٢].

وظلّ القَرامطة موالين للفاطميين طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجري حتى إن القائم بأمر الله الفاطمي "٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م" عين على حكم القرامطة أحمد ابن أبي سعيد الجُنابي، خلفًا لأبي طاهر بعد وفاته سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، وجعل سابور بن أبي طاهر وليًا للعهد، كما أن المنصور الفاطمي أمر القرامطة بردّ الحجر الأسود إلى موضعه فأعادوه سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م[٣].

أما عَلاقة القرامطة بالدولة العباسية التي كانت متوترة في أيام أبي طاهر[٤] فقد بدأت تتغير بعد وفاته عندما انقسم أبناء الجنابي وتنازعوا

---

(١) القرطبي، عُريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري، ص١٣٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٠-١٧٥؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٢٤٠-٢٤٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ص٢٧١؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله، "ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م"، أخبار الراضي والمتقي من كتاب الأوراق، تحقيق هيورث، القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٩٣٥م، ص١٤١-١٤٤؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٦، ص٨٦١؛ وانظر أيضاً لمزيد من المعلومات: جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٣٦-٣٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٨٤؛ ابن خلدون، كتاب العِبر، ج٨، ص٨٩-٩٠؛ وانظر أيضاً: جمال الدين سرور، المصدر السابق، ص٣٨؛ LEARG,. DELECY, ASHORT HISTORY OF THE FATMID KHALIEFATE, P.85.

(٤) استمر أبو طاهر يحكم البحرين لمدة ٣١ سنة، (ابن خلدون، كتاب العِبر، ص١٩٠؛ المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص٩٧-٩٨).

على السلطة، فـأبناء أبي طاهـر من جـهـة وأبنـاء عـمـهم أحـمـد المنصـور بن الحسن من جـهـة أخـرى[١]. فـمـال الفـريق الأول إلى الفـاطمـيـين، في حين تحالف الآخر مع العباسيين فاغتنم العباسيون هذه الفرصة[٢] مؤيدين أبناء أحمد المنصور بن الحسن الجنابي في الصراع القرمطي، وتوثقت عرى هذا الحلف بالأعصم (الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي) الذي استمر في الحكم إلى سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م فـضَـبط الأمـور في بـلاد البَـحْـرَيْن، ونفى معارضيه من أبناء أبي طاهر إلى جزيرة أوال[٣]. وأصبحت له قوة عسكرية فاعلة يمد بهـا نفوذه إلى بلاد الشـام، وزحف إلى مصـر فـاسـتـعـصت عليـه، فعـاد إلى بلاده دون أن يحقق هدفه، وإن كـان قد استولى على بعض المغانم من الأموال والأنعام[٤].

ولما كَتب المعـز لدين الله الفـاطمي إلـى الأعـصـم مـعـاتبًـا مـهـددًا أعـاد الهـجـوم على الشـام ومـصـر مـرة ثـانيـة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م، وعـاث فـيـهـمـا فسادًا، ولكن قـوات الفاطميين أفلحت في الدفاع عن القـاهـرة ودحـر الحسن الأعصم ورجاله فتقهقـر إلى البحرين ونجح الفـاطميون في حمـاية الشـام وإعادتها إلى نفوذهم[٥].

---

(١) ابن الأثيـر، الكامل في التـاريخ ، ج٨، ص٤١٥ ؛ برنارد لويس، أصـول الإسـمـاعـيليـة والفـاطمـيـة والقـرمطيـة، ترجـمـة حكمت تلحـوق، مـراجعـة خليل أحـمـد خليل، بيـروت، دار الحـداثة، ١٩٨٠م، ص١٧٤-١٧٨.

(٢) مصطفى غالب، القرامطة، ص٤٢١.

(٣) الذهبي، تاريخ دول الإسـلام، ج٣، ص٢٢٧، ص٤٥٢؛ ابن خلدون، كـتـاب العِبـر، ج٤، ص١٩٢؛ جـمـال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٣٩، وأوال إحدى جزر البحرين قديماً وهي مقر مملكة البحرين الحالية.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٣٨ وما بعدها؛ وانظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص٣٤٥.

(٥) ابن الأثيـر، الكامل في التـاريخ، ج٨، ص٤١٤، ٦٣٨؛ برنارد لـويس، أصـول الإسـمـاعـيليـة، ص١٣٧؛ مصطفى غالب، القرامطة، ص٤٢١.

قام الأعصم بمحاولة أخيرة بعد وفاة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م لمهاجمة بلاد الشام بمساعدة البويهيين، ولكنه فشِل للمرة الثالثة[١].

وتُوفي الأعصم بعد هزيمته سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وبموته لم تقم للقرامطة في البحرين قائمة، فقد انقسمت الأسرة الحاكمة على نفسها، ونشب الخلاف بينهم على السلطة، وعاد الخلاف أيضًا بين القرامطة والعباسيين حيث انتهى وقت الوفاق الذي ساد عصر الأعصم، وتجددت اعتداءات القرامطة على نواحي العراق، حتى وصلت قواتهم إلى أبواب البصرة سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م[٢]. فلم يحتلوها، ولكن عقدوا الصلح مع العباسيين مقابل مبالغ كبيرة لقاء رفع الحصار عنها[٣]. إلا أنهم عادوا مرة أخرى فداهموا نواحي العراق وغزوا الكوفة سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، غير أن العباسيين بقيادة ابن المظفّر بن محمود واجهوهم بجيش كبير وانتصروا عليهم وردوهم عن العراق نهائيًا[٤]. وبعدها ضعف أمر القرامطة، يقول ابن الأثير: "وزال حينئذ ناموسهم"[٥].

ولم يفلح جعفر وإسحاق اللذان توليا أمر القرامطة بعد الأعصم في أي هجوم على العراق على الرغم من موالاتهم للفاطميين[٦]، فقد صدهم

(١) جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٤٥.

(٢) ابن الجَوزي، المنتظم، ج٧، ص١٢١؛ دي غويه، ميخائيل جان، القرامطة، ترجمة وتحقيق حسني زينة، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٨م، ص١٥٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٧.

(٤) المقدِسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٣٣؛ أبو شجاع، ذيل كتاب تجارِب الأمم، ج٣، ص١٠٩؛ دي غويه، القرامطة، ص٣٩ وما بعدها؛ جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٤٦.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٤٣.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص٦٨٨.

البويهيون وأوقعوا الهزيمة بهم وأبعدوهم عن العراق، وعادت فلولهم إلى البحرين وضعف أمرهم مع أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتى لم يبق لهم إلا ولاية صغيرة في الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية.

وقد أشار ابن خلدون إلى اضمحلال دولتهم فقال: "وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصغر ابن أبي الحسن الثَّعلبيّ سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م عليهم، وملَك الأَحْسَاء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه"(١).

من هذا كله يتضح أن البَحْرَيْن كانت في أغلب فترات هذه الدراسة مستقلة عن الخلافة العباسية بل إنها كانت مشرئبة دائمًا للتفوّق عليها، والسيطرة عليها، وهو ما لم يحدث في العصر العباسي الأول ولم يشهده إقليم آخر من أقاليم الجزيرة العربية في مدة هذه الدراسة.

اليمامة:

تأثرت اليمامة كالبَحْرَين تأثرًا بالغًا بضعف الدولة العباسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، فبعد أن عرفت اليمامة في العصر العباسي الأول الخضوع التام للعباسيين والهدوء النسبي في نواحيها، تأثرت أول ما تأثرت بأحداث الضعف العباسي، شأن سائر أقاليم الجزيرة خاصة الحجاز، فجاء أول أثر من الحجاز. وذلك عندما رفض أهل الحجاز ثورة إسماعيل الجَون وأخيه محمد الأُخيضِر(٢)

(١) ابن خلدون، كتاب العِبر، ج٧، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) محمد الأُخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، مؤسس الدولة الأُخَيْضِرية في اليمامة، حيث هرب من الحجاز إليها بعد وفاة أخيه إسماعيل بن يوسف سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م، الذي أساء السيرة في بلاد الحجاز وأكثر فيها الفساد، وقتل كثيراً من أهلها ونهب أموالهم وأخاف الحُجّاج وحاصر مكة، حتى تضرر أهلها من الجوع والعطش وغلت فيها الأسعار، لذلك لما توفي لم يجد أخوه محمد الأُخَيْضِر أنصاراً يقفون معه لمواجهة الجيش العباسي الذي بعثه الخليفة المعتز بالله، فهرب كما قلنا إلى اليمامة، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٦-٣٥٧؛ ابن حزم، أنساب العرب، ص٤٦؛ الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٢).

وترك الأخير الحجاز عندما عزّ النصير، ولم يستطع أن يواجه الجيش العباسي القادم بقيادة أبي السَّاج[١]. فهرب الأُخيضِر إلى اليمامة، وأسس بها دولة بني الأُخيضِر العلوية سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م واتخذ الخِضْرِمة قاعدة لحكمه[٢]. ولا سيما أن تأسيس هذه الدولة على يديه قد تم والخلافة أسيرة النفوذ التركي[٣]، وهو ما أطلق يده عندما واتت أحوال اليمامة لمساعدته.

لقد كان الأُخَيضريون من العلويين الذين يعتقدون بأحقيتهم في الخلافة دون العباسيين، لذلك ثاروا عليهم وأقاموا دولتهم في اليمامة. وكانت وراثية في أولاد محمد الأخيضر الذين تعاقبوا على حكمها حتى النصف الأول من القرن الخامس الهجري على أرجح الأقوال[٤].

ويبدو أن الدولة الأُخِيضرية قد استطاعت أن تحقق الاستقرار في اليمامة طوال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩١؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص٤٦ وما بعدها؛ وأبو السَّاج الأشروسي هو بوداذ بن دست له الأخبار الساجية ببغداد، وتوفي سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م بضواحي نَيْسَابُور، (ابن خَلِّكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٢٠) .

(٢) الخِضْرِمة (جو الخضارم) أسفل وادي الخرج الذي تقوم فيه الآن اليمامة والسّلَميّة والسيح وكانت عاصمة دولة بني الأُخيضر، (عبدالله الشبل، الدولة الأُخيضرية، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد٦، لعام ١٣٩٦هـ، ص٤٦١) .

(٣) لقد غلب الأتراك على الخليفة المستعين بالله، أحمد بن محمد المعتصم "٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م" وأثاروا الفتن بينه وبين الخليفة المعتز بالله بن المتوكل "٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٨م" وعلى أثرها اضطربت أحوال الخلافة العباسية في بغداد، (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٠٣-٥٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ١٦٧-١٦٨).

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٦، ٤٧؛ ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو المروزي، سفرنامة، نقلها للعربية الدكتور يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠م، ص١٤١-١٤٢؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله الشبل، الدولة الأخيضرية، ص٤٦٥-٤٦٦.

ولكـن مع علويتهـم المذهبـيـة اصطـدمـوا بالقـرامطـة الذين سـيطروا على البـحـرين، وكـانوا ينزعـون إلى تـأييـد الفـاطمـيين دون غـيـرهم من العلويين. وتعـرّض الأُخَيضـريون لمحنـة شديدة لمـا اصطدموا بالقـرامطة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م(١).

ويبـدو أن القـرامطة شعـروا بقـوة الأخيضـريين أو أرادوا أن يُفـيـدوا من عدائهم المشـترك للعبـاسيين، فأبقوا على الأخيضـريين ولم ينازعـوهم، ولهذا ظل الأخيضـريون مسيطرين على اليـمامـة لا ينازعـهم سلطان من خـارجهـا، وهـذا مـا حـدث إلى منتصف القـرن الخـامس الهـجـري، حيـث يقـول ناصـر خسـرو الذي زار المنطقـة سنة ٤٤٣هـ/١٠٥٢م: "لم ينتـزع أحـد الـولاية منهم، إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر"(٢).

أمـا في السـيـاسـة الداخلـيـة فقـد نهـج الأخيـضـريون سـيـاسـة الـتـعسف والجـور ضـدّ أهـل اليـمـامـة، وهـو مـا دفـع عـددًا من أهـل البـلاد إلى الـهـجـرة، فرحل كثير منهم مع نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى خارج اليـمـامـة ومنهم من رحل إلى مـصـر(٣). كـمـا رحل بـعـضـهـم إلى العـراق، وبالإضـافة إلى هذا فـقـد كـان يحـدث جدْب فـيـتـضـافـر العـامل الطبـيـعي مع السيـاسـة القـاهـرة فـتـزداد الهـجـرة، وهـذا مـا حـدث مـع أهـل قُرّان الذين رحلوا

---

(١) ابن الجـوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٨٨؛ وانظـر: الوشـمي، صـالح بن سـليمـان الناصـر، ولاية اليـمـامـة، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٢هـ، ص١٧٣.

(٢) ناصـر خسـرو، سـفرنامـه، ص١٤١؛ ولمزيد من المعلومـات انظـر: عبدالله الشـبل، الدولة الأخيـضـرية، ص٤٦٢.

(٣) ابن حَوقل، أبو القـاسم محـمـد بن حوقـل البغدادي "ت نحـو ٣٦٧هـ/٩٧٧م"، صـورة الأرض، بيـروت، مكتـبـة الحيـاة، ١٩٧٩م، ص٣٨، ٥٨؛ نـزار الحُديثي، إمـارة بنـي الأخـيضـر في اليـمـامـة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢١، لعام ١٩٧٧م، ص١٣١.

إلى البصرة سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، وقد أشار إلى هذه الهجرة ياقوت الحموي فقال: "إنه في سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م انتقل أهل قُرّان من اليمامة إلى البصرة لِحَيف لحِقَهم من ابن الأُخيضر في مقاسمتهم وجَدْب أرضهم، فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة، سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنّى في مال جَمَعَه لهم فقووا به على الشخوص إلى البصرة، فدخلوا على حال سيئة، فأمر لهم سَبُكُ أمير البصرة بكسوة ونزلوا بالمسامعة محلّة بها"(١). ولكن هذا لا يعني أن الدولة الأخيضرية قد أضعفت التجارة خلال هذه الدراسة كما سيرد بيانه(٢).

من هذه الفذلكة السياسية يتضح أن أوضاع الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد تأثرت تأثرًا بالغًا بضعف الدولة العباسية، فاضطربت أوضاعها اضطرابًا أدى إلى زيادة التجزئة السياسية بين أقاليمها، وتفاوتت نتائج هذه التجزئة السياسية من إقليم إلى آخر، ففي حين خضع إقليم الحجاز للعباسيين حينًا وللفاطميين حينًا آخر، تعاقبت على اليمن كيانات سياسية مستقلة، متعاصرة حينًا ومتعاقبة حينًا آخر، ولكن ظل الجامع المشترك بينها هو الاستقلال الفعلي عن العباسيين والخضوع لهم اسميًا إلا مع محاولة الزيديين، ولعل خير ما يدل على عدم سيطرة العباسيين على الجزيرة في مدة هذه الدراسة هو فشلهم في السيطرة على عُمان والبحرين واليمامة، حيث قامت فيها كيانات مستقلة بل مناوئة للعباسيين على الرغم من أن الوجود العباسي في عُمان

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣١٩؛ ومصدره في هذا الخبر ابن سيرين في تاريخه. ولمزيد من المعلومات انظر: الوشمي، ولاية اليمامة، ص١٧٣.

(٢) انظر الفصل الأول، العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب.

كان أوضح منه في البحرين حيث القرامطة ، وفي اليمامة حيث الأخيضريون، هذا مع نزوع للاضطراب في عُمان يقوده الخوارج، والجامع المشترك بين هذه الحركات في هذه الأقاليم الثلاثة أنها حركات مذهبية معادية للدولة العباسية ، سواء كانوا خوارج في عُمان ، أم علويين في اليمامة ، أم علويين فاطميين في البحرين ، فكيف أثّرت هذه الأوضاع السياسية في التجارة خلال مدة هذه الدراسة؟ هذا ما سوف نوضحه في الفصل الأول.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في التجارة

أ - العوامل الإيجابية .

ب - العوامل السَّلبية .



أثرت الأوضاع السياسية التي شهدتها الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد تأثيرًا كبيرًا في التجارة فيهما، وهذا التأثير كان إيجابيًا حينًا وسلبيًا حينًا آخر، والعوامل المهمة التي كان لها أثر كبير في تجارة الجزيرة العربية في تلك المدة هي تشجيع الإسلام، ووحدة الدولة - ولو اسميًا -، والموقع الجغرافي، والحج وما اتصل به من إنفاق على الحرمين وتأمين الطرق وحفظ الأمن فيها، وأخيرًا تنوع النشاط الزراعي والصناعي، وما تبع ذلك من تدفق الثروة في بعض المراكز مما أدى إلى توافر الأيدي العاملة وتسهيل وسائل النقل البحري .

أما المؤثرات السلبية فإنها تأثير الثورات والفتن، وما صاحب ذلك من كوارث وأوبئة نتيجة ظواهر طبيعية ما لبثت أن تحولت إلى ظواهر بشرية، لسوء الأوضاع السياسية في مناطق معينة وفي فترات بذاتها، علاوة على الفشل في حفظ الأمن، ومنعِ قطع الطرق . وعليه جاءت الدراسة لهذه العوامل في إطارين هما :

أ - العوامل الإيجابية .   ب - العوامل السَّلبية .

أ - العوامل الإيجابية :

هناك عوامل عدة كان لها تأثير إيجابي في التجارة في الجزيرة العربية في العصور الإسلامية المختلفة، وفي فترة الدراسة. وسنحاول فيما يأتي تناول كل عامل من تلك العوامل بدراسة مفصلة .

١ - تشجيع الإسلام للتجارة:

تأثر أهل الجزيرة العربية بطبيعة الحال بتوجيهات الإسلام في طلب التجارة؛ ذلك لأن الإسلام حث على التجارة والسعي في طلب الرزق والكسب الحلال، ومما يؤكد ذلك ورود لفظ التجارة في مواضع متعددة من القرآن الكريم حاضًا عليها[١]، منظمًا لها بمنع الربا[٢] والغش[٣] وضبط أحكام الدَّين[٤]، إذ كانت التجارة فاشية بين أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام، ويدل على ذلك أنها كانت تَصْرِف بعضَ المسلمين الأوائل أحيانًا عن أداء شعائرهم فنبههم العليم الخبير إلى ذلك تنبيهًا[٥]. بل إن القرآن شبه الفوز بالآخرة بالتجارة الرابحة[٦]. وأشار إلى كَلَف أهل مكة خاصة بالتجارة فأشار إلى رحلتي الصيف إلى الشام والشتاء إلى اليمن[٧].

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ [الجمعة: ٩ - ١١].

(٢) يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، [المطففين: ١ - ٣].

(٤) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ... إلخ الآية﴾، [البقرة: ٢٨٢].

(٥) قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

(٦) قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الجمعة: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] وانظر مواضع أخرى ورد فيها ذكر البيع والشراء والتجارة.

(٧) ورد خبر هذه الرحلة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ١ - ٢]. فكان رجال قريش يألفون عقود هذه الرحلة ثم يرجعون إلى بلدهم، آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٧٧-٣٧٨؛ وعن التجارة في المسالك البحرية قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٦٦].

وقد زاولها النبي - ﷺ - نفسه(١) قبل الرسالة ، وحث على مزاولة التجارة وامتدح العمل بها وعَدَّهُ تسعة أعشار الرزق(٢) وأطيب الكسب(٣)، وأثنى على التاجر الصدوق(٤)، ونظم التجارة مانعًا للاحتكار(٥) والغش(٦). وقد ترسم أثره - ﷺ - كثيرٌ من أصحابه فمارسوا التجارة وبرعوا فيها(٧).

(١) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر "ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م"، المغازي، القاهرة، نشر المكتبة القديمة ١٩٨٤م، ج١، ص٢٣ وما بعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، طبعة دار بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٢١٢-٢١٣؛ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد "ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م"، إحياء علوم الدين، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ج٢، ص٥٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤٩ وما بعدها؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢.

(٢) امتدح الرسول ﷺ الاشتغال بالتجارة والإقبال عليها وطلب المال من طريقها، فقال: "تسعة أعشار الرزق في التجارة"، المناوي، محمد عبدالرؤوف، فيض القدير، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: "أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يصروا"، عبدالمنعم المنذري، الترغيب والترهيب، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٢، ص٥٨٦.

(٤) امتدح الرسول ﷺ التاجر الصدوق فقال: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة"، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي "ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م"، السنن، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٨٥هـ، ج٢، ص٣٤١-٣٤٢.

(٥) نهى الرسول ﷺ عن الاحتكار فقال: "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون"، الدارمي، أبو محمد عبدالله ابن عبدالرحمن "ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م"، سنن الدارمي، نشر دار إحياء السنة النبوية، ج٢، ص٢٤٩؛ ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني "ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م"، سنن ابن ماجه، دمشق، دار إحياء الكتب العربية، عام ١٣٧٣هـ، ج٢، ص٢٤٩؛ كما نهى عليه الصلاة والسلام عن بيع حاضر لباد، فقال: "لا يبع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض"، النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب "ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م"، سنن النسائي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج٧، ص٦٥٢؛ ابن ماجه، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٤.

(٦) وحث المسلم على أن يتجنب الغش والخداع فقال: "من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار"، الهيثمي، علي بن أبي بكر، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق ونشر محمد عبدالرزاق حمزة، ص٢٧١.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤٩-٢٥٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٧٧،٢٨٠-٢٨١؛ عمل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتجارة فكانت تشغله أحيانًا عن أخبار الرسول ﷺ، وقد عبر عمر عن أسفه عندما نسي حديثًا من أحاديث الرسول ﷺ، فقال: "ألهاني الصفق في الأسواق"، انظر: البخاري، أبا عبدالله محمد بن إسماعيل "ت ٢٥٦هـ/ ٨٧١م"، صحيح البخاري، كتاب البيوع، ج٢، ص٥؛ كما كان أبو بكر رضي الله عنه يعمل بزازًا أي يتاجر في البز ويذهب إلى السوق فيبيع ويشتري، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٤-١٨٥ .

٢ - وَحدة الدولة :

إن الإسلام وحَّد الجزيرة العربية لأول مرة وجعلها جزءًا من دولة كبيرة كان مركزها السياسي في الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين، ولكنها ظلت مركزًا روحيًا لتلك الدولة على اختلاف أطوار الخلافة الإسلامية وتبدل عواصمها.

فكان لوحدة الدولة الإسلامية أثر كبير في التجارة في الجزيرة العربية، فقد قام عمرو بن العاص بحفر قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر "خليج أمير المؤمنين" في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك لتسهيل نقل الغلات من مصر إلى الحجاز[1]. وذكر أن هارون الرشيد فكر في عمل قناة تربط بين بحر الروم وبحر القُلْزُم "البحر الأبيض والبحر الأحمر"، تسهيلاً على التجار وتوفيرًا للجهد، إلا أن يحيى بن خالد البرمكي[2] حذره من خطرها خوفًا من وصول مراكب الروم إلى الحرمين[3].

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، طبعة بريل، ج٤، ص١٠٠؛ " كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص بعد فتحه مصر يقول له: "إن الغلاء قد وقع بالمدينة وإن الناس في جهد من الغلاء" فبعث عمرو بن العاص بجمال موقرة حنطة أولها في المدينة وآخرها في الإسكندرية"، ويبدو أن هذه الرواية فيها مبالغة كبيرة فلا يعقل أن تكون القافلة بهذا الحجم والكثرة فكتب عمر إلى عمرو بأن يحفر خليجًا يحمل فيه الغلال إلى القُلْزُم ومن القُلْزُم تنقل إلى المدينة في البحر، (انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٦).

(٢) يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، وهو والد الخليفة هارون الرشيد من الرضاعة، وكان الرشيد يدعوه يا أبت، لأن أم الفضل بن يحيى أرضعت الرشيد، واسمها زبيدة من مولدات المدينة، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل بن يحيى، فكانا أخوين من الرضاعة، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧-٢٨).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٩٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٢٧-٣٢٨؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سيدة إسماعيل الكاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٣٠٦؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، مدينة السويس ومنطقتها منذ الفتح العربي إلى بداية العصر الحديث، سلسلة بلادنا، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص٦٣-١٦٥.

فعلى الرغم من أن الجزيرة العربية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بدأت تقوم فيها كيانات سياسية شبه مستقلة[١]، إلا أنها من الناحية الاسمية كانت تتبع الدولة العباسية، وهو ما سهل حرية التجارة، فكان التجار ينتقلون من مكان لآخر داخل الجزيرة العربية أو خارجها في أرض الخلافة يبيعون ويبتاعون دون قيود من رسوم تُفرض أو ضرائب تُجبى. لهذا كان التجار يتنقلون داخل الجزيرة أو في أرض الخلافة في أمن واطمئنان[٢]. كما امتدت الدولة الإسلامية بامتداد الأمة الإسلامية، فالأولى تمثل السلطان والثانية تمثل انتشار الإسلام بصفته عقيدةً، ولهذا أفاد التجار من انتشار الإسلام خارج دار الخلافة حيث الهند والصين وإفريقيا وغيرها من بقية البلاد الأخرى[٣]، وبذلك صار المحيط الهندي تحت هيمنة التجار المسلمين في هذه المدة، وقد ساعدهم على هذا التوسع وجود جاليات إسلامية مقيمة في كل مكان تقريبًا[٤]، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تكون وحدة الدولة عاملاً من عوامل ازدهار التجارة ونشاطها ولا سيما أن للجزيرة العربية موقعًا متميزًا يربط أجزاء أرض الخلافة بعضها ببعض، كما يربط أرض الخلافة بمناطق العالم القديم المؤثرة وقتذاك.

---

(١) يرجع للتمهيد من هذا الكتاب.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة الدكتور عبدالهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٤٣١-٤٣٢؛ نقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود "ت ٦٨٢هـ/١١٨٣م"، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٤٠٩؛ موريس لومبارد، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ص٢٩٠-٢٩١.

(٤) السيرافي، أبو زيد الحسن، "ت أول القرن الرابع الهجري"، أخبار الصين والهند، بيروت، لبنان، دار الموسم، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٦٠-٦٣، المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٧-١٤٠.

٣ - الموقع الجغرافي :

كان لأهمية موقع الجزيرة العربية الإستراتيجي واتساع رقعة سواحلها على الممرات المائية التي تحيط بها من الشرق والجنوب والغرب أثر بارز في إقامة وسائل الاتصال والتبادل التجاري مع الأقطار الأخرى، حيث كانت تمر بها شرايين التجارة العالمية في العصر العباسي، سواءٌ البرية منها أم البحرية فكانت ترتبط بأقطار جنوب شرقي آسيا عبر المحيط الهندي بطريقين رئيسين، الأول(١): الذي يربط الصين والهند بموانئ الجزيرة العربية الشرقية ومنها إلى ميناء الأُبُلة(٢) في العراق(٣).

أما الطريق البحري الثاني فهو الذي يمتد من الصين إلى الهند ومنها إلى جنوب الجزيرة العربية حيث يصل إلى عَدَن ومنها إلى جُدَّة بالحجاز، ولهذا الطريق البحري تفرعات مثل ذاك الذي يتجه إلى أَيْلَة(٤) "العقبة" بالشام، والآخر يربط الحجاز بالموانئ المصرية(٥).

---

(١) سنتناول الطرق التجارية الخارجية بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢) الأُبُلَة: ميناء مهم يقع على شاطئ دجلة بالقرب من البصرة في زاوية الخليج العربي الذي يدخله إلى مدينة البصرة، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٨٩، فكان هذا الميناء يشارك البصرة في استقبال السفن القادمة من الشرق عبر الخليج العربي.

(٣) ابن خُرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن أحمد الخراساني "ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م"، المسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن، ١٩٦٧م، ص٦١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٩٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٩٤؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عادل الدين الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، ص٩٩.

(٤) أَيْلَة: مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، بها يجتمع حاج مصر والمغرب وبها التجارة الكثيرة، (البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز "ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م"، جزيرة العرب، من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالله غنيم، الكويت، المطبعة العصرية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٥٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢).

(٥) البكري، معجم ما استعجم، من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢١٦.

وهناك طريق بحري آخر يصل جنوبي الجزيرة العربية بسواحل إفريقيا الشرقية، حيث تنتقل بعض السفن من ميناء عَدَن حتى سُفَالة "موزنبيق"(١).

كما توجد طرق برية يسلكها التجار بين مختلف أقاليم الجزيرة العربية والبلاد المجاورة لها، سنتناولها في مظانها من هذا الكتاب بشيء من التفصيل.

لذا قامت الجزيرة العربية بمهمة الوسيط، وساعدَها على ذلك موقعُها الجغرافي المهم، فهي -كما أشرنا من قبل- تشرف على مسطحات مائية من ثلاث جهات، حيث تكونت لها موانئ تجارية على البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب مثل السَّرِيْن(٢)، وجُدَّة(٣)، والجار(٤)، والحَوْرَاء(٥)، والشِّحْر(٦)، وعَدَن(٧)، وصُحَار(٨)، ومَسْقَط(٩)، والعُقَيْر(١٠)،

---

(١) ذكر المسعودي أن سُفَالة هذه هي نهاية أسفار التجار وهم يتجهون إلى هذه المناطق الإفريقية ويقال لها سُفَالة الزنج وأهلها مسلمون في الغالب، التنبيه والإشراف، ص٦٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر: حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) مدينة عظيمة على ساحل البحر الأحمر، فيها أسواق وهي فرضة السروات، (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦).

(٣) جُدَّة: ميناء مكة على البحر الأحمر، وهي عامرة كثيرة التجارات والأموال، (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩).

(٤) الجَارُ: يقع شمالي جدة، وهو ميناء على البحر الأحمر، وبه سوق عامرة، المقدسي، (أحسن التقاسيم، ص٨٣).

(٥) الحَوْرَاء: وهي ميناء مدينة قرح عاصمة وادي القرى، وصفها المقدسي بأنها عامرة كثيرة الأموال والتجار، (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣).

(٦) الشِّحْر: تطل على البحر العربي وهي قصبة بلاد مَهْرَة تكثر فيها الأسماك والصمغ "اللبان"، (المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٧).

(٧) عَدَن: تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من جنوبي الجزيرة العربية، وهي فرضة على البحر العربي، وبها مجتمع التجار ومراكب الهند، (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٤).

(٨) صُحَار: قصبة عُمان، وهي دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٢).

(٩) مَسْقَط: ميناء على الساحل، وهي أول ميناء عُماني تقابل القادم من اليمن، وبها تجتمع السفن المتجهة إلى الهند والصين للتجارة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٩).

(١٠) العُقَيْر: ميناء على الخليج العربي جنوب القطيف تكثر فيها النخيل والغلات الزراعية، (البكري، جزيرة العرب، ص١٣٦).

وأُوال[١]، والقطيف، وهذه الموانئ تعد المنافذ التجارية للجزيرة العربية، فتخرج منها السفن، وتفد عليها من بلاد الصين والهند وفارس والعراق وإفريقيا وغيرها من أنحاء المعمورة، حيث أتاحت هذه الموانئ إقامة علاقات تجارية مع البلدان الأخرى وتبادل السلع والبضائع من استيراد وتصدير حسبما تحتاج إليه أسواق الجزيرة العربية.

وعلى هذا يمكن القول بأن معظم مدن الجزيرة العربية كانت مراكز رئيسة لتلقي البضائع التجارية من مختلف الأقطار لاتصالها من الغرب بإفريقيا الواقعة على ساحل البحر الأحمر، ولاتصالها من ناحية أخرى ببلاد الشام والعراق في شمالها، وبأمصار المحيط الهندي من الجنوب، وبلاد فارس والهند والصين من الشرق.

كذلك تتميز الجزيرة العربية بأنها تقع بين منطقتين غنيتين متباينتين : المنطقة الموسمية "أقطار جنوب آسيا منها الهند والصين" التي اشتهرت بالتوابل والصناعات الحريرية، والصوفية، والمنطقة الأخرى التي تشتهر بإنتاج الحبوب وبعض المصنوعات المنزلية كما هو متوافر في أقطار حوض البحر المتوسط، وهو ما مكن تجار الجزيرة العربية من مزاولة التجارة، ونقلها بين هاتين المنطقتين، بالإضافة إلى ما تسهم به الجزيرة من إنتاج أقاليمها، حيث تدخل ضمن عروض التجارة فكان لهم أثر بارز في نشاط التجارة العالمية في تلك الحقبة التي يخصها هذا الكتاب.

---

(١) أُوال: كانت من الموانئ المهمة في الخليج العربي، ويطلق هذا الاسم على جزيرة البحرين في الماضي وكانت مرسى لسفن الهند التجارية ويدل على ذلك قول الشاعر جرير:

وشَبَّهتُ الحُدُوج غَـدَاةَ قَـوٍّ سَـفِينَ الهِنْـدِ رَوَّحَ مـن أُوَالاَ

(البكري، جزيرة العرب، ص١٣٦، وهي حاليًا بلاد مملكة البحرين).

ومن مميزات الموقع الجغرافي أيضًا بعض عوامل المناخ مثل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تساعد على حركة السفن التجارية من سواحل الجزيرة العربية إلى الهند والصين صيفًا، كما تساعدها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية على التوجه إلى الغرب في طريق العودة شتاءً إلى سواحل الجزيرة وسواحل إفريقيا(١) حيث كانت السفن التجارية تسير مع حركة الرياح الموسمية التي كان العرب يعرفون مواعيد هبوبها واتجاهاتها(٢). فمن الطبيعي أن تؤثر الطبيعة الجغرافية في السكان في الجزيرة العربية، فبعضهم اعتاد البحر وعرف مسالكه بحكم أنهم ملاحون مهرة، كما يبدو كذلك أن الجزيرة بهذا الموقع الجغرافي المتميز ظلت تسيطر على العمل التجاري طرقًا وَمتاجِرَ.

وتداخلت هذه العوامل الثلاثة في إبراز أهمية الحج وما يتصل به من إنفاق على الحرمين وتمهيد طرق الحج في أنحاء الجزيرة العربية المختلفة، وهو ما أثر في التجارة تأثيرًا إيجابيًا خلال هذه المدة.

٤ - الحج وما يتصل به :

إن مواسم الحج والعمرة والزيارة المتصلة طوال السنة جعلت من الحرمين الشريفين مكان تلاق للمسلمين من شتى بقاع الإسلام، سواءٌ داخل أرض الخلافة أم خارجها، وكان لهذا أثر كبير في زيادة الأهمية التجارية لمكة والمدينة ولا سيما أن الله - عز وجل - قد جعل التجارة من المنافع التي

(١) أحمد حمود المعمري، عُمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله، عمان، ١٩٧٩م، ص٤١؛ محمود شاكر، شبه جزيرة العرب، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ، ص٢٤؛ عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص١٣٧. وانظر الخريطة شكل ١٤، والخريطة شكل ١٥.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٢٧.

يشهدها حجاج بيت الله العتيق وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[١]. فشكلت هذه المواسم عوامل رواج تجاري عظيم في الأراضي المقدسة من حيث كثرة البيع والشراء، فالتجار يفدون إلى بلاد الحجاز من أرجاء العالم الإسلامي للحج والتجارة معًا[٢]. وينشط تبعًا لذلك التبادل النقدي الذي يغذي الأعمال المصرفية في أسواق الحجاز، فكان أهل مكة ينتفعون كثيرًا من الحجاج، فيروي ابن المجاور أن أهل مكة كانوا يقولون: "حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب والسرو[٣] وأمنا نكسب منها قوتنا"[٤]. ليس هذا فحسب، بل إن المراكز التجارية التي يمر عليها الحجاج في دروب الحج المختلفة قد ازدهرت أيضًا ولا سيما أن منهم أصحاب الثروات الذين أسهموا في تنشيط التجارة[٥].

ويبدو أن حرمة مكة والمدينة كانت خير ملاذ للأثرياء الذين تقع ديارهم في فتن، فيفرون إليهما بعلة الحج حفاظًا على أموالهم، من هذا ما يرويه المسعودي أن الأمين وقد ضاق به الحصار في بغداد طلب من قائديه ذُريح

---

(١) سورة الحج، آية ٢٨، ولمزيد من المعلومات انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٤١٨.

(٢) السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله "ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م"، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ج١، ص١٠٥ وما بعدها؛ أحمد الشريف، مكة والمدينة، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبع، ص١٩.

(٣) السرو: المروءة والشرف، وقال الجوهري: السرو سخاء في مروءة، وقال الأصمعي يعني يكشف عن الفؤاد الألم ويزيله، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد "ت ٧١١هـ/ ١٣١١م"، لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب، ج٢، ص٢٥٢-٢٥٦.

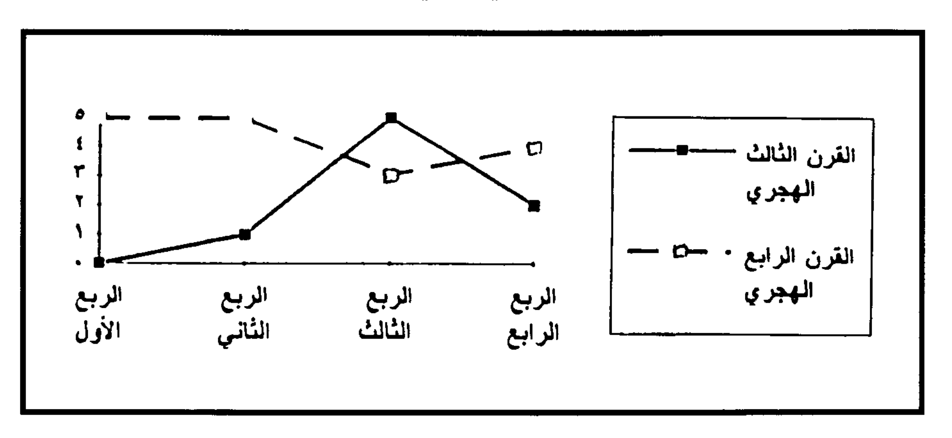
(٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧٧؛ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني "ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م"، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٦٣، ١٨٢-١٨٣.

والهِرْش أن يتتبعا أصحاب الأموال والودائع والذخائر فهرب الناس بعلة الحج حتى قال الشاعر علي الأعمى:

أظهَرُوا الحج وما يَبْغونَهُ بل من الهِرْش يريدون الهرب[١]

وإذا حاول المرء استجلاء تأثير الحج الإيجابي في التجارة في فترة الدراسة يجد أن القرن الثالث على ما فيه من ضعف الخلافة في منتصفه إلا أن القرن بمجمله كان فترة تأثير إيجابي للحج إذ قل التأثير السلبي في الحجاز مقارنة بالذي حدث في القرن الرابع الذي كان الاعتداء على الحج أكبر، وهذا ما يوضحه الرسم البياني الآتي :



رسم بياني رقم (١) يوضح مرات ضعف الحج في القرنين الثالث والرابع الهجريين

غير أن هذا ينبغي ألا يدعو إلى الظن بأن تأثير الحج كان ضعيفًا في مدة هذه الدراسة فكان الاعتداء على الحج وقوافل الحجاج في القرن الثالث ثمان مرات وفي القرن الرابع سبع عشرة مرة، والمجموع في القرنين خمس وعشرون مرة ، تساوي ٢١,٥٪ من المدة الزمنية لفترة الدراسة كلها؛ ولهذا جاز القول بأن تأثير الحج الإيجابي كان كبيرًا في التجارة في فترة هذه الدراسة.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤١٦-٤١٧.

٥ - الإنفاق على الحرمين :

من العوامل الإيجابية التي أسهمت في حركة التجارة اهتمام الخلفاء العباسيين والفاطميين وبعض الأغنياء من أصحاب الورع بالإنفاق على الحرمين الشريفين ، ففي سنة ١٦٦هـ/ ٧٧٧م قسم الخليفة العباسي المهدي أموالاً طائلة على أهل مكة والمدينة، يقول الطبري: "فذكر أنه نُظر فيما قسم في تلك السفرة فوُجدَ ثلاثين ألف ألف درهم، حُملت معه، ووصلت إليه من مصر ثلاث مئة ألف دينار، ومن اليمن مئتا ألف دينار، فقسم ذلك كله، وفرق من الثياب مئة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب"(١). كما قام بتوسعة مسجد الرسول ﷺ(٢). واستمر اهتمام المهدي بإصلاح مرافق الحج وعمارة المسجد الحرام، فقد أمر في سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م بزيادة مساحة المسجد الحرام وأدخل فيه دورًا كثيرة، وظل على هذه الحال في الإنفاق حتى توفي(٣).

وعندما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) قام بتأدية الحج سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م فبدأ بالمدينة وقسم في أهلها أموالاً عظيمة(٤). وفي سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م حج الرشيد فأعطى أهل المدينة ثلاث أعطيات ، قال الطبري: "كانوا يتقدمون إليه فيعطيهم، ثم إلى محمد الأمين فيعطيهم عطاءً ثانيًا، ثم إلى المأمون فيعطيهم عطاءً ثالثًا، ثم صار إلى مكة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٣٣.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١٣٣.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٦٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣١٩ وما بعدها؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر "ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م"، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص٢٢١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٣٩.

فأعطى أهلها فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار"[١]. وأيضًا عندما حج في سنة ١٨٨هـ/٨٠٣م جعل طريقه على مدينة الرسول ﷺ فأعطى أهلها نصف العطاء[٢]. أما في سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م فقد قسم على أهل المدينة أعطيات كثيرة فكانت المبالغ التي وزعها في هذه السنة ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار[٣] وفي سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م أرسل الأمين عامله على صوافي[٤] مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على باب الكعبة[٥]. وفي هذه السنة أيضًا أمرت زبيدة زوجة الرشيد بعمل بِركتها التي بمكة، فأرسلت بأموال عظام، صرفت على هذا المشروع، فصارت كما يقول الأزرقي: "لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها وطابت نفسها بالنفقة فيها"[٦]. ويقول الفاكهي إنها: "أنفقت

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص٢٧٥.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص٣١٣.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص٣٦٢.

(٤) الصوافي في الحجاز: هي بيوت تمتلكها الدولة بطريقة من الطرق، بالإضافة إلى بعض الأراضي الزراعية التي كانت بالمدينة وما حولها، السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص ٩٨٨؛ وانظر: صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣١٣-٣١٤.

(٥) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد "ت نحو٢٥٠هـ/٨٦٥م"، أخبار مكة، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ، ج١، ص٢١٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٤٨؛ النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد "ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م"، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٤م، ج٣، ص٥٣،٥٧، ج١، ص١٩٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر: صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص٣١٤.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢١٢-٢١٣؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص١٩٧؛ والسيدة زُبيدة هي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وهي أم الأمين بن هارون الرشيد، سقت أهل مكة الماء وأسالته عشرة أميال، فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبع مئة ألف دينار، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٤- ٣١٥).

عليها من الذهب ألف ألف مثقال[١] وسبع مئة ألف مثقال". فكانت جهودها من أعظم ما بذل على الحرمين الشريفين والطرق المؤدية لهما؛ لأنها أنفقت من الأموال ما لم تكن تطيب بها نفس أحد غيرها في ذلك الوقت.

أما في عهد المأمون فقد أمر بإعادة إعمار المسجد الحرام مما لحقه من دمار من أثر سيل سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م[٢]. وكذلك فعل بإصلاح ما لحق المسجد من دمار إثر سيل سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م الذي دخل المسجد وصرف في ذلك مالاً عظيمًا، فأمر أن يعمل به في المسجد ويبطح ويعزق وادي مكة، وعمل سدًا في الوادي الذي يؤدي إلى المسجد لمنع السيول من دخوله[٣]. وأنشأ المأمون بركًا صغيرة في فجاج مكة في سنة ٢١٥هـ/ ٨٢٥م[٤]. وعندما حج سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م وزع أموالاً على الأهالي القاطنين حول الطريق الذي يمر عليهم حاج العراق[٥].

وبعث المعتصم[٦] في سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م ببعض الأموال لصرفها على

---

(١) الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس (ت نحو ٢٧٢هـ/٨٨٥م)، كتاب الملتقى في أخبار أم القرى، بيروت، لبنان، مكتبة خياط، بدون تاريخ طبع، ج٢، ص٥٢.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٦٤؛ الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك ابن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١١٠؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سليمان مالكي، مرافق الحج، ص٦٩.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٧٠-١٧١.

(٤) الفاكهي، أخبار مكة، ص١٥٣.

(٥) ابن عماد الحنبلي، أبو فلاح عبدالحي بن أحمد "ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م"، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ج١، ص١٠٣.

(٦) المعتصم هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد تولى الخلافة في المدة من ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م، وأمه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة، وكانت أحظى الناس عند الرشيد، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٦٧ وما بعدها؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٧٧).

الكعبة، منها منحة للحجَبَة وتغيير الرخام الذي على بئر زمزم[١]. ولقد فرق الخليفة الواثق "٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٦٤م" في أهل الحرمين أموالاً لا تحصى حتى إنه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل[٢]. وعندما حج سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م أنفق على أهل مكة مالاً كثيرًا، حتى إنه لما مات حزن عليه أهل الحرمين لإحسانه لهم[٣]. ومثله كانت جهود الخليفة المتوكل على الله "٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م" حيث أرسل في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م أموالاً لإصلاح المقام بالمسجد الحرام، وفي سنة ٢٤١هـ/٨٥١م أمرت والدته[٤] باثني عشر ألف دينار لإصلاح وادي مكة المحيط بالمسجد الحرام[٥]. وفي سنة ٢٣١هـ/٨٥٥م أرسل المتوكل مالاً قيل إنه مئة ألف دينار ذهبًا لإجراء ماء عين عَرَفات لمواجهة نقص المياه في مكة[٦]. كما أمر بإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح في المسجد الحرام ، فقد وجه بعض الصواغ والرخاميين وغيرهم من الصناع ومعهم ما يلزمهم من الذهب والفضة لعمل الإصلاحات اللازمة في الكعبة والمقام[٧]. وكان يوقد في عهده الشمع على المشعر الحرام وجميع المشاعر[٨]. وفي سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م حج محمد بن عبدالله

---

(١) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ص٢٨٩، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص١١٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣١، يقول ابن الأثير عنه أيضًا: "وأطلق في خلافته أعشار سفن البحر وكان مالاً عظيمًا".

(٣) النهروالي، قطب الدين، تاريخ القطبي المسمى كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة، المكتبة العلمية بمكة، ١٣٧٠هـ، ص١٠٧- ١٠٨.

(٤) والدة الخليفة المتوكل أم ولد اسمها شجاع، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٩١.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٧١.

(٦) الحنفي، تاريخ القطبي، ص١١٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج.١، ص٢٤٧.

(٨) الفاكهي، أخبار مكة، ص.١٥٢

بن طاهر والي بغداد للمتوكل[١] فحمل معه ثلاث مئة ألف دينار لأهل المدينة ومكة[٢]. وفي سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م أمر الخليفة العباسي المهتدي[٣] بعمل إصلاحات القبة التي بجانب بيت الشراب في المسجد الحرام وأصلح كذلك بركة بئر زمزم[٤]. كما أمر الخليفة المعتمد في سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م بإجراء بعض الإصلاحات في المسجد الحرام وصرف عليه الأموال الكثيرة[٥].

وعندما آلت الخلافة العباسية للمعتضد "٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م" قام بعمارة المسجد الحرام وأضاف إليه توسعة في جانبه الشامي، حيث أدخل دار الندوة فيه، ورممت الكعبة المشرفة، والحجر الأسود والمطاف، وعمل إصلاحات أخرى حول المسجد مثل حفر الوادي وتعديل السيل عن المسجد، وقد كلفه هذا العمل أموالاً طائلة، أرسل بعضها نقودًا في أيام الحج وبعضها الآخر حولها سفاتج[٦] سلمها لمن كتب اسمه عليها[٧]. فقد شهد المسجد الحرام في عهد المعتضد بالله زيادة كبيرة في الجانب الشامي

---

(١) هو أبو العباس محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل عندما أصبحت العاصمة مدينة سامراء، توفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٩٢-٩٣).

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٢٥.

(٣) هو محمد بن الواثق ولقب بالمهتدي "٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م"، وأمه رومية كانت تسمى قرب، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٩٨).

(٤) الفاكهي، أخبار مكة، ص١٥٢.

(٥) الفاكهي، المصدر السابق، ص٦٧١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ج١، ص٢١١.

(٦) السفاتج: هي من وسائل المعاملات المستندة إلى الائتمان ويقصد بها أن يعطي أحدٌ مالاً للآخر وللآخذ مال في بلد المعطي فيوفيه إياه هناك فهي وسيلة أوجدت لتجنب أخطار الطريق، (الجهشياري، كتاب الوزراء، ص٨٩، ١٠٩-١١٠؛ وانظر كذلك: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص١٤٥).

(٧) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٤٩، ٣٥١؛ النهروالي، تاريخ القطبي، ص١٣١-١٣٣، ١٣٥.

أشرف عليها عبدالله بن يوسف بن يعقوب[١]، وانتهى العمل في هذه الزيادة سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[٢]. وأسقط المكوس[٣] عن أهل الحرمين الشريفين فكان إسقاط الضرائب من العوامل المساعدة في تنشيط التجارة خاصة أنه قمع أهل الشر والفساد[٤].

وقد فعل الخليفة المقتدر بالله مثل سلفه "٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م" وزاد باب إبراهيم في الجانب الغربي من المسجد، وكان يفرق يوم عرفة كل عام من الغنم والبقر ثلاثين ألف رأس ومن الإبل ألفي رأس[٥]. فكان سخيًا جوادًا، وكان ينفق على الحرمين كل سنة ثلاث مئة ألف وخمسة عشر ألفًا وأربع مئة وستة وعشرين دينارًا[٦]. بالإضافة إلى إصلاح مصادر مياه الشرب التي تغذي مكة[٧]. وقد أسهمت والدته[٨] في الصرف على المسجد الحرام فأمرت غلامها لؤلؤاً بأن يُلبس جميع أسطوانات البيت الشريف بالذهب ففعل ذلك سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م[٩].

---

(١) والده يوسف بن يعقوب قاضي بغداد في عهد الخليفة المعتضد بالله، أنفذه والده بما أعطاه الخليفة من أموال لإصلاح الحرم، فقد كان عبدالله بن يوسف يقدم في كل سنة حوائج الخليفة ومصالح الطريق وعمارتها، (الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص١١١).

(٢) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلاد الحرام، ج١، ص٢٢٦.

(٣) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق الجاهلية وكل من باع شيئًا أخذ منه الخراج أو العشر وهو المكس، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥١٥).

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص٣٥٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٨، ٧٠؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ج٣، ص١١٥، ١٦٠ -١٦١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٩-٧٠.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧.

(٨) قيل إنها رومية وقيل إنها تركية اسمها شغب كان لها اهتمامات بالصرف على الحرم وما يخدم الحجاج، (المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٤٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٣١).

(٩) ومن الجدير ذكره أن المقتدر ووالدته قد أوقفا ضياعًا وغلات ومستغلات كثيرة في بغداد كانت تدر دخلاً وفيرًا خصص للإنفاق على الحرمين، وقد خصت هذه الأوقاف بإنشاء أول ديوان رسمي للأوقاف سمي بديوان البر أُنشئ لهذا الغرض فقط، الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص١١٥؛ النهروالي، تاريخ القطبي، ص٥٧.

ومثل ذلك فعل الخليفة العباسي الراضي "٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م" عندما أمر بعمارة العلمين الكبيرين بالتنعيم سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م[١]. وفي أيام المطيع بالله "٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م" كانت ترسل الهدايا إلى مكة، فقد بعث في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م بهدايا كلها فضة إلى الكعبة إلا قنديلاً كان من الذهب زنته ست مئة مثقال[٢] وذلك لإصلاح باب الكعبة وما خرب من البيت الشريف[٣].

وفعل خلفاء الدولة الفاطمية مثل خلفاء العباسيين؛ لأنهم نافسوهم على الخطبة في مكة والمدينة ليثبتوا سلطتهم على هاتين المدينتين، فعملوا على إرسال الأموال إليهما، من ذلك ما أنفذه المعز لدين الله الفاطمي[٤] سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م من أموال وأطعمة كثيرة إلى الحجاز، كما أرسل صلة لوالي مكة وكانت تقدر بنحو ثلاثة آلاف دينار شهريًا، علاوة على الخيول والخلع التي ترسل له مرتين في العام[٥].

وقد بذل الخلفاء الفاطميون بسخاء في الصرف على قوافل الحجيج المتوجهة إلى الحجاز، ذكر المقريزي أنه ينفق على قافلة الحج كل عام

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، ص٥٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٨٦.

(٢) المثقال في الأصل هو مقدار من الوزن لأي شيء قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة أي وزن ذرة فالناس يطلقون ذلك على الذهب وعلى العنبر وعلى المسك وعلى الجوهر، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٦٥.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام بأخبارالبيت الحرام، ج١، ص١١٥.

(٤) المعز لدين الله الفاطمي "معد أبو تميم" حكم خلال المدة "٣٤١-٣٦٥هـ/٩٢٥-٩٧٥م"، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص١٣٧-١٣٨؛ السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصري "ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م"، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤- ١٩٥٦م، والصلة هنا تعني العَطاء الذي خص به الوالي، ج١، ص٨٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٤٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص١٧٢.

مئة وعشرين ألف دينار، منها ثمن الطيب والحلوى والشمع عشرة آلاف دينار، ونفقة الوفد المسافر أربعون ألف دينار[١]. ولهذا كسب الفاطميون إخلاص بعض ولاة مكة حين كانت أعطياتهم لهم متصلة، وقد أدرك أشراف مكة حاجة كل من العباسيين والفاطميين إليهم أكثر من حاجة الأشراف أنفسهم للصلات المالية التي ترسل لهم؛ ولهذا كانت تبعيتهم لهؤلاء أو أولئك تعتمد على ما يبذله كل طرف لهم من الأموال، ومن هذا المنطلق كان كل من المتنافسين يبذل قصارى جهده في استرضاء أهل الحجاز، ولا ريب أن هذه الأموال التي تدفقت على الحجاز في فترة هذه المنافسة ساعدت على زيادة القوة الشرائية لديهم، وهو ما أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الطلب على السلع التجارية.

وقد أسهم في الصرف على الحرمين الشريفين بعض الأغنياء من الأمراء وأصحاب الثروات محتسبين عملهم لوجه الله خدمةً لدينهم الحنيف، من ذلك ما قدمته جميلة بنت الملك ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان صاحب الموصل من أموال عندما حجت سنة ٣٦٦هـ/٩٧٨م فكانت حجة يضرب بها المثل، لما قدمته فيها من أفعال الخير، فقد أفردت للرجالة والمنقطعين ثلاث مئة جمل، وقيل خمس مئة، ونثرت على الكعبة حين دخلتها عشرة آلاف دينار من ضرب أبيها، وأعتقت ثمان مئة عبد وثلاث مئة جارية[٢]. وقدمت لجميع أهل الموسم السويق

(١) المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص٤١؛ ولمزيد من المعلومات انظر: أحمد دراج، إيضاحات جديدة، القاهرة، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، ١٩٦٨م، ص١٩٦-١٩٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٤؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤١٤.

والثلج والطَبَرْزد[١] وأعطت المجاورين عشرين ألف دينار، وكست المجاورين بالحرمين الشريفين، وأنفقت الأموال الكثيرة وأغنت الفقراء والمجاورين بالصلات الجزيلة وخلعت على طبقات الناس ألف ثوب[٢].

وفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م أطلق عضد الدولة البويهي الصلات لأهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وأعفى الحجاج من المكوس[٣]. وفي أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد شملت إصلاحات الحسين بن سلامة إيصال الماء إلى جبل الرحمة وأنفق على ذلك أموالاً طائلة[٤]. وقد أشار المقريزي إلى إسهام بعض المحسنين في الإنفاق على الحرمين سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م فقال: "وفي ذي القعدة ورد يحيى ابن اليمان من تِنِّيس ودمْيَاط والفَرَمَا بهديته، وهي أَسْفاط[٥] وتخوت وصناديق وخيل وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة"[٦].

(١) الطَبَرْزد هو السُكَّر وهو فارسي معرب، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٦٧.

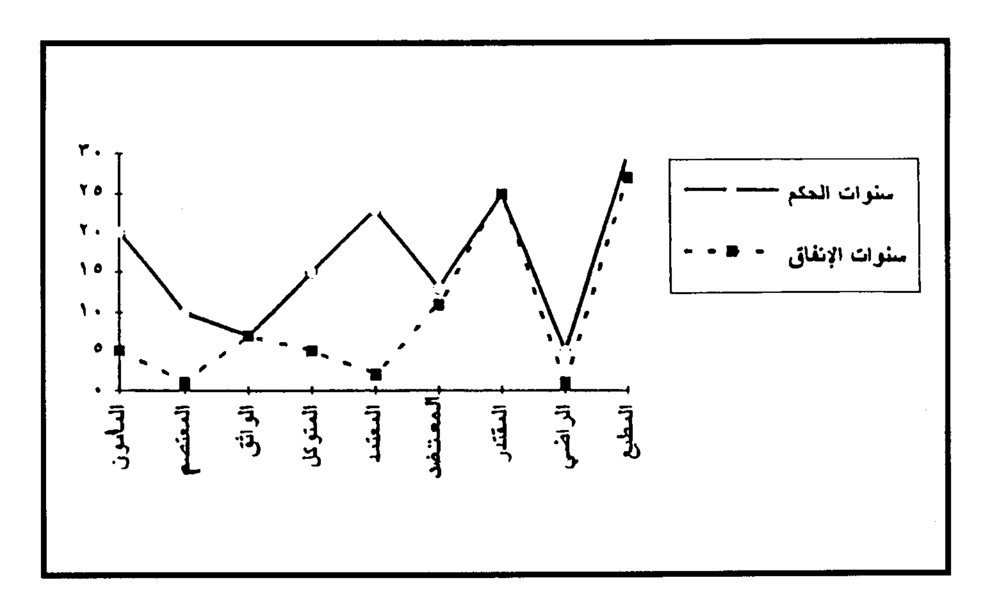
(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص٤٨؛ ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٤١٤؛ وانظر كذلك: الجزيري، درر الفرائد، ص٢٤٧.

(٣) استولى عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي على العراق سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٧٦-٧٠٠، ٧٠٥.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٣٦؛ الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٣٢.

(٥) السَّفَط: الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء وغيرها، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٥٦.

(٦) المقريزي ، الخطط ، ج٤، ص٢١٤، واستمر الصرف على الحرمين حتى ما بعد زمن الدراسة من قبل الأثرياء، مثل إبراهيم بن محمد بن علي أبو النصر الفارسي الإسترابادي الذي قدم مكة ويقول السخاوي عنه : "له فيها مآثر، وكان يتصدق في الحرم بمال جزيل أعطى فقراء المدينة ومكة جراية لمدة سنة، ويقال : إن ذلك من سلطان شاه توفية لنذره، ولقد لقب صاحب الترجمة بمغيث الحرمين فخر الرؤساء لا قطع الله من الحرمين أثره وأثر أخيه مسعود وكانا في سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م"، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م حج الوزير محمد بن حسين أبو شجاع، فعم أهل الحرمين بكثير من أعمال البر والصدقات؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص١٤٣؛ ولمزيد من المعلومات انظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٦٢١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩٢؛ أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد، ولي الوزارة للإمام المقتدي بأمر الله، وكان عصره أحسن العصور وزمانه أنضر الأزمان، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٣٤-١٣٥).



رسم بياني رقم (٢)

على أن الأرقام المذكورة مع الخلفاء والمحسنين رُبَّما لا تخلو من مبالغة أحياناً ولكنها على كل حال لا تخلو في عمومها من حقيقة؛ إذ تصور الاهتمام بالحرمين والإنفاق عليهما وعلى أهلهما، وكان عملاً مستمراً مقارنة بسنوات حكم الخلفاء العباسيين وعدد السنوات التي أنفقوا فيها، ومن هذا الجدول يتضح أن ليس من خليفة إلا وقد أنفق، ومن مقارنة سنوات الحكم بعدد السنوات التي حدث فيها الإنفاق مع كل خليفة يُلْحظ ما يأتي:

أولاً: نسبة سنوات الإنفاق إلى مدة حكم الخليفة تتراوح بين ١٠٪ و ٥٢٪ مع كل من المأمون والمعتصم والمتوكل والمعتمد، إلا أنها زمن الواثق تصل إلى ١٠٠٪ ومع المعتضد ٨٠٪ ومع المقتدر ١٠٠٪، ويتدنى ذلك مع الراضي ٢٠٪ ثم يرتفع مع المطيع إلى ٩٠٪.

ثانياً: إذا لم يجد المرء تفسيراً واضحاً لفترة الواثق فأغلب الظن أن ارتفاعه زمن المعتضد يعود لمحاولات المعتضد تركيز هيبته بعد أن أبلى والده

الموفق في حياة أخيه المعتمد بلاءً حسناً لإعادة سلطة الدولة بالقضاء على مناوئيه من زنج وقرامطة ومحاولات الطولونيين، ثم لتوافر الأموال في بيت المال وبشكل كبير جدًا.

ولعل الشيء نفسه نلمحه مع المقتدر "٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م" الذي في عهده ظهر الفاطميون في المغرب، وسعوا إلى التوسع في مصر، وكذلك في عصر المطيع "٣٣٤- ٣٦٤هـ/٩٤٥-٩٧٣م"، أما التدني في عصر الراضي "٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م"، فقد يعود إلى فترة الاضطراب الداخلي بسبب بروز بعض الفتن التي واجهت الخليفة الراضي مثل فتنة البريدي، وفتنة الحنابلة ومحاولة ناصر الدولة ابن حمدان الاستيلاء على الموصل، وكذلك شغب الجند في بغداد وزيادة نفوذ قادة الجيش وظهور نظام إمرة الأمراء الذين سيطروا على مقدرات الدولة. ومحاولة بني بويه بسط نفوذهم على كثير من أجزاء الخلافة.

٦ - خدمات الطرق وحفظ الأمن :

ولا شك أن زيادة عدد الحجاج الوافدين لأداء فريضة الحج والعمرة الذي صحب اتساع الدولة الإسلامية دفع العباسيين إلى أن يهتموا بتنظيم الطرق وحراستها وتأمين سلامتها، وخاصة الطرق التي تربط العراق بالجزيرة العربية في اتجاه الحجاز، وهذا ما اهتم به العباسيون منذ بداية دولتهم فصرفوا أموالاً طائلة على الطرق الموصلة إلى مكة والمدينة من العراق والشام واليمن واليمامة والبحرين وعُمان وغيرها لتسهيل تنقل الحجاج وتأمين سلامتهم، الأمر الذي ساعد التجارة والتجار .

فما أن استتب الأمر للدولة العباسية في عهد مؤسسها أبي العباس

السفاح[١] حتى أمر واليه على الكوفة عيسى بن موسى بإصلاح طريق الكوفة[٢]. وكذلك فعل أبو مسلم الخُراساني[٣] إذ أصلح الطريق ذاتها ووزع الأعطيات على الأعراب في طريق الحاج عندما أدى فريضة الحج سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م، وما أن آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور "١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م" حتى أمر بأن يطعم الحاج على الطريق، ووزع الأعطيات على الأعراب في طريق الحاج حينما أدى فريضة الحج سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م، كما أمر بحفر الآبار وأمر ببناء المساجد على طريق قوافل الحج[٤].

وعندما تولى المهدي الخلافة سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م وزع الأموال الكثيرة في هذه السنة على الأعراب الذين يسكنون على طريق الحج العراقي وأمر ببناء مرافق الطريق وتذليل صعوباتها وإضاءتها بواسطة الشموع، وبناء محطات بريد بين المدينة ومكة المكرمة واليمن وزودها ببغال وإبل[٥]. وأمر في سنة ١٦١هـ/٧٧٨م بإنشاء المصانع[٦] والقصور على طول الطريق إلى

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وتوفي سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٢١- ٤٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٠٨).

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥٨-٣٦٠؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سليمان المالكي، طريق الركب العراقي، مجلة الدارة، العدد ٢، محرم ١٤٠٤هـ، ص١٤؛ والوالي هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس.

(٣) أبو مسلم عبدالرحمن بن مسلم وقيل عثمان الخُراساني القائم بالدعوة العباسية، ولد سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، وتوفي سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٥١-١٥٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص, ١٣٦

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص١٣٦ وما بعدها.

(٦) المصانع في قول بعض المفسرين : الأبنية، وقيل: هي أحباس تتخذ للماء، واحدها مصنعة، ومصنع، وقيل: هي ما أخذ للماء، فكانت العرب تسمي أحباس الماء الأصناع والصنوع، وقيل: هي مسالك لماء السماء يحفرها الناس فيملؤها ماء السماء، (ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢، ص٤٨٢).

مكة واتخاذ البرك وحفر الركايا مع المصانع[١]. وسار على نهجه ابنه الهادي الذي وزع بعض الأموال على الأعراب وهو في طريقه إلى مكة وأمر بإصلاح طريق الركب العراقي، وفعلت مثل ذلك والدته الخيزران[٢] حيث وزعت الأموال الطائلة على الأعراب في طريق الحج[٣].

واهتم كذلك الخليفة هارون الرشيد بخدمات الطريق الذي يربط العراق بالحجاز فقد كان الخليفة كثير التردد على مكة، فأنشأ مصانع المياه والآبار، وكذلك فعلت زوجه زبيدة عندما أنشأت البرك والآبار والاستراحات على الطريق بين الكوفة وإقليم الحجاز ماراً بأرض نجد[٤].

ولم يتوقف الاهتمام بالطرق على خلفاء بني العباس وحدهم، بل يبدو أن بعض المحسنين قد اقتدوا بهم فأقاموا السقايا في الطريق لسقيا المسافرين، ويفهم من رواية عن الشافعي أن الناس كانوا يشربون من سقايات كثيرة كان يضعها المحسنون بين مكة والمدينة[٥]. ولا عجب بعد هذا أن يهتم الأمراء الآخرون بطرق الحج كما فعل الحسين بن سلامة متولي السلطة في الدولة الزيادية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد بجميع طرق الحج بين اليمن والحجاز، فأنشأ الجوامع والمنارات وحفر الآبار الروية والقُلُب

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٤-٣١٥.

(٢) أعتقها المهدي سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م وتزوجها وأنجبت له الهادي، والرشيد، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٢.

(٣) الجزيري، درر الفرائد المنظمة، ص٢٢٢؛ وانظر: سليمان مالكي، مرافق الحج، مجلة الدارة، عدد٢، محرم ١٤٠٤هـ، ص١٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٥.

(٥) الشافعي، الأم، ج٤، ص٥٦؛ وقد أشار المقدسي لهذه السقايا بقوله: "وسقايات على طريق المدينة"، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز ونجد، ص١١٥.

العادية في المقافر المنقطعة، وبنى علامات الأميال والفراسخ والبُرُد على الطرق هدايةً للمسافرين، واقتفى أثر الخلفاء والحكام في تمهيد الطرق(١).

ومن هنا ندرك أن الماء كان أهم ما يحتاج إليه المسافرون عبر مسالك الجزيرة العربية، ولا نستغرب ما صرف من أموال طائلة على توفيره سواء عن طريق الخلفاء والأمراء أم بفعل محبي الخير، فقد يسرت كل تلك المرافق على التجار والحجاج سلوك الطرق البرية.

وكان اهتمام الخلفاء العباسيين بمراقبة أمن الطرق من العوامل الإيجابية التي ساعدت على انتعاش التجارة في الجزيرة العربية، فعملوا على حراستها(٢). والإنفاق على الأعراب الذين تمر بهم الطرق محاولة منهم لضبط الأمن في تلك الطرق، كما عملوا على حمايتها من عبث قطاع الطرق واللصوص، ومنع الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار، وتأمين سلامة وصول المتاجر إلى الأسواق دون أن تتعرض لعدوان العابثين بالأمن، ومما يؤيد ذلك الاجراءات الأمنية التي اتخذها الخليفة المعتمد من أجل حماية طريق الحج حينما ولى محمد بن أبي السَّاج في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م على طريق مكة والحرمين، وأعد جيشاً لمعاونته في توفير أمنها ومنع اعتداء القبائل على قوافل التجار والحجاج وردع المعتدين العابثين بأمنهم وسلامتهم(٣). ويذكر ابن الأثير الجهود التي بذلها مؤنس الخادم(٤) في سنة

---

(١) عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٤٠-٤١.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٠٧؛ وانظر جدول أسماء ولاة طريق الكوفة - مكة، الملحق بالكتاب.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٣٣، ٣٩٨، ٤٠٩؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سعد الراشد، درب زبيدة، ص٦٣.

(٤) مؤنس الخادم: هو التركي الذي تولى قيادة الجيش في عهد الخليفة المقتدر بالله، وقاد الجيش أيضًا إلى حركة عصيان على الخليفة، (مسكويه، تجارب الأمم، بغداد، مكتبة المثنى، ج١، ص١٨٨).

٣٠٢هـ/٩١٤م عندما أوقع بالأعراب من بني شيبان فقتل منهم خلقاً كثيراً ونهب بيوتهم فأصاب فيها من أموال التجار التي كانوا أخذوها بقطع الطريق ما لا يحصى"[١]. وكذلك فعل أبو حامد ورقاء بن محمد سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م عندما قاتل الأعراب الذين اعترضوا الحجاج في عودتهم من الحج في الثَّعْلَبِيَّة، وكان مَعْنياً بحفظ أمن الطريق فقتل جماعة منهم وأسر الباقين وحملهم إلى بغداد فأمر الخليفة المقتدر بسجنهم[٢]. ولذلك أقامت الدولة العباسية محطات وبيوت حراسة على طول الطرق المهمة، يرابط فيها الحراس الذين يشرفون على أمن طرق المواصلات التي تسلكها قوافل التجار والحجاج[٣].

وكان التجار عادة ما يرافقون قوافل الحج الكثيرة حاملين معهم أكثر البضائع قيمة فكان لا بد من إشعارهم بالأمان عند سلوكهم الطريق من مختلف النواحي، وقد ذكر ابن الجوزي أن كثيراً من تجار بغداد خرجوا مع قوافل الحجاج سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م للانتقال إلى الشام ومصر[٤]. وحدث أيضاً سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م أن التحق بعض أهل الشام بقافلة الحج هرباً من البيزنطيين في الشام فانتقلوا إلى العراق عبر مكة المكرمة، وكان في جملتهم قاضي طَرَسُوس[٥] ومعه مئة وعشرون ألف دينار[٦].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٢٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٩٥.

(٣) انظر خريطة الطرق التجارية الملحقة بهذا الكتاب، شكل رقم ٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٣١؛ المقريزي، الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص٤٥.

(٥) طَرَسُوس: وهي أجمل الثغور الشامية بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٤٩؛ ولمزيد من المعلومات انظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٤١٨.

٧ - أهمية المحطات التجارية :

ويبدو أن قوافل الحجاج والتجار القادمة من خارج الجزيرة العربية كان لها أثرها التجاري والاقتصادي في المناطق التي تمر فيها قوافلهم عند سلوكها الطريق إلى إقليم الحجاز من مختلف فجاج الأرض ولها - من ثَمَّ - مردودها الاقتصادي على حياة الناس الذين يتعاملون مع الحجيج؛ وتبعاً لذلك كانت تزداد حركة البيع والشراء وتبادل السلع في الأسواق، وهو ما يؤدي إلى رخص الأسعار في حالة توافرها بكثرة وليس العكس إذا كانت السلع نادرة وقليلة طبقاً لقانون العرض والطلب.

فقد أصبحت المحطات التجارية الواقعة على طريق الحجاج مركزاً للتبادل التجاري والتسويق في موسم الحج والعمرة، يقصدها الناس القريبون منها لتبادل السلع مع الحجاج والتجار الذين يستقرون بها إبان رحلتهم إلى الحجاز لأداء الفريضة، ويتجلى لنا ذلك مما أشارت إليه بعض المصادر، إذ كانت بلدة (ضَرِيَّة)[١] يؤمها سكان القرى والبوادي القريبة منها أيام الحج أو الزيارة فيميرون[٢] طريق الحاج العراقي[٣]. ويزاول الحجاج مع الأهالي البيع والشراء فيشترون مثلاً من الأهالي السمن والعسل واللحم واللبن والأغنام، ويشتري الأهالي منهم الأدوات المنزلية والمواد العطرية والملابس والحلي وكل ما يلزمهم من حاجات لا تتوافر لديهم

---

(١) ضَرِيَّة: بلد قديم، وقرية عامرة على طول الدهر، وهي على طريق البصرة، وتبعد عن مكة مسيرة عشرة أيام، وولايتها للمدينة، الحربي، المناسك، ص٥٩٤؛ البكري، جزيرة العرب، ص٥٣.

(٢) الميرة: جلب الطعام للبيع، والطعام يمتاره الإنسان، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٨٨.

(٣) عرام بن الأصبغ "ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م"، أسماء جبال تهامة، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٦٥-٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٥٢.

أساساً، فتنتعش التجارة ويُفيد الأهالي من تبادلهم التجاري مع قوافل الحجاج والتجار.

ومن الآثار الإيجابية للحج في النشاط التجاري في الجزيرة العربية أن بعض الأهالي كانوا يعملون في خدمة الحجاج والتجار، فمنهم من يقوم بإعداد الخانات التي يسكن فيها الحجاج أو المسافرون في أثناء سفرهم، وبعضهم يجعلها مخازن لأمتعة التجار تحت حراسة بعض العمال الذين يتكسبون من خدمتهم لقوافل الحج والتجارة ولا سيما المحطات الكبيرة التي تقوم على الطريق من العراق إلى الحجاز أو من الجهات الأخرى حيث اعتاد التجار أن يُودِّعوا بعض سلعهم للتخفيف من نقل البضائع وللتزود بها عند رجوعهم لأوطانهم، مثل الحجاج القادمين عن طريق درب زبيدة، فكانت محطة النِّبَاج[1] وضَرِيَّة من المحطات التي يخزن فيها المسافرون بعض متاعهم ليخففوا على رحالهم النقل[2]، وكان من الطبيعي - والأمر على هذا الحال - أن تنشط الحركة التجارية في المحطات التي تمر بها قوافل الحجاج والتجار في مختلف المواسم، وأن تزدهر تبعًا لذلك حركة البيع والشراء للسلع والبضائع المتنوعة المجلوبة من هنا وهناك من شرقي البلاد وغربيها.

---

(١) النِّبَاج: هي قرية الأسياح المعروفة بهذا الاسم حاليًا وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة على بعد ٦٣ كيلاً، انظر: محمد العبودي، الأسياح، مجلة العرب، ج٧، ٨، لسنة ١٣٩٥هـ، ص٥٣٢؛ عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالحجاز ونجد، ص٥٢.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣، ولمزيد من المعلومات انظر: صالح الوشمي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، ص٢٣٤.

٨ - تنوع النشاط الزراعي والصناعي :

ومن العوامل الإيجابية تنوع الأنشطة الزراعية والصناعية نتيجة لتنوع المناطق في الجزيرة العربية، من مناطق ساحلية إلى سهول وصحاري وواحات ومناطق جبلية، وتمتع أقاليمها بخصوبة التربة ووفرة المياه، كما هو الحال في البحرين وعُمان واليمن واليمامة والحجاز(١)، فأدى تنوع الإنتاج الزراعي وكثرة الغلات من حبوب وتمور وفواكه إلى توافر السلع الزراعية في الأسواق التي جلبت إلى مناطق الحاجة إليها فوصلت تمور اليمامة إلى أسواق اليمن وغيرها(٢). واشتهرت حنطة اليمامة بجودتها فكانت تحمل إلى الخلفاء وإلى مكة ومختلف أسواق الجزيرة العربية الأخرى(٣). وعرفت اليمن بإنتاج العنب، فيذكر ابن رستة أن صنعاء كانت تنتج منه سبعين نوعاً(٤). ففي اليمن تنوعت المحصولات والغلات الزراعية حيث يقول عنها الهَمْداني: "وباليمن من غرائب الحبوب، ثم البُر العربي الذي ليس بالحنطة، والميساني والنسول والهلباء. وألوان الذرة البيضاء والصفراء والحمراء، والغبراء، والسمسم الذي لا يلحق به لاحق. وقد يزرع بها الحمص والباقلاء، والكمون وغير ذلك ... واللوبياء والقثاء والبطيخ

(١) السجستاني، أبو حاتم سهل بن عثمان، "ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م" كتاب النخيل، الرياض، دار اللواء، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٣؛ وعن هذا الموضوع انظر: محمد بن عبدالله الأنصاري الأحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، ص٥؛ ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص١١ وما بعدها؛ سالم دياب، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلاد اليمن، ص١٥؛ صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٠٥؛ عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، الرياض، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ج١، ص١٧٩، وانظر الخريطة شكل (١).

(٢) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١٠.

(٣) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، "ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م"، كتاب البلدان، ص٢٩، ٣٠؛ الأصفهاني، أبو علي الحسن بن علي (ت٢١٠هـ/٨٢٥م)، بلاد العرب، الرياض، ١٣٨٨هـ١٩٦٨م، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٤) ابن رستة أبو علي أحمد بن عمر (كان حيًا سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، نشر بعناية دي غويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص١١١.

والقرع"[١]. ويقول أيضاً: "وبها النخل البعل الذي لا يشرب إلا من السيل.. وبها القسب من التمر الذي يسحق ويحلو مع السويق كالقَنْد"[٢]. وعن محصولات اليمن يقول ابن الفقيه: "وباليمن من أنواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة"[٣].

ومهما انطوى عليه الوصف المتقدم من مبالغة، فإنه لا يفقد دلالته على ثراء اليمن بمنتوجاتها الزراعية آنذاك.

أما أثر النشاط الصناعي في تنشيط التجارة فأمره لا ينكر في هذه المدة، فقد اشتهرت الجزيرة العربية بوفرة معادن الذهب والفضة والحديد، مثل معدن بني سُليم[٤] الذي يعد من أغزر مناجم الذهب في الجزيرة العربية، ومثله معدن حِلِّيت الذي يقع في حمى ضَرِيَّة وهو الذي كان يسمى بالنجادي نسبة إلى رجل يدعى نجاد بن موسى بن سعد بن أبي وقاص وقد اشتهر هذا المنجم بغزارة إنتاج الذهب[٥]. وقد أشار الهمداني إلى منجم العقيق باليمامة[٦] الذي اشتهر بوفرة إنتاجه[٧]، ويذكر المقدسي معادن أخرى للذهب بين يَنْبُع والمَرْوَة[٨].

---

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٢) الهَمْداني، المصدر السابق، ص٣٦٠. والقَنْد عَسَلُ قَصَب السكر.

(٣) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٤.

(٤) نسبة إلى قبيلة بني سُليم من قيس عيلان من عدنان، الهَمْداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، الرياض، نشر حمد الجاسر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص١٠-١١؛ ويسمى الآن مهد الذهب، انظر: حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، الرياض، مجلة العرب، ١٣٨٨هـ، ج١٠، ص٩٢٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ج١٢، العدد٢، عام ١٩٨٥م، ص٣٢٦-٣٢٨.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، القاهرة، ١٩٥٤م، ج٣، ص٥٧٨.

(٦) العقيق: يقع بين وادي الدواسر والسليل، ذكره كذلك ابن خميس في معجم اليمامة، الرياض، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٢، ص١٧٠؛ وقد قال عنه الهَمْداني: إنه يقع بين نَجْران والفَلَج، (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، ص١٣٩).

(٧) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٢٩.

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م، ص١٠١؛ والمَرْوَة: قرية بوادي القُرَى، وقيل: بين خُشْب ووادي القُرَى، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١١٦).

وذكر الهَمْداني معادن الذهب في إقليم اليمن بشيء من التفصيل مثل منجم المَخْلَفَة في منطقة هَمْدان، ومنجم القُفَاعة في منطقة خولان الذي يقول عنه: "وهو خير المعادن جميعًا"(١). أما معادن الفضة فأشهرها معدن الرَضْراض في اليمن فقد قال عنه الهَمْداني: "لا نظير له في الغزارة"(٢). كذلك كانت تكثر مناجم الحديد في الجزيرة العربية وكان من أهمها منجم زُغَافَة(٣) في اليمن، ومنجم قِيساس في اليمامة الذي كانت تنسب إليه السيوف القِساسية(٤). ومن المعادن الأخرى في الجزيرة العربية معادن العقيق والجزع في اليمن وقد أشار لها الهَمْداني بشيءٍ من التفصيل في صفة جزيرة العرب(٥).

وكان لهذه المعادن تأثير في الصناعات الحديدية في الجزيرة العربية فقد ذكر ابن الفقيه أنه ينسب لليمن كل: "سيف قاطع أو درع حصينة أو حلة مصونة أو درة مكنونة"(٦). فكانت السيوف الفاخرة تصنع في اليمن وتصنع بها أيضاً الأقواس والدروع، والخناجر، والسهام والأقداح(٧)، وهذه الصناعات كانت تسوق في الأسواق المحلية داخل الجزيرة العربية، وبعضها تنقل للبلاد الأخرى، فتدخل ضمن السلع التجارية التي يتنافس على شرائها

---

(١) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، ص ٨٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٠.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص١٥٢.

(٣) زُغَافَة: هي قرية على مرحلة من صَعْدَة باليمن فيها معدن حديد ونحو خمسة عشر كيراً يسبك فيه حديد معدنها، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٥٣).

(٤) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٦؛ قِساس: هو جبل لبني أسد، فيه معدن من حديد تنسب السيوف القِساسية إليه، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٥).

(٥) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٤، ٣٦٥؛ وانظر أيضًا عن معادن الجزيرة العربية بحث الشيخ حمد الجاسر، الملحق بكتاب الجوهرتين، ص٣٣١-٤٣٩.

(٦) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٩.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٢٩.

التجار من مختلف الأقطار ولا سيما الثياب المَعَافِرية[١] والسُحُولية[٢] التي تشتهر بصناعتها اليمن[٣].

واشتهرت اليمامة كذلك بمصنوعاتها الحديدية ومشغولاتها الذهبية والفضية، وقد أشار الأصفهاني إلى بعض النشاط التجاري الذي كان يقوم في مواقع استخراج المعادن باليمامة[٤]. وكان لصناعة الأديم أثرها الإيجابي في التجارة في الجزيرة العربية، وقد اشتهر إقليما الحجاز واليمن بهذه الصناعة منذ العصر الأموي، وكانوا يصدرون الجلود إلى العراق وغيرها[٥]. ويبدو أن ذلك استمر إلى قرون متفاوتة فقد ذكر البكري هذه الصناعة بقوله: "والأدَم الطائفي لا يُدْبَغ في قُطْر من أقطار العالم مثله. والبقر المُلَمَّعَة وهي في مخلاف بني مَجيد يُبَاع النَّعْل من جلودها بدنانير"[٦].

كما أشار الإدريسي إلى أن تجاراً بالطائف معظم بضاعتهم الأديم فأديمها عالي الجودة غالي الثمن[٧]. وأثنى ابن المجاور على أديم الطائف بقوله: "وجميع عملهم دباغ الأدم، ويدبغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها، وهو الذي يصلح لخُوارَزْم"[٨].

---

(١) منسوبة إلى مخلاف المَعَافِر الذي يقع في جنوب مدينة تعز فيما بين الضباب وبرداد شمالاً، (الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٠٧).

(٢) سُحُول، قرية بالقرب من الجَنَد، تنسب لها الثياب السحولية المصنوعة من القطن، (البكري، جزيرة العرب، ص٣٠، ١٢٢).

(٣) البكري، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٤) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٢٤، ٣٥٨؛ ولمزيد من المعلومات عن معادن اليمامة انظر: الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢١٩-٢٢٠.

(٥) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٠٨؛ وانظر أيضًا: عبدالله السيف، الصناعات في اليمن في العصر الأموي، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٤٤.

(٦) البقر المُلَمَّعَة التي فيها ألوان مختلفة، البكري، جزيرة العرب، ص٢٧.

(٧) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، "ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م"، جزيرة العرب من نزهة المشتاق، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٢١، عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٢٦.

(٨) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٥؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد٢، عام ١٩٨٥م، ص٢٣٧.

٩ - الأيدي العاملة:

كثرت - منذ الفتوحات الإسلامية - الأيدي العاملة في الجزيرة العربية، فكانت عاملاً مهماً في تنشيط الحركة الاقتصادية ولا سيما في الزراعة والصناعة، وكان العمال من مختلف الألوان والأجناس، فقد تدفق الرقيق على الجزيرة العربية لسد النقص في الأيدي العاملة، حيث تم جلبهم من إفريقيا وغيرها من البلاد الأخرى، وأسهم بعض هؤلاء الرقيق بخبراتهم في تحسين أساليب الزراعة(١).

واستمر ذلك في فترة هذه الدراسة، فيذكر ناصر خسرو أن أبا سعيد الجُنّابي القرمطي اعتنى بإصلاح الأراضي في البحرين، ووفر لها الأيدي العاملة، فكان لديه ثلاثون ألف عبد زَنْجي وحبشي يعملون في الزراعة(٢). وقد ذكرت بعض المصادر كثرة الزُّنوج في عُمان في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، من ذلك ما ذكره ابن الجوزي أن حريقاً وقع بعمان سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م "فاحترق من العبيد السود سوى البيض اثنا عشر ألفاً..."(٣). ويذكر ابن الأثير أنه في سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م كان ضمن الجند في عُمان ستة آلاف رجل من الزَّنْج لهم بأس وشدة(٤). وعندما هاجمت قبائل المنتفق القطيف سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م نهبوا مواشيها وعبيدها وأموالها(٥).

---

(١) صالح العلي، ملكيات الأراضي في الحجاز في القرن الأول الهجري، الرياض، مجلة العرب، ١٣٨٩هـ، ج١١، ص٩٦٨؛ عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص١٨١.

(٢) ناصر خسرو، سفرنامه، بيروت، ص١٤٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٣٥٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، المصدر السابق، ص١٨٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٦٧-٥٦٨؛ وانظر أيضًا: السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٠هـ، ج١، ص٢٨٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٥٨-٥٩.

وعلى الرغم من المبالغة في أرقام بعض هذه الروايات إلا أنها تبين لنا أهمية تجارة الرقيق وكثرتهم في الجزيرة العربية في تلك المدة، فلا يستغرب بعد هذا ما ذكر من قبل من أنّ السيدة جميلة بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان- في أثناء وجودها بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م - أعتقت ثمان مئة عبد وثلاث مئة أَمَة في جملة أعمال البر التي قامت بها في هذه السنة(١).

لقد كان -إذن- لكل هذه العوامل أثرها الإيجابي في ازدهار التجارة في الجزيرة العربية في فترة الدراسة هذه، وإن تباينت درجات التأثير في كل الفترات وفي كل المناطق، ولا يظهر هذا التباين إلا بدراسة العوامل السلبية.

ب - العوامل السَّلبية:

على الرغم من تعدد العوامل التي ساعدت على انتعاش التجارة في الجزيرة العربية فإن هناك بعض العوامل التي عرقلت النشاط التجاري، وحدّت من نموّه وازدهاره في بعض المناطق، وفي بعض الفترات، وهو ما أدّى إلى نُدْرة السّلع الزراعية والصناعية فيها، كما أن فقدان الأمن أحياناً أدى إلى تخوّف التجار من اللصوص وقُطّاع الطرق الذين كانوا يهاجمون القوافل التجارية متى آنسوا من الدولة العباسية ضعفاً، ومن هذه العوامل الفتن والثورات السياسية بالإضافة إلى فقدان الأمن والكوارث والأوبئة.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٤؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤١٤.

١ - الفتن والثورات السياسية وعدم استتباب الأمن :

مرّت الجزيرة العربية في بعض الفترات في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد بافتقاد الاستقرار السياسي نظراً لكثرة الاضطرابات وأعمال العِصيان والقلاقل التي واجهت الخلافة العباسية، حيث قامت بعض الثورات ضدها، ونشأت كيانات سياسية في بعض أقاليم الجزيرة العربية مستقلة عن الخلافة فعلياً ومعترفة بها أحياناً على نحو ما سبق تفصيله(١).

فمثل هذه الاضطرابات نالت من أمن الخلافة وكانت سبباً في عرقلة النشاط التجاري وهروب التجار ومصادرة أموالهم خاصة في الحجاز، فيروي الطبري أنه في سنة ١٩٩هـ/٨١٤م قام حسين الأفطس(٢) عندما دخل مكة المكرمة بنهب ما في الكعبة من أموال كما نهب أموال الناس بحجة الودائع(٣) ثم توجه إلى جُدّة ونهب أموالها(٤)، وهذه التصرفات

---

(١) انظر التمهيد من هذا الكتاب، فيبدو أن الضعف بدأ يدبّ في جسم الخلافة العباسية بعد الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون من عام ١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء عديدة من أنحاء الجزيرة العربية، فما أن انتهى المأمون من أمر أخيه حتى ثارت أجزاء كثيرة من اليمن وأعلنت استقلالها عن الخلافة، لذلك أسند المأمون إلى محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن زياد ولاية اليمن وأمره بالقضاء على الثائرين على الخلافة العباسية من الأشاعرة وعك "بلاد الأشاعرة وعك في الأجزاء التهامية من بلاد اليمن" وغيرها من القبائل التهّامية، واختط مدينة زَبيد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، واتّخذها مقرًا لحكمه بدعم من المأمون حيث أرسل له بعض القوات النظامية سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م ساعدته في توطيد نفوذ الخلافة في اليمن، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٥٢).

(٢) حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجهه أبو السرايا إلى مكة وكان عليها من الولاة العباسيين عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣١-٥٣٣).

(٣) الودائع: المقصود بها ودائع بني العباس وأتباعهم، (ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٦٦) .

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر: السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط٣، مكة المكرمة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص١٢٨.

أثَّرت في التجارة لتعرض أموال أصحابها إلى السلب والنهب، كما حصل في سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م عندما اعترض رجل من ولد عقيل بن أبي طالب كان في جملة من الجند خرجوا من اليمن من قبل إلى مكة، فتعرضوا لقافلة من الحجّاج قادمةٍ من العراق في أثناء إقامتهم ببستان ابن عامر[1] على مشارف مكة، فأخذوا أموال التجار المرافقين لهذه القافلة، وأخذوا كذلك كُسوة الكعبة وطيبها، وقدِم الحجّاجُ والتجار في تلك القافلة إلى مكة حفاةً عراةً منهوبين[2]. وفي هذه الأثناء قام جند الخليفة ممن كان مع المعتصم أمير الحج العباسي، وكان الجند بقيادة عيسى بن يزيد الجلودي فاستعاد كسوة الكعبة وطيبها وأموال التجار إلا ما كان مع من هرب[3].

ويعد اللصوص وقطاع الطرق من أهم المشكلات التي واجهت تجارة الجزيرة العربية في هذه الحقبة حيث كانوا يعيثون في الأرض فسادًا متى ما آنسوا ضعفًا، فتعطلت بسببهم الحركة التجارية في بعض الأوقات بعد أن أصبحت مهمة نقل البضائع من مكان لآخر- داخل الجزيرة العربية أو خارجها- مهمةً صعبة وشاقة لعدم توافر الأمن على الطرق التجارية، بل إن خطرهم امتد إلى الأسواق داخل المدن الرئيسة، والمحطات التجارية الواقعة على الطرق الرئيسة، فقد تعرضت أسواق الحجاز -خاصة حول المدينة- لشيء من الفوضى بسبب اعتداء قبيلة بني سُليم على أهلها، فأصابوهم وقتلوا أهلها سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م[4]. وهو ما حمل الخليفة العباسي

(١) يقع هذا البستان في مجمع النخلتين اليمانية والشامية، وهما واديان يلتقيان في هذا الموضع، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤؛ وانظر كذلك: عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص٢٨).

(٢) الطّبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤١؛ ابن فهد، إتحاف الورَى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٧٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٥، ٥٤١؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٧٠.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٩، ص١٢٩؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٧٠.

الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٦١م) على أن يوجه إليهم حمادَ بن جرير الطبري في جماعة من الجند، فقاتلهم ولكن كانت الغلبة لبني سُليم، فلم يظفر بهم وتزايد خطرهم ، ويذكر الطبري أيضاً ما لحق الناس من أذاهم فقال: "وحازت بنو سُلَيم الكُراع[١] والسلاح والثياب، وغلُظ أمر بني سُلَيم، فاستباحت القرى والمناهل فيما بينها وبين مكة والمدينة حتى لم يتمكن أحدٌ أن يسلك ذلك الطريق"[٢]. وكان من الطبيعي والأمر على هذا الحال أن يهابهم التجار ويتوقف التبادل التجاري في هذه المنطقة التي يعترضونها إلا أن الخليفة الواثق أرسل لهم بُغا الكبير أبا موسى التركي في الشاكريَّة[٣] والأتراك والمغاربة[٤]، فتمكن من هزيمتهم ودخل قريتهم السَّوَارِقِية[٥] حتى تمكن من القضاء عليهم وكفّ أذاهم عن طرق الحاج وقوافل التجار[٦].

وقد تحدث الطبري وابن الأثير عن اعتداء بعض الأعراب من قبيلتي فَزَارة ومُرّة على فَدَك[٧] سنة ٢٣١هـ/٨٤٢م وترويعهم الناس وأخذ أموالهم، وقد تمكن بُغا الكبير من إبعادهم عنها وعن ضَرِيَّة[٨]؛ فحبس من أهل

---

(١) والجمع أكرع وأكارع من البقر والغنم والخيل والإبل والحُمر، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٤٥).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣٠.

(٣) الشاكريّة: فرقة عسكرية ظهرت أيام المهدي واستفحل أمرها أيام المستعين، وسموا بذلك لطاعتهم وتأييدهم للخلفاء، (انظر : الجهشياري، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء، ص٣١).

(٤) كان الخليفة العباسي قد اصطنع قوامًا من أهل الحَوف بمصر، واستخدمهم في الجيش وسمّاهم المغاربة، وجمع خلقًا من سمرقند وأشروسنة، وفرغانة وسماهم الفراغنة، فكانوا من أصحابه، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٢).

(٥) السَّوَارقيّة: قرية ابن بكر بين مكة والمدينة وهي نجدية كانت لبني سُليم، يقول عرّام: إنها قرية غَنّاء كبيرة كثيرة الأهل فيها منبر ومسجد وجامع وسوق تأتيها التجار من الأقطار لبني سُليم خاصة، (عرام بن الأصبغ السلّمي، كتاب أسماء جبال تِهامة وجبال مكة والمدينة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣٦).

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣٠.

(٧) فَدَك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسوله ﷺ ففتحها في سنة سبع للهجرة صلحًا، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨).

(٨) ضرية: بلد قديم وقرية عامرة وهي على طول طريق الحاج العراقي، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية، ص٥٩٤).

الفساد نحواً من ألف رجل ممن كانوا يقطعون الطرق وينهبون القرى[١]. وتمكن الواثق من القضاء على أخطار هؤلاء المفسدين الذين زعزعوا الأمن في هذه المناطق، وفي خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) خرج أحد الطالبيين بالحجاز وهو محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله ابن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب، وهو ما اضطر الخليفة إلى إرسال جيشٍ بقيادة أبي السّاج[٢] فظفر بالثوار وخرّب سُوَيْقَة[٣] وعقَرَ بها نخلاً كثيراً وضرب منازل الطالبيين[٤]. فكان من الطبيعي أن تتعرض التجارة إلى عدم الاستقرار لعدم توافر المناخ الملائم لها من الناحية الأمنية وتعرض المزارع والمحلات إلى أضرار كثيرة بسبب أعمال التخريب التي واجهتها تلك المناطق في هذه المحنة.

وفي سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م ثار إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بمكة المكرمة وحاصر أهلها وهو ما أدّى إلى ارتفاع الأسعار لقلة المعروضات في الأسواق، يروي الطبري معاناة أهل مكة، فيقول: "فحصرهم حتى تماوتَ أهلُها جوعاً وعطشاً وبلغ الخبز ثلاث أواقٍ بدرهم، واللحم رطل بأربعة دراهم، وشربة ماء ثلاث دراهم"[٥]. واعتدى على الكعبة وأخذ ما في خزائنها من

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٠.

(٢) أبو السَّاج داود بن دُوست وهو الذي تنتسب إليه الأجناد الساجية ببغداد، (ابن خِلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٤١٥).

(٣) سُوَيْقَة: هي موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٦).

(٤) ياقوت، المصدر السابق، الصفحة نفسها، السّمْهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٣٩؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد٢، المحرم ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص١٨٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٦.

الفضة والذهب، وأخذ من الناس نحواً من مئتي ألف دينار ثم غادر مكة بعدما نهبها، وأحرق بعض منازلها وسار إلى المدينة فحاصر أهلها واستباحها، ولكنه لم يَطُل مقامُه بها إذ عاد إلى مكة وضرب على أهلها الحصار مرة أخرى، ثم خرج إلى جُدّة "فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب"[١].

وعندما زاد خطر هذا الثائر في الحجاز وجّه له الخليفة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) جيشاً ضخماً في مقدمته محمد بن أحمد بن عيسى ابن المنصور المعروف بكعب البقر، إلا أن إسماعيل بن يوسف تُوفّي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م فخلفه أخوه محمد الأُخَيْضِر لكنه هرب إلى اليمامة لسوء سيرة أخيه في أهل الحجاز[٢].

واستغل الأعراب من بني عقيل ضعف الأمن في هذه الأحداث فقطعوا طريق جُدّة المؤدّي إلى مكة سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م وهو ما عطّل تنقل القوافل التجارية؛ لأن هؤلاء الأعراب ترصدوا التجار واعتدوا عليهم وقتلوهم وأخذوا أموالهم، فقد قتلوا منهم ثلاث مئة رجل وقطعوا عنها الميرة فغلت الأسعار، وامتد أذاهم للقرى المجاورة فعاثوا فيها الفساد ونهبوا ما اعترضهم من أموال[٣].

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٩، ص٣٤٥-٣٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦٥-١٦٦؛ وانظر كذلك: السخاوي، التُحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٧٢؛ الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٣؛ ابن حَزم، أبو محمد علي بن أحمد "ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م"، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٦٤؛ أقام الأُخيضر دولة الأُخيضريين في اليمامة متخذًا الخضرمة عاصمة لها، وهي على يوم وليلة من مدينة حجر، وبها بنو سُحيم وبنو ثمامة من حنيفة، ولها حصْن كبير قديم، وفيها سوق يوجد بها صناعات من كل نوع، (ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٧٦؛ وتقع حاليًا في إقليم الخرج وتشمل اليمامة والسِّلْمِيّة والسيح، انظر: عبدالله الشبل، الدولة الأخيضرية، الرياض، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد٦ لعام ١٣٩٦هـ، ص٤٦١).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٦-٣٤٨.

ولم تهدأ ثائرة العلويين[١] فقد وقعت في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٦م فتنة بينهم في المدينة، حيث اختلفوا على من يتولى الأمر فيها، فغلت - بسبب هذه الاضطرابات - الأسعارُ وعمّ الغلاءُ إقْليم الحجاز، وتأثرت التجارة لاختلال الأمن فيه، حتى آل الأمر إلى أبي القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسين ابن زيد العلوي فضبط المدينة وسكّن رَوع أهلها[٢].

ومما هو جدير بالإشارة أن الخلافة العباسية كانت في هذه الحقبة تواجه أزمات ومحنًا طاحنة، بالإضافة إلى تدخّل الأتراك في شؤون الخلافة مباشرة بحيث أصبح الخليفة- بعد مقتل المتوكل- مغلوبًا على أمره وشجّعت هذه الأوضاع العلويين على التحرّك ضد العباسيين وزاد نشاطهم[٣]. وقد ذكر ابن الأثير أنه في هذه الحقبة كان الناس في البلاد التابعة للدولة العباسية جميعها في شدة عظيمة لتغلّب قواد الأجناد وأمرائهم على شؤونها، وانعدام الرقابة وضعف الأمن لانشغال الخليفة بقتال صاحب الزَّنْج[٤].

(١) ثار أهل وادي القُرى على إسحاق بن يوسف الجعفري وهو كان القائم على المدينة وقتلوا عامله فخرج إسحاق إلى وادي القُرى، فمرض ومات فقام بعده أخوه موسى بن محمد، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد وغَلب على المدينة، وقد غلت بها الأسعار فوجّه إلى الجار وضمن للتجار أموالهم، ورفع الجباية، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٥٣).

(٢) ابن الجَوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٣٦.

(٣) ابن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣، ص٥٩٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٠٥، وصاحب الزَّنْج هو محمد بن علي، وادّعى أنه من سلالة الخليفة علي بن أبي طالب، قاد ثورة الزُّنُوج وهي ثورة اجتماعية، وأغلب أتباعه من الرقيق وحاول كسب الفلاحين إلى جانبه والفقراء، واتخذوا مدينة المختارة عاصمة لهم، وتمكن هؤلاء الثوار من بسط نفوذهم على جنوب العراق، وقد نجح الموفق أخو الخليفة المعتمد في القضاء عليهم وعلى ثورتهم بعد مقاومة شديدة من الثوار، (المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٩).

وفي سنة ٢٦٦هـ/٨٧٦م عاد خطر الأعراب إلى مكة فوثبوا "على كسوة الكعبة فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزَّنْج، وأصاب الحاجّ فيها شدةٌ شديدة"(١). واستغل اللصوص وقُطاع الطرق هذا الحال- ولا سيما اضطراب الأوضاع في الحجاز- بسبب فتنة الأشراف التي كانت بين الجعفرية(٢) والعلوية(٣) في المدينة ونواحيها؛ وهو ما شجّع الأعراب المعتدين على استثمار هذه الظروف فنهبوا الأموال وقتلوا الأنفس(٤).

وتعرّضت مكة وجُدَّة للتخريب عندما اعتدى عليها أبو المغيرة المخزومي(٥) في سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م الذي صار إلى "عين مُشاش فعورّها وإلى جُدة فنهب الطعام، وحرق بيوت أهلها، فصار الخبز أوقيتان بدرهم"(٦).

وفي سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م حدثت في مكة المكرمة فتنة بين جيش ابن طولون صاحب مصر وبين عساكر الخليفة العباسي، وقد تمكن هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي والي مكة من قِبَل العباسيين من هزيمتهم فآمن المصريين والجزارين والخياطين وغيرهم وسلم الناس وأموال التجارة(٧).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٥٣.

(٢) نسبة إلى أبي اسحاق بن يوسف الجعفري الذي كان على أمر المدينة ووادي القُرى ونواحيها في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٦م، (الطبري، المصدر السابق، ص٥٥٢).

(٣) نسبة إلى أبي القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ابن عم الحسن بن زيد صاحب طَبَرِستان، وقد غلب أحمد بن محمد بن إسماعيل على المدينة بعد أن هزم الجعفرية وأخذ منهم إمارة المدينة، (الطبري، المصدر السابق نفسه، ص٥٥٣).

(٤) الطبري، المصدر السابق نفسه؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٤٩٩.

(٥) رأس أبو المغيرة المخزومي حركة الخوارج سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م، وللتفصيل عن هذه الحركة انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٠٨.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦١٢؛ ولمزيد من التفصيل انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٧٢، وعين مُشاش تسمى عين نعمان تنبع من أسفل جبل كرا في منتهى وادي نعمان، (انظر : ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢ص٢٣١، ص٣٢٧).

(٧) الطبري، المصدر السابق، ج٩، ص٦٥٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٤٣.

وتعـرضت أمـوال أهل المدينة إلى الابتـزاز سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م عندما دخلها كل من محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فاعتديا على أهلها وقتلا جماعة منهم وأخذا من بعضهم أموالاً، وقد أخافا أهلها فلم يُصلّوا في المسجد النبوي أربع جمع[١]. ومثال آخر هو اعتراض بعض قطاع الطرق قافلة الحج المصري المتجهة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م، فكان فيها من الأموال الطولونية الشيء الكثير "قد وجّه آل ابن طولون والقوّاد المصريون الذين أشخِصوا إلى مدينة السلام، ومَنْ كان في مثل حالهم في حمل مالهم بمصر إلى مدينة السلام، وقد سبكوا آنية الذهب والفضة والحلي نِقَارًا، وحمل إلى مكة ليوافوا به مدينة السلام مع الحاجّ، فحُمِل في القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام، فذهب ذلك كله"[٢].

كان خطر القَرَامِطَة من أشد المحن التي هدّدت الأمن في إقليم الحجاز بصفة خاصة، وفي الجزيرة العربية بصفة عامة، بل إن هؤلاء الغُلاة هدّدوا مركز الخلافة العباسية نفسها ولم تكن قد تنفست الصّعَداء من خطر ثورة الزَّنْج[٣]، حتى أصيبت بنكبة القرامطة التي كانت لها آثار سيئة في الحياة السياسية والاقتصادية، وهو ما حمل الخليفة المكتفِي (٢٩٠-٢٩٥هـ/ ٩٩٩-١٠٠٤م) على تجهيز الجيوش للتصدي لخطر هؤلاء الثوار، حيث زاد أذاهم فكان من أبرز المشكلات التي واجهت التجارة في الجزيرة العربية في

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٥؛ ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٢.

(٣) أصبحت ولاية البصرة وما حولها عرضة لنهب العصابات وقطاع الطرق والثوار الذين أدخلوا الفزع والهلع في قلوب سكان العراق ومن قصدها من النواحي الأخرى . (التنوخّي، أبو علي الحسن بن علي، "ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م"، الفَرَج بعد الشِدّة، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٣م، ج٢، ص١٠٧).

بعض الأوقات، لاعتراضهم القوافل والسفن التجارية وسلبها[١]، ومداهمة المدن الرئيسة وتخريبها، ففي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م توجّه أبو طاهر القُرمطي نحو مكة فهرب أهلها بأهليهم وأموالهم إلى الطائف وغيرها خوفًا منه[٢]. ولم يحُجّ من العراق وخُراسان أحدٌ في الموسمين التاليين ٣١٥هـ/٩٢٧م و٣١٦هـ/٩٢٨م بسبب خوفهم من القرامطة الذين روّعوا السكان وخرّبوا البلاد، حتى وصل أذاهم للكعبة المشرفة[٣] عندما داهمها أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بجيشه سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، وأسرف هو وأصحابه في قتل الحجاج في المسجد الحرام ونهبهم، وهتك حرمة البيت الحرام، وتمكنت هيبة القرامطة من القلوب حتى إن أهل مكة هجروها وهربوا بأنفسهم وأموالهم إلى خارجها[٤].

ويبدو أن القرامطة تمكنوا من الهجوم على مكة لانتهازهم فرصة انشغال الخلافة العباسية في هذا الوقت، بسبب المشكلات التي تواجهها في مركز الخلافة في بغداد بعد أن تغلب على الأمور فيها القواد الأتراك، وما ترتب على منصب أمير الأمراء من نزاع بين هؤلاء القواد، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فقد لقِيَ القرامطة التشجيع من أنصارهم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٤٩-٥٥١.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٨، ص١٦٠.

(٣) في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م قتل أبو طاهر القُرمطي في سكك مكة وظاهرها وشعابها من أهل خُراسان والمغاربة وغيرهم ثلاثين ألفاً، وسَبى من النساء والصّبيان مثل ذلك، وقتل أمير مكة ابن محارب وأخذ أموال الناس وحُلي الكعبة وهتك أستارها ونهب دورها وقلع الحجر الأسود وحمله إلى هَجَرَ. (المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٤٠٨).

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٤٠٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٧-٢٠٨.

الفاطميين الذين حرصوا على بسط نفوذهم على مكة المكرمة لتحسين سمعتهم أمام المسلمين[١].

وفي سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م وقع بمكة قتالٌ شديد بين الحُجّاج المصريين والعراقيين، كانت الغلبة فيه للعراقيين، وخُطِب لمعز الدولة البويهي بعد الخليفة العباسي[٢]. وعادت الفتنة بين المصريين والعراقيين مرة أخرى في موسم ٣٤٣هـ/٩٥٤م بمكة، فجرى بينهم أيضًا خلاف وقتال على الخطبة وقد تفوق العراقيون ومنعوا المصريين من الخطبة والصلاة بمنى في موسم هذا العام[٣]. ولا ريب أن مثل هذه الفتنة تؤثر سلبًا في الحركة التجارية، ويتراجع معها التجار عن مزاولة نشاطهم في الأسواق خشية على أنفسهم وأموالهم.

وعلى الرغم من الاحتياطات والتدابير[٤] التي اتخذتها الدولة العباسية للحدّ من خطر اللصوص وقطاع الطرق في الحجاز وغيره من

(١) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهِمَم، ج١، ص٢٠١، ج٢، ص١١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٧ وما بعدها؛ ولمزيد من المعلومات انظر: جمال سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٣٦؛ الزّيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص٢٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٠٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سليمان مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٠٥.

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٨، ص٥٠٩؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٩٩.

(٤) بذل الخلفاء العباسيون وأصحاب السلطة من الوزراء والأمراء ما في وسعهم لحفظ الأمن ومعاقبة اللصوص وقطاع الطرق، فيذكر ابن الأثير الجهود التي بذلها مؤنس الخادم عندما أوقع بالأعراب من بني شيبان، ومثله فَعَلَ أبو حامد ورقاء بن محمد المعنّي بحفظ الطريق بين العراق والحجاز عندما قاتل الأعراب الذين اعترضوا الحجاج، كما كانت القبائل العربية المجاورة للمدينة، مثل حرب وجُهينة ومُزينة تقوم بخِفارة الطريق المؤدّي للمدينة أو مكة، فكان الخليفة المقتدر يبعث لهم بالأموال مقابل تأمين سلامة الوصول إلى المدينة أو مكة، وعادة ما يعين لكل قافلة من قوافل الحج أميراً يتولى تدبير أمورها ويواجه أي خطر يعترضها، (ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص٨٢١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٩٥، ١٥٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤٠٨).

الأقاليم الأخرى، فإن أذاهم كان يظهر من وقت لآخر، ففي سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م اعترضت بنو سُليم حاجّ مصر والشام، وكانت في قافلة عظيمة، فنهبوها وأخذوا ما كان فيها من الأموال الكثيرة فيذكر ابن الجوزي هذه القافلة بقوله: "وكان فيها من الحجاج والتجار... ومعهم من الأمتعة نحو عشرين ألف حمل وفي الأمتعة من الأموال والورِق ما يكثر مقداره"(١). وقد تعثّر بسبب قُطاع الطرق موسم الحج عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م فلم يحُج أحد من الشام ومصر، وحج نفر قليل من اليمن(٢).

كما عادت الاضطرابات في الحِجاز مع موسم حج عام ٣٦١هـ/٩٧٢م بين أمراء مكة وأمراء المدينة، فبسببها دخلت القرامطة في هذه الأحداث لصالح أمراء مكة فرجَحت كفتهم في هذا النزاع على أمراء المدينة الذين كانوا يميلون للفاطميين في مصر(٣). وفي الوقت نفسِه حدثت فتنة عظيمة في مركز الخلافة العباسية حيث ثار أهل بغداد على الخليفة العباسي المطيع لله وحاولوا الهجوم على داره، وأحدثوا اضطرابات شديدة في البلاد، فنهبوا الأموال، وقتلوا بعض الناس، وأحرقوا الدور، وكانت سوق الكرْخ في جملة ما أحرق وهي أهم المراكز التجارية في العراق(٤). فإذا كان هذا حال الأمن والاستقرار في مركز الخلافة، فمن باب أولى أن يختل في الأقاليم والبلدان البعيدة عن مصدر القوة العسكرية

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٣؛ وانظر كذلك: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٧٤؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٥٢٣.

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤٠٥.

(٣) كانت العلاقات بين الكيانات السياسية التي قامت في الجزيرة العربية على أساس الأطماع الدنيوية والمصالح الشخصية لا العقيدة المذهبية، ولهذا نَلْحظ أن علاقة القرامطة وهم إسماعيليو المذهب لم تكن محمودة مع الفاطمية الإسماعيلية في بعض الأوقات كما هو الحال في هذا النزاع، (انظر: فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، بغداد، مكتبة المثنى، ص٩٢٢).

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦١٩.

ورقابة الدولة الفعالة، وهذا ما يطالعنا في سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، حيث وقع في يوم التروية بمكة المكرمة قتال بين الحنّاطين والجزّارين، حتى خاف الناس على حياتهم وأموالهم، وكاد يتعطل الحج في هذا الموسم بسبب الحالة المتردية مع غياب السلطة المركزية[١].

وقد شجّع ضعف الخلافة العباسية المعزّ الفاطمي على بسط نفوذه على مكة، وسلّط أصحابه في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م لاعتراض الركب العراقي، فقتلوا منهم عددًا غير قليل، وغلب الفاطميون على مكة في هذه السنة، وأقيمت لهم الخُطبة وقُطعت عن بني العباس[٢]. واستمر تأثير الصراع العباسي الفاطمي في الناحية الأمنية في الحِجاز، فلم يحُجّ أحد من العراق وخُراسان في موسم عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م[٣].

فإذا كانت هذه الاضطرابات قد أثّرت في أهم الشعائر الدينية، فمن المؤكد أن يكون تأثيرها السلبي في النشاط التجاري أشد؛ لأنها ستعوّق تحرك القوافل التجارية بين الجزيرة العربية، وغيرها من الجهات الأخرى. بل بين أقاليم الجزيرة نفسها، فقد ضاقت الحِجاز ذرعًا بهذه الاضطرابات، وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي في أحداث سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م عندما قال: "أقيمت الدعوة بمكة والمدينة على رسم المعزّ بعد أن حوصر أهل مكة فمنعوا الميرة[٤] وقاسوا شدة شديدة"[٥].

(١) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٤٩٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤١١.

(٤) الميرة: هي جلب الطعام للبيع، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٤٤.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨١.

وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م تعرض اللصوص للحجاج بمكة المكرمة وسرقوا أموالهم، وقد طلبوا من أمير الموسم باديس بن زيري من قِبل الدولة الفاطمية أن يدفعوا له خمسين ألف درهم مقابل ألا يتعرض لهم أحد، لكنه خدعهم وقبض عليهم، وقطع أيديهم وكان عددهم نيفًا وثلاثين رجلاً(١). وعاد قُطَّاع الطرق في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م فاعترضوا بعض الحجاج حوالي المدينة حتى تعذر عليهم زيارتها، وهو ما حمل الحاج على ترك الذهاب للمدينة لماَ يلزمهم من الخِفارات(٢). ولا ريب أن انصراف الحاجّ عن المدينة قد حرمها السلعَ التجارية التي عادة ما تكون مع التجار المرافقين للحجاج، وفقدت أسواقُها قوة شرائية كانت ذات أثر بارز في تنشيط الحركة التجارية وتبادل البيع والشراء.

ولم تخلُ اليمن في هذه المدة من فتن وثورات أثّرت في التجارة وقتها تأثيرًا سلبيًا، من هذا ما فعله إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م عندما استولى على اليمن وقتل كثيرًا من أهلها وأخذ أموالهم(٣) وخرّب الجَنَد(٤)، ودمّر سدّ الخانق بصَعْدة وتضرّرَت كثيرٌ من مزارعها(٥)، واضطربت في هذا الإقليم الناحية الأمنية حتى تمكن محمد بن

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٩٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٢٧-٢٢٩. والخفيرُ هو المُجيرُ الذي يوفر الحماية للقافلة، انظر: الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر "ت نحو ٦٦٦هـ"، مختار الصحاح، القاهرة، طبع عيسى الحلبي، ١٩٥٠م.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٣١٠؛ وكان هذا الثائر يسمى الجزار لما سفكه من دماء، وورد في بعض الدراسات الحديثة أن هذه الحركة أصابت أحوال اليمن بالاضطراب وأصبحت بلاد اليمن مسرحاً للفوضى والخراب والدمار، انظر: رحمة الزهراني، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، ص١١٢.

(٤) الرّازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص٢١١.

(٥) الرازي، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص٨٤١-٩٤١، ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد التاسع، العدد الأول، الرياض،١٤١٧هـ، ص٣.

زياد (٢٠٤-٢٤٥هـ/٨٢١-٨٥٩م) من إعادته إلى طاعة الدولة العباسية في سنة ٢٠٤هـ/٨٢١م بعد القضاء على حركة تمرد قبائل الأشاعرة وعكّ، والوقوف في وجه ثورات الطالبيين في اليمن[١]. وفي سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٢م تمكن الوالي العباسي على صَنْعَاء عيسى بن يزيد الجلودي من إخماد بعض الثورات هناك، من أبرزها ثورة محمد بن ماهان التي تم القضاء عليها في حينه[٢].

وقامت في اليمن بعد ذلك كيانات سياسية عدة، مثل بني يَعفُر وبني الرسّي، وحاولت هذه الكيانات حفظ الأمن في البلاد إلى حد ما، إلا أنه في سنة ٢٧٠هـ/٨٨٢م اعتدت بعض القبائل اليمنية على بعضها، بعد مقتل محمد بن يَعفُر الحَوالي، وخرّبوا معدن الرضّراض "معدن الفضة"[٣]. كما أن موالي بني يَعفُر الطريفين قويت شوكتهم، فاعتدوا على بعض القرى وفرضوا عليها ضرائب باهظة، حتى إن أحد هؤلاء الموالي وهو إبراهيم بن خلف قام ببيع بعض السكان في سوق النخاسة بمكة[٤]. وفي سنة ٢٨٥هـ/٨٩٧م سار الإمام الهادي يحيى بن الحسين إلى مِخلاف نَجران وخرّب قرية شَوكان وقطع أشجار نخيلها وأعنابها[٥]. وفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م سار أصحاب الإمام الهادي إلى وادي عَلاف في مِخلاف

---

(١) ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص١٤٧؛ وانظر : نصاري فهمي، الدولة الزيادية باليمن، ص٦٧-٦٩، وكذلك التمهيد من هذا الكتاب.

(٢) تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص٢٥.

(٣) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، ص٩٠، وانظر التمهيد من هذا الكتاب.

(٤) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص١٧٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٤.

(٥) يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص١٧٠.

صَعْدَة فقطعوا أعنابهم ودمّروا منازلهم[١]. وقام زعيم القرامطة علي بن الفضل[٢] بالاعتداء على مدينة صَنْعَاء سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م فأجلى أهلها ونهب أموالهم، وقد ذكر الرّازي أنّ صَنْعَاء قبل خرابها كانت تضم مئة وعشرين ألف دارٍ، وأن هذه المنازل كانت رفيعة البنيان حتى بيع بعضها بمبلغ خمسين ألف دينار[٣].

ولم يقتصر أذى القرامطة على صَنْعَاء فحسب بل تعدوها إلى مناطق كثيرة من اليمن، وقصدوا زبيد واستباحوها واعتدوا على طرق الحج بين اليمن والحجاز فأخذوا ما كان مع الحجاج من أموال، ودمّروا مدينة مَنْكِث[٤]. وزاد نشاطهم الحربي وقويت شوكتهم حتى تحقق لهم قسطٌ كبيرٌ من النجاح وبسطوا نفوذهم على معظم أقاليم اليمن وتغلّبوا على كثير من أمرائها المحليين[٥].

وكان من الطبيعي أن يترتب على كثرة الاضطرابات السياسية هذه انعدام الأمن، فيزيد تبعًا لذلك عبث اللصوص وقُطاع الطرق واعتداؤهم

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٥.

(٢) علي بن الفضل، بدأ حياته السياسية الأولى داعية للدعوة الإسماعيلية في اليمن وهو يتمتع بصفات حسنة كالذكاء وفصاحة اللسان والأدب والشجاعة، ثم بدأ يدعو لنفسه وسيطر على الأقاليم الجنوبية في غياب السلطة المركزية في اليمن وتدهور الأوضاع السياسية بها آنذاك، الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص٢١.

(٣) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١١-١١٢.

(٤) مَنْكِث: كانت مدينة عامرة إلى القرن الثامن الهجري، وهي تقع شرقي وادي يحصب بين ربوات تقوم منها مقام السور، وتبعد عن مدينة يريم جنوباً بمسافة عشرين كيلاً تقريباً، الهَمْداني، صِفة جزيرة العرب، ص٧٩، هامش رقم٤.

(٥) ذكر الكِندي أن ابن الفضل لما صار إلى المُذَيْخِرة أمر بقطع الطرق ولا سيما طريق الحج، السلوك، ص٢٣٨-٢٤٠؛ وانظر أيضاً: الجزيري، الدرر الفرائد المنتظمة، ص٥٠٤؛ بيوتر وفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة/ القرن الرابع حتى العاشر الميلادي، تعريب محمد الشعيبي، بيروت، دار العودة، ١٩٨٧م، ص٢٧٥.

على القوافل التجارية كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، ويبدو أنه استمر تأثيرُهم في النشاط التجاري في بعض مناطق اليمن إلى ما بعد فترة هذه الدراسة. يؤيد ذلك ما رواه الرحالة الفارسي ناصر خسرو عندما ذكر أن اللصوص يكثرون في القسم الشرقي من اليمن وأغلبهم سفاك دماء وهم كثير(١).

وتعرضت عُمان لبعض الاضطرابات والفتن الداخلية مثل النزاعات القَبلية سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م التي حدثت بين قبائل النّزارية واليَمانية(٢). وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م اعتدت القرامطة على عُمان وتمكنوا من بسط نفوذهم عليها(٣). ثم سادت البلادَ فوضى في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م وتردد ولاة القرامطة عليها من وقت لآخر، حتى استطاع الخوارج بزعامة قبائل الأزد بسط نفوذهم عليها سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م. فهذه الاضطرابات السياسية - بدون شك - كان لها تأثيرها في ضعف التجارة، ويتجلّى ذلك في الخسارة الكبيرة التي تعرض لها التاجر العُماني الذي يُدّعى النوكاني، وكان صاحب ثروة كبيرة وقد قُتل في أثناء هذه الأحداث وصودرت جميع أمواله وتحفه وجواريه(٤).

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢٥.

(٢) السالمي، تحفة الأعيان، ج١، ص٢٠٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٩؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص١٩٨؛ وانظر التمهيد من هذا البحث، ص ٣٧-٤٣.

(٤) النوكاني كان صاحب ثروة عظيمة، فقرر أهل عُمان اختياره ليكون حاكماً عليهم بعد أحداث سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م، ولكن تبين لهم أنه لا يصلح فعزلوه واتهموه بالتواطؤ مع البويهيين حكام العراق، (التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٣٤٧-٣٤٨؛ ولمزيد من المعلومات انظر : المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص١٤٧، ٣١٣).

كما تأثرت بعض مدن البحرين عندما هاجمها القرامطة في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي مثل مدينة هَجَر[١] والقَطِيف[٢] ويَبْرِين[٣] وهو ما أدى إلى تشريد عدد من سكانها وقتلِ آخرين[٤]. يذكر البكري: "أن أبا سعيد الجنابي دخل هجر سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م بعد حصار أربع سنين، فمات منهم خلق كثير وقتل منهم القُرمطي ثلاث مئة ألف"[٥]. وعلى الرغم من احتمال المبالغة في هذا الرقم إلا أنه يتبيّن مدى الأضرار التي لحقت النشاط الاقتصادي بوجه عام والتجارة بوجه خاص. كذلك تعرضت قرية يَبْرِين للخراب في هذه الأحداث حيث أباد القرامطةُ أهلَهَا، وكانت عامرةً كثيرةَ النخلِ وافرة الزرع، فلقي الناسُ من ذلك ضيقًا شديدًا[٦]. وقد شجع ضعف الأمن في بعض الأحيان اللصوص وقطاع الطرق على النهب والسلب، ففي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م امتد خطر محمد بن حسين بن حماد الأُصيفر إلى الأحساء والقطيف، فامتنعت عليه الأولى ولكنه استطاع أن يأخذ ما كان في الثانية من عبيد وأموال ومواشٍ وسار بها إلى البصرة[٧].

---

(١) هَجَر: قصبة البحرين، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٣).

(٢) القَطِيف: مدينة بالبحرين من أعظم مدنها، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٨).

(٣) يَبْرِين: من أصقاع البحرين به منبر وهناك الرمل الموصوف بالكثرة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٧).

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٦٥، وانظر: عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، ج١، ص٣٨١.

(٥) البكري، جزيرة العرب، ص٤٦.

(٦) شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن طالب "ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م"، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص٢٨٧؛ وانظر لمزيد من التفصيل، عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، ج١، ص١٨٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٥٩.

وتعرضت بلاد اليمامة في سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م لاعتداء الأعراب من بني نُمير، فعاثوا فيها الفساد، وروعوا الناس بها وما جاورها، فأمر الخليفة الواثق[١] قائده بُغا الكبير لمقاتلتهم، وشخص إليهم، فكانت الغلبة لبني نُمير في الوهلة الأولى وكادوا يقضون على جيش الخليفة وتطاولوا على أهلها فنهبوا الأموال وعقروا الدواب وقطعوا السبيل، فعم أذاهم اليمامة. وعندما انشغل بنو نُمير بالنهب والسلب جمع بُغا الكبير من انكشف من أصحابه وكر عليهم وهزمهم وأقام على موضعٍ ماء يقالُ له بَطْن السِّرّ[٢] من أرض اليمامة[٣].

وعندما استولى بنو الأُخيضِر على اليمامة سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م أساؤوا السيرة وهو ما حمل بعض القبائل على الهجرة إلى مصر وشمالي السودان خاصة وادي العَلاقي حيث مناجم الذهب[٤]. كما هاجر قسم من أهل اليمامة إلى البصرة؛ لأن الأُخيضَريين غيروا نظام جباية الضرائب على الأرض، وأخذوا بنظام المقاسمة بدلاً من نظام المساحة[٥] فلم يجد هذا

---

(١) الواثق بالله هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد رومية، تسمى قراطيس، تولى الخلافة بعد وفاة والده سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م وتوفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٩م، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٢٥، ج٧، ص٣٥).

(٢) بَطْن السِّرّ، هو واد بين هَجَر ونَجْد ذكره جرير في قوله:

أَسْتَقبَلَ الحيُّ بطنَ السِّرّ أم عَسَفوا   فالقلبُ فيهم رهينٌ أينما انصرفوا

انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٦-١٤٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٨؛ المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة، المطبعة المحمودية، ١٣٥٩هـ، ص٤٢-٤٣.

(٥) في عهد الخليفة العباسي المهدي تم تطبيق نظام المقاسمة بدلاً من نظام المساحة الذي كان معمولاً به منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تحصيل الخَراج على الأراضي الزراعية، وقد نص نظام المقاسمة على أن يؤخذ النصف على الأراضي التي تسقى سيحاً، والثلث على الأراضي التي تُسقى بالدوالي، والربع على تلك التي تُسقى بالدواليب ولا شيء عليهم سوى ذلك، (الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد "ت٤٥٠هـ"، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، مكتبة البابلي، =

الأسلوب القبول لدى بعض أهل اليمامة، وهو ما جعلهم يهاجرون إلى خارج البلاد، ويقول ابنُ حَوقل عن هذه الهجرة: "فلما نزل عليها بنو الأُخيضَر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر، فسكنوا بين النيل وبحر القُلْزُم وابتنوا بها غَيرَ منبر كالمُحْدَثَة التي بظاهر أُسْوَان، وكالعَلاقِي، وهو المنهل يجتاز به الحجيج إلى عَيْذَاب وهم أهلُ معدنِ الذهب"[١]. ولا ريب أن هجرة العمال وأصحاب الأملاك كان له أثره السلبي في النشاط الزراعي والصناعي وانعكس ذلك من ثَمَّ على النشاط التجاري.

وعاد خطر اللصوص وقطاع الطرق من وقت لآخر، ويتجلى ذلك فيما حدث سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م عندما اعترضت الأعراب قوافل التجار والحجاج فقطعوا عليهم الطريق بين تُوْز[٢] وسُمِيراء[٣] "فسلبوهم واستاقوا نحوًا من خمسة آلاف بعيرٍ بأحْمالها وأُناسًا كثيرين"[٤].

وفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م جمعت قبيلة طيء كثيرًا من رجالها واعترضوا الركب العراقي عند رجوعهم من مكة ليأخذوا ما معهم من أموال وأمتعة

= ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص١٦٨؛ ضيف الله الزهراني، موارد بيت المال في الدولة العباسية، مكة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٤٧).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٨؛ وفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م هاجر أهل قُرّان إلى البصرة، (القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٦٠)؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الزراعة في اليمامة في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد٤، ١٤٠٤هـ، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) تُوز: بالضم ثم السكون، منزل في طريق الحاج بعد فَيد للقاصد إلى الحِجاز ودون سميراء، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٨).

(٣) سُمِيراء، منزل بطريق مكة بعد تُوز مصعِداً وقبل الحاجر، حول جبال وآكامٍ سُود، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٥).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦١٣؛ وقد أشار ابن الأثير إلى هذه الحادثة، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٩٦.

فرصدوا لهم بالمعدن[١]، وقاتلوهم هناك يومين[٢]. ومن الملحوظ حرص اللصوص وقُطاع الطرق على مراقبة الطرق البرية التي تربط الجزيرة العربية بالعراق؛ لأن هذه الطرق لا تنتهي في العراق فحسب، وإنما عادةً ما يكون قدوم كثير من حجاج خُراسان وفارس وبلاد ما وراء النهر وتجارِها عبر طرقٍ عدة إلى البصرة والكوفة، ومن ثم يواصلون رحلتهم إلى المدن الحجازية، وفي حالة اعتراض اللصوص وقطاع الطرق سبيلهم يجدون معهم مغانم كثيرة، ولهذا السبب نجد أكثر حوادث النهب والسلب على هذه الطرق.

ولم يقتصر خطر القرامطة على شرقي الجزيرة العربية فحسب بل امتد إلى كثير من أقاليمها، ففي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م اعتدى القرامطة على أجزاء من أرض نجد[٣] الغربية والشمالية حيث مسار طريق الحاج العراقي، فقام زكرويه القُرمطي وجماعته بطمّ الآبار والبِرَك بالجيف وغيرها في طريق الحاج بواقِصَة[٤] والعَقَبَة[٥] والثَّعْلَبِيَّة[٦] ومعظم مناهل المياه الواقعة بين مكة والكوفة، كما روعوا الحجاج والتجار، ونهبوا أموالهم، وكان جملة ما أخذوه في هذه السنة ألف ألف دينار، وهلك من الحاج

---

(١) المعدِن: موضع يقال له معدِن النَّقرة، وهو من منازل حاج الكوفة، وبينه وبين سُميراء ٧٦ ميلاً وبينه وبين معدِن بني سُليم ١١ ميلاً، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٧، ١٢٨، ١٣١؛ حمد الجاسر، المعادن القديمة، مجلة العرب، ج١١، لعام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٩٨٥).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٨؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٥٤-٣٥٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٥٠٢.

(٣) ذكر صالح الوشمي أعمال ولاية اليمامة في العصور الإسلامية الأولى فقال: "جعلت نجد كلها من عملها"، ولاية اليمامة، ص٣٢.

(٤) واقِصَة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقيل العقبة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٣، ٣٥٤).

(٥) العَقَبَة: منزل في الطريق بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٤).

(٦) الثَّعْلَبِيَّة: منزل من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشُقُوق وقبل الخُزَيمة وهي ثلثا الطريق وأسفل منها منزل يقال له الضُّوَيجعَة على ميل منها، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٨-٧٩).

خلقٌ كثيرٌ فوقع البكاء والنّواح في البلدان الإسلامية التي تخدمها هذه الطريق[١].

وفي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م خرجت الأعراب من الحَاجِر[٢] على الحاجّ فقطعوا عليهم الطريق وأخذوا ما معهم من الأموال والدواب ومات منهم خلقٌ كثير إما قتلاً وإما عطشًا[٣]. وفي السنة نفسها نهب بنو شيبان أموالاً لا تحصى من التجار استنقذها مؤنس الخادم[٤].

وكذلك فعل أبو حامد ورقاءُ بن محمد سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م عندما قاتل الأعراب الذين اعترضوا الحجاج في عودتهم من الحج في الثَّعْلبيَّة، ويبدو أن الخلافة العباسية لم تأل جهدًا في رعاية أمن الطريق وحمايتها وتعقب أولئك العابثين ما أمكنها ذلك، ولكن نشاط القرامطة التخريبي عاد في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م عندما اعترض أبو طاهر سليمان بن حسن القرمطي قافلة الحجاج العائدة من مكة بالهُجَيرة[٥] فأوقع بهم وقاتلهم ونهب أموالهم وأمتعتهم، وذكر ابن الجوزي أنّ الأموال التي أخذها أبو طاهر من هذه القافلة تقدر بألف ألف دينار خلاف الأمتعة والطّيب[٦]. وفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م اعترض القرامطة الحجاج في موسم هذا العام ووضعوا على

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٢٠-١٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٩؛ وانظر أيضاً: الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٥٠٣.

(٢) الحَاجِر: موضع في ديار بني تميم ، ومنازل بني فَزارة بين النّقرة والحَاجِر، (الحمْيري، الروض المِعْطار، ص١٨٨).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٩٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٢٨.

(٥) الهُجَيرة: أرض رمل زرود في طريق مكة الكوفة كانت عندها وقعة القرامطة بالحجاج، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طريق الحج، ص٢٩٠).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤٧.

الحاج العراقي قطيعة أخذوها منهم وذلك مقابل تمكينهم من السير إلى مكة لأداء فريضة الحج[١]، وفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م اعتدى القرامطة على اليمامة وتعرضت البلاد لمحنة شديدة بسبب خطرهم[٢].

ثم عاودوا سيطرتهم في سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م حيث أخذوا المكوسَ عن كل جمل خمسة دنانير وعن المحمل سبعة دنانير، فكانت أول سنة يؤخذ فيها مكس على الحجاج[٣].

ولم يكن القرامطة وحدهم مصدر الخطر الذي يتهدد قوافل الحج والتجار، ففي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م اعترض بنو هلال الركب العراقي وقتلوا خلقًا كثيرًا وأخذوا ما كان معهم من الأموال والأمتعة وفتنوهم عن الحج[٤]. وفي سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م قام الفرج بن دِعْبل المعروف بابن الجراح الطائي باعتراض الحاج العراقي في عَقبة وَاقصة[٥] بعد عودتهم من مكة، فحاصرهم حتى صالحوه على مال، كما أنه عاود اعتراضهم في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م فقد وافاهم بسُميراء، وفَيْد، ونازلهم فصالحوه على ثلاث مئة ألف دِرهم وشيء من الثياب وأخلى سبيلهم[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٨٨؛ ولمزيد المعلومات انظر : صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص١٧٣ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٩٦؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٨٧؛ وذكر النويري أن القاضي أبا علي بن أبي هُريرة الشافعي خرج في هذه السنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) قاصداً الحج فلما طولب بالخفارة لوى راحلته ورجع وقال: لم أرجع شحاً على الدراهم، ولكن سقط الحج بهذا المكس، (نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٥١)؛ وكان الحج قد توقف من سنة سبع عشرة وثلاث مئة من العراق إلى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة من الهجرة بسبب خطر القرامطة، (ابن الجوزي، المصدر السابق).

(٤) الفَاسي، تقي الدين محمد "ت٨٣٢هـ"، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٢٢١.

(٥) واقِصة: بكسر القاف، هي منزل بطريق مكة بعد القَرعاء نحو مكة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٣-٣٥٤).

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٩؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ص٥٢٩.

وفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م قام الأُصيفر بمهاجمة الحاج العراقيّ بين زُبَالة(١) والثَّعْلَبِيَّة فمنعهم من الذهاب إلى الحجاز إلا بعد أن دفعوا له رسم سنتين، ويبدو أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى مكة في هذه السنة، إلا أنهم عادوا فحجوا سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م بعد أن دفعوا للأُصيفر تسعة آلاف دينار من وجوه القوافل الخُراسانية عِوضًا عما كان يأخذه من الحاج(٢).

على أن عبث الأُصيفر أصبح يعوق الحركة التجارية في هذه الجهة بين آونة وأخرى، فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م أنه اعترض قوافل الحجاج ومن معهم من التجار فحاصرهم في البِطان(٣) وحاول نهبهم ولكنه صفح عنهم، وأخلى سبيلهم، ولم يأخذ شيئًا من أموالهم التي كانت تزيد على ألف ألف دينار(٤). وفي سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م قطع ابنُ الجراح الطائي(٥) الطريق على حاج العراق وألزمهم بدفع تسعة آلاف دينار مضافة إلى ما يدفعونه من رسومٍ للأصيفر(٦)، وقد أعاق الحاج عن أداء الفريضة في موسم الحج سنة ٣٩٧-٣٩٩هـ/١٠٠٦- ١٠٠٨م فعادت قوافل الحجاج ومن معهم من التجار إلى العراق دون الوصول إلى الحجاز لعدم

---

(١) زُبَالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين وَاقِصة والثَّعْلبيَّة، وهي بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٩).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٧٤-١٧٨.

(٣) البِطان، ويذكره ابن رستة باسم (البطانية) وهو منزل بطريق الكوفة مكة، وهو بعد الشقوق من جهة مكة دون الثَّعلَبيَّة، وهو لبني ناشرة من بني أسد، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر: سعد الراشد، درب زبيدة، ص١٦٩).

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٢٧.

(٥) هو الفرج بن دِعْبل المعروف بابن الجرّاح الطائي من قُطاع الطرق المشهورين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٩).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٢٧؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤٣٣.

استطاعتهم مواجهة أخطار قطاع الطرق وطلباتهم[١]. وإذا ما حاول المرء أن يتبين الفترات الزمنية التي تأثر فيها الحج سلبيًا يجد أن ذروة ذلك كانت في الربع الثالث من القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن الرابع الهجري وهذا ما كشف عنه البيان رقم (١)، وهذا الاستنتاج يتوافق مع فترات الاضطراب السياسي في الحجاز مصاحبًا لعجز الخلافة المركزية عن حسم أموره[٢].

ولم تسلم الطرق البحرية المحلية والخارجية المتصلة بالجزيرة العربية كذلك من أذى هؤلاء اللصوص العابثين بأمن القوافل التجارية، فكانوا يتجمعون في المناطق الساحلية يؤيد ذلك ما أشار إليه ابن خرداذبة عندما قال : "إن أهل الخشبات بالبحرين لصوص يقطعون على المراكب ولا زرع لهم"[٣]. ويذكر سليمان التاجر كذلك بأن في جزيرة مَلَّجَان الواقعة بين سَرَنْديب[٤] وكَلاه[٥]، وفي أطراف بلاد الهند لصوص من السودان عراة كانوا يشكّلون خطرًا على التجار وعلى أموالهم فلا يسلم أحد منهم فإذا وقع في قبضتهم قتلوه وأخذوا ماله[٦]. فمثل هؤلاء اللصوص عاقوا عبور السفن والمراكب التي تحمل البضائع من سواحل الجزيرة العربية وإليها، ولا ريب أن قطع الطرق يؤدي إلى إحجام التجار عن ارتياد المناطق

---

(١) ابن الجوزي، المصدر السابق.

(٢) انظر البيان رقم (١) الوارد في العوامل الإيجابية من هذا الكتاب.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠.

(٤) سَرَنْديب: أحد أسماء جزيرة سيلان، وهي جزيرة كبيرة مشهورة في المحيط الهندي، وتكثر بها أنواع اليواقيت وصنوف العطر مثل العود والأفاويه، (سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص١٠٦، ١٠٧).

(٥) كَلاه: بالفتح بلد في أقصى الهند يُجلَب منه العود، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٥).

(٦) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٧-٣٩.

غير الآمنة نظرًا لخوفهم من خطر اللصوص وقطاع الطرق، وليس من اليسير أن يعرض أهل الثروات أموالهم للنهب والسلب فيتعذر على أصحابها المغامرة بأنفسهم وثرواتهم في المناطق التي يعترضها العابثون بأمنها.

من التأثيرات السيئة للفتن والثورات السياسية فرض المكوس من قِبل السلطات المنتزية على التجار في كثير من الأحيان، وهذه الضرائب أو المُكُوس تعرف بالعشور، فكان التجار يتعرضون للتفتيش الدقيق(١). وهذا ما دأب عليه أصحاب النفوذ في بعض المناطق، فكان حكام عدن آنذاك يمارسون التعسف مع أصحاب القوافل التجارية البحرية الواردة لبلدهم، فكانوا يفتشون السفن التي ترسو في ميناء عدن قبل أن تُفرِغ حمولتَها، ويتعرض التجار أنفسهم للتفتيش قبل نزولهم من السفن ويخضع لذلك حتى النساء المرافقات للتجار القادمين ويقول المقدسي: "إن عمال الحكام يُقوِّمون الأمتعة،"يؤخذ عشرها عَثرية، وقدروا أنه يصل إلى خزانة السلطان ثلث أموال التجار، وثم تفتيش صعب"(٢).

وكانت هذه الضرائب تشكّل دخلاً كبيرًا لحاكم عدن، يقول عمارة : "رأيت ارتفاع أعمال أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م من الدنانير ألف ألف عَثرية خارجًا عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعداد المختلفة والمسك والكافور والصيني والصندل وخارجًا

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٤؛ وانظر أيضاً: بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٥٨، ٦٧-٦٨. والنقود العَثرية نسبة إلى بلدة عَثر، حيث سكت بها النقود، وبين عَثر ومكة عشرة أيام، وهي تعد في أعمال زبيد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٨٥).

عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب، وعَدَن وأَبْيَن والشِّحْر وغير ذلك"[١].

ومن هنا يتضح لنا أن مثل هذه الضرائب كانت مثبطة للتجارة وأنها حدت من تنقل التجار والسلع.

وهناك عوامل أثرت سلبيًا في تجارة الجزيرة العربية بشكل غير مباشر، وخاصة التجارة الخارجية، مثل ثورة الزَّنْج التي أصابت أهل البصرة بالذات وأصحاب السفن التجارية بأذى كبير ونهب للأموال عظيم وإزهاق للأنفس[٢]. فقد ذكر صاحب الفخري أنه بلغ قتلاهم ألفي ألف وخمس مئة ألف قتيل[٣]. وعلى الرغم مما في هذا العدد من مبالغة، إلا أنه يصور الآثار الناجمة عن تلك الثورة، وخير دليل على هذا التأثير الاقتصادي ما يشير إليه ابن الأثير في أحداث سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م من أن الزنج استولوا في ميناء البصرة على (١٩٠٠) سفينة، وكان بها قوم من الحجاج والتجار، كما استولوا على مئتي سفينة أخرى كانت تحمل دقيقًا ونهبوا ما عليها[٤].

وثمة فتنةٌ أخرى وقعت في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م إذ دمر العيارون[٥] سوق

---

(١) عِمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٦ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٢٤-٢٢٦، ٢٣٦، أقلقت هذه الثورة الخلافة العباسية وأشغلتها زهاء خمس عشرة سنة خلال المدة من ٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م.

(٣) ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن الطِقَطَقي "ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م"، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، دار صادر، ص١٨٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢١١، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٢٦، ٣٣٦.

(٥) العيارون والشطار: فئة مطحونة جمعت بين الصعلكة والدروشة، ظهرت فيما بين القرن الثاني الهجري وأواسط القرن السابع الهجري، في فارس والعراق وشمالي الأردن، (محمد أحمد عبدالمولى، العيارون والشطار، ص٣٥).

بغداد وشبوا فيها الحريق فاحترقت وما يليها، فأهلكوا أشياء كثيرة من أموال الناس وأثّروا في الحركة التجارية لما لحق التجار من أضرار، وغلبوا على أسواق العراق وأخذوا الخفائر عنها وعن الدروب وزاد خطرهم في سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م عندما ضيقوا الحصار على بغداد ووقعت بينهم وبين السلطة الرسمية حروب وامتد أذاهم إلى البصرة وأخذوا الأموال وباتوا يشكّلون خطرًا على ثروات الناس لتسلّطهم على الأسواق والدّروب[١]. بشكل منتظم فيما بين العراق والعالم الخارجي، وقد أشار ابن الجوزي في أحداث سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م إلى استفحال خطرهم في البصرة وأنهم طالبوا بضرائب الأمتعة، وكانوا ينزلون إلى السفن في عُرض البحر ويأخذون منها الضرائب[٢]. كما أنهم غلبوا على الأمور في أسواق بغداد وأخذوا الخِفارة عليها وصارت المكوس والإتاوة تؤدّى إليهم وقد غدت أسواق العراق مرتعًا لهؤلاء اللصوص[٣].

وفي سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م وقعت فتنة بين الفاطميين وأهل دمشق، حيث خربت المنازل، وانقطعت المواد، وسدت المسالك، فبطل البيع والشراء وهلك كثير من الناس في الطرقات من الجوع والبرد[٤].

ومن الثورات خارج الجزيرة التي أثّرت في تجارتها الخارجية تلك

---

(١) ابن تَغْري بَرْدي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الظاهري "ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م"، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦م، ج٤، ص١٠٤؛ أبو حيان، علي بن محمد بن عباس التوحيدي "ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م"، الإمتاع والمؤانسة، بيروت، منشورات مكتبة دار الحياة ، ج٣، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٧٥.

(٣) أبو حيان التوحيدي، المصدر السابق، ص١٦٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٤٢-٦٦٠.

الاضطرابات التي وقعت في جنوبي الصين في المدة من ٢٦١-٢٧٦هـ/ ٨٧٤-٨٨٩م، فتعرضت التجارة بصفة عامة وتجار الجزيرة العربية بصفة خاصة إلى أخطار هذه الأحداث، وشاهد ذلك ما أشار إليه أبو زيد السّيرافي في قوله: "وامتدت يد حكام الصين إلى من قصدهم من التجار من نواخذة العرب وأرباب المراكب فألزموا التجار ما لا يجب عليهم وغلبوهم على الأموال واستجازوا ما لم يجز الرسم به قديمًا في شيء من أفعالهم فنزع الله - جَلّ ذكرُه - البركات منهم جميعًا، ومنع البحر جانبه، ووقع الفناء بالمقدار الجاري من المدبر - تبارك اسمه - في الربابنة والأدلاء بسيراف وعُمان"(١).

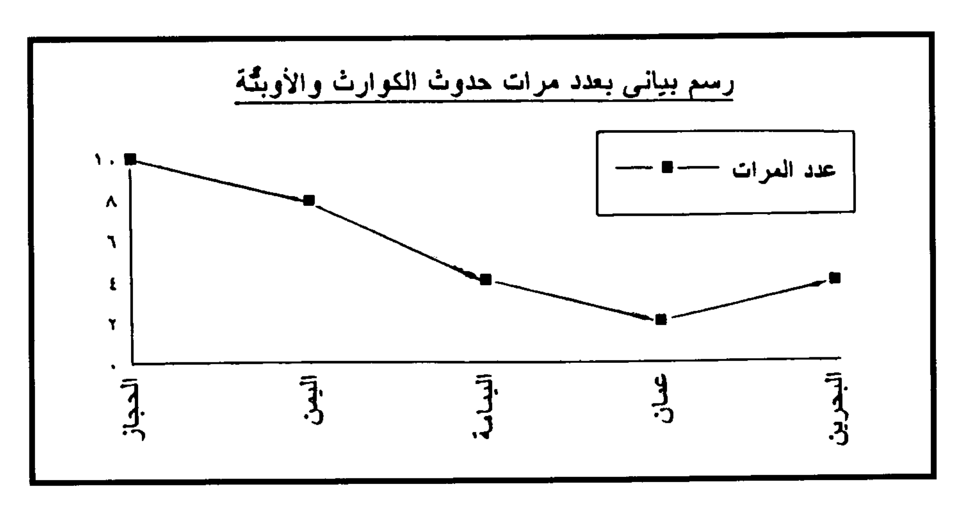
ومن هنا يتجلى لنا أن عدم الاستقرار في مناطق المراكز التجارية كان ذا علاقة بالجزيرة العربية وأنه أثر تأثيرًا سلبيًا في التجارة وحركة القوافل التجارية فربما تعرضت الأموال المستخدمة في التجارة إلى الكساد أو النهب وخلافه.

٢ - الكوارث والأوبئة :

ومن العوامل المؤثرة سلبيًا في النشاط التجاري في الجزيرة العربية بعض الظواهر الطبيعية، مثل السيول والزلازل، والجفاف.... إلخ يوضحها الرسم البياني رقم (٣) :

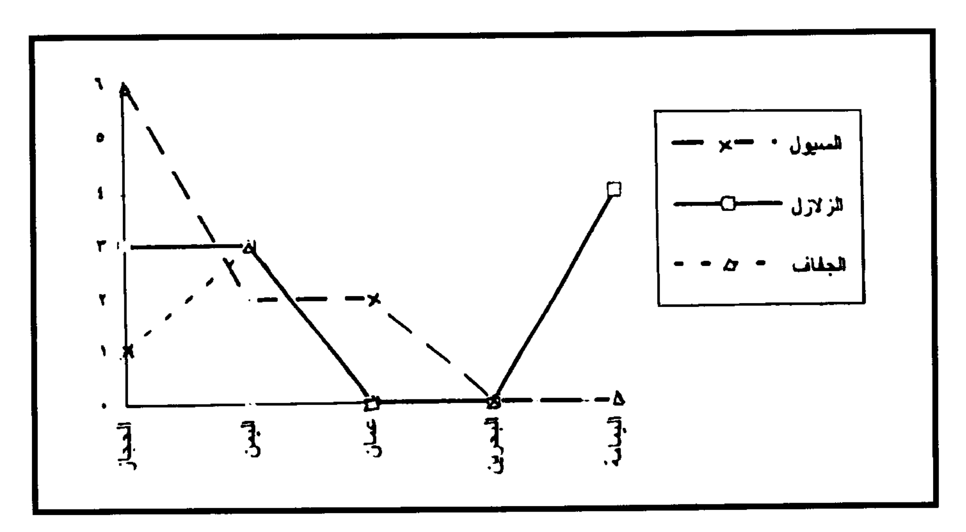
---

(١) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ج٢، ص٦١-٦٢، ولمزيد من المعلومات انظر: بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص١٣٣-١٣٤؛ سيدة كاشف، علاقات الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الأول، ١٩٧٥م، ص٦١.



بيان رقم (٣)

من الرسم البياني هذا عن الكوارث والأوبئة يظهر أن الحجاز نال القسط الأكبر من هذه المؤثرات السلبية يليه اليمن ثم اليمامة والبحرين وأخيرًا عُمان. ولكن الصورة التفصيلية التي يمكن استخلاصها من تأثير السيول والزلازل والجفاف تعطي صورة مختلفة. وهذا ما يتضح من الرسم البياني الآتي رقم (٤):



بيان رقم (٤)

وهذا البيان يوضح أن الحجاز كان أكثر تأثرًا بالسيول من سائر المناطق ويليه بصورة أقل اليمن وعُمان، ويكاد ينعدم التأثير السلبي في البحرين واليمامة. في حين تأثرت اليمن تأثرًا بالغًا بالزلازل، وبصورة أخف تضرّرت الحجاز، ولا نجد ذكرًا لهذا العامل في عُمان والبحرين واليمامة.

أما الجفاف فيُلحظ تأثيره الكبير في اليمامة فالحجاز ثم اليمن، ولا نجد ذكرًا لذلك في البحرين وعُمان، ويلحظ أن مجموع الحالات التي ذُكرت عن هذه النسبة كانت ضئيلة، وأن تأثيرها لم يكن بالغًا إلا في المنطقة التي وقعت فيها وفي السنة التي حدثت فيها، وهذا ما يتضح من تتبع هذه الحالات في كل منطقة وفقًا لحدوثها الزمني. فمثلاً داهم مكة في سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م سيل عظيم ملأ الوادي ودخل الحرم وأحاط بالكعبة المشرّفة، حتى رفع المقام من مكانه وهدم الدور وخرّب طرقاتها ومتاجرَها وقتل الأنفس، وأصاب الناس بعده وباء شديد مات منه كثير من سكانها ومواشيها[١]. ويقال له سيل ابن حنظلة[٢]. وفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م جاء مكة سيلٌ عظيمٌ والناس غافلون، وذهب بناس كثيرين، خاصة العُمّار من أهل خُراسان، وفقد التجار كثيرًا من أمتعتهم وبضائعهم عندما دمّر ما في السوق من صناديق[٣]. ثم لم يرد بعد ذلك ذكر

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق رشدي ملِحس، طبعة دار الأندلس، ج٢، ص١٧٠؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد ٢، ١٤٠٤هـ، ص١٩٠.

(٢) ابن حنظلة، هو زيد بن محمد بن حنظلة كان في هذه المدة أميراً على مكة، الفاكهي، (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة، مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣، ص١٩٠).

(٣) الفاكهي، المصدر السابق، ج٣، ص١١٠؛ الفاسي، العِقد الثّمين، ج٥، ص٣٠٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢٨٢.

عن سيل بمكة محدثًا أضرارًا في التجارة إلا في سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م عندما داهمها سيل "ورمى بالدور أسفل مكة، وذهب بأمتعة الناس وخرب منازلهم"(١).

ومثله ما حدث في سني ٢٦٣هـ/٨٧٦م، ٢٨١هـ/٨٩٤م، ٢٩٧هـ/٩٠٩م وفي كلٍّ دخل الحرام وأثر في المناطق التجارية المحيطة به(٢).

وكان تأثير السيول الجارفة في اليمن عظيمًا فمن هذا ما وقع في صَنْعَاء سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م عندما هطلت الأمطار الغزيرة عليها وحصل منها سيل عظيم يُعرف بسيل يَعمد(٣) أضرّ بالمزارع ودمّر الطرقَ وشرّد الناس واحتمل أموالاً لا تحصى يقول عنه الكندي: "خرب فيها دورًا كثيرة واحتمل أموالاً وعالمًا لا تكاد تحصى"(٤). وذكر الهَمْداني في سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م سقوط أمطار شديدة على صَنْعَاء نتج عنها خسائر بشرية ومادية كبيرة، فقد بلغت الدور التي خَربت يومئذ ستة آلاف دار فأهلَك الناس وأتلف الأموال(٥). فقد كان الناس في اليمن يواجهون بعض الصعوبات بسبب السيول الجارفة بحكم طبيعة أرضهم الجبلية(٦).

وفي سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م وسنة ٢٥١هـ/٨٦٥م سقطت الأمطار على عُمان بغزارة، وهو ما أدى إلى تعرّضها للسيول الجارفة التي جرفت التربة وأغرقت

---

(١) الفاكهي، المصدر السابق، ص١١١؛ ولمزيد من المعلومات انظر: ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣١.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٣) يعمد: قرية وجبل جنوب قرية حزيز جنوب صنعاء، الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤) الكندي، المصدر السابق، ص٢٢٩-٢٣٠، ويذكر أنه ثاني سيل في الإسلام.

(٥) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٨٦.

(٦) عبدالله السيف، الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٤.

المزارع، ودمرت طرق المواصلات وتسببت أيضًا في وفاة كثير من الناس، فعن هذه السيول يقول السالمي: "حيث بلغ السيل مواضع لم يبلغها من قبل"(١). والمصادر شحيحة بما يتعلق بالكوارث الطبيعية في اليمامة ولكن حدوثها لا يُستغرب؛ لأن أمطار اليمامة نادرة وغير منتظمة وإذا وقعت أحدثت أضرارًا بالغة، فقد حدث ذلك قبل فترة هذه الدراسة حيث دمرت السيول الجارفة المنازل والمزارع والأموال فكانت سببًا في خراب حَجْر(٢). وهو أمر لا يستغرَب حدوثه؛ لأن اليمامة اشتهرت بكثرة أوديتها الطويلة، كوادي الدواسر ووادي حنيفة ووادي العرْض(٣) الذي يقول عنه الهَمْداني: "وهو واد يجمع ثلاث مئة واد"(٤).

ولم يكن تأثير أخطار السيول في المدن والأسواق وحدها فقد أثرت في الطرق عند حدوثها، وهذا ما وقع سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م عندما داهم السيل حجاج اليمن في طريق عودتهم من مكة فحملهم جميعهم وألقاهم في البحر(٥). ومن ذلك أيضًا تلك السيول التي اعترضت قوافل التجار في غير مناطق نزول الأمطار كتلك التي تعرض لها حُجّاج مصر في سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م والتي أشار إليها ابن الأثير في قوله: "وفيها انصرف حجاج

(١) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١، ص١٢٠، ٢٦٣؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، ١٩٩٣م، ص٢١٠.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م، ج١، ص١٥٨.

(٣) العرض: وادي اليمامة ينصب من مهب الشمال ويفرغ في مهب الجنوب مما يلي القبلة فهو في باب الحجر، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٢).

(٤) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٤.

(٥) عن هذا السيل يقول ابن الأثير: "وفيها عاد حجاج اليمن من مكة، فنزلوا وادياً، فأتاهم السيل فحملهم جميعهم وألقاهم في البحر"، (الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٣٧).

مصر من الحج، فنزلوا واديًا وباتوا فيه، فأتاهم السيل ليلاً فأخذهم جميعهم مع أثقالهم وجمالهم فألقاهم في البحر"(١).

أما الزلازل فقد كانت قليلة ولكن تأثيرها في اليمن أكثر من غيره فقد تعرضت لزلزال سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م حيث لحق البلادَ منه شدة شديدة خاصة مدينة عَدَن فقد سقطت المنازل وضربت القرى ومات من الناس خلق كثير(٢). ويضيف صاحب غاية الأماني تأثر صَنْعَاء بهذا الزلزال(٣).

وهناك إشارتان إلى حدوث زلازل في اليمن: الأولى في سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م وكانت عامة وشديدة(٤). والثانية في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م وكانت محدودة في وادي ضَهْر القريب من مدينة صَنْعَاء(٥).

ولم يرد ذكر لزلازل في الحِجاز إلا في سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م، حيث زلزلت مناطق البادية المجاورة للمدينة المنورة التي تسكنها بنو سُليم وبنو هلال وغيرهم من بطون قيس، فقد هربوا إلى المدينة ومكة طلبًا للنجاة(٦).

وهناك ست إشارات عن تأثير الجفاف في التجارة لما يصيب الناس معه من قحط ومجاعات، بعض هذه الإشارات يتعلق بما أثر في مدينة

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٢٣.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص٤٠٨.

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص١٥٨.

(٤) ذكر الطبري: "أنه كان بفارس وخُراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسفٍ كان بها"، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٠٧.

(٥) "وكان هذا الغيل في الجاهلية" ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في اليمن زلازل قطعت بعض مياهه"، الهَمْداني، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، بيروت، ١٩٨٦م، ج٨، ص١١٢؛ ووادي ضهر شمال صنعاء ويبعد عنها ١٦ كيلاً تقريباً، انظر: عبدالله السيف، الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٤ ، ١٥.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥١١.

بعينها أو في سير القوافل إلى منطقة بذاتها، من هذا ما حدث في سنة ٢٣٢هـ/٨٦٤م حيث أصاب الحُجاجَ عطش شديد عندما رجعوا في أربعة منازل إلى الرَّبَذَة[١]، فبلغت شربةُ الماء عدة دنانير، ومات خلق كثير من العطش[٢]. وفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م تعرضت صَنْعَاء لقحط شديد أصاب الناس فيه شدة عظيمة من الحاجة والعَوز وقلة ما باليد وهلكت فيها المواشي لقلة الأمطار، ويروي الهَمْداني أنها سُميت شدة ابن حفص[٣]. وفي السنة نفسها أصاب الناس في الحجاز وغيره من معظم بلاد الإسلام غَلاء في الأسعار، يتجلّى ذلك فيما ذكره الطبري في قوله: "فأجلى عن مكة من كان مجاورًا بها من شدة الغلاء إلى المدينة وغيرها من البلدان ورحل عنها العامل الذي كان بها وهو بُرَيّه[٤]، ولم تستطع الخلافة نجدة الحِجاز لأن العراق تعرض في الوقت نفسه إلى شدة عظيمة "بلغ كُرّ[٥] الحنطة ببغداد خمسين ومئة دينار ودام ذلك شهورًا". وكذلك ما أصاب الناس حول مكة قحط شديد سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م ومات فيها خَلق كثير من شدة الحر والعطش[٦].

(١) الرَّبَذَة: قرية على طريق الحجاز تبعد عن المدينة ثلاثة أيام، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م خربها القرامطة، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٠؛ رخص الأسعار المفرط مضر بالتجارة، وكذا الغلاء المفرط أيضاً يضر بها، إنما اعتدال الأسعار ينعشها، ابن خلدون، كتاب العبر، ج٢، ص٧٠٩-٧١٠.

(٣) الهَمْداني، الإكليل، ج٨، ص١٥٧؛ كان والي صَنْعَاء في هذه السنة هو أحمد بن حفص الذي نسبت له هذه المحنة، ويذكر الهَمْداني أنه كان حسن الأثر.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي المعروف ببريه، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥١١.

(٥) الكُرّ: هو مكيال يقول عنه ابن منظور: "والكُر مكيال لأهل العراق، فقد كانت تقدر به كميات الحبوب المأخوذة للخراج"، لسان العرب، ج٣، ص٢٤١؛ ولمزيد من المعلومات انظر ضيف الله الزهراني، موارد بيت المال في الدولة العباسية، ص٣٢٣.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٩٩.

وفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م وسنة ٢٩١هـ/٩٠٣م قحطت في بلاد اليمن قرى عدة ومات خلق كثير، يقول الهَمْداني عن تأثير ذلك في آل أبي حَبَش: "فَنَوْا في حَطْمَة[١] التسعين ومئتين باليمن، وذلك أن مالهم فني، ورقَّتْ نفوسهم عن المسألة...."[٢].

في سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م تعرض الحجاج القادمون من العراق وخُراسان إلى كارثة العطش وهم في طريقهم إلى مكة، فهلكوا وهلكت جِمالهم[٣]. وأصاب الحاجَّ عطشٌ شديدٌ في الثَّعْلَبيَّة في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٦م[٤]، وهو ما اضطرهم إلى الرجوع ولم يحجّوا[٥].

ومن العوامل المؤثرة في التجارة طبيعة الجزيرة الصحراوية التي يكون للجفاف فيها أثر بالغ في حركة القوافل لبعد مناهل المياه فيها وشدة الحر وذلك يؤثر في حركة التجارة، يقول البكري عن أهل البحرين: "وبساتينهم على نحو ميل منها، ولا يأتونها إلا غُدوًا أو رواحًا لإفراط حر الرمضاء، وأن حوافر الدواب تسقط فيها إذا احتدمت من حرقة"[٦]. وتصاحب شدة الحرارة في المناطق الساحلية ارتفاع في الرطوبة، يقول

---

(١) الحَطْمَة: هي سنة الجدب، لأنها تحطم كل شيء، الهَمْداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، ص٢٧٤؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٥.

(٢) الهَمْداني، الإكليل، ج٨، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) ابن الجَوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٣.

(٤) هي من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشُّقُوق، قبل الخُزَيمية، وهي ثلثا الطريق، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٨).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٠٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٤٣.

(٦) البكري، جزيرة العرب، ص٣٨؛ والحدم شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار، واحتدمت النار: التهبت، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٢٢٤ - ١٢٢٥).

المقدسي: إنّ أهل عُمان ينزل عليهم في الليالي شبه الدِّبس[١]. وللرطوبة تأثير آخر إذ إنها تزيد من نسبة الأملاح في المناطق الزراعية فتؤثر في حاصلاتها، وهذا ما أشار إليه السّجِستاني في البحرين[٢]، وابن سعد عن أرضٍ لسعيد بن محمد بن أبي زيد في الحِجاز[٣].

ومن العوامل الطبيعية الزحف الصحراوي، فالكُثبان الرملية تزحف على الطرق والمزارع والمنازل والأسواق وتؤدي إلى ضرر بالسكان وإعاقة تنقُّل القوافل عبر الطرق البرية، فكانت هذه الظاهرة تكثر في بلاد البحرين وعُمان بفعل العواصف والرياح التي تحمل الرمال لسد الطرق أو دفن المزارع والمنازل، وقد أشار إليها البكري بقوله: "وبلاد البحرين مُنهالة الكُثبان جاريةُ الرمال حتى يسكّروه بسَعف النخل، وربما غلب على منازلهم، فإذا أعياهم حملوا النقوض وتحولوا"[٤].

وبعض الحيوانات تؤثر في التجارة بصورة مباشرة أو غير مباشرة فمن النوع الأول الحوت الذي يعترض المراكب والسفن، يقول ابن خرداذبة: "إن ببحر عدن سمكًا طول السمكة مئة باع ومئتا باع يُخاف منها على السفن"[٥]. ومن النوع الثاني ما يؤثّر في الزراعة فيصيب الحاصلات، من

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٥؛ والدِّبس هنا يعني مادة تلزق كالغراء تضر بالثمار، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٩٤٤؛ وانظر: عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص١٨٤).

(٢) ذكر ذلك السّجِستاني بقوله: "إنما يستحر الفغاء بالأرض السبخة"، والفغاء جمع فغية، غبار يركب النخيل فيغلظ جلد بسرته، (كتاب النخيل، تحقيق إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ص٨٤).

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ج٥، ص٤١١.

(٤) البكري، جزيرة العرب، ص٤٩؛ لمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص١٨٣.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١.

هذا القرود الضارةُ بالإنتاج الزراعي مثل العنب والحبوب والفواكه، فالقرود تكثُر في اليمن وعُمان وتتجمع وتهجُم على المزارع وتأكلها[١]. وتهاجم أسرابُ الجَراد المزارعَ من وقت لآخر فتأكل الزروع وتفسد الثمار فيقل المحصول، حدث ذلك في سنوات ٣١١هـ/٩٢٣م، ٣٢٧هـ/٩٣٨م، ٣٤٤هـ/٩٥٥م، ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م حيث هاجم الجرادُ المناطقَ المجاورة للبحرين وأضرّ بأشجارها وثمارها[٢].

ومن هذا ما يحدث مما يسمى بقمل الزرع[٣]، وقد انتشر في مخاليف اليمن سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[٤].

ولعله من الأوفق أن نختم الحديث عن الكوارث الطبيعية والعوامل البيئية بالإشارة إلى أن العواصف والرياح من العوامل التي تؤثر في الطرق البحرية خاصة في البحر الأحمر، فهناك إشارة إلى أن التجار كانوا يهابون السفر من ميناء عَيْذَاب إلى جُدَّة بسبب أخطار الرياح، التي تؤثر فيهم وتغيّر اتجاهَهم في البحر أو تلقيهم فيه[٥].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٠٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢١٨، ٣٧٨، ج١٤، ص٩٨، ١١٤؛ وأشار الجاحظ لأضرار الجراد فقال: قال أعرابي من بني حنيفة:

مر الجراد على زرعي فقلت له ... الزم طريقك لا تولع بإفساد

فقال منهم خطيب فوق سنبله ... إنا على سفرٍ لا بد من زاد

البيان والتبيين، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٤٩؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٢٠٠.

(٣) القمل: هو صغار الذر والدبى، وقيل هو الدبى الذي لا أجنحة له، وقيل هو شيء له جناح أحمر. ويقول الجوهري : أما قملة الزرع فدويبة تطير كالجراد، واحدتها قملة، تأكل سنابل الزرع وتمتص الحب. وقال أبو حنيفة: القمل شيء يشبه الحَلَم يمتص الحب، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٥.

(٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص١٨٨.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧؛ الإدريسي، جزيرة العرب من نزهة المشتاق، ص١٨.

كما أشار ابن الأثير إلى تأثير العواصف بفم الصِّلْح[1] قرب واسط وقال: "كثرت الرياح والعواصف بفم الصِّلْح وأهلكت جماعة من الناس، وأغرقت كثيرًا من السفن الكبار المملوءة، واحتملت زورقًا منحدرًا فيه دواب وعدة من السفن، وألقت الجميعَ على مسافة من موضعها"[2]. ولا ريب أن مثل هذه الأحداث تؤثر في قوافل العراق في طريق درب الحج العراقي.

يتضح مما سبق من عوامل مؤثرة سلبيًا في التجارة أن النشاط التجاري في هذه المدة لم يتأثّر كثيرًا بالعوامل السلبية؛ لأنها لم تكن متصلة زمانًا ولا متسعة مكانًا، بيد أن القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كان أحسن حالاً في الجزيرة العربية، فكيف يصور النشاط التجاري داخليًا وخارجيًا هذه النتيجة المستخلصة من دراسة العوامل الإيجابية والسلبية ؟

(١) فم الصِّلْح: نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل، عليه قرى عدة وفيه كان دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٦).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٠.

الفصل الثاني

التجارة الداخلية

أ - الأسواق :

- نمو الأسواق.
- مواقع الأسواق وتنظيمها ومراقبتها.
- التجار العاملون في أسواق الجزيرة العربية.
- أساليب التعامل والأسعار في الأسواق.

ب - الطرق التجارية الداخلية :

- الطرق البرية.
- الطرق البحرية الداخلية.
- المحطات التجارية.
- حركة السلع التجارية.



شهدت التجارة الداخلية في الجزيرة العربية نشاطًا ملحوظًا في معظم حقبها، مع تفاوت من منطقة إلى أخرى حسب تأثرها بالعوامل الإيجابية والسلبية التي سبق دراستها، وهذا النشاط الملحوظ عائد لتنوع الإنتاج الزراعي والصناعي من منطقة لأخرى، وارتباط أقاليم الجزيرة العربية مع بعضها بشبكة الطرق التي كانت عامرة بحركة القوافل التجارية في مختلف المواسم.

ويتجلى النشاط أولاً في الأسواق ومواقعها وتنظيمها والرقابة عليها وأنواع التجار فيها وطرق التعامل والأسعار. ثانيًا في تعداد الطرق التجارية برية وبحرية ومحطات تجارية، وثالثًا في حركة السلع من مناطق الإنتاج إلى مناطق الحاجة أو من مناطق الاستيراد الخارجي إلى محطات التجمع ثم إعادة التصدير إلى جهات الجزيرة العربية المختلفة.

أ- الأسواق[1]:

اشتهرت الجزيرة العربية بأسواقها التجارية القديمة[2] التي لم تقتصر

---

(١) جمع سوق، ومعنى السوق في اللغة هو موضع البياعات أو المكان الذي يتعامل فيه الناس في البيع والشراء، والسوق يؤنث ويذكر، وهو أصلاً مشتق من سوق الناس إليه بضائعهم، (انظر : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي "ت٣٢١هـ/٩٣٣م"، جمهرة اللغة، حيدر أباد، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٥هـ، ج٣، ص٤٣).

أما السوق في المعنى الاصطلاحي، فهو اسم لكل مكان تجلب إليه السلع وتتعاطى فيه حركة البيع، (ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٣٩٧-٣٩٨).

وقد ذكرت الأسواق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ ، سورة الفرقان، آية ٢٠. والسوق في المفهوم الاقتصادي الحديث كما عرفه أحد الباحثين بقوله: إنه عبارة عن منطقة يتصل بها المشترون والبائعون، إما بطريق مباشر، أو عن طريق وسطاء (تجار) بعضهم ببعض، بحيث إن الأسعار السائدة في جزء من السوق تؤثر في الأسعار التي تدفع في الأجزاء الأخرى، مما يترتب عليه وجود تجانس في أسعار السلعة الواحدة في السوق كلها، بغض النظر عما يحدث من انحرافات عن الثمن المتجانس ترجع إلى اعتبارات محلية، أو أساليب طارئة، ووقتية" (راشد البراوي، الموسوعة الاقتصادية، نشر دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص٣٠٢).

(٢) انظر الخريطة شكل رقم٢.

على النشاط التجاري فحسب، بل كانت لها إسهامات ثقافية واجتماعية وسياسية، فكان يرتادها الناس لمآرب شتى وغايات مختلفة، فالشعراء يلقون فيها أشعارهم مفاخرين بقبائلهم، والحكماء يفصلون فيها بين الناس، والخطباء يلقون فيها المواعظ[١] ويُقضَى فيها بين المتخاصمين أفرادًا وعشائر وقبائل[٢]، وهذه الأسواق تنقسم إلى أنواع، منها الموسمي مثل سوق عُكَاظ[٣] وسوق مَجنّة[٤] وسوق ذي المَجَاز[٥] وسوق دُومة الجندَل [٦] وسوق المُشَقّر،[٧] ودَبَا،[٨] وبدر، ورابية حضرموت. ومنها الدائمة مثل مكة،

(١) كان قس بن ساعدة الإيادي الذي مات قبل البعثة قد حضر سوق عُكاظ وألقى فيها خطبة رواها الرسول - ﷺ - وأثنى عليها لما اشتملت عليه من مواعظ وحكم حسنة، (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣١٥؛ الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم "ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م"، الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج١٥، ص٢٤٦).

(٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٤٦، ٣١٥، وانظر لمزيد من المعلومات : الشنتناوي، الأسواق، دائرة المعارف الإسلامية، ج١٢، ص٣٨٢.

(٣) موقع سوق عُكاظ شمال مدينة الطائف ويبعد عنها مسافة بضعة عشر كيلاً عند التقاء أودية الطائف ومفيضها في سهل ركبة، (انظر : حمد الجاسر، عكاظ، مجلة العرب، ج١٢ لسنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص١١٣٩؛ وانظر : عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية، ص١٠٠ هامش رقم ١، وقد سميت بهذا الاسم لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضًا أي بالفخار، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢).

(٤) سوق مَجنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وهي بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو أسفل مكة على قدر بريد منها ومدة نشاطها عشرة أيام، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٨).

(٥) ذو المَجَاز: موضع سوق بعرفَة على ناحية كَبكَب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٥).

(٦) دومة الجندَل: ويقال لها أيضًا دوماء الجندَل وهي تقع على الطريق الواصل بين أَيْلَة والبصرة وتبعد عن دمشق سبع مراحل بينها وبين المدينة، في غائط من الأرض خمسة فراسخ ولها عين تسقي ما بها من النخل والزروع، وحصنها مارد المشهور، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٧).

(٧) المُشَقّر: حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس، يلي حصنًا لهم آخر بالصفا قبل مدينة هَجر، والمسجد الجامع بالمشقر، (ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٤).

(٨) دَبَا أو دبي: وهي سوق من أسواق العرب في عُمان مشهورة، لها ذكر في أيام العرب وأخبارها، وأشعارها، وكانت قديمًا قصبة عُمان فتحها المسلمون في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة ١١هـ/٦٣٢م، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٥).

والمدينة وصَنْعَاء، والجَند وعَدَن، والشِحْر، وصُحَار، ومن هذه الأسواق ما استمر في الإسلام واندثر قبل فترة هذه الدراسة(١)، مثل سوق حُبَاشَة(٢) التي استمر نشاطها التجاري حتى نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ففي سنة ١٩٧هـ/٨١٥م قام بتخريبها والي مكة العباسي داود بن عيسى، فلم يعد لها شأن يذكر بعد هذه السنة(٣). ومن هذه الأسواق ما استمر خلال مدة هذه الدراسة مثلاً صُحَار، ودَبَا، وهَجَر، والشِّحْر، وعَدَن، وصَنْعَاء، وخيبر، ولكن الأسواق التي اندثرت حلت محلها أو قريبًا منها أسواق أخرى(٤) بسبب عوامل متعددة، إما الإنتاج أو المركز الإداري، أو الزيادة السكانية، أو الطرق التجارية وهذه العوامل أثرت في نمو الأسواق خلال مدة هذه الدراسة تأثيرًا كبيرًا.

نمُو الأسواق :

وخلال مدة هذه الدراسة نمت كثير من مدن الجزيرة العربية الأخرى نموًا كبيرًا، وكانت تجارة هذه المدن تعتمد على الأسواق التي تقام فيها، إما بصفة يومية أو أسبوعية، وهذه الأسواق تتدرج تحت أصناف شتى:

---

(١) ومن الملحوظ أن الأسواق الموسمية كانت تعقد في الأشهر الحرم، رجب، وذي القعدة، وذي الحِجّة، ومحرّم، لما لها من حرمة لدى العرب ولأن القتال فيها محرّم ولكي يأمنوا على أنفسهم وأموالهم عندما ينتقلون بين هذه الأسواق في الأشهر الحرم، ففي رجب كانت تقوم حُباشة، وصُحَار، ودَبَا، وفي ذي القعدة تقوم أسواق حضْرموت وعُكاظ، ومَجنّة، وفي شهر ذي الحجة تقوم سوق ذي المَجَاز، وفي شهر محرم تقوم سوق حَجْر اليمامة وسوق نطاة خيبر، انظر: (سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص١٦٦-١٦٧).

(٢) حُباشة، بالضم، هي سوق من أسواق العرب القديمة وتقع جنوب مكة في تهامة وتبعد عنها ست ليالٍ، وكانت من أبرز المحطات التجارية على الطريق الساحلي بين إقليمي الحجاز واليمن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٠)، وهي الآن في ديار بارق نحو "قانونا" (انظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٥٨).

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ص١٣١، وقد ذكر الطبري أن الرسول - ﷺ - قصد هذه السوق قبل نبوّته في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، (تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٨٢).

(٤) انظر قائمة بأهم أسواق الجزيرة في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، في الجدول رقم (٢) ضمن ملحقات الكتاب.

أولاً - أسواق مدن قواعد الإمارات الجديدة :

نشأت هذه الأسواق واتسعت بسبب اتخاذها قاعدة لإمارة جديدة، فمن هذه مدينة زَبِيْد التي تم تخطيطها في أول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث أصبحت عاصمة للدولة الزيادية باليمن ونمت فيها الحركة التجارية وأصبحت سوقها رائجة[١]. ومثلها مدينة الخَضْرَمة باليمامة حينما أصبحت مركزًا للدولة الأُخيضرية[٢] بعد منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فقد اشتهرت سوقها[٣]. ومدينة هَجَر كذلك من المدن التي نمت نموًا واسعًا في هذه الحقبة عندما أصبحت مقرًا للقرامطة - أسرة أبي سعيد الجنابي- الذين استولوا على البحرين في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. كما نمت مدينة صَنْعَاء التي كانت مركزًا لدولة بني يعفُر (٢٢٥-٣٩٣هـ/ ٨٤٠-١٠٠٣م) واشتهرت بنشاط أسواقها التجارية المكتظة بالسلع والبضائع المتنوعة، سواءٌ ما كان من إنتاج اليمن أم ما يصلها من الأمصار الأخرى، وتميزت صَنْعَاء بكثرة سكانها في هذه المدة[٤]. وكانت مدينة صَعْدة قاعدة لدولة بني الرسّي منذ الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لذلك ساعد مركزها السياسي على نمو سوقها التجاري الذي كان من أهم أسواق اليمن في هذه المدة ولا سيما أن مدينة صَعْدَة تتميز بإنتاجها الصناعي وبموقعها الإستراتيجي على الطريق التجاري الذي يخرج من اليمن إلى الحجاز،

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢١٢؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٩٩.

(٢) الهَمْداني، المصدر نفسه، ص٢٨٢، ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١-١٤٢، وانظر لمزيد من المعلومات: عبدالله الشبل، الدولة الأخيضرية، ص٤٥٩ وما بعدها، والخضرمة سبق الإشارة إليها في التمهيد من هذا الكتاب وهي تبعد عن حَجْر اليمامة يومًا وليلة، الهَمْداني، المصدر نفسه.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧٨.

(٤) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١٠٦.

وربما إلى الشام فكانت تخرج منها قوافل التجار التي أشار إليها الهَمْداني وهو شاهد عيان في قوله: "وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صَعْدَة..."(١). إذ يدل هذا النص على أن سوق صَعْدَة كانت عامرة.

ثانيًا - أسواق المدن الساحلية:

ازدهرت المدن الساحلية نتيجة لتدفق السلع التجارية عليها في هذه المدة، فمن هذه مدن سواحل شرق الجزيرة العربية حيث كان يقصدها التجار في مختلف المواسم من أكثر الآفاق حاملين معهم البضائع. ومن هذه المدن التي ازدهرت أسواقها مدينة صُحَار قاعدة عُمان فقد نمت وزاد نشاطها التجاري خلال مدة هذه الدراسة لكثرة البضائع المعروضة فيها، وربما ساعد على زيادة نشاطها التجاري موقعها الجغرافي المتميز على ساحل الخليج العربي، فهي فرضة ترتادها السفن من كل مكان(٢)، لذلك كثُر فيها الوافدون من غير أهلها من شتى الأقطار داخل دار الإسلام وخارجها، يقول ابن حوقل: "وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة بعُمان وأكثرها أموالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صُحَار"(٣).

ويبدو أن مهمتها كانت مهمة الوسيط في التجارة البحرية مع أقطار جنوب شرق آسيا والجزيرة العربية. ويماثل دورها هذا دور مكة في الطرق

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٦.

(٢) الهَمْداني، المصدر السابق، ص١٩١، ولمزيد من المعلومات انظر: فصل التجارة الخارجية، مناطق التبادل التجاري من هذا الكتاب.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٤-٤٥.

التجارية البرية بين اليمن والشام، ومدينة مَسقَط تجتمع فيها المراكب التي تخرج إلى الهند والصين، وكان بسوقها نشاط تجاري ملموس، حيث تكثر فيها البضائع التي يجلبها التجار من مختلف الجهات عن طريق البحر، وكان أصحاب السفن يتزودون منها بالمياه العذبة(١).

ومن المدن الساحلية التي ازدهرت أسواقها على الساحل الشرقي للجزيرة العربية العُقير والقطيف ودَارِين وأُوال وكَاظِمَة(٢). فقد اشتهرت أسواقها في هذه الفترة بحركتها التجارية لارتباطها بمواسم صيد اللؤلؤ(٣).

ومن أبرز المدن الساحلية في جنوب الجزيرة العربية التي راجت أسواقها مدينة الشِّحْر ويشتهر سوقها باللبان والعنبر والسمك المجفف الذي يحمل إلى مختلف الجهات(٤). وكان يكثر بها التجار الوافدون الذين يشاركون أهلها نشاطهم التجاري المتنوع(٥).

---

(١) ابن الفقيه، كتاب مختصر البلدان، ص١١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٣؛ البكري، جزيرة العرب، ص٣٥، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٧.

(٢) كَاظِمَة: تقع على سيف بحر الخليج العربي في الطريق من البحرين إلى البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان (أي ما يقارب من ١٢٠ كيلاً)، (انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣١)، وكَاظِمَة اليوم شمال الكويت ضمن أراضي دولة الكويت.

(٣) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٧، ٢٧٩، ٢٨٠؛ البكري، جزيرة العرب، ص١٩-٢٠، ٣٩-٤٠، ٥٠، ١٠٨، ذكر الإدريسي أنه كان للغواصين مواضع يعرفونها عَياناً في سواحل البحرين ويوجد صدف اللؤلؤ فيها، لأن للصدف مراعيَ يتجول فيها وتنتقل إليها وتخرج عنها في وقت آخر إلى أمكنة معروفة بأعيانها، وقال في موضع آخر: والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة ويقيمون بها الأشهر الكثيرة حتى يكون وقت الغوص، جزيرة العرب، ص٥١-٥٢.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٧؛ البكري، جزيرة العرب، ص١٣٧-١٣٨.

(٥) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٣-١٦٤.

كما أن مدينة عَدَن قد نمت نموًا كبيرًا في هذه المدة التي يعنيها البحث، فكانت تصب في أسواقها كثير من بضائع الأقطار القريبة منها والبعيدة التي تصلها عن طريق البحر(١). ويغلب على الظن أنها كانت الميناء الرئيس في جنوب الجزيرة العربية آنذاك بحكم موقعها الجغرافي المتميز لكونها تشرف على أهم الطرق التجارية البحرية التي تربط الجزيرة العربية بالهند والصين من جهة والخليج العربي والبحر الأحمر وشرق إفريقيا من جهة أخرى، لذلك تمكّن التجار من الوصول إليها في يسر وسهولة، ومما يؤيد رواج أسواقها التي كانت غنية بمختلف البضائع ما رواه المقدسي عندما زارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بقوله : "إن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمئة ورجع بخمس مئة وآخر بكُنْدُر(٢) فرجع بمثله كافورًا"(٣)، ثم قال في موضع آخر : "والتجارات في هذا الإقليم مفيدة"(٤) يعني أسواق عَدَن(٥).

وكذلك نمت بعض المدن الساحلية في غرب الجزيرة العربية مثل مدينة عَثَّر التي كانت فرضةً جليلةً ولسوقها نشاط تجاري واسع، يتجلّى ذلك من وصف المقدسي حيث يقول عنها : "مدينة كبيرة وفرضة صَنْعَاء وصَعْدَة، وبها سوق حسن"(٦). كما أثنى الهَمْداني على سوقها بقوله : "هو سوق

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٦.

(٢) الكندر: هو ثمر اللبان.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) سنبرز أثرها التجاري بشكل أوضح عند الحديث عنها في مجال التجارة الخارجية، انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٦.

عظيم"(١). وتأتي مدينة جُدة على رأس المدن الساحلية في هذا الجانب فقد شهدت أسواقها رواجًا تجاريًا كبيرًا فكانت حافلة بالسلع والبضائع المتنوعة، وكان يكثر بها التجار من أجناس مختلفة(٢)، ولا سيَّما أنها كانت المعبر البحري لتجارة مكة، فغالبًا ما يزيد حجم تجارة أسواق جُدة في موسم الحج، وربما قبله بعدة أشهر، لأن الحجاج الوافدين من أرجاء البلاد الإسلامية وغيرها من الآفاق الأخرى يجلبون عن طريقها منتجات أوطانهم ويبيعون ويشترون في أسواقها(٣)، فتزيد تبعًا لذلك حركتها التجارية، لأنه من الطبيعي أن يحرص الحجاج على التزود منها بما يحتاجون إليه من مؤن قبل انتقالهم إلى مكة أو إلى بلادهم في طريق عودتهم، لذلك يتضاعف نشاط أسواقها. ويأتي ميناء الجَار من المدن الساحلية التي شهدت نموًا ملحوظًا في هذه المدة إذ يعد خزانة المدينة ومدنها، حيث تصب فيه البضائع القادمة من البحر إلى هذا الجانب من الجزيرة العربية. وكانت سوقها عامرة يكثر فيها الوافدون في معظم المواسم(٤).

ثالثًا - أسواق المدن المقدسة:

من أهمها أسواق مكة المكرمة التي كانت عامرة على مدار السنة، ويتضاعف نشاطها مع موسم الحج والعمرة لكثرة الحجاج والزوار الذين يقصدونها من مختلف الأقطار الإسلامية ولا سيما بعد أن اتسعت دار

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٧٦.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩-٤٠، الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص١١٧، ٢٥١، وانظر فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٤) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٣؛ البكري، جزيرة العرب، ص١٣٤؛ ضيف الله الزهراني، الجار ميناء ومدينة، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، القاهرة، ١٩٩٣م.

الإسلام خارج الجزيرة العربية اتساعًا كبيرًا، ومما لا ريب فيه أن زيادة أعداد الحجاج الذين يقصدون الحجاز لأداء الفريضة تؤدي إلى تضاعف نشاط أسواق مكة سواء في المواسم أم غيرها، فكان التجار يحملون إليها مختلف البضائع متباينة الإنتاج والجودة حتى غدت أسواقها من أنشط أسواق الجزيرة العربية حيث يتوافر لها من الرواج التجاري ما ربّما لا يتوافر لغيرها من الأسواق الأخرى، بحكم صفتها الدينية التي اجتذبت قلوب المسلمين من أنحاء المعمورة، بالإضافة إلى موقع مكة الجغرافي الإستراتيجي فهي تقع على طريق القوافل التجارية البرية القادمة من اليمن والشام والعراق ومصر؛ لهذا كانت تمر بها في معظم الأحيان التجارة البرية، فكان من الطبيعي أن يساعد موقعها في منتصف هذا الطريق على نمو أسواقها وازدهارها تجاريًا[١].

والمدينة من أبرز المدن الرئيسة في الجزيرة العربية التي شهدت نموًا وتطورًا كبيرًا منذ فجر الإسلام، ولا غرو في ذلك فهي أول عاصمة في الإسلام في عهد الرسول - ﷺ - وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[٢]. وعلى الرغم من انتقال مركز الخلافة الإسلامية منها إلى خارج

(١) من الملحوظ أن الحج كان من أهم مواسم التجارة في إقليم الحجاز بصفة خاصة وفي الجزيرة العربية بصفة عامة، حيث تنشط معه الحركة التجارية ويكثر البيع والشراء في أغلب المحطات التجارية التي تمر بها قوافل الحجاج، بالإضافة إلى حركة الأسواق في مكة وما يتصل بها من مدن أخرى، (انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٧٨-٧٩؛ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٣هـ/١٩٦٥م، ص١١٥؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢٢-١٢٤، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٠).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٤٣؛ أحمد الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ص٢٩٥-٢٩٦؛ علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، شركة المدينة للطباعة، ص١٣-١٥.

الجزيرة العربية في صدر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلا أنها حافظت على مكانتها التجارية لما لها من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، فكان الزوار لمسجد الرسول - ﷺ - لا ينقطعون عنها، وزاد عددهم كلما زاد انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة ولا سيما في هذه المدة التي يخصها البحث، لذلك تضاعف نشاط أسواقها التجارية وكانت تشهد حركة البيع والشراء فيما يتوافر لها من سلع وبضائع تجارية، وهذه الأسواق تزاول نشاطها بصفة دائمة ويزداد رواجها مع توافد الزوار عليها في مواسم الحج والزيارة، بالإضافة إلى من يؤمها من أهل البوادي والقرى والمدن القريبة منها الذين يجلبون بعض منتوجاتهم من المواشي والفواكه، وكانوا في المقابل يشترون منها مؤنهم وما يحتاجون إليه من سلع أخرى تتوافر بأسواق المدينة مثل الحبوب والتمور، والسهام، والأسلحة والجلود والرقيق[١].

ولا ريب أن أسواق المدينة كانت تكتظ بأنواع البضائع الجيدة التي تجد الإقبال على شرائها من مختلف فئات الناس، لذلك كانت هذه الأسواق رائجة بالسلع المتعددة، سواء كانت من إنتاجها أم مما يرد عليها. ومما ساعد على ازدهار حركة أسواق المدينة التجارية أن الطرق البرية التي تربط الجزيرة العربية ببلاد الشام تمر بها في معظم الأحيان، بالإضافة إلى مكانة المدينة الدينية التي تهفو إليها أفئدة المسلمين للسلام على رسول الله والصلاة في مسجده الشريف، لذلك توافر لسوقها قوة شرائية ساعدت على ازدهارها تجاريًا[٢].

---

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق جي فان فولتن، ليدن، ١٩٠٣م، ج٢، ص١٣٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٩٦؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص٥٨؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص١٠٣.

(٢) انظر فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب، حيث تناولنا فيه أهم الطرق التجارية التي تمر بالمدينة من الشام والعراق، وانظر الخريطة شكل رقم ٩.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن ميناء الجار كان هو الفرضة الرئيسة للمدينة فتنقل منه البضائع إلى أسواق المدينة في ذلك الوقت، وقد زاد نشاط هذا الميناء التجاري في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد[١]. ومن ثم كانت أسواق المدينة عامرة بالتجارات التي تصلها في كل مواسم الزيارة، فمن المحتمل أن معظم الزوار والحجاج الذين يمرون بالمدينة كانوا يشترون من أسواقها السلع التي لا تتوافر في الغالب في بلادهم إما بقصد الاتجار فيها أو على سبيل الإهداء لذويهم، فكانت تمور المدينة - على سبيل المثال - تنقل إلى مختلف الجهات لما تتميز به من جودة على غيرها فقد اشتهرت المدينة بإنتاج أفضل أنواع التمور[٢]. وبالإضافة إلى إنتاجها المحلي، فهناك مناطق خلفية لها إنتاج زراعي وافر أمد أسواق المدينة في هذه المدة بالتمور مثل منطقة بَدْر وذي المَرْوَة[٣] وفَدَك ورابغ ويَنْبَع، ووادي القُرَى، ومثلها أيضًا اشتهرت خَيبر بإنتاج أصناف جيدة من التمور[٤].

ولا ريب أن تمد هذه المناطق أسواق المدينة بما تنتجه من سلع سواءٌ الزراعية منها أم الصناعية أم الحيوانية؛ لهذا كانت أسواقها رائجة بمختلف التجارات في معظم الأوقات.

---

(١) ذكر المقدسي وهو شاهد عيان أن سوق الجار عامرة وهي خزانة المدينة، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٣، وانظر كذلك: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩، وعن ميناء الجار انظر البحث الذي قدمه ضيف الله الزهراني، الجار ميناء ومدينة، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، القاهرة، ١٩٩٣م.

(٢) الإصطخري، المسالك والممالك ، ص٢٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧-٣٨.

(٣) ذو المروة: هي قرية بين خُشُب ووادي القُرَى، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١١٦).

(٤) ومما يؤيد كثرة تمر خيبر قول حسان بن ثابت الأنصاري عندما قال:

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا   كمستبضع تمرًا إلى أرض خيبرا

ديوان حسان، بيروت، دار بيروت للطباعة، ١٣٩٨هـ، ص١٠٩، ويبدو من هذا البيت أن خيبر تصدر التمور ولا تستوردها، ولمزيد من المعلومات عن نشاط نواحي المدينة الزراعي انظر : عبدالله السيف، الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، ص١٩٦.

رابعاً - المدن الداخلية التي زاد نشاطها التجاري :

من المدن الداخلية التي راجت أسواقها مدينة الجَنَد حيث كانت من أبرز المدن التجارية في إقليم اليمن في هذه المدة ولا سيما أن هذه السوق كانت إحدى أسواق العرب الموسمية المشهورة في الجاهلية وفي الإسلام(١)، فقد ذكر البكري أنها كانت تشتهر ببيع الملاحف القطنية التي ترد لها من قرية سُحُول(٢) القريبة منها، ثم تصدر إلى مكة، وربما إلى كثير من البلاد الأخرى، لما تميزت به هذه الملاحف من جودة الصناعة، فكانت تجد رواجًا في الأسواق لشدة الطلب عليها(٣)، وكانت لهذه السوق بعض السلع الأخرى التي تشتهر بها بلاد اليمن مثل البُرود والحُبُرات(٤) والدُّرُوع السلوقية(٥).

ومدينة الطائف من المدن الداخلية المشهورة بنمو حركة سوقها التجارية في الجزيرة العربية، لما شهدته من نمو واستقرار في هذه المدة، والطائف كما هو معلوم تشتهر بكثرة فواكهها الجيدة مثل الرمان والعنب والزبيب فكانت معظم فواكه مكة منها، كما أن هذه المدينة تتميز على غيرها بصنع الجلود الجيدة التي كان يتجهز بها التجار إلى جميع الجهات(٦). ويبدو أن

---

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٧٧-٧٨، عمارة اليمني، تاريخ عمارة، ص٥٠-٥٣، وانظر لمزيد من المعلومات: يوسف بن محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، بيروت، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ج١، ص١٣٠-١٣٢.

(٢) سحُوُل: قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تدعى السحولية، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٥).

(٣) البكري، جزيرة العرب، ص١٢٢-١٢٦؛ وانظر: ياقوت، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٥.

(٤) الحُبُرات: هي أنواع من الثياب المُوَشاة أو المُخَطَطة وهي مصنوعة في الغالب من الصوف، (البكري، جزيرة العرب، ص١٢٢).

(٥) نسبة إلى مدينة باليمن اسمها سلوق، الحميري، نشوان "ت ٥٧٣هـ/١١٧٥م"، منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ليدن، ١٩٦٦م ص٦٢.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩.

سوق الطائف كانت رائجة بحركة البيع والشراء لتوافر البضائع المجلوبة لها من النواحي القريبة منها والتي يقبل على شرائها الخاصة والعامة فيختارون منها ما يناسب حاجتهم(١)، وقد استمر نشاط هذه السوق فيما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يؤيد ذلك ما أورده الإدريسي في وصفه لها فقال: "وبالطائف تجار مياسير وجل بضاعتهم صنع الأديم، وأديمها عالي الجودة، رفيع القيمة وبالنعل الطائفي يضرب المثل وهذا مشهور"(٢). ويظهر أنه لم يقتصر دور سوق الطائف على تحقيق حاجة مكة من المنتجات الزراعية والصناعية فحسب، بل كانت تصدر فائض محصولاتها إلى الأقطار الأخرى مثل الزبيب الطائفي الذي كان يحمله التجار إلى مختلف الآفاق(٣).

خامساً - أسواق القرى والمحطات التجارية :

وهناك بعض المحطات والقرى البعيدة عن المدن الرئيسة كانت لها أسواق يتم فيها التبادل وتنشط بها حركة البيع والشراء، وتخدم هذه الأسواق عادة أهل البوادي والأرياف المحيطين بكل سوق، وبعض هذه الأسواق يقع على درب قوافل الحجاج والتجار فكان أهل تلك الأسواق يتاجرون مع من يفد عليهم في مواسم الحج وغيره. وتتوافر- في الغالب - في الأسواق التي تقوم على محطات الطرق الرئيسة بعض السلع والمؤن الضرورية مثل الحبوب والتمور والسمن واللبن والعسل والمواشي والأعلاف وتأجير الركائب فتنشط في هذه الأسواق البيوع ويتم فيها مبادلات السلع

(١) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٢، ص٦٤٦.

(٢) الإدريسي، جزيرة العرب من نزهة المشتاق، ص٢٦.

(٣) الإدريسي، المصدر السابق، ص٢٦، وما زالت الطائف حتى وقتنا الحاضر تشتهر بزراعة العنب الطائفي والرمان وغيرها من الفواكه الطيبة حلوة المذاق.

والبضائع حسب حاجة الناس الذين يحضرون سوقها، كما هو الحال في معظم محطات طرق الحاج العراقي ومثلها طرق الحاج الشامي، مثل النِّبَاج، والقَرْيَتَيْن ومعدن النُّقرَة والثَّعْلبيَّة، وضَرِيَّة، وتَيْمَاء ووادي القُرَى، وفَيْد وغيرها من الأسواق الأخرى التي تمر عليها قوافل الحجاج والتجار ولا سيما ممن يقصد الحجاز في مختلف المواسم الدينية، فكانت تنتعش الحركة التجارية في هذه الأسواق لما يتوافر بها من تجارات مختلفة يتبادلها الحاج مع الأهالي أو التجار الذين يشهدون موسمها من مختلف الجهات(١).

ومن أسواق المحطات الكبيرة ذات الأثر البارز في الحركة التجارية في هذه المدة سوق الفَلَج(٢) التي كان يقصدها التجار من اليمن وغيرها من الأقاليم الأخرى لرواج سوقها، وقد تحدث الهَمْداني عن نشاطها بصفته شاهد عيان فقال: "سوق الفَلَج الذي تسوقه نزار واليمن... وفي جوف السوق مئتان وستون بئرًا، وأربع مئة حانوت"(٣).

ويبدو واضحًا من كثرة حوانيت سوق هذه المحطة أن أغلب أهلها زاولوا التجارة، وربما في أصناف كثيرة من السلع والبضائع التي تنتجها البلدة نفسها أو فيما يرد عليها من اليمن ومن غيرها من البلاد الأخرى،

---

(١) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٥٨٦-٥٨٧؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٢-١٨٣. وانظر : صالح الوشمي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي، ص٢٧٢-٢٧٦، وتحدثنا عن أثر المحطات التجارية هذه بشيء من التفصيل في الفصل الثالث - التجارة الخارجية - من هذا الكتاب.

(٢) الفَلَج: والفلج تعرف الآن بالأفلاج فيها قرى كثيرة وسكان كثيرون، وتشتهر بإنتاج التمور، (انظر : الحربي، المناسك، ص٦٢٠، هامش ٢، ص٦٢٢، هامش رقم ١؛ عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص٤٤).

(٣) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٥-٣٠٦.

بالإضافة إلى ما تنتجه اليمامة القريبة منها من سلع تجارية يتم تسويقها في هذه السوق لمواجهة حاجة السكان والتجار الذين اعتادوا ارتيادها في مختلف الأوقات، ومن المحتمل أن موقعها على طرق التجارة التي تربط اليمن بإقليم اليمامة ومنها إلى العراق كان له أثره في زيادة نشاط هذه السوق التجارية، فهي تُعَدُّ من المحطات الرئيسة على خطوط التجارة في الجزيرة العربية في ذلك الوقت، فكان من الطبيعي أن تكون ملتقى للتجار الذين يقصدون تلك الجهات ويتبادلون فيها البيع والشراء فيما تجود به سوقها من تجارات متنوعة.

وقد استمر نشاط هذه السوق فيما بعد مدة الدراسة، شاهد ذلك ما أورده ناصر خسرو عندما مر عليها في أثناء رحلته من الحجاز إلى اليمامة ثم إلى البحرين حيث يقول: "وأخيرًا أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا، فإنه يحضر من اليمن إلى الفلج حيث يباع للتجار"(١). فعلى الرغم من مشقة الطريق التي كان يواجهها التجار للوصول إلى هذه السوق إلا أنها كانت كما يبدو عامرة يتجهز منها الأديم اليماني وغيره إلى جميع الجهات.

أما أسواق القرى البعيدة عن المدن الكبيرة فكانت كثيرة منتشرة في عرض الجزيرة وطولها في أماكن الاستيطان فيتم في هذه الأسواق حركة التبادل التجاري بما يخدم سكان القرى وأهل البوادي المجاورين لكل سوق، حيث يقوم هؤلاء الناس بشراء ما يلزمهم من السوق القريبة منهم، فيتمونون عادة منها بالحبوب والطيب وغير ذلك من سلع يحتاجون إليها. ويغلب على

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١، ولمزيد من المعلومات عن نشاط هذه السوق انظر فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

الظن أن هذه الأسواق الصغيرة كانت تعج بحركة المارين وأهل الحوائج الذين يرتادونها في موعدها مثل سوق الجُرَيْب التي ذكرها الهَمْداني في معرض حديثه عن أسواق تهامة اليمن فقال: "وفي تهامة اليمن قرى كثيرة مثل الخَوقع والضالع والمقطع وسوقهم الأعظم الجُرَيْب يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة آلاف إنسان"(١). فيتضح لنا من هذا النص أن أسواق القرى كانت تقوم في موعد محدد من كل أسبوع ولمدة يوم واحد وعادة ما كان يسمى السوق باليوم الذي يعقد فيه كسوق الخميس في البحرين مثلاً. وقد ذكر الهَمْداني في جملة حديثه عن اليمن أسواقًا أخرى من الأسواق الأسبوعية في قرى اليمن منها سوق الواقديين عند قرية الأصابح(٢)، وسوق هَيْنَن(٣)، وسوق الحجري، وسوق شَجْبَان في مخلاف ألهان اليماني(٤)، وسوق بُرَع الصُّليّ التي كان يرتادها قبائل من سَبَأ الصغرى وفِرَق من همْدَان، وسوق جُبْلان التي تباع فيها البقر الجُبلانية المشهورة(٥).

ويستطيع الناظر في نشاط هذه الأسواق أن يستنتج من كثرة انتشارها في مختلف أرجاء الجزيرة العربية دليلاً على ازدهار تجارتها، فقد امتلأت معظمها بأنواع البضائع النادرة كما أسلفنا من قبل، كما أنها كانت تعج بحركة التجار وأهل الحوائج الذين يرتادونها في موعدها، فكانت الأسواق الدائمة تظل نشطة على مدار العام، وكانت هناك أخرى تعرف بالأسواق

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٤، وقد ذكر أن الجُرَيْب بلد الموز وهو أرخى قرى الناحية وأعجبها.

(٢) كان سوق الواقديين يسمى أيضًا الرعاع، انظر : الهَمْداني، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٣) قرية كبيرة أسفلها سوق وأعلاها حصن وسكانها من تُجيب، الهَمْداني، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٤) الهَمْداني، المصدر السابق، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢٢٢- ٢٢٣.

الأسبوعية وهي التي يقوم نشاطها التجاري في بعض أيام الأسبوع وكذلك الأسواق السنوية مثل سوق منى وعرفة حيث يقوم نشاطها التجاري في موسم الحج كل عام، وهناك نوع آخر من الأسواق هي الفصلية والمرتبطة بمواسم الحصاد مثل الأسواق التي تقوم في أماكن صرام التمور، أو في أماكن صيد اللؤلؤ أو في أماكن التعدين، فكان يقصدها الناس في مواسمها للبيع والشراء لما يتوافر فيها من سلع تجارية يحتاجون إليها في ضرورياتهم أو كمالياتهم، ولا سيما أن أسواق الجزيرة العربية التي أشرنا لأبرزها لم تكن قاصرة على المنتوجات المحلية فحسب، بل كانت في معظمها غنية بالبضائع الواردة عليها من مختلف الآفاق القريبة منها والبعيدة(١).

مواقع الأسواق وتنظيمها ومراقبتها :

لا تسعفنا المصادر بمعلومات مفصلة عن تنظيم الأسواق في مدن الجزيرة العربية إلا أن قراءة المعلومات المتوافرة عن أسواق البلدان الإسلامية الأخرى المجاورة في مدة الدراسة ذاتها ربما تساعد في توضيح بعض الصور حول تنظيم الأسواق في الجزيرة العربية والإشراف عليها(٢).

وقد سبق القول بأن الأسواق على اختلاف أنماطها قد تعددت في الجزيرة العربية ونمت وازدهرت وهو ما نتج عنه كثرة المرتادين وتعدد السلّع، فاستوجب العناية بتنظيمها والإشراف عليها.

---

(١) انظر فصل التجارة الخارجية، قائمة السلع الواردة للجزيرة العربية، ملحق رقم٣.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٨؛ وانظر: الكبيسي، حمدان عبدالمجيد، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سنة ١٩٧٩م، ص٧٣-٧٥؛ المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ص٣٨٣- ٣٨٦.

أ- الموقع:

فالأسواق كانت تقام في أماكن معينة في المدن والقرى وهي غالبًا ما تتركز حول المسجد الجامع، إما في وسط المدينة أو في أحد جنباتها الرئيسة، مثل أسواق مكة، ومن أهمها السوق التي تقع بين الصفا والمروة فتمتد من الجنوب إلى الشمال على امتداد المسعى[١]. وسوق العطارين التي تقع شرقي سوق المسعى، وسوق الخياطين القريبة من السوق الرئيس بجوار الحرم، وسوق الرقيق جهة باب شيبة عند دار الندوة[٢]. أما سوق الحطب فتقع في أسفل مكة[٣]. ومثلها سوق الماشية التي تقوم في ساحات مكشوفة بعيدة عن المسجد الحرام، وربما روعي وضعها في خارج الحرم حفاظًا على نظافة المسجد والمنطقة المجاورة له ومثلها سوق الحطب لتجنب المصلين والحجاج أذاها[٤]. وسوق مِنى تقع بالقرب من العقبة بجوار مسجد الكبش[٥]. أما أسواق جُدّة فهي تقوم داخل المدينة بالقرب من الجامع، ومدينة جُدّة تقع على البحر وكانت محصّنة[٦]. وسوق المدينة تقع بجوار المسجد النبوي وتتجاوزه من كل الجهات عدا أسواق المواشي فتقع في ناحية من المدينة خارج منطقة الحرم النبوي حفاظًا على نظافتها وتجنب

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٣؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢١- ١٢٢؛ وانظر: الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦٠.

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، ص١٠٠، ١٥٤؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٠.

(٣) الفاكهي، المصدر السابق، ص١٥٤؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢١٠.

(٤) ابن فهد، المصدر السابق، ص٢١٠.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٩.

المصلين ضجيجها وأذاها[١]. وللجار سوق عامرة تقع بجوار الجامع على البحر[٢].

وتقع سوق ينبع عند باب الحصن بجوار الجامع[٣]، والحَوْرَاء[٤] هي ساحل خيبر لها سوق عامرة موقعها في الربض من نحو البحر[٥].

كما أن أسواق اليمن من أبرز الأسواق الإقليمية في الجزيرة العربية وهي كثيرة[٦] إلا أن أهمها سوق زَبِيْد التي تقع في داخل سور المدينة بعيداً عن الجامع، وممرات هذه السوق ضيقة والأسعار بها غالية[٧]. أما أسواق صَنْعَاء فتقع في ناحية مما يلي قبلتها وتمتد على طول الشارع من الجانبين، وقد ذكر الرازي أنها كانت تُقام في واديها سوقٌ للعراقيين وهذا "الموضع قريب من نصف البلد"[٨]. وأسواق عدن قريبة من الفرضة مما يلي الساحل والجامع ناءٍ عن الأسواق[٩]. أما أسواق عُمان والبحرين ففي

(١) ابن شبّة، تاريخ المدينة، ج١، ص٣٠٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٠؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص٧٤٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله عبدالعزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢١٠.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٣.

(٤) الحَوْرَاء: فرضة من فرض البحر تلقاء ينبع، ترفأ إليها السفن من مصر، (البكري، معجم ما استعجم، من أسماء البلاد والمواقع، حققه مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص٤٧٤).

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٣؛ والربض: ما حول المدينة من أبنية خارجًا عنها وتحت القلاع، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١١٠٧).

(٦) انظر الجدول الخاص بأسواق الجزيرة في فترة الدراسة الملحق بالكتاب.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٤ -٨٥.

(٨) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١٠٥.

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٥؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٢٠.

الغالب أنها كانت تقوم وسط المدن الرئيسة حول المسجد الجامع ودار الإمارة مثل أسواق المدن القريبة من خط التجارة والملاحة البحرية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مَسْقَط وصُحَار ودَبَا وجُلَّفار(١) والعُقَيْر، ودارين والقطيف، وأُوال، فقد كانت أسواق مدينة صُحَار تقع غير بعيدة عن الجامع الذي يقع على البحر وأشار إليها المقدسي بقوله: "والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق"(٢)، وقال عن أسواق السِّر(٣): والجامع في السوق"، ومثلها مدينة حَفِيت(٤) التي تقوم أسواقها بجوار الجامع، فعنها يقول المقدسي: "والجامع في السوق". وكذلك أسواق المدن الداخلية التي تصب فيها طرق التجارة البرية في هذه المنطقة مثل مدينة نَزْوَة(٥) حيث تقع سوقها عند الجامع، وربما تجاوزته من كل جانب فيروي المقدسي "والجامع وسط السوق"(٦). وأسواق الأحساء(٧) من أبرز أسواق هذه الناحية

(١) جُلَّفار: بلد بعُمان عامرة كثيرة الغنم والجبن والسمن يجلب منها إلى ما جاورها وهي على الساحل، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٢٨، ١٥٤؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، جامعة بغداد، ١٩٧٦-١٩٧٧م، ص٦٥).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢- ٩٣.

(٣) السِّر : قال عنها المقدسي: إنها أصغر من نَزْوَة والجامع في السوق، وقد التفَّت بها النخيل، (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٣؛ وانظر : عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص١٩٠).

(٤) حَفِيت: وهي مدينة كثيرة النخيل ، والجامع في السوق، (المقدسي، المصدر السابق، ص٩٣؛ وانظر: عبدالرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى، ص٦٨).

(٥) نَزْوَة: هي مدينة داخلية، وتقع في السفح الجنوبي للجبل الأخضر، ذكرها المقدسي بأنها في حد الجبال كبيرة بنيانها طين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٣؛ ووصفها ياقوت بقوله: "نَزْوَة جبل بعُمان وليس بالساحل، وعنده قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم"، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨١؛ وانظر لمزيد من المعلومات : عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص٦٥- ٦٦.

(٦) المقدسي، المصدر السابق، ص٩٣.

(٧) الأَحْسَاء: مدينة بالبحرين كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن سعيد الجنابي القرمطي، وهي كثيرة النخيل، (ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص١١٢).

فقد ذكر المقدسي أنها "قصبة هَجَر وتسمى البحرين[١]، ولها أسوار حصينة تقع الأسواق داخلها على كثيب يسمى الجَرْعَاء[٢]. وكانت أسواق اليمامة تقع داخل أسوار المدن حول دار الإمارة وبجوار الجامع، وذلك لتوفير الحماية لها ومنعها من اعتداء العابثين فيها بسبب كثرة الاضطرابات التي سبق الإشارة إليها فيما سبق، وزيادة خطر اللصوص وقطاع الطرق الذين روعوا أهلها من حين لآخر، مثلما حدث عندما تعرضت اليمامة لغارات بني نُمير عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م[٣]. فكانت سوق جَوٍّ الخَضَارم عند حصنها داخل السور[٤]. وتقع سوق أكمة[٥] عند المنبر، ومثلها سوق جَمّاز بالفقي[٦]، وكانت سوق الثّعْلَبيّة داخل سورها عند المنبر[٧]. أما سوق فَيْد فتقوم في الربض ويطيف بها سور[٨]. كما كان لبعض أسواق اليمامة سور خاص بها مثل سوق الفَلَج التي وصفها الهَمْداني بقوله: "وسوق الفَلَج عليها أبواب الحديد، وسمك سورها ثلاثون ذراعًا ومحيط به

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٣.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٣؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٢؛ وانظر : الإدريسي، جزيرة العرب، ص٥٠.

(٣) انظر العوامل السلبية المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب.

(٤) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٢؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١؛ وانظر ما ذكر عنها في أنماط الأسواق من هذا الكتاب.

(٥) أكمة : قرية باليمامة كبيرة وكثيرة النخيل، وبها منبر وسوقها لجعدة، وقُشير، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦١٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٤١).

(٦) جَمّاز: سوق في قرية عظيمة لها منبر، من أكبر منابر اليمامة، (الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٧-٢٦٨؛ وهي في موضع قريب من روضة سدير حاليًا، انظر الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥١).

(٧) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٥، والمقصود بالمنبر المركز الإداري في المدينة.

(٨) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٣٠٦-٣٠٨.

الخندق"[١]، وذلك لتوفير الأمن وتوطيده فيها وحراستها من عبث اللصوص وقطاع الطرق. وهناك أسواق محلية أخرى في اليمامة تقوم حول موارد المياه ويؤمها الأعراب الضاربون حولها[٢].

مما تقدم يتضح تباين مواقع الأسواق في الجزيرة العربية، فمنها ما يقع في وسط المدن حول المسجد الجامع ودار الإمارة، نظراً إلى أن السوق من المراكز الحيوية التي تتفاعل فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما هو الحال في معظم أسواق الحجاز واليمن وعُمان والبحرين، ونوع آخر يقوم في أطراف المدن مثل بعض أسواق مكة والمدينة وزَبِيْد بعيدًا عن الجامع حفاظًا على نظافته، ونوع ثالث يقع عند فرضة البحر أو قريبًا منه مثل أسواق عَدَن وصُحَار، ونوع رابع يقوم داخل أسوار المدن أو داخل أسوار خاصة بها مثل أسواق اليمامة وذلك بما يتلاءم وواقع الحالة الأمنية في هذه المنطقة، بالإضافة إلى ما يقوم منها في أوقات معينة عند موارد المياه التي كان يؤمها الضاربون حولها من الأعراب وغيرهم.

ب - تنظيمها :

اشتهرت مكة بتنظيم أسواقها التجارية المتخصصة مثل سوق العطارين التي كانت تتميز بحسن تنظيمها وجمال مبانيها، وأكثر ما يعرض في هذه السوق الأدوية والعقاقير والعطور[٣]. وكانت حوانيت هذه الأسواق تقع في

---

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٥.

(٢) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٣٠٤، ٣١٦.

(٣) الفاكهي، أخبار مكة، ص١٠٠؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢١-١٢٢؛ والعقار ما يتداوى به من النبات والشجر، قال الأزهري: العقاقير الأدوية، أي أصول الأدوية، انظر: (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٨٤٠).

صفوف منتظمة أو متجاورة أو متقابلة، ويتضح أن تجار كل صنف أو مهنة كانوا يزاولون نشاطهم في حوانيت متقاربة رُبّما لا يختلط بهم تجار من غير مهنتهم كما هو الحال في السوق التي تقع عند جبل المروة حيث كانت تضم عشرين دكانًا متقابلة يشغلها حجامون لحلق شعر الرأس(١). ومثلهم البزازون إذ كانوا في ناحية من السوق لا يخالطهم أحد من غير أبناء مهنتهم(٢). أما سوق الماشية فهي تقوم في ساحات مكشوفة بعيدة عن المسجد الحرام كما أسلفنا(٣). وكانت تزين أسواق مكة الواقعة بين الصفا والمروة ليلة عيد الفطر بمظاهر الزينة يقول عنها المقدسي: "وبمكة تنصب القباب ليلة الفطر ويزين السوق بين الصفا والمروة ويضربون الدبادب إلى الصباح" (٤). كما كانت سوق مِنى عظيمة الترتيب، لها قياسير وحوانيت مبنية بالحجر وخشب الساج، وقد أثنى على تنظيمها المقدسي بصفته شاهد عيان(٥).

ونظمت أسواق جُدَّة من حيث توزيعها وتنظيم طرقاتها، وقد روعي أن يكون لكل صنف من التجار حوانيت ودكاكين منتظمة بعضها إلى جانب بعض، وكان لهذه السوق فنادق أشبه ما تكون بالأسواق ينزلها التجار ويضعون بضائعهم في أسفلها، بالإضافة إلى وجود المخازن الكبيرة لحفظ البضائع لكثرة السلع الواردة لها عن طريق فرضتها فهي مُطّرح اليمن

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢٣؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢١٠.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٠؛ وانظر: أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦٥.

(٣) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٢١٠.

(٤) المقدسي، أحسن الأقاليم في معرفة الأقاليم، ص١٠٠؛ والدبادب الطبل، وقيل الدبادب الكثير الصياح والجلبة، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٩٣٩).

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩.

ومصر، فهذه السوق يزداد نشاطها مع موسم الحج، وقد ذكرها الإصطخري بأنها خزانة مكة[١]، وكانت حوانيت سوقها مبنية بالحجارة والطين ومغطاة بالخشب، شأنها في ذلك شأن أسواق مكة[٢]. وقد أثنى على تنظيمها ناصر خسرو عندما زارها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بقوله: "وفيها أسواق جميلة"[٣].

أما أسواق المدينة فهي أيضاً تنقسم إلى أسواق صغيرة منها سوق العطارين التي تخصصت في بيع العقاقير والعطورات وأدوات الزينة[٤]. وأسواق الرقيق[٥]، وسوق البزازين لبيع الأقمشة[٦]، وسوق الحاصلات الزراعية، كالتمور والفواكه والحبوب، وكان للحدادين ناحية، وللجزارين ناحية أخرى، فضلاً عن أسواق الدواب الواقعة خارج الحرم، وكانت حركة أسواقها التجارية تنشط في معظم الأوقات لكثرة تردد الزوار عليها، ويبدو أن معظم حوانيت هذه الأسواق مسقوفة للوقاية من عوامل الطبيعة وللحفاظ على الأموال فيها[٧]. وبعض هذه الأسواق كانت تقوم في ساحات مكشوفة[٨].

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣؛ وانظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٢٠.

(٤) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى "ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م"، أنساب الأشراف، القدس، مطبعة الجامعة، ١٩٣٨م، ج٤، قسم ٢، ص٤٣؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٥٤، وكانت أسواق المدينة عامرة بمثل هذا النشاط في العصر الأموي، (انظر: السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٠٤-١٠٥).

(٥) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب "ت ٨١٧هـ/١٤١٥م"، المغانم المطابة في معالم طابة، الرياض، منشورات دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٣١٠.

(٦) مالك، أبو عبدالله مالك بن أنس "ت ١٧٩هـ/٧٩٥م"، المدونة، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م، ج٢، ص٢٥٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٤٧؛ عياض، أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص١١٥.

(٧) ابن شبّة، تاريخ المدينة، ج١، ص٣٠٤؛ ولمزيد من المعلومات، انظر: صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص٣١٢.

(٨) ابن شبّة، تاريخ المدينة، ص٣٠٤ وما بعدها.

وأسواق اليمن عرفت نظام التخصص التجاري في تنظيم أسواقها مثل سوق صَنْعَاء التي كانت من أهم أسواق اليمن بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة، وقد غلب التخصص على تنظيم أسواقها فكان لكل طائفة من التجار ناحية معينة من أقسام هذه الأسواق، لا يخالطهم فيها غيرهم، مثل سوق الحياكة وسوق العطارين وسوق الجلود، وسوق الحدادين(١) وأسواق أخرى للحبوب، والفواكه والمواشي، وسوق التبانين(٢)، بالإضافة إلى أسواق التجزئة الصغيرة التي توفر الطعام للأحياء السكنية، فقد ذكر الرازي أن عدد دورها كانت مئة وعشرين ألف دار في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي(٣)، وعلى الرغم مما قد يبدو في هذا الرقم من مبالغة فإنه مؤشر إلى كثرة المساكن والكثافة السكانية، لذلك فإن سوق صَنْعَاء تعدُّ من المراكز التجارية الرئيسة في اليمن التي يكثر التجار فيها في مختلف المواسم، ويؤيد ذلك ما أشار إليه ابن حوقل حينما ذكر أنها مجمع التجار والأموال(٤). وعن ذلك يقول ابن رستة: "ولهم خانات كثيرة، وفيها خلق كثير يعملون في حوانيتهم وفي أواني الجزع، وأنواع الخرز"(٥). وهذا دليل على أن أسواقها شهدت في هذه المدة نشاطًا تجاريًا مزدهرًا، وكان لمدينة صَنْعَاء شارع يشقها نصفين، وعلى ضفته قصور مبنية من الجصّ والحجارة، وذكر ابن رستة أن عامة هذه القصور للدبّاغين الذين تنتشر حوانيتهم فيها(٦).

---

(١) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص٢٧، ١٠٥، ١١٥.

(٢) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٢٦٦، والتبانون هم بائعو التبن.

(٣) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١١-١١٢.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٣.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١١٢.

(٦) ابن رستة، المصدر نفسه، ص١١١.

وقد بلغت أسواق صَنْعَاء سنة ٣٨١هـ/٩٩١م سبع مئة حانوت منتظمة في صفوف متتالية أو متجاورة[١]. وإلى جانب هذه الحوانيت تقوم في بعض هذه الأسواق القيسريات المخصصة في الغالب لفئة معينة من التجار، مثل تلك التي كانت في سوق العراقيين لبيع البهارات والعطور والبخور[٢]. وقد رصد الرازي عدد معاصر الزيوت في سوق صَنْعَاء فكانت أربعًا وخمسين معصرة يعصر بها السمسم، وعدَّ مطاحن القرظ الذي يدبغ به الجلود والأدم فوصلت إلى ثلاثة وثلاثين مطحنًا[٣].

ولا ريب أن نظام التخصص هذا الذي تميزت به أسواق صَنْعَاء أدى إلى خدمة الحركة التجارية وتنظيمها وتوزيعها بصورة أكثر كفاءة، حتى أبدى المقدسي إعجابه بحسن أسواقها، وكان بعضها مبلطًا بالحجارة وبعضها الآخر تقوم في أرض مكشوفة واسعة لا بناء فيها، كما كانت عرصاتها مشاعة للجميع[٤]. وكانت معظم هذه الأسواق نشطة بصفة دائمة طوال النهار، وربما استمر بعضها إلى الليل كأسواق التجزئة التي تخدم الأحياء السكنية كما أسلفنا من قبل، ويبدو أن نشاط أسواق صَنْعَاء يزيد في أول النهار، حيث يلتقي أهل البادية والضواحي القاطنون حول مدينة صَنْعَاء في أسواقها يتحوجون في وقت مبكر من النهار[٥].

---

(١) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٤-٨٦؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٦٥، وعرصات الأسواق هي الساحات المكشوفة داخل السوق.

(٥) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص٩٦.

وقد اشتهرت مدينة زَبِيْد بحسن تنظيمها ونظافتها، وكانت معظمها مسقوفة تتخللها شوارع ضيقة، وقد أفرد لكل مهنة تجارية ناحية خاصة بها مثل سوق القماش، وذلك على غرار ما كانت عليه أسواق مكة من حيث التخصص، وتستمر حركة سوق زَبِيْد من أول النهار حتى آخره تتعاظم فيها حركة البيع والشراء[١]، ولها سوق أسبوعية تسمى الوعد كانت تعقد يوم الجمعة ويرتادها البوادي والقرى القريبة من زَبِيْد[٢].

وكانت سوق عَدَن مقصدًا يؤمها من أراد الغنى حيث يذكر المقدسي أنها: "فرضة اليمن وخزانة المغرب، ومعدن التجارات"[٣]. وقال عنها في موضع آخر: "قصدت بلادًا قد غرّت كثيرًا من الناس وصدّتهم عن طريق الوَرَع والقناعة"[٤]. ومما يميز هذه السوق كثرة حوانيتها المنتظمة في شكل صفوف متراصّة أو قيسريات، ولها مخازن وخانات كبيرة توضع فيها السّلع والبضائع التجارية، ولها دكاكين وحوانيت تؤجّر على التجار[٥]، كما كانت معظم أسواقها مسقوفة وتغطّى ممراتها بمظلات تقي التجار لفحة الشمس في أثناء مزاولة البيع والشراء[٦]. وكان للتجار فيها مطارح ودور ينزلونها عند رسوّ سفنهم في مرفئها[٧].

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٧٩، ٩٩؛ وانظر لمزيد من المعلومات : سالم دياب الصفدي، الأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة المنيا، كلية الآداب، مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٢.

(٢) الخزرجي، علي بن الحسين بن أبي بكر "ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م"، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، القاهرة، سنة ١٩١١م، ج٢، ص١٩٨.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص١٩ وما بعدها؛ وانظر : سالم دياب الصفدي، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في اليمن خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، ص١١٤.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٥، ٤٣٠.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٧؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص١٤٤؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٢٠-٢١.

ولا غرو أن تكون هذه السوق منظمة فقد كانت مرسى للسفن القادمة عليها من مختلف الأمصار، فلم تقتصر تجارتها على البلدان القريبة منها فحسب وإنما كانت تصلها تجارة الصين والهند ومصر، وشرقي إفريقيا وغيرها من الأقطار الأخرى(١). وكانت الحركة الملاحية تنشط في عَدَن وهو ما ساعد على ازدهار نشاط أسواقها التجارية، فيذكر ابن حوقل أنها: "فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر"(٢). لذلك كثرت السلع وزاد عدد الأسواق التي تعرض فيها البضائع وهو ما أدى إلى تنظيمها، فكان لكل تجار مهنةٍ جانبٌ خاص بهم في السوق وفقًا لمجال التخصص بحيث لا يخالطهم فيها أحد مثل ناحية الزنج التي أشار إليها المقدسي عندما شاهدها بقوله: "وعملت على الذهاب إلى ناحية الزنج وأتيت ما ينبغي أن يشترى..."(٣). وناحية خاصة بالعطارين تعرف بسكة العطارين يبيعون البهارات والعطور والبخور وأدوات الزينة(٤). وكان لكل سوق أيضًا صرّاف خاص بها، وهذا دليل على تطورها التجاري(٥).

إن أسواق عَدَن كانت على درجة من الإبداع والترتيب الحسن وهو ما جعلها ملتقى التجار القادمين من الشرق والغرب، فتكدست فيها البضائع المتنوعة ومن أهمها تجارة التوابل، بل ربما تفوقت على غيرها في هذا النشاط(٦)، وكان لتجارة المرور هذه أثرها في تنظيم حركتها التجارية حيث

---

(١) انظر فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٤.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨.

(٤) الجاحظ، الرسائل، ج١، ص٢٢٤؛ الإدريسي، الجزيرة العربية من نزهة المشتاق، ص٤٥؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص١٤٤.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٥، ٤٣٠.

(٦) المقدسي، المصدر السابق، ص٢٠٥، ٤٣٠.

كانت لفرضتها بوابة كبيرة مسقوفة يتم فيها تقدير البضائع وتسجيل الوارد والصادر منها[١]. ويتم إحصاء المراكب التي تصل فرضتَها وتسجيل حمولتها من البضائع والأمتعة وتدوّن أسماء التجار وأصحاب السفن وجهة قدومهم[٢].

ولا ريب أن تكون هذه السوق حافلة عامرة طوال فترة الدراسة؛ لأن بها كل غريب من سائر الصناعات والتجارات، وكان أهلها مياسير، ونستطيع القول كذلك بأن هذه السوق قد أفادت من اتصالاتها التجارية بالأقطار الأخرى في تنمية نظمها والأخذ بأسباب التقدم المادي، فنالت إعجاب الهَمْداني الذي عَدَّها من أمهات مدن تهائم اليمن وأحسنها وأعظمها[٣].

وكانت أسواق اليمامة تنتظم حول دار الإمارة وبجوار المسجد الجامع داخل الأسوار، وكانت تقسيماتها تشبه - إلى حد ما - تقسيمات أسواق الحجاز، فكانت الأسواق الكبيرة داخل المدن الرئيسة تتفرع إلى أسواق فرعية للخضراوات والفواكه والحبوب، والعطور والدواب[٤]، ولحرف الحدادة والجزارة[٥]، وخلاف ذلك من التخصصات التجارية والمهنية الأخرى، فكانت الأسواق المتخصصة بصناعة سلعة معينة تقترب من أسواق الحرف المتقاربة منها أيضًا، وقد أشار ناصر خسرو إلى ذلك عندما زار اليمامة في قوله: "حيث صُنَّاع من كل نوع"[٦]. وبعض هذه الأسواق كانت

---

(١) الإدريسي، الجزيرة العربية من نزهة المشتاق، ص٥٤؛ وانظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) الجعدي، عمر بن علي بن سمرة "ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م"، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، لبنان، دار القلم، ص١١٤-١١٥.

(٣) الهَمْداني، الإكليل، ج٢، ص١٩٥.

(٤) ذكر ابن حزم أن المحدث يحيى بن أبي كثير كان عطارًا في اليمامة، جمهرة الأنساب، ص٣١٣؛ وانظر لمزيد من المعلومات: صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص٢٥٠.

(٦) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١؛ وانظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٨.

تعقد داخل حوانيت أو قيساريات كبيرة وبعضها في الساحات المكشوفة كسوق الدواب، وكان معظم هذه الحوانيت تنتظم داخل أسوار المدن المحصنة وفقًا للمهن والبضائع المعروضة فيها مثل سوق الخَضْرَمة، وسوق الفَلَج، فقد ذكر الهَمْداني أنّ سوق الفَلَج كانت تضم أربع مئة حانوت(١). فربما كان لكل أصحاب تجارة ناحية معلومة في هذه السوق يزاولون نشاطهم التجاري فيها سواء في الحوانيت أم في عراص خاصة بهم، وهذه السوق حسنة التنظيم يتجلى ذلك من وصف الأصفهاني عندما قال عنها: "إن الفَلَج قرية عظيمة ولها سوق حارة"(٢).

ولا غرو أن تتأثر هذه السوق بتنظيمات الأسواق الأخرى فهي من أعمر أسواق الجزيرة العربية في هذه المدة وأنشطها، فكان التجار يتوافدون إليها من مختلف أقاليم الجزيرة ومن الأقطار المجاورة لها، وقد أشرنا من قبل لنشاط هذه السوق(٣).

أما أسواق الساحل الشرقي للجزيرة العربية مثل سوق مَسْقَط وصُحَار ودَبَا والأحْسَاء ودارين والقطيف وأُوال "البحرين" فكان لكل منها تنظيمها الخاص بما يتناسب ونشاطها التجاري، فهذه الأسواق كانت تمثل مراكز بحرية وبرية لتجارتها الداخلية فضلاً عن تجارة المرور التي تفد إليها من الجهات الأخرى، وفي الغالب كانت تنتظم حوانيت هذه الأسواق في صفوف متجاورة، وخصص لكل تجارة ناحية خاصة بها داخل السوق الكبيرة، ولكل سوق صراف خاص بها يتولى تبديل العملات التي يحملها التجار الوافدون عليها من خارج الجزيرة العربية الذين يكثرون في هذه الأسواق في مختلف

---

(١) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٢١-٢٢٢.

(٣) انظر نمو الأسواق من هذا الكتاب.

المواسم(١). فكانت بعض أسواق عُمان والبَحْرَين في غاية التنظيم، مثل أسواق صُحَار التي أثنى عليها المقدسي عندما وصفها بقوله: "صُحَار هي قصبة عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه، عامر، آهلٌ حسنٌ طيب، أسواق عجيبة وبلدة طريفة"(٢). وأسواق القطيف كانت حسنة التنظيم ويكثر فيها التجار الذين يقبلون على شراء اللؤلؤ منها(٣).

إن تنظيم أسواق الجزيرة العربية في هذه المدة ساعد على رواج التجارة الداخلية على ما يبدو حيث كسبت ثقة أصحاب الأموال الذين يترددون عليها من وقت لآخر، وهو ما أدى من جهته إلى ازدهار نشاط التجارة الخارجية وهذا ما يحاول هذا الكتاب إبرازه عند الحديث عنها في الفصل القادم.

ج - الرقابة على الأسواق :

أما مراقبة الأسواق والإشراف عليها، فقد كانت السلطات تهتم بها اهتمامًا بالغًا تأسيًا بتعاليم الإسلام فقد كان الرسول - ﷺ - يتولى مراقبة أعمال السوق بنفسه(٤). وترسم أثره الخلفاء الراشدون من بعده(٥). وفي

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٤١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٥٦.

(٤) كان الرسول ﷺ يباشر أعمال الحسبة بنفسه، ومنع المعاملات التجارية التي تخالف تعاليم الإسلام من غش واحتكار وربا وغرر، وغير ذلك، (القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم "ت ٢٦١هـ/٨٧٤م"، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج٣، ١١٥٨-١١٥٩؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٢، ص٦٢١).

(٥) كان الخليفة عمر - رضي الله عنه - يراقب السوق بنفسه وعاقب بعض التجار الذين يفسدون فيها ويتحايلون، ومثله فعل علي رضي الله عنه، فكان يتجول في الأسواق ويحث الناس على تقوى الله وحسن البيع، (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨؛ أبو عبيد، معمر بن المثنى "ت ٢٠٩هـ/٨٢٤م"، الأموال، ص١٣٧؛ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم "ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م"، الحسبة، تحقيق صلاح عزام، القاهرة، مطبوعات الشعب، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٥٠؛ وكيع، محمد خلف بن حيان "ت ٣٠٦هـ/٩١٨م"، أخبار القضاة، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٧-١٩٥٠م، ج١، ص١٩٦).

عهد الدولة الأموية عني الخلفاء بمراقبة الأسواق في مختلف الأمصار الإسلامية وعهدوا بمراقبتها إلى الولاة والقضاة وأصحاب الشُّرط[١]. وفي عهد الدولة العباسية برزت أهمية وظيفة المحتسب الذي يتولى مراقبة المكاييل والأوزان وشملت صلاحياته معاملات الناس ومهنهم داخل الأسواق ويعاونه بعض العمال الذين يقومون بمهام مختلفة فمنهم من يتولى حراسة الأسواق في الليل والنهار[٢]، ويتولى المحتسب كذلك الحكم بين أصحاب المهن فيما يقع بينهم من خصومة[٣]. وكان يراعَى عند اختيار عامل السوق أو المحتسب أن يكون ملمًّا بأمور الدين عالمًا بأحكام الشريعة؛ فهو يقوم أيضًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

وكانت التعليمات والعهود في الأساس توجه للمحتسب من مركز الخلافة كما هو الحال في عهد الخليفة الطائع حيث صدرت عنه بعض العهود في سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م إلى ولاة الحسبة يأمرهم فيها بأن يقوموا بتصفح أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومن وجدوا عليه حيلةً أو تلبيسًا أو بخسًا فيما يقوم به من عمل في السوق، نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها[٥].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١١-١٥.

(٢) ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص٣٢.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد"ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م"، الأحكام السلطانية، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٩م، ج٤، ص٣٤؛ ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص٦٠.

(٤) الشيزري، عبدالرحمن بن نصر "ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م"، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦م، ص٦ وما بعدها.

(٥) الصابي، الرسائل، ج١، ص ١١٤، ١٤١-١٤٢؛ وانظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٧.

ومن هنا يتبين لنا أن المحتسب أو عامل السوق كان معنيًا بمراقبة أعمال التجار في الأسواق بصفة عامة، وله سلطة معاقبة العابثين فيها، وقد فصّل الماوردي في حديثه عن مهام المحتسب عندما ذكر رجال الحسبة، وما يتعلق بأمور الناس في معاملاتهم ومبايعتهم[١]. ويبدو أن أسواق الجزيرة كانت تخضع لإشراف ولاة الحسبة، فقد أشارت المصادر لوجودهم مثل بُرْدَان الذي تولى سوق المدينة، إذ قال عنه الأصفهاني: "قال سياط: رأيت بردان بالمدينة يتولى سوقها، وقد أسنّ"[٢]. كما كان لسوق مكة والٍ يشرف عليها فقد ذكر الفاسي أن الحسن بن علي بن عبدالله بن علي من أولاد عتبة بن أبي لهب عين واليًا لهذه السوق زمن المطيع "٣٤٤-٣٦٢هـ/٩٤٥-٩٧٣م"[٣]. وأشار المقدسي إلى المحتسب الذي كان يتولى أسواق عدن حيث يقول عنه: "ودلوني على المحتسب وقالوا: عساه يعرفه"[٤]. ومن موظفي الأسواق جُباة الضرائب مثل ما كان متبعًا في جُدة والسِّرَّيْن وعَثَّر وزَبِيْد[٥]. وكذلك أصحاب العيار[٦] ودار ضرب النقود حيث كانت هذه

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣،٥٠؛ فكان للمحتسب أن يقر وينكر بعض الأمور المتعلقة بأحوال الأسواق مثل منع الأوزان التي تسبب الالتباس في حالة الوزن، فلا يمكن أن يفرق المشتري الثلث من النصف، وكان المحتسب يراقب أسواق الرقيق ويأمر بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه والحذر من وقوع تجوز فيه، ولا يمضون على شُبهة ولا عقدًا على تهمة، الصابي، الرسائل، ج١، ص١٦٢.

(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج٨، ص٢٧٧؛ وانظر: صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص٣١٠؛ ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص٣٢.

(٣) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٤، ص٢٠٤.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٤-١٠٥.

(٦) صاحب العيار: هو الذي يراقب تحديد نسبة الوحدات الوزنية بعضها لبعض وضبط تحديد صنج الوزن، (انظر: المقريزي، شذور العقد في ذكر النقود، القاهرة، مطبعة الأمانة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٦٥).

تخضع لرقابة السلطة، يذكر الهَمْداني: "أن جعفر بن دينار لما قدم اليمن سنة اثنتين وثلاثين ومئتين صير على العيار بصَنْعَاء ابن الحُبَاب وفوضه في دار الضرب وأسبابها فكان يستقصي على الناس في عياراتهم"(١). وكان صاحب عيار صَعْدَة في هذا الوقت إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن(٢).

ومن هذه الروايات يتجلى لنا أن أسواق الجزيرة العربية كغيرها من أسواق الدولة الإسلامية الأخرى تخضع لمراقبة السلطة الحاكمة التي تطبق من ناحيتها تعاليم الإسلام وتنفّذ التعليمات التي تضعها أو تقرها الخلافة وبما يكفل استتباب الأمن والنظام ومنع ما من شأنه أن يضر أو يعكر صفو أهل السوق أو ما يسبب الاضطرابات والقلق للتجار في متاجرهم، مع مراعاة اتباع الشريعة الإسلامية في أحوال البيع والشراء وفي جميع المعاملات التجارية، وتحقيق مبدأ حرية التجارة .

التجار العاملون في أسواق الجزيرة العربية :

ترتب على اتساع حركة المبادلات التجارية داخل الجزيرة العربية أن شارك عدد من التجار سواءٌ من داخل الجزيرة أم خارجها في النشاط التجاري الذي تميزت به أسواقها في هذه المدة، فكان التجار من أهل الحجاز وأهل اليمامة وعُمان واليمن والبحرين يتنقلون من إقليم لآخر، ويلتقون التُّجارَ من خارج الجزيرة أو دار الإسلام، مثل التقاء تجار الحجاز في عَدَن التجارَ من الهند والسند والصين وكَرمَان وعُمان وغيرها من

(١) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص١٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٤.

الأقطار الأخرى[١]. وقد أشار الجاحظ إلى نشاط أهل المدينة في قوله: "إنه ليس في الأرض بلدة واسطة ولا نائية شاسعة ولا طرف من الأطراف إلا وأنت واجد بها المديني"[٢]. ويشير شاهد عيان إلى تنقل التجار من اليمن إلى الحجاز قائلاً : "وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صَعْدَة... "[٣]. وكان بعض هؤلاء التجار يشتغل بطلب العلم إلى جانب مزاولته التجارة مثل أبي الحسن المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني الذي أخذ عن علماء مكة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م سنن أبي داود، يقول عنه الكِندي: "كان هذا يعرف بالتاجر، فيقال : المغيرة العدني التاجر"[٤]. ولا سيما أن الحج موسم تجارة يلتقي الناس فيه من سائر الآفاق، فقد ذكرت المصادر أن رجلاً عُمانيًا ورد مكة آنذاك بلؤلؤتين لم يُرَ مثلُهما، فباعهما بألف دينار ذهبًا من رجل سَمَرْقَنْدِي[٥].

وقد تباين نشاط تجار الجزيرة العربية، فمنهم من عمل في تجارة الجملة فهؤلاء يقومون بشراء البضائع بمقادير كبيرة وخزنها عند قلة الطلب عليها وبيعها عند زيادة الحاجة إليها، وعادة ما يحققون أرباحًا طائلة[٦].

---

(١) شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب "ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م"، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليبزج، ١٩٢٣م، ص٢١٦؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر، عدن، ص٩، ولمزيد من المعلومات انظر : شوقي عبدالقوي عثمان، سحر عبدالعزيز سالم، تجارة عُمان في الكارم وصداها، حصاد ندوة العلاقات العُمانية المصرية، عُمان، ١٩٩٢م، ج٢، ص٥٧.

(٢) الجاحظ، البخلاء، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢٦٧.

(٣) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٥.

(٤) الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ص٢٤٩.

(٥) البكري، جزيرة العرب، ص٣٦.

(٦) الدمشقي، محاسن التجارة، ص٤٨-٥١.

واختص بعضهم بالاتجار في سلعة دون غيرها، فهناك تجار الأقمشة أو التوابل، أو العطور، أو الرقيق، أو المواشي، وغير ذلك[١].

وهناك تجار ينقلون بضائعهم من مكان لآخر سعيًا وراء المكاسب والأرباح كتجار الأسواق الأسبوعية أو الفصلية أو السنوية[٢]، فتجار قوافل الحج مثلاً، كان بعضهم يزاول حركة البيع والشراء للحجاج داخل أسواق الجزيرة العربية أو على طرق قوافل الحج العراقي كالنِّبَاج وضَرِيَّة وفَيْد، وكذلك طريق الحج الشامي والمصري كمحطة تَبُوك وتَيْمَاء[٣] ووادي القُرَى والحَوْرَاء والجَار وغيرها من محطات الطرق الأخرى[٤]. وهناك منهم من يتاجر مع البدو الرحل في البادية حيث مناهل المياه، فيبيعون لهم الحلي وأدوات القتال والأدوات المنزلية والملابس، وبعض السلع الضرورية الأخرى[٥]. وفي مثل هذه الحالة قد يكون التاجر هو منتج السلعة نفسها التي يبيعها .

وينشط عمل تجار التجزئة داخل الأسواق الرئيسة لما يحصل لهم من أرباح كثيرة فيها، ومنهم من يتولى أعمال البيع والشراء بنفسه أو بواسطة وكلاء يثقون بهم لتصريف بضائعهم أو شراء غيرها نيابة عنهم[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٢؛ وانظر ما سبق أن بيناه عن الأسواق الموسمية ومحطات القوافل من هذا الكتاب.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٥.

(٣) تيمَاء: بلد بين الشام ووادي القرى على طريق الحاج الشامي، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٦٧؛ ويقول عنها الحميري: إنها من أمهات القرى على سبع ليال من المدينة المنورة، الروض المعطار، ص١٤٦)، وهي حاليًا تابعة لإمارة حائل.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧؛ وسنتناول اتصال هذه المناطق بغيرها من مناطق التبادل التجاري، انظر فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٥) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٢٩١-٢٩٩، ٣٠١، ٣٢٢-٣٢٥.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨؛ وانظر : الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ص٣٢٣.

ويبدو أن تجار الجزيرة العربية قد أفادوا من ازدهار النشاط التجاري في هذه الفترة بحكم موقعها المتوسط على الطرق التي تصبّ فيها معظم التجارة العالمية آنذاك من مختلف مناطق التبادل التجاري المختلفة(١). فقد استغل تجار الجزيرة العربية هذه الأحوال ومهروا في مناشط التجارة المتنوعة، حيث كانت أسواق الجزيرة من أبرز مراكز البيع والشراء، وملتقى للتجار الذين يفدون عليها من كل حَدَبٍ وصوب، فيكثر فيها الصفق بين التجار المسلمين وغير المسلمين تحقيقًا لتلبية احتياجات الرقيّ الحضاري الذي يشهده المجتمع سواءٌ داخل الجزيرة العربية أم خارجها(٢). فكانت أسواق عُمان والبحرين والحجاز تعج بالتجار من الهند الذين يصلون إلى موانئ الجزيرة العربية بأنواع البضائع الهندية والصينية(٣). ويشير بُزرك إلى وجود التجار الهنود بقوله : "إننا نراهم في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م جالسين في سفن العرب على مقربة من عَدَن"(٤) ؛ لأنها بلد حط وإقلاع لمراكب الهند، وكان بعضهم يقيم فيها وفي بعض مدن الجزيرة العربية الأخرى، والغالب أن أكثر تجار مكة منهم(٥). ويبدو أنهم قد

---

(١) انظر، فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب حيث سنتناول مناطق التبادل التجاري بشيءٍ من التفصيل.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٢١؛ بولو، ماركو "ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م"، رحلات ماركوبولو، ترجمة عبدالعزيز جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص٣٤١؛ ذكر المسعودي أن حمد ابن هلال حاكم عُمان بعث بهدايا إلى الخليفة المقتدر من بينها قرود موضوعة في سلال عظام من أنواع من الهدايا من عجائب البحر، مروج الذهب، ج١، ص١٣٤.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧؛ وانظر واردات الجزيرة في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) بُزرك بن شهريار، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره، القاهرة، نشر مصطفى فهمي الكتبي، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص١٤٧.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٥٨؛ وانظر : الإدريسي، جزيرة العرب من نزهة المشتاق، ص٥٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٦٢١؛ الدمشقي، شيخ الربوة، ص٢١٦.

صارت لهم جالية كبيرة من التجار تقوم على رعاية مصالحهم التجارية في مختلف أسواق الجزيرة العربية، حتى وصفهم أحد الدارسين بأنهم من أنشط تجار المملكة الإسلامية(١). وهذا ما وضح من الحديث عن وفرة البضائع الهندية وتداولها في أسواق الجزيرة العربية(٢).

وتكثر الإشارات في المصادر إلى التجار الفُرس الذين كانوا يصلون إلى مختلف أسواق الجزيرة العربية في هذه المدة، يقول المقدسي عن أسواق جُدة: غلب عليها الفُرس، لهم بها قصور عجيبة(٣). ثم قال في رواية أخرى: "وأكثر أهل عَدَن وجُدة فُرس"(٤). ويقول الإصطخري عن جُدة أيضًا: وقوام تجارتها بالفُرس"(٥). وكذلك قال ابن حوقل: "كانت جُدة عامرة كثيرة التجارات والأموال وكانت تجارتهم تقوم بالفُرس"(٦).

وعن مدينة صُحَار يقول المقدسي: "وقد غلب عليها الفُرس"(٧). وقد ذكرهم الهَمْداني في جملة التجار الذين يصلون اليمن ويشترون فضتها ثم يحملونها إلى بلادهم، ولذلك كانوا يعرفون بفُرس المعدن(٨). وأشار إلى وجودهم أيضًا في معدن شَمَام(٩) بقوله: "شَمَام معدن فضة ومعدن نحاس وكان به

---

(١) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) سيرد حديث عن واردات الجزيرة العربية من الهند بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩.

(٤) المصدر السابق، ص٩٦.

(٥) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٩.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢.

(٨) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٠-٩١، والمقصود به معدن الرّضْرَاض.

(٩) شَمَام: يعرف أيضًا بمعدن عِرْض شَمَام، وهو الوادي الذي فيه قُرى ومياه، وهو يعرف الآن باسم العِرْض، وأشهر بلدة فيه هي القويعية، (الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٣٧٧ من تعليقات حمد الجاسر).

ألوف من المجوس يعملون المعدن"[١]. وربما شجع التجارَ الفُرس على ارتياد أسواق الجزيرة بكثرة وجودُ جاليات لهم في بعض أقاليم الجزيرة خالطوا أهلها، كما هو الحال في إقليم اليمن حيث استقر بها بعضهم لضرورات سياسية واقتصادية قبل الإسلام وفي العصر الأموي والعباسي[٢]. وكانت هذه الجاليات تعرف في صدر الإسلام باسم الأبناء[٣]. ويلحظ أن الفُرس تركزوا في المدن والقرى التي تشتهر بثرواتها الطبيعية مثل صَنْعَاء وعَدَن وذَمَار[٤] والمعدن[٥]، ويبدو أنهم أفادوا من الامتيازات الاقتصادية في هذه المناطق بالإضافة إلى العلاقات العائلية التي ربطت تجارَ الفُرس المقيمين بأبناء جلدتهم الوافدين في مختلف المواسم، فكانت لهم مشاركة تجارية فعالة في سوق صَنْعَاء، يقول الهَمْداني: "فممن بصَنْعَاء منهم بنو سَرْدَوَيْه وبنو مَهْدَوَيْه وبنو زَنْجَوَيْه وبنو بَرْدَوَيْه"[٦]، وغلبوا على عَدَن كذلك[٧]. وقد أشار الهَمْداني إلى علاقتهم التجارية بتجار خُراسان، خاصة منهم أصحاب معدن الفضة[٨].

---

(١) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٢٩٤.

(٢) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٩٠؛ وقد ورد أنه كان دخول الفُرس لليمن في سنة ٥٧٥م عندما استعان بهم سيف بن ذي يزن الحميري في حربه ضد الأحباش، حيث طلب النجدة من كسرى فارس، فأرسل له قوة قوامها (٧٥٠٠) جنديٍّ على أصح الروايات، وبعد انتصارهم على الأحباش استقروا في البلاد، (انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٧٦ وما بعدها؛ الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص٢٩٨).

(٣) الطبـري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٥٦، ج٣، ص٣٢٣؛ إن مصطلح الأبناء يقصد به الفرس الذين استوطنوا في اليمن منهم المنحدرون من أمهات يمنيات، وعلى العموم فإن هذا المصطلح قد جاء تمييزًا لهذه الجالية في اليمن، (انظر : محمد بن علي الأكوع، الوثائق اليمانية من قبل الإسلام إلى ٣٢٣هـ/٩٣٤م، بغداد، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٢٧).

(٤) اسم قرية باليمن على مرحلتين من صَنْعَاء، والنسب إليها ذماري، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٧).

(٥) هو معدن الرّضْرَاض الذي أشرنا إليه من قبل، ويقع تحت جبل سامك القريب من مأرب، وهو معدن الفضة في إقليم اليمن.

(٦) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٩٠.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦.

(٨) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص١٢٥.

ومن الراجح أن تجار الفُرس كانوا من أبرز التجار العاملين في أسواق اليمن حيث كان لهم أثر فعال في ربط اليمن تجاريًا مع خُراسان وغيرها من المناطق الأخرى في فترة هذه الدراسة[١]. والظاهر أنهم هيمنوا على التجارة في كثير من أسواق الحجاز واليمن وعُمان، وربما البحرين أيضًا بحكم مجاورتها لبلاد فارس وسهولة الاتصال بين المنطقتين، فأهل سِيراف يكثرون في أسواقها[٢].

وكان تجار العراق كبيري الصلة بأسواق الجزيرة العربية تجاريًا خصوصًا أسواق الحجاز واليمن وعُمان، فأسهم العديد منهم في الحركة التجارية الداخلية في أسواق الجزيرة العربية وحملوا إليها المتاع من العراق وما يرد إليه وعادوا بما توفره أسواق الجزيرة العربية من شرق إفريقيا، والهند ومصر والمغرب[٣]، فأشار قدامة إلى وجودهم في أسواق اليمن فقال عن : "صَعْدَة قرية عظيمة ... وأكثر تجارها من أهل البصرة"[٤]. وذكر الهَمْداني جماعة من أهل البصرة يعرفهم ومقيمين بصَنْعَاء يتجرون فيها ويُعرفون في البصرة بالصَنْعَانيين مثل بني مسكين

---

(١) ذكر الهَمْداني: "وخبرني بعض إخواننا النِّهْمِيِّين من أهل المواضع قال: "وصل إلينا من صَنْعَاء ممن يتوصل باليمن رجلان خُراسانيان " كتاب الجوهرتين، ص٩١؛ وانظر لمزيد من المعلومات عن نشاط الفرس في بلاد اليمن بصفة خاصة في هذه الفترة، عبدالمحسن المدعج، الأبناء، مجلة دراسات تاريخية، السنة ١١، العددان ٣٧، ٣٨؛ جامعة دمشق، ١٩٩٠م، ص٣٨ وما بعدها؛ وكذلك انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب وخاصة ما يتعلق بمناطق التبادل التجاري.

(٢) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٥؛ زكي محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، دار الآثار العربية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ص١٣١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٨١؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٣٧٤؛ وانظر التجارة الخارجية في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) قدامه، أبو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب، ليدن، دي غويه، ١٨٨٩م.

وبني بذيل وبني حرب[١]. ويدلّل الهَمْداني على وجود التجار العراقيين بقوله: "وقال من دخل صَنْعَاء من العراقيين"[٢]. وكذلك قوله: "فحمل التجار من العراقيين... فضض اليمن"[٣]. كما كان الجهاز يرد إلى قرية المعدن من البصرة[٤]. وقال في موضع آخر: "وكان سمعان البصري الصراف بصَنْعَاء لا يشتري التبر إلا معروقًا، فكسب مالاً عظيمًا"[٥]. ويشير الرّازي إلى وجودهم في صَنْعَاء قائلاً: " وكانت الدار التي في سوق العراقيين في ملك ابن عنبسة نزلها قبل دخول ابن فضل صَنْعَاء، حيث دخلها علي بن الفضل القُرمطي، وكان ينزل هذه الدار من قدم من البصرة والعراق من أهل اليسار"[٦]. ويقول عن واديها: " إنه سوق العراقيين"[٧].

ومن هذا كله يتضح أن اليمن كانت تجذب التجار العراقيين للإقامة فيها وكذا المصريين، وهذا ما عبر عنه قول الشاعر:

وما من غريب وإن أبدى تجلده   إلا سيذكر بعد الغربة الوطنا
إلا العراقي والمصري إنهما   لا يرجعان إذا ما شارفا اليمنا[٨]

أما الحجاز فتجارتهم معه أشهر مما يذكر، وقد سبقت الإشارة إلى الركب الحاج العراقي في مواطن عدة من هذا الكتاب[٩]. وعلاوة على هذا

(١) الهَمْداني، الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٨، ص٣٧؛ وانظر: الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١٩.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٣.

(٣) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٠، والجهاز المقصود هنا ما تحمله قوافل التجار من سلع وبضائع وأمتعة وأدوات.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٥. والتبر المعروق، أو المعروك، خام الذهب، يعركه المتخصصون حتى ينظف من التراب.

(٦) أي قبل سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١١٢، ١١٣.

(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(٩) انظر فصل العوامل المؤثرة في التجارة، وكذلك فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

فهناك روايات تفصيلية، منها على سبيل المثال لا الحصر أنه في سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م خرج رجلان من تجار بغداد للحج فتبايعا عقارًا في الكرخ وهما بمكة وأشهدا على ذلك إنسانًا ممن حضر الموسم، إلا أن القضاة لم يقروا هذا البيع(١). وذكر المقدسي أن التجار العراقيين كانوا ينزلون وادي القُرى في طريقهم إلى أسواق الحجاز الأخرى(٢).

ولم تَخْلُ أسواق الجزيرة الأخرى من نشاط التجار العراقيين، يقول المقدسي عن مدينة صُحَار العُمانية إنها: "خزانة الشرق والعراق"(٣).

وعُرف التجار المصريون في أسواق الحجاز مثل جُدّة، والجار، ومكة، والمدينة(٤). وقد ذكرهم الهَمْداني في جملة التجار الذين كانوا يحملون فضض اليمن وكانوا يربحون فيها الربح الكبير(٥). ومن التجار العاملين في أسواق الجزيرة العربية وبصفة خاصة أسواق الحجاز مثل مكة التجار القادمون من الأندلس، فقد جمع بعضهم بين طلب العلم والتجارة مثل عبدالله بن مسرّة بن نجيح مرزوق (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) "أحد علماء الأندلس وتجارها حيث قدم مكة وكان له بها جاه عريض"(٦). ومثله العالم يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٩٨هـ/٩٠٠م) قدم إلى مكة حاجًا وتاجرًا وكان عظيم المال والجاه، وسبقه والده المتوفّى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م الذي زاول التجارة(٧). ومن

---

(١) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٧٧-٢٨٨، لأنه لا يجوز بيع المجهول، أو الغرر.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧ فقال: وادي القرى مطرح الشام والعراق.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٢.

(٤) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٤، ٩٨.

(٥) الهَمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١، وانظر مناطق التبادل التجاري من هذا البحث.

(٦) ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف "ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م"، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ج١، ص٣٧٦، ٤٢٩؛ المقري أحمد بن محمد "ت ١٠٤١هـ/ ١٧٣٠م"، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ، ج٢، ص٣٥٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، مناطق التبادل التجاري.

(٧) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٤٢٩.

التجـار الذين زاولوا التجارة ووصلوا إلى الجـزيرة العربيـة محـمد بن معـاوية ابن عـبـدالرحـمن، وصـل إلى سـواحل عُـمـان سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م في طريق عودته من الهند(١). ومن العلمـاء الذين زاولوا النشاط التجاري ووصلوا إلى الحجاز في طلب العلم والتجارة قاسم بن عاصم بن خيرون بن سعد المرادي (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)(٢). وكذلك قاسم بن أصبغ الحجري الذي قدم الحجاز حاجًا وتاجرًا(٣).

ويؤيد عـالمية التجـار الذين يزاولون التجارة في أسواق الجـزيرة العربيـة في هذه المدة مـا قرر ابن خرداذبة بشـأنهم في أواخر القـرن الثالث الهجري/ التـاسع الميـلادي عندمـا تحـدث عن التـجـار اليـهـود الذين كـانوا يـأتون من مقاطعـة بروفـانس "فـرنسا" بالخـدم والغلمان والجواري والديباج، فيـخرجون بما يحـملونه من سلع إلى الجار وجُدّة وعَدَن وعُمـان، وربما خرجـوا منهـا إلى الهند والصين، وكانوا يتكلمون العربية بالإضافة إلى اللغة الرومية والإفرنجية والأندلسية(٤) والصقلية، وكان هؤلاء يعرفون عند العرب بتجار البحـر، وكان يقال لهم أيضًا الرهدانيـة أو الراذانيـة(٥). ويبـدو أنهم كـانوا ينتهـون في هذه المدة عند سـواحل أسـواق الجـزيرة العـربيـة متـجنبين كثـرة التكاليـف ومشـقة السفـر في تنقلاتهم وسفـرهم بالبحـر إلى الصين والهند والسند(٦). ولا سيـما

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣٣-٧٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٥؛ وانظر لمزيد من المعلومات : محمد بن فارس الجميل، الكتب المشرقية في الأندلس خلال الحكم الأموي، دراسات تاريخية، ج١، ص٢٢٣.

(٤) لعله يقصد بها لغة قشتالة والممالك النصرانية.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٣٥١-٤٥١؛ وانظر: الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٠؛ محمد عبدالغني حسن، التجارة الإسلامية، القاهرة، مجلة المقتطف، مجلد ١٠٣، ديسمبر، ١٩٤٣م، ص٤٧٦.

(٦) ذكر المسعودي مساهمة أهل الجزيرة في أعمال البحار، فقال: ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزَنّج والقُلْزُم والحبشة من العُمانيين، مروج الذهب، ج١، ص ١٠٧-١٠٨.

أن سفنهم كانت تأتي فقط إما إلى الإسكندرية أو أنطاكية[١]. وتذكر بعض الروايات أنه كان لليهود جاليات مقيمة في اليمن فقد أشار لبعضهم الهَمْداني في قوله: "العقيق مدينة فيها مئتا يهودي"[٢]. وذكرهم شاهد عيان آخر فقال: "واليهود به أكثر من النصارى"[٣]. كما وجد اليهود بأعداد كبيرة في مدينة صُحَار حيث كانوا يزاولون أعمال التجارة والصرافة وإقراض الأموال[٤].

من الروايات السالف ذكرها يتجلى لنا أن أسواق الجزيرة العربية كانت تضم إلى التجار المحليين من أهل الجزيرة جماعة من تجار المسلمين من العرب والعجم مع طائفة أخرى من التجار غير المسلمين[٥]. ومع هؤلاء التجار كان في الأسواق صغار الباعة وأصحاب الحرف الأخرى والحمالون والسماسرة[٦]، وكل هذه الفئات أسهمت بقسط وافر في تنشيط الحركة التجارية داخل أسواق الجزيرة العربية. وقام هؤلاء التجار بجهدٍ بارز في تنشيط تجارتها.

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣-١٥٤؛ وأنطاكية: بلد عظيم بالشام على ساحل البحر الأبيض، "بحر الروم"، وهي مدينة حسنة الوضع، (الحميري، الروض المعطار، ص٣٨)؛ وفي بعض الأحيان كان تجار اليهود ينزلون أنطاكية ثم يتجهون إلى الفرات ومنه إلى الأُبُلّة ومنها إلى عُمان.

(٢) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٧.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٥.

(٤) بُزرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره وجزايره، ص٨٠-٨١؛ التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج١، ص١٣٨؛ ولمزيد من المعلومات انظر : أندرو ويليامسون، صُحَار عبر التاريخ، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٧٩م، ص٢٢- ٢٤.

(٥) كانت طائفة من الزّنج تزاول التجارة في سوق عدن في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتى إنه عُرفت ناحية من السوق باسمهم وذكر ذلك المقدسي بقوله: "وعملت على الذهاب إلى ناحية الزنج وأتيت ما ينبغي أن يشترى، (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨)؛ كما ذكر البَجَّة والحبوش والنوبة في أسواق مدينة زبيد، ص١٠٢.

(٦) السمسار: هو الذي يتوسط بين البائع والمشتري، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٨١)؛ ويبدو أن أسواق الجزيرة العربية عرفت مثل هذه الفئات منذ وقت مبكر لزمن الدراسة، يتجلّى ذلك من قول الأعشى: وأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الأسدي، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٦٩؛ ولمزيد من المعلومات انظر: صالح الوشمي، ولاية اليمامة، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٥٢.

أساليب التعامل والأسعار في الأسواق :

مع أن الإسلام قد وجّه توجيهات تضبط التعامل إلا أنك تجد هناك في التطبيق ما يخالف التوجيه، من ذلك ما يرد من احتكار للطعام، وأنه كان من وسائل التعامل التي حاول بعضٌ عدم الوقوع فيها، يروي الفاكهي على لسان أحد التجار بمكة: "قال قلت لأحد الموسرين: إن عندك مالاً فأعطنيه نشتري لك به وَدَكًا[١] إذا رخص الوَدَك، وطعامًا إذا رخص الطعام قال: وتفعل ذلك يا ابن باذان؟ قال: نعم، قال: إن رسول الله - ﷺ - يقول: احتكار الطعام بمكة إلحاد"[٢]. فالإسلام قد كفل للناس حفظ حقوقهم، وكانت السلطات تهتم بمراقبة المكاييل والأوزان والبضائع في حالة البيع والشراء.

١ - النقود:

وتبعًا لنشاط حركة التجارة الداخلية وزيادة نشاطها في مختلف أسواق الجزيرة العربية عرف التجار في هذه المدة أساليب عدة للتبادل التجاري من أبرزها النقود التي كان التجار يعتمدون في كثير من معاملاتهم على الدراهم والدنانير[٣] في بيعهم وشرائهم، وكانت هذه هي العملة السائدة في

---

(١) الوَدَك، الدسم المعروف، وقيل: دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٩٠٣).

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٤٩؛ وقد ورد بلفظ آخر أن الرسول ﷺ قال: "احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه"، أبو داود، السنن، ج١، ص٤٦٦.

(٣) أقر الرسول - ﷺ - النقود على حالها التي كان أهل الحجاز يتداولون بها، وفي زمن الخليفة عمر - رضي الله عنه - ضرب الدراهم على نفس الكسروية، وزاد في نقش بعضها عبارة التوحيد، ولما آلت الخلافة للدولة الأموية ضرب معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - السود الناقصة من الدراهم وضرب الدنانير عليها تمثاله، ولما قام عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - في مكة ضرب دراهم مدورة، وعندما تولى عبدالملك بن مروان الخلافة ضرب الدنانير الإسلامية سنة ٧٧هـ/٦٩٦م على أرجح الأقوال ووحّد العملة على وزن واحد. ولما أتت دولة بني العباس ضرب السفاح الدراهم بالأنبار، ومثله فعل أبو جعفر المنصور، وكذلك الخلفاء من بعده، وضربت في بعض الولايات على رسم الخلافة، المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٥-٦٥؛ المقريزي، شذور العقود، ص١٢٥-١٢٦.

الجزيرة العربية، كما استخدمت الدراهم الفضية بكثرة في أسواق عمان والبحرين في حين نجد استخدام الدراهم والدنانير في أسواق بقية أقاليم الجزيرة الأخرى على حدٍّ سواء، وقد أشار المقدسي لبعض العملات التي كانت سائدة في هذه الفترة فقال : "ونقودهم مختلفة؛ لأهل مكة المطوَّقة وهي والعثَّريَّة (١) ثُلُثا المثقال تؤخذ كدراهم اليمن عددًا، وتفضل العثَّريَّة حتى ربما كان بينهما دُرَيْهم، ودينار عدن قيمة سبعة دراهم وهو ثلثا البَغَوي تَزن ولا تُعدُّ، ودينار عُمان ثلاثون غير أنه يوزن ، والدراهم المستعملة في الأقاليم تسمى بمكة المحمَّديَّة(٢) ولأهل مكة المزيَّقة(٣) أربعة وعشرين بمطوَّق(٤) ضعف الختمي، تبطل يوم السادس من ذي الحجَّة إلى آخر الموسم ولأهل اليمن العلويَّة(٥) تختلف باختلاف البلدان حتى ربما بطلت في بعضها. قيمة أربعة منها درهم وزنته حول الدانق، ولهم القروض(٦)

---

(١) والنقود المطوقة هي التي لها إطارٌ يكتب عليه (أي هامش) وهي في الأصل نقود يمنية استخدمت في مكة، (الهمداني ، كتاب الجوهرتين، ص٩١، ٢٥٧)؛ والنقود العَثَّرية نسبة إلى مدينة عَثَّر التي ضربت فيها هذه النقود في عهد الأمير الزيادي أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم، (ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٠).

(٢) المحمدية: نسبة لمحمد بن سليمان الذي ثار بمكة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ولمزيد من المعلومات (انظر: الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦١).

(٣) العملة المزيقة: هي العملة المزيفة، (آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٨٧؛ وانظر : الزيلعي، المصدر السابق، ص١٦١).

(٤) المُطوّق: ثلثا مثقال وحبتان، والعشرة المطوقة تساوي أوقية، وهي سبعة مثاقيل، فكان يقع المطوق من الفضة عشرين درهمًا قفلة، وبالمثقال قراب ثلاثين درهمًا، (الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١، ٢٥٧)، ويُلْحظ أن عيار الذهب على الدوام ٢٤ قيراطًا، فيكون ثلثا المثقال = ٨+٨+٢ = ١٨ قيراطًا.

(٥) نسبة إلى الإمام الهادي، يحيى بن حسين بن القاسم "٢٨٤-٢٩٨هـ/٨٩٧-٩١٠م"، الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٤٩، ٢٥٦.

(٦) ذكر ابن منظور أن القروض هي القطع، وقال أيضًا: ما يتجاز الناس بينهم ويتقاضونه، والقرض ما يعطيه من المال ليقضاه، (لسان العرب، ج٣، ص٦٠).

ربَّما غلت فصارت ثلاثةٌ بدانق وربَّما صارت أربعة ولأهل عُمان الطسوة[١] وهي نحو دانق"[٢].

ولهذا أصبح التعامل بالنقد من الوسائل السائدة في الجزيرة العربية في هذه المدة، فاستعملت في دفع رواتب العمال وفي هبات الحكام وجوائزهم وفي نفقات إصلاح الطرق وموارد المياه وعمارة المساجد[٣].

٢- القــروض:

وكانت القروض من أساليب التبادل التجاري، ويبدو أن هذا الأسلوب كان شائعًا في كثير من أقاليم الجزيرة العربية منذ العصر الأموي. من ذلك ما أشار إليه الرّازي فيما رواه عن ابن طاووس حيث قال: "سلف أبي قومًا طعامًا من أرضه وهي أقرب إلى الجَنَد من أرضهم، فقال لهم: احملوه إلى الجَنَد وأعطاهم كراء ما بين أرضهم والجَنَد[٤]. وكذلك كان الصيارفة يسلفون التجار بمكة عند الحاجة[٥]. فيبدو أن السلف كان نقدًا بنقد

---

(١) حبتان من الدانق، والدانق أربعة طسايج وهما مُعَرَّبان، وقال الأزهري: الطسوج مقدار من الوزن، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٩١).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩، وعادة العملة تتكون من الدينار، والدرهم، والدانق، والقيراط، أما العلاقة بينها في الوزن فعلى النحو الآتي: وزن الدينار مثقالٌ واحدٌ، ووزن الدرهم ستة دوانق، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ١٠/٧، ووزن القيراط ٢٤/١ من المثقال أو ١٦/١ من الدرهم، انظر : (أبو عبيد، الأموال، ص٦٣٠؛ المقريزي، شذور العقود، ص١٣-٩٤؛ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠م، ص٢٩).

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٢٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٤٢؛ الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦٢؛ صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص٤٢٤- ٤٢٦، وانظر الإنفاق على الحرمين والطرق المؤدية إليهما، في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٤) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص٣٣٢.

(٥) الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص١١٢؛ ولمزيد من المعلومات انظر: ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز، ص٤٤.

وأيضًا نقدًا بسلعة أو سلعة بأخرى يتجلى ذلك من بعض الروايات، منها التي تذكر أن يحيى بن أبي طالب الحنفي كان يشتري غلات السلطان بقَرْقَرِي من اليمامة لمدة مؤجلة وكان عظيم التجارة(١). كما أشار الأصفهاني أن الشاعر أبا نخيلة السعدي كان يشتري حوائج بيته بأثمان مؤجلة من ماعز الكِلابي الذي كان يعمل بقالاً في اليمامة حتى كثر الدَّين عليه(٢). ومن هذه الروايات يتجلى لنا أن البيع المؤجل كان معمولاً به في أسواق الجزيرة العربية، حيث كان بعض الناس يشترون من التجار حاجاتهم ويؤجلون دفع الثمن إلى أجل معلوم.

ويذكر أحد الباحثين أن من أساليب التعامل التجاري في أسواق اليمامة من يشهد البيع والشراء فيها بدون رأس مال، وإنما يشاركون التجار بمجهودهم البدني فيحصلون على شيء من الأرباح، مثل ما كان يفعله أناس يقال لهم الصعافق(٣).

٣ - السمسرة :

وكذلك عمل السماسرة الذين يدخلون بين البائع والمشترِي ويعملون على ترويج السلع وبيعها حيث ينادُون بالسلع المعروضة، واصفين لها حتى يتم نفاقها بأطيب الأسعار، ويغلب على الظن أن الأسواق بصفة عامة لم

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٤٠١؛ وانظر لمزيد من المعلومات : صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦٦؛ ومما يؤيد أن أسواق الجزيرة قد عرفت أسلوب البيع المؤجل أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو رحل من الفَلَج إلى مدينة البصرة بأجرة مؤجلة قدرها ثلاثون دينارًا في حين كانت أجرة الجمل نقدًا دينارًا، سفرنامه، ص١١٤.

(٣) صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦٢؛ والصعافق هم قوم من بقايا الأمم الخالية باليمامة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٠٧).

تخلُ منهم، يؤيد ذلك ما أشار إليه الهَمْداني عند حديثه عن سوق مَنْكَث[١] باليمن حيث قال: "فخبرني محمد بن محمد بن أحمد القهبي السّمْسار، وكان خبيرًا بالسُّخْطيين أصحاب مَنْكَث أن خديجة السُّخْطية خبّرها خدمها بسَفْرٍ مقبلين إلى مَنْكَث... إلى أن قال: فبعث من خدمها من ينتظرهم فخبّرها أنهم دخلوا السوق فاشتروا بعض المأكول، فاستغنوا، فأمرتْ بهدم حانوت الذي باعهم الطعام"[٢].

إن رواية الهمداني- وهو شاهد عيان - تكشف لنا بوضوح أن أسلوب الوساطة ممثلاً في السماسرة كان سائدًا في أسواق الجزيرة العربية في تلك المدة وصاحَبَ في الغالب حركةَ البيع والشراء في الأسواق الرئيسة والفرعية.

كما عرفت أسواق الجزيرة أنواعًا من أساليب التعامل التجاري الأخرى التي سنأتي على تفصيلها في الصفحات القادمة من الكتاب[٣]، مثل: الحوالة على الصرافين أو غيرهم من أهل الأموال. وهذه الحوالة كانت تعرف بالسّفتجة[٤].

---

(١) مَنْكَث: ناحية باليمن وهي حصن السُّخْطِيِّين وهم بقية الملوك من آل الصُّوَّار ولهم كرم وشرف، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦).

(٢) الهمداني، كتاب الإكليل، ج٢، ص٧٥ - ٧٦؛ كانت السيدة خديجة السُّخْطِيّة حريصة على ضيافة الغرباء الذين يفدون على هذا السوق، لما عرف عنها من حسن الضيافة والكرم.

(٣) انظر الفصل الثالث، التجارة الخارجية، طرق التعامل.

(٤) يرى الفقهاء أنه إذا شرط فيها منفعة فإنها غير جائزة ؛ لأنها في هذه الحالة مثل القرض الذي جرّ منفعة كأن يقرض شخص آخر على أن يرد عليه بأجود من قرضه أو أكثر منه، وقد سبق تعريف السفْتجة في الفصل الأول، من هذا الكتاب. ولمزيد من التفصيل انظر : (ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد، المحلى، دمشق، إدارة المطبعة الأميرية، ١٣٤٩هـ، ج٨، ص٧٨).

٤- الصكوك :

واستخدم التجار أيضًا الصكوك التي تسهل عليهم نقل النقود إلى الأماكن البعيدة، فقد استخدمت هذه الوسيلة في أسواق الحجاز منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١]، وأكدها ابن عبدالحكم في العصر الأموي عندما ذكر أن مروان بن الحكم كتب صكوكًا لأهل المدينة من طعام الجار، فتبايع الناس تلك الصكوك وذلك قبل أن يستوفوها[٢].

وفي العصر العباسي اتسع استخدام الصكوك في المعاملات التجارية. ولا نستبعد أنها استعملت في أسواق الجزيرة العربية وخاصة في أسواق الحجاز، حيث كانت الرواتب والأرزاق في معظم الأحيان تدفع بموجبها، تحول على بيت المال أو على الصرافين، كما كانت تستعمل في الغالب عند شراء الدور والبساتين، وتُعَدُّ وثائق تملّك للعقار[٣].

٥- المقايضة :

ومن ذلك المقايضة التي كانت من أبرز وسائل البيع والشراء في كثير من أسواق الجزيرة ربما لأنها كانت في متناول يد البائع والمشتري فكان المائرون[٤] يبيعون ما يجلبونه إلى الأسواق الرئيسة في الحجاز واليمامة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٤-١٥٥؛ عندما أمر - رضي الله عنه - أن يكتب للناس صكوك من قراطيس، ثم يختم أسفلها، فكان أول من صك وختم أسفل الصكوك.

(٢) ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله "ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م"، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة، طبع ونشر لجنة البيان العربي، ١٩٦١م، ص٤٢٢؛ ولمزيد من المعلومات انظر: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد الحجاز في العصر الأموي، ص١٤٤-١٤٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٠٨، ٦٢٩، ٦٥٣، ج٩، ص٤٤٥، ٤٤٧؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٦؛ ولمزيد من المعلومات انظر: ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص٥٢-٥٤.

(٤) المائرون: هم باعة الطعام، والمِيرَة: الطعام يَمْتارُهُ الإنسان، الرازي، مختار الصحاح، ص٥٦٣.

وغيرها من أسواق الأقاليم الأخرى مقابل بعض الأمتعة التي يحتاجون إليها مثل الملابس والملاحف والعباءات وما أشبه ذلك مما يبايعون فيه ويشارون[١]. فهي في هذه الحالة استبدال نوع بآخر دون قيمة نقدية، ويبدو أن هذا الأسلوب استمر العمل به حتى فيما بعد مدة الدراسة، من ذلك ما كان يفعله أهل الأحْسَاء والقطيف عندما كانوا يفدون إلى الخرج باليمامة لشراء القمح حيث يشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحِنطة[٢].

٦- المكاييل :

كما كانت وحدات الكيل[٣] والوزن[٤] من أبرز أساليب التبادل التجاري التي عرفتها أسواق الجزيرة العربية والتي تقدر بها كثير من البضائع والسلع التجارية لمعرفة أثمانها، وحرصت السلطات المعنية بالإشراف على حركة الأسواق ومراقبتها بفرض المكاييل والأوزان الأمينة حفاظًا على حقوق المتبايعين، ووفقًا لمقادير عادلة تتفق وتعاليم الإسلام التي تحث على سلامتها[٥]. وكانت وحدات الكيل والوزن المستخدمة في أسواق الجزيرة العربية في هذه المدة كثيرة، وكانت غير موحدة في معظم أقاليمها بل

---

(١) الإمام مالك ، المدونة، ج٩، ص٣، ص٢٩٢؛ ابن بكار، أبو عبدالله الزبير "ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م"، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ج١، ص١١٥- ١١٦.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٩.

(٣) الكَيْلَ: كيل الطعام وغيره بمكيال من حديد أو خشب ونحوهما، وروي عن النبي - ﷺ - أنه قال: المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة، قال أبوعبيدة: يقال إن هذا الحديث أصل لكل شيء من الكيل والوزن، وإنما يأتم الناس فيهما بأهل مكة وأهل المدينة، وإن تغير ذلك في سائر الأمصار، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٢٢).

(٤) الوزن: هو الثقل والخفة، وذلك بمعرفة ثقل الأشياء التي يراد وزنها وفق تقدير معين، فقد قال ابن منظور: "الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم"، (لسان العرب، ج٣، ص٩٢١).

(٥) صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص٣١٠- ٣١١، وسبقت الإشارة في بداية الحديث عن الإشراف على الأسواق إلى الآيات والأحاديث التي تحث على الوفاء في الكيل والميزان.

تباينت من إقليم لآخر، وربما من مدينة لأخرى داخل الإقليم الواحد، مثل ما هو عليه الحال من تفاوت وزن الرطل المستخدم في إقليم الحجاز بين (٢٠٠) درهمٍ في يثرب إلى قُرْح[١] في حين أنه في بقية أسواق الحجاز (١٢٠) درهمًا[٢].

استخدم في أسواق الحجاز أنواع من وحدات الكيل مثل الصاع الذي كان من أهم المكاييل في المدينة منذ عهد الرسول ﷺ وأصحابه من بعده، حيث كانت تقدر به الزكاة الشرعية والنفقة وكفّارة اليمين والخراج[٣]. وروى المقدسي أن الصاع الذي قدّره الخليفة عمر بمشهد الصحابة هو ثمانية أرطال، إلا أن سعيد بن العاص[٤] رده إلى خمسة أرطال وثلث وقال الراجز في هذا المعنى :

وجاءنا مُجَوّعًا سعيد[٥] ... يَنْقُص في الصاع ولا يزيد[٦].

---

(١) قُرْح: هو سوق وادي القُرَى وقصبتها وكانت من أسواق العرب في الجاهلية، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٠- ٣٢١).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩؛ محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م، ص٣٥٢.

(٣) والصاع هو مكيال للطعام، وجمعه أصواع، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ صواع، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾، سورة يوسف، آية رقم ٧٢ ومقدار الصاع بالمثاقيل= ٤٨٠ مثقالاً، ومقداره بالدراهم ٦٨٥,٧١٤درهمًا، وحيث إن المثقال= ٤,٥٣ جرامًا فإن الصاع يساوي ٢١٧٤ جرامًا، انظر: علي باشا مبارك، الميزان في الأقيسة والأوزان، القاهرة، دار الأنصار، ص٥٧؛ ولمزيد من التفصيل انظر : الدريويش، أحمد يوسف أحمد، أحكام السوق في الإسلام وآثارها في الاقتصاد الإسلامي، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١١٨- ١١٩.

(٤) ابن آدم، أبو زكريا يحيى، "ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م"، كتاب الخراج، صححه أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١١٣.

(٥) هو سعيد بن العاص بن أمية ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٦٠).

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩؛ اختلف العراقيون والحجازيون في مقدار الصاع قال أهل العراق: هو ثمانية أرطال بغدادية وقال أهل الحجاز: هو خمسة أرطال وثلث وإليه رجع أبو يوسف بعدما قدم المدينة وأروه صاع النبي ﷺ، (يحيى بن آدم القرشي، كتاب الخراج، ص١٤٣، هامش رقم ٢).

ووردت إشارة لدى المقدسي تفيد أن من المكاييل والموازين المستعملة في أسواق الحجاز المُدّ[١] والمكوك[٢] والرّطل[٣] حيث يقول : "فالمد ربع الصاع والصاع ثلث المكوك هذا بالحجاز"، ثم يقول في موضع آخر : "وأرطالهم بمكة هو المنّ[٤] المعروف في جميع بلاد الإسلام غير أنهم يسمونه رطلاً"[٥] والفَرَق من المكاييل المعروفة في إقليم الحجاز وهو يساوي (٦١) رطلاً[٦]. ومن الأوزان المستخدمة في أسواق الحجاز الأُوقِيّة[٧]. فقد أشار الطبري لهذه الوحدة في حديثه عن فتنة إسماعيل ابن يوسف الجَون سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م بمكة المكرمة فقال: فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعًا وعطشًا، وبلغ الخبز ثلاث أواقٍ بدرهم، واللحم رطل بأربعة دراهم[٨].

(١) المُدّ: هو ربع صاع ، وقد أشار النووي أن أهل المدينة لا يختلف منهم اثنان في أن مد رسول الله - ﷺ - الذي يؤدي به الصدقات ليس بأكثر من رطل ونصف ولا دون رطل وربع، وقال بعضهم هو رطل وثلث، وهذا رأي الجمهور. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف "ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م"، المجموع شرح المهذب، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ج ٦، ص ١٢٩؛ ولمزيد من المعلومات عن المد الشرعي انظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٧٧.

(٢) المكوك، يساوي ٥ أمنان أو ٤,٠٥٦ كغم قمح أو حوالي ٥,١ لتر، هنتس، المصدر السابق، ص٧٩؛ ويذكر ضياء الدين الريس أن المكوك يعادل صاعًا ونصفًا، الخراج، ص٣٤١.

(٣) الرطل: يساوي ١٢ أوقية وهو يساوي ١/١٠٠ من القنطار، هنتس، المصدر السابق، ص٣٠-٣١.

(٤) المنّ: وهو يساوي شرعًا رطلين كل رطل يساوي ١٣٠ درهمًا، هنتس، المصدر السابق، ص٤٥- ٤٧.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨- ٩٩.

(٦) الرازي، مختار الصحاح، ص٣٥٩؛ السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٥٠.

(٧) الأُوقِيّة: جمعها أواقٍ، وهي تساوي ٤٠ درهمًا، والدرهم = ٣,١٧ جرام، فيكون وزن الأوقية ٧٢١ جرامًا تقريبًا. وهذه الوحدة من أهم وحدات الوزن في الجزيرة في هذه المدة، وهي تساوي أيضًا ١/١٥ من الرطل، (هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص١٩؛ الدريوش، أحكام السوق، ص١٢٦).

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٦.

ومن وحدات الوزن الكبيرة التي عرفتها أسواق الحجاز القنطار[١] الذي كانت توزن به البضائع الضخمة[٢].

أما مكاييل اليمن وأوزانه فمنها الصاع والمُدّ والمكّوك، والأوقية والرطل البغدادي[٣]الذي كثر استعماله في بقية أقاليم الجزيرة العربية الأخرى في هذه المدة، وشاهِدُنا على ذلك ما ذكره المقدسي بقوله: "وبقية الأقاليم بغدادي"[٤]، والقفيز[٥] كذلك من وحدات الكيل المستعملة في اليمن التي أشار إليها الهمداني في مجمل حديثه عن حفظ حبوب الذرة فقال: "وتدفن في مدافن يسع المدفن منها خمسة آلاف قفيز"[٦]. ولليمن مكيال لم يذكر في غيره من أقاليم الجزيرة هو الذهب[٧] ذكره الهمداني في جملة المكاييل التي كان يقدر بها محصول ضِياع بعض النواحي باليمن فقال: "ضياع تؤدي خمسة

(١) ورد ذكره في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ، سورة آل عمران، آية رقم ٧٥، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾ سورة النساء، آية رقم ٢٠، وهو يساوي ١٠٠ رطل، أو ١٢٠٠ أوقية، (الإمام أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد "ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م") ، المسند، ج٢، ص٣٦٣؛ وانظر : هنتس، المصدر السابق، ص٤٣، وذكر أن هذا المكيال موضع تداول في تجارة الحرير وما شابهه.

(٢) لقد ذكر ابن منظور قيمة القنطار بشيءٍ من التفصيل، وما كان معمولاً به عند العرب، (لسان العرب، ج٣، ص١٧٢).

(٣) الرطل البغدادي، على رأي الفقهاء يساوي $\frac{٤}{٧}$ ١٢٨ درهم، محمد عبدالرؤوف تاج العارفين بن علي المناوي، المكاييل والموازين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص٥٤، وهو ما يعادل حاليًا ٤٠٨ غرامات، ومعنى ذلك أن الكيلو غرام الحالي يعادل رطلين ونصف الرطل، (انظر: الريس، الخراج، ص٣٥٣).

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩.

(٥) القفيز: هو مكيال يساوي ١٦ رطلاً أو ٦,٥ كغم؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٧ وهذا المكيال معروف في مصر.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٣٥، يقصد أن حبوب الذرة كانت تحفظ في مدافن تحت الأرض.

(٧) الذهب: مكيال معروف باليمن وكان مستعملاً في الجبال اليمنية، ويذكر الأستاذ محمد الأكوع أنه ما زال يستعمل في تهامة اليمن إلى عهدنا، (صفة جزيرة العرب، ص٣٤٦، هامش رقم ٣)، والمكيال الواحد يساوي قفيزاً واحداً ونصف القفيز.

آلاف ذهب بُرًا وشعيرًا يكون سبعة آلاف وخمس مئة قفيز(١). وكذلك استخدم الفَرَق(٢) مكيالاً باليمن كانت تُقبض به عشور الإمام العلوي يحيى ابن الحسن الرسّي، ذكره الهمداني بقوله : "خبَّرني من قبض عشور العلوي خمسة آلاف فَرَقٍ"(٣). أما إقليم عُمان فقد أشار المقدسي ألى أن أبرز وحدات الأوزان فيه المَن الذي قال عنه: "ولعُمان المَنُّ"(٤). وهو يساوي رطلين(٥). ومن موازين هذا الإقليم البُهار(٦) وهو يساوي ثلاث مئة رطل وفقًا لرواية المقدسي وهو شاهد عيان، وعادة ما توزن بهذا الميزان البضائع الكبيرة الحجم أو بيوع الجملة(٧). ومن مكاييل أهل عُمان الكَيْلَجَة(٨)، وهذا المكيال من مكاييل أهل العراق، وهو يساوي تسعة أمنان والجمع كَيالِج وكيالِجة(٩)، ولم يرد تفصيل لكل المكاييل التي كانت سائدة في إقليم عُمان التي كانت مستخدمة في تلك المدة، ولا يستبعد وجود المكاييل التي أشرنا إليها في أسواق اليمن لتقارب البلاد بعضها من بعض، وبحكم تنقل التجار بين هذه البلاد في مختلف المواسم، ولذلك فربما سادت وحدات الكيل نفسها في أسواق عُمان.

---

(١) الهمداني، المصدر السابق، ص٣٤٦.

(٢) والفرق مكيال معروف لا يزال يستعمل عند أهل اليمن حاليًا، وهو يعادل ثلاثة أصواع أو اثني عشر مدًا (أبو عبيد، الأموال، ص٥٢٦، انظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٤).

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥١.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩.

(٥) الأزهري، محمد بن أحمد "ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م"، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج١٥، ص٤٧٢.

(٦) قال ابن منظور: البُهار شيء يوزن به وهو ثلاث مئة رِطل وهو ما يُحمل على البعير، (لسان العرب، ج١، ص٢٧٦).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩.

(٨) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٥؛ وانظر : الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص٤٣٥.

(٩) البكري، جزيرة العرب، ص٣٧ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٨٥؛ وانظر: صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦١.

ولم تأت المصادر على ذكر وحدات الكيل والوزن في إقليم البحرين خاصة في أسواقها، ربما لأنها لا تختلف عما كان في أسواق الجزيرة العربية الأخرى، ويبدو التماثل واضحًا مما ذكره ناصر خسرو عندما زارها ووصف تمر الأحْسَاء فقال عنه: "يباع أكثر من ألف مَنّ بدينار"[١]. وروى في الوقت نفسه أنّ التمر في إقليم اليمامة يباع ألف مَنٍّ منه بدينار[٢]. فمن هذه الرواية يتجلى تجانس وحدات الكيل والوزن في الغالب في البحرين مع غيرها من أقاليم الجزيرة المجاورة لها.

أما وحدات الكيل والوزن التي كانت مستخدمة في أسواق اليمامة، فأبرزها الرطل البغدادي الذي كان أكثر شيوعًا في العصر العباسي في أغلب مناطق الجزيرة العربية، حيث نجده مستعملاً في اليمن والبحرين واليمامة وغيرها من أسواق الجزيرة الأخرى[٣]. وكذلك المَنّ الذي عده الرحالة ناصر خسرو من أوزان اليمامة، خاصة في أسواق الفَلَج والخِضْرمة، وكان أكثر استعماله عند بيع التمورِ[٤]. والكَيْلَجةُ[٥] من وحدات الوزن التي عرفتها أسواق اليمامة في هذه الحقبة، فقد ذكرها الحربي في مجمل حديثه عن رمان سَدُوس[٦] فقال: "وبها رمان ربما بيعت مئة رمانة بدرهم،

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٩؛ وانظر: محمد ضياء الدين الريس، الخراج، ص٣٥٢.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٢.

(٥) الكَيْلَجَة: أساسًا من وحدات الكيل والوزن بالعراق وتستعمل وحدة للوزن قدرها مَنٌّ وسبعة أثمان المَنّ، وهي هنا تختلف عنها في إقليم عُمان، حيث المستعمل منها هناك وحدة للكيل بسعة تسعة أمنان، (انظر البكري: الجزيرة العربية، ص٢٧؛ وانظر: الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦١).

(٦) سَدُوس: قرية باليمامة اشتهرت بخصوبة أرضها، وهي بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع، (ياقوت، المشترك وضعًا والمختلف صقعًا، باعتناء وستنفلد جوتنكين، ١٨٤٥م، ص٣٤٥؛ وانظر: الحربي، المناسك، ص٦١٧، هامش رقم ٥).

تخرج الرمانة كَيْلَجَة من حب أحلى شيء"[١]. أما وحدات الكيل المستخدمة في التبادل التجاري، فهي الصاع لكيل الطعام والمد الذي يساوي ربع الصاع، وعادة يكال به التمر[٢].

ومما تقدم يتضح أن أهم المكاييل المستخدمة في أسواق الجزيرة العربية هي الصاع والمد، والمكوك، والوسق، والفرق، والقفيز، والذهب، والكَيْلَجة. أما الأوزان فهي المثقال والدرهم والدانَق والرِّطل، والمن والأوقية، والقنطار، والإستار، والبُهار.

واستكمالاً لدراسة وحدات الكيل ينبغي الإشارة إلى وحدات القياس المستعملة في الغالب في الجزيرة العربية وكان من أهمها الذراع العامة[٣] التي نصت عليها آحاديث الرسول ﷺ، منها قوله ﷺ : "حريم البئر العادي خمسون ذراعًا"[٤]. ويبدو أن الذراع كانت أهم وحدات القياس في مختلف الأقاليم[٥] ومنها الذراع السوداء ذات الطول (٥٤,٤) سم[٦]. وهناك مقاييس أخرى وهي الجريب[٧] وهو مقياس للأرض ويساوي مئة قصبة مربعة، ويساوي وفقًا لتقديرات هنتنس (١٥٩٢) مترًا مربّعًا[٨]. والقفيز مقياس

---

(١) الحربي، المصدر السابق، ص٨١٦.

(٢) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١١٠؛ وانظر: الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٦٠.

(٣) الذّراع: هو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، وهو ما يذرع به الثوب وغيره، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٠٦٣ ، وهو يساوي ٥٦ سم).

(٤) الإمام يحيى بن آدم القرشي، كتاب الخراج، ص١٠٥.

(٥) أبو عبيد، الأموال، ص٣٢٩؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٢٩٥.

(٦) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٨٣– ٩٢.

(٧) قال ابن منظور: والجريب من الأرض مقدار معلوم وهو عشرة أقفزة، والجمع أجْرِبة، (لسان العرب، ج١، ص٤٢٨).

(٨) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٨٣– ٩٢؛ وقال أنستاس الكرملي: إن أهل البصرة يعرفون الجريب إلى عهدنا هذا، وهو عندهم مئة نخلة، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٣١.

للأرض وهو يعادل $\frac{1}{100}$ جريب أو (١٤٤) ذراعًا مربّعة، وهو يساوي بالمقاييس الحالية (٢ ,١٥٩) مترًا مربعًا[١]. والفدان وهو باصطلاح أهل اليمن خمس وسبعون لبنة، واللبنة عشرة أذرع حديد مربعة، والفدان بالذراع يساوي سبعة آلاف وخمس مئة ذراع حديد[٢]. والفرسخ يساوي ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام[٣]، وذكر هنتس أن كل ميل (١٠٠٠) باع وكل باع (٤) أذرع أي أن طول الفرسخ على هذه الحال حوالي ستة أكيال[٤].

ويُلَحظ أن هناك تشابهاً في أسماء الأوزان والمكاييل والمقاييس، وهذا لا يعني بضرورة أنها متماثلة أو متطابقة، من هذا ما لحظنا على اختلاف وزن الرطل في إقليم الحجاز، وربما استخدم المصطلح في مكانٍ لمكيال، وفي مكانٍ آخر لميزان أو لقياس.

الأسعار[٥]:

قد أشرنا من قبل إلى أن السلطات المحلية كانت تهتم بأمر مراقبة الأسواق التي كان يمثلها عامل السوق أو المحتسِب، فكان من أبرز مهامه مراقبة الأسعار العادلة بما يكفل مصلحة البائع والمشتري لأن إغلاء السعر

(١) القفيز من الأرض قدره مئة وأربع وأربعون ذراعًا والجمع أقفزة وقفزان، (المناوي، النقود والمكاييل والموازين، ص٧١).

(٢) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٨.

(٣) العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، تحقيق أنستاس الكرْملي، القاهرة، ١٩٣٩م، ص١٣٦.

(٤) ابن الرفعة، نجم الدين أبو العباس أحمد "ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م"، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، دمشق، ١٤٠٠هـ، ص٧٧، ٨٨.

(٥) السعر: هو الذي يقوم عليه الثمن، والسعر مأخوذ من سعر النار إذا رفعها، لأن السعر يوصف بالارتفاع، الزمخشري، جار الله "ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م"، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحمن محمود، القاهرة، مطبعة أورخاند، ١٩٥٣م، ص٢٢١.

مُضِرٌّ بعامة الناس، وفي الوقت نفسه فإن هذه السلطات لم تحدد الأسعار اقتداءً بتعاليم الإسلام(١). ونجد أنه من الصعب تكوين صورة دقيقة عن أسعار السلع في أسواق الجزيرة العربية خلال زمن هذه الدراسة لندرة النصوص التي تحدثت عنها مصادر البحث والتي تحدد أسعار البضائع المتداولة في مختلف الأسواق؛ لأنه يجب في حالة دراسة أسعار السلع معرفة قيمتها في مراكز الإنتاج قبيل تسويقها ومن ثم متابعة سعرها حتى تصل إلى المستهلك، وفي هذه الحالة يمكن التعرف على مقدار الربح الذي يحققه التاجر من خلال ذلك، وقد أشار الجاحظ إلى أن التجار يربحون أرباحًا ضخمة من مزاولتهم حركة البيع في حالة التصدير والاستيراد، فقد قال: "إن أغنى الناس هم غالبًا.. أصحاب المجوهرات ونُسّاج السجاد وتجار الحبوب وتجار الخانات ومستوردو العبيد"(٢). ولكنه لم يوضح كيف توصّل هؤلاء التجار إلى جمع ثروتهم التي يمكن القول إنها تأتي نتيجة لاختلاف في السعر بين سعرها في مركز إنتاجها الأصلي الذي يتم الشراء بموجبه وسعرِها في مكان بيعها للمستهلك. وقد تصدق رواية الجاحظ هذه - بشأن ضخامة الأرباح التي كان يجنيها التجار في أغلب الأوقات - على معظم أسواق الجزيرة العربية لرواج أسواقها بالسلع والقوة الشرائية. يؤيد ذلك ما أشار إليه المقدسي بصفته شاهد عيان عن الأرباح التي كان يحققها التجار في سوق عَدَن عندما زارها فقال: "إن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع

(١) اقتداءً بما فعله رسول الله - ﷺ - عندما طلب منه بعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أن يسعر لهم فقال - عليه الصلاة والسلام -: "إن الله هو المُسعِّر، القابض، الباسط، الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال"، (أبو داود، السنن ، ج٢، ص ٢٤٤)، فكان يرى - ﷺ - ألاّ يجعل لأهل السوق سعرًا يبيعون عليه.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ص٤٣٤- ٤٣٥.

بألف دينار وآخر دخل بمئة فرجع بخمس مئة"(١). وذكر نشاط الأسعار في بعض الأسواق الأخرى بعبارة حارة، ورخيصة، وغالية، مثل أسواق مدينة زبيد إذ أشار المقدسي إلى أنّ الأسعار بها غالية(٢). وفي موضع آخر روى المقدسي أنّ الأسعار في أسواق صَنْعَاء رخيصة(٣). وقال عن أسواق خيبر وينبع إنها حارة(٤). ولما كان في المصادر بعض النصوص المبعثرة والقليلة عن أسعار بعض السلع والبضائع التجارية فإن ذلك لا يُمكّن الباحث من وضع تصور كامل كما يجب حول الأسعار السائدة في أسواق الجزيرة العربية آنذاك، وغالبًا ما تذكر أسعار السلع التي ارتفعت نتيجة لبعض العوامل السلبية كما قلنا من قبل، فالأسعار تتأثر بالأحوال السياسية، وبالعوامل الطبيعية فيحدث الغلاء مع الفتن والاضطرابات واختلال الأمن، وما يصيب الناس من زلازل أو جفاف أو آفات تضر الغلال مثل الجراد وما شابه ذلك، فمع الأزمات - عادة - يشب الغلاء وتقل الأطعمة وينعدم الماء وتذهب الماشية(٥). فمع حدوث هذه الجوائح تقلّ السلع، لذلك ترتفع الأسعار(٦). كما تختلف الأسعار باختلاف مواقع الأسواق من مراكز الإنتاج من حيث قربها وبعدها ومشقة الوصول إليها وتوافر الطرق الآمنة لنقل البضائع من ناحية أخرى. ونحاول - فيما يأتي - ذكر أسعار بعض السلع التجارية في محاولة لإعطاء صورة عامة عن أسعار البضائع في أسواق الجزيرة العربية خلال مدة الدراسة حسبما تمدنا به مصادرنا.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧-٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٤-٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٧-٨٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٣-٨٤.
(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٨.
(٦) المقريزي، كشف الغمة، ص٤١.

كان إقليم الحجاز أكثر أقاليم الجزيرة العربية التي تعرضت لارتفاع الأسعار من وقت لآخر بسبب كثرة الفتن التي تعرض لها، وسبق أن ألمحنا لها في الفصل الأول من هذا الكتاب، وأيضًا ما تعرضت له البلاد من جفاف بعدم نزول الأمطار في بعض الأوقات مثلما حدث في سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م عند غلاء السعر بطريق مكة حيث بلغ رطل[١] خبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهمًا[٢]. وفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م بلغت الشّربة عدة دنانير من شدة العطش[٣]. كما قلّت المياه في مكة سنة ٢٤٥هـ/٨٥٦م عندما غارت عين مُشاش فبلغ ثمن القِربة درهمًا[٤]. وفي هذه السنة أيضًا ذكر الفاكهي أن صاع الطعام كان يباع بما احتكم صاحبه[٥]. وعلى أثر حصار مكة الذي فرضه عليها إسماعيل بن يوسف سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م بلغ سعر الخبز ثلاث أواق بدرهم واللحم رطل بأربعة دراهم وشربة الماء بثلاثة دراهم[٦]. وفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م انجلى عن مكة من شدة الغلاء من كان فيها مجاورًا إلى المدينة[٧]. وعلى الرغم من أن المدينة هي الأخرى تأثرت بهذه الشدة التي ارتفعت فيها الأسعار في عامة بلاد الإسلام، فإن طبيعة أرض المدينة الزراعية جعلتها أقل تأثرًا من مكة في هذه المحنة[٨].

---

(١) الرطل يساوي ١٢٨ ٧/٤ درهم = ١٢ أوقية.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٤؛ ولمزيد من المعلومات انظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ ولمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٨.

(٥) الفاكهي، أخبار مكة، ص٣٧١.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٦.

(٧) المصدر نفسه، ص١٥٠؛ وانظر : ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ص٣٣٦.

(٨) ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص٣٦.

وعندما اعتدى أبو المغيرة المخزومي على مكة سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م صار الخبز فيها أوقيتان بدرهم[١].

وتدلنا هذه الإشارات على ارتفاع سعر الماء في مكة في فترات الجفاف لشحّ مواردها المائية، ولأنها تكتظ بالسكان من المجاورين وطلاب العلم والحجاج والمعتمرين، وتأثرت أسعار الطعام أيضًا بتأثير الفتن والثورات؛ لأن أثرها ينسحب على المناطق المجاورة لها أو الطرق المؤدية إليها، وذلك مثل ما وقع في أحداث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م المار ذكرها التي انقطعت بسببها المِيرة عن الحجاز من مختلف الجهات.

أما إقليم اليمن، فكان غنيًا بموارده الزراعية والصناعية، وعادة تكون الأسعار في مراكز الإنتاج أرخص من غيرها في مراكز الاستهلاك، وهناك إشارات إلى أسعار بعض السلع الرخيصة، منها على سبيل المثال القَرَظ[٢] حيث وقع من ألف رطل إلى خمس مئة بدينار مطوّق على وزن الدرهم القفلة[٣]. والعسل في جبل هِنوَم[٤] ستة أرطال بالبغدادي وسبعة وثمانية بدرهم قفلة[٥]، فكانت اليمن أرخص أقاليم الجزيرة العربية في بيع العسل لوفرة إنتاجه فيها. ومثله الأُتْرُجّ[٦] الذي اشتهرت بإنتاجه مدينة نَجْرَان،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦١٢.

(٢) القرظ: شجر يُدْبَغ به، وقيل هو ورق السّلم يُدْبَغ به الأدَم، ومن أديم مَقْرُوظ، والقرظ أجود ما تُدبَغ به الأُهُب في اليمن وغيره، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٦٣).

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٩، والقفلة تعني الجملة- أي درهم كامل دون نقص، (انظر: كريستوفر تول، مصطلحات عربية في المعايير والأوزان، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الخامسة، ١٤٠٧هـ).

(٤) هِنوم: ثلاثة أجبل كلها مشتبكة العمران وافرة السكان وهي سيران الشرقي، وسيران الغربي، وجبل المدان وشهارة، (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٥، هامش رقم ١).

(٥) الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٥٠.

(٦) الأُتْرُج: نوع من الفاكهة وواحدته ترنجة وأترجة، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣١٦).

فقد ذكر الهَمْداني أن الواحدة منه تبلغ ربع دينار وخمساً وسدساً وليس له نظير في بلد آخر[١]. ويبلغ جلد البقر الذي يصنع منه النعال عشرة مثاقيل وأكثر إلى عشرين مثقالاً، وبلغ جلد النمر دنانير[٢]. أما قيمة البقر فربما بلغ الثور الجَنَدي ثلاثين دينارًا مطوّقة[٣]. وبلغت أربع قرب ماء بصَنْعَاء بدانق من ستة دوانق من درهم قفلة. وبلغ حمل الفِرْسِك[٤] بنحو أربعين درهمًا، والعنب كذلك[٥]. وبلغ مَنَوا الزعفران في المُذَيْخِرَة[٦] بدينار[٧]. ويبدو أنه كلما كانت السنة مطيرة زاد الرخاء وانخفض السعر يتجلى ذلك من رخص التمر في منطقة شَبْوَة[٨] التي تكثر أمطارها في معظم الأوقات حيث كان يباع حمل[٩] التمر فيها بدرهم[١٠]. وبلغ فص من الجزع البَقَراني مئة دينار

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٢-٣٦٣؛ ويلحظ أنه لم يذكر عدد الدنانير.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٧.

(٣) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص٩٥.

(٤) الفِرْسِك: هو الخوخ عند أهل اليمن، وقيل: هو مثل الخوخ في القدر، وهو أجرد أملس أحمر وأصفر، ليس يتفلق عن نواة، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٠٧٤).

(٥) الرازي، المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٦) المُذَيْخِرة : اسم قلعة حصينة في رأس جبل صبر ، وقال عمارة : جبل أعلاه نحو عشرين فرسخًا فيه المزارع والمياه ونبت الوَرْس وفي شفيرة الزعفران وهو في مخلاف السحول بحاشد، (ياقوت، معجم البلدان ، ج٥، ص٩٠).

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٣.

(٨) شَبْوَة، بلد على الجادة من حضرموت إلى مكة وهي تقع شرقي مأرب بمسافة ثلاثة أيام، وكان لها أثر في النمو والازدهار والنشاط الاقتصادي، (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٧٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٣).

(٩) الحمل: هو حمل الدابة يقول الشاعر:

طَرِبْتَ وهاجتك الحمولُ البواكرُ   مقفيـة تُحـدا بهـن الأباعـرُ

وقدّره هنتس بحوالي ١٦٢,١٤٤ كغم.

(١٠) البكري، جزيرة العرب، ص١٢٠؛ وانظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص٧٩؛ محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٣م، ص١٥٤.

وأكثر دون الإشارة إلى وزنه، وبلغ الثوب من البرد الفاخر في صَنْعَاء خمس مئة دينار[١]. وأمدتنا المصادر بأمثلة قليلة عن أثمان سيوف اليمن التي اشتهرت بجودة صناعتها ومتانة معدنها بالنسبة إلى غيرها، فكانت تبلغ قيمة السيف العادي من عشرة إلى خمسين دينارًا بحسب متانة صناعته[٢]. أما السيوف النادرة، فيزيد ثمنها تبعًا لندرتها والإقبال عليها، من ذلك ما رواه المسعودي من أن الخليفة المتوكل ذُكر له سيف باليمن ليس له نظير، فأرسل في شرائه ودفع ثمنه عشرة آلاف درهم[٣].

ومما يدل على تأثر الأسعار بمنطقة الإنتاج أن سعر اللؤلؤ في البحرين ما اتزن سدس مثقال [٤] بدينارين إلى ثلاثة دنانير، وثلث المثقال من اثني عشر إلى عشرين دينارًا[٥]. وكذلك ذكر الأصفهاني مثالاً واحدًا على أثمان الدواب في اليمامة حيث بيعت شاة بدرهمين[٦]، كما بلغت فيها قيمة مئة رمانة من رمان سُدوس بدرهم[٧]. فكثرة السلع والمواد الغذائية وغيرها في بعض المناطق تؤدي إلى رخص الأسعار.

---

(١) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١١٢.

(٢) الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل "ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م"، السيوف وأجناسها، تحقيق عبدالرحمن زكي، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الرابع عشر، ج٢، ديسمبر، ١٩٥٢م، ص٢٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١١٩، ومما هو جدير بالإشارة إليه أن هذا هو السيفُ الذي قُتل به المتوكل عندما اعتدى عليه حارسه باغر التركي وضربه به على جنبه حتى أرداه قتيلاً. ومن الممكن أن أسعار السيوف لم تكن تتوقف على جودة السيف فقط، بل على قيمته التاريخية، كأن يكون سيف أمير أو قائد إلخ، وما زلنا إلى عصرنا نشهد ارتفاع أسعار أشياء تبعًا لقيمتها التاريخية لا المادية.

(٤) فلتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩ وما بعدها.

(٥) البيروني، الجواهر، ص١٢٩.

(٦) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٠٧-١٠٨؛ وانظر أيضًا: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩٥.

(٧) الحربي، المناسك، ص٦١٨؛ ياقوت، المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٠.

أما أسعار الرقيق، فقد كانت فيما يبدو تتحدد تبعًا لمهارة العبد ومواهبه، وربما تحددت تبعًا للونِ جلده بين أبيض وأسود، فقد ذكر ابن الفقيه مثالاً على سعر مولدات اليمامة فقال: "لا تبلغ مولدة[١] ألف درهم إلا يمامية"[٢]. وقد أشار الإمام مالك إلى أنه بيع أحد العبيد في الحجاز بألف دينار وآخر بثلاث مئة درهم[٣]. فكان اختلاف القيمة تبعًا لاختلاف مهارة كل منهما.

أما أسعار العقار فتتوقف على سوق العرض والطلب يتضح ذلك عندما طلب القرمطي من أهل القطيف مالاً يستعين به على القتال فأخذوا في بيع عقارهم، فباعوا ما يساوي ألف دينار بمئة دينار[٤]. ويذكر الرازي أن منازل صَنْعَاء رفيعة البنيان، بيع بعضها بمبلغ خمسين ألف دينار[٥]. كما بيعت أرضٌ زراعية في ضَرِيَّة بألفي دينار وغلّتها تنهي في العام ثمانية ألف درهم وأزيد[٦]. وأشار الأزرقي إلى بعض أسعار العقار في الحجاز، ففي مكة يرتفع سعر الدور القريبة من المسجد الحرام، حيث تتراوح قيمتها بين عشرين ألفاً ومئةِ ألف دينار[٧]. وفي المدينة بيعت ضيعة بسعر سبعة آلاف دينار وحائط بأربعين ألف دينار[٨].

---

(١) المولدّة: تعني المولودة بين العرب الناشئة مع أولادهم المتأدبة بآدابهم، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٩٨١).

(٢) ابن الفقيه، كتاب مختصر البلدان، ص٢٢.

(٣) مالك، الموطأ، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٨٦٥-٩٧٥، انظر لمزيد من المعلومات : ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص٣٩.

(٤) البكري، جزيرة العرب، ص٤٣.

(٥) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١٠١-١١٢.

(٦) البكري، جزيرة العرب، ص ١٦.

(٧) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٤٧، ٢٥١، ٣٤٣.

(٨) مالك، الموطأ، ص٢٧٤-٢٧٥؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٣٧، ص٧٤- ٧٥؛ ولمزيد من المعلومات انظر: ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٣٨.

ب - الطرق التجارية الداخلية :

ارتبطت أقاليم الجزيرة العربية بعضها ببعض بعدد من الطرق البرية والبحرية[١]، فضلاً عن ارتباطها بمناطق التبادل التجاري الخارجي بشبكة من الطرق التجارية التي نأتي على ذكرها فيما بعد.

فكان الاتصال ميسورًا بين الأسواق الداخلية لكثرة الطرق المحلية التي تسلكها قوافل التجار لنقل فائض السلع والبضائع من مناطق الوفرة إلى مراكز الاستهلاك، وكان لتعدد هذه الطرق أثره الإيجابي في ازدهار تجارة الجزيرة العربية خلال تلك المدة[٢] .

١ - الطرق البرية :

تعددت الطرق البرية داخل الجزيرة العربية؛ لأنها المسلك الرئيس لتجارتها الداخلية ومن أبرزها ما يأتي :

أولاً - الطرق التي تربط إقليم الحجاز ببلاد اليمن :

أ - الطريق الجبلي :

ومن بين تلك الطرق ما يعرف بالطريق العليا "الجبلي" التي تصل مكة بصنعاء مرورًا ببئر ابن المُرتَفع[٣] ثم قرن المنازل[٤] فالطائف، فالفُتُق[٥]

---

(١) انظر : خارطة الطرق الداخلية شكل (٣).

(٢) انظر : العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب.

(٣) منزل فيه بئر قريب من مكة، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٤، وانظر الخريطة شكل رقم ٤).

(٤) قرية مشهورة وتعرف حاليًا بوادي السيل وهي ميقات أهل نجد والطائف.

(٥) بلدة قريبة من مدينة الطائف، وقد قال عنها ابن خرداذبة: إنها "قرية كبيرة" المسالك والممالك، ص١٣٤؛ وهي مع مدينة الطائف على خط طول واحد من المشرق إلى الغرب، (انظر: الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٤٥، هامش رقم ٢).

فــالصَــفن[١]، ثـم تُرَبَة والقُــريحــاء[٢] وتَبَــالة[٣] إلى بيــشَـــة بُعطان[٤]، فـالجُسَدَاء[٥] "الجُداء" ومنهـا إلى موضع يعرف باسم بَنَات حَرْب[٦] ثم إلى يَنَمْبَم[٧] "أو ينبم" وهذا الموضع على بعد أميال من جُرَش[٨]، ثم إلى كُتْنَة[٩]، فالثُجَّة[١٠]، ومنهـا إلى سَرُوم الفيض "سَرُوم رَاح" وهـي قرية كبيرة فيها سكان وعمـارتها متـصلة[١١]. ثم إلى أُرينب[١٢] فـالمَهْـجَـرة[١٣] فـالعَـرقـة[١٤] ومنهـا

---

(١) منهل ماء تجتمع فيه أمطار ناحية الطائف، (المصدر نفسه، ص٦٤٥، هامش رقم ١).

(٢) قرية على وادي رنية فيها ماء ومعلف، (المصدر نفسه، ص٦٤٤، هامش رقم ١٣).

(٣) مدينة كبيرة فيها عيون، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك)، ص١٣٤، وهذه البلدة أو المدينة ما زالت معروفة حتى الآن.

(٤) بلدة كبيرة من أعمال مكة مما يلي اليمن من مكة على خمس مراحل، وبها النخل الكثير، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٩)، وما زالت هذه البلدة قائمة حتى الوقت الحاضر، وقد أصبحت منطقة واسعة تتبعها كثير من القرى والمدن، وهي تابعة لإمارة عسير.

(٥) منهل ماء، انظر: الحربي، المصدر السابق، ص٦٤٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥.

(٦) بَنَات حَرْب: جبال حمر لا تزال معروفة شرق بلدة تثليث، (الحربي، المصدر السابق، ص٦٤٤).

(٧) يَنَمْبَم: هو اسم موضع قريب من تَبَاله عند بِيشَة وترج، وهو وادٍ عظيم من روافد وادي تَثْليث، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٧).

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٠، وجُرَش وصفها الهمداني بأنها كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز ويسكنها قبائل من حمير، وهي اليوم خراب وأطلال في موضع بين أحد رفيدة ومدينة خميس مشيط، ولمزيد من المعلومات (انظر: صفة جزيرة العرب للهمداني، ص٢٥٥).

(٩) قرية عظيمة بها عيون وكروم ونخل باسق، الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٨.

(١٠) الثُجَّة: من مخاليف اليمن بينه وبين مدينة الجَنَد ثمانية فراسخ، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٤- ٧٥).

(١١) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٨.

(١٢) أُرينَبْ: يعرف هذا المكان باسم حلاحل أو جلاجل، (انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٠).

(١٣) مَهْجَرة: قرية عامرة، وبها شجرة عظيمة تعرف بطلحة الملك، (ابن خرداذبة، المسالك، ص١٣٥).

(١٤) عَرقة: هي قرية ماؤها قليل، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥؛ وانظر: الهمداني، صفة الجزيرة العربية، ص٢٤٨).

تسير الطريق إلى صَعْدَة، فخَيوان[١]، ومنها إلى رَيْدَة[٢]، ثم إلى مدينة صَنْعَاء[٣]. وقد ذكر الهَمْداني جملة مراحل هذه الطريق بأنها ثنتان وعشرون مرحلة[٤].

وعلى الرغم من الطبيعة التضاريسية الصعبة للمناطق التي تجتازها هذه الجادة، إلا أن أرضها خصبة كثيرة الماء والغذاء، لذا يكثر فيها المسافرون، لتوافر حاجة الركب والدواب من الغذاء والماء والكلأ[٥].

ب - طريق تهامة الساحلي :

تسير هذه الطريق من مكة إلى مَلكان[٦] فَيَلمْلَم[٧]، فالسِّرَّيْن[٨] وفي هذه المحطة تتفرع الطريق إلى فرعين، أولهما يتجه إلى ساحل البحر الأحمر

---

(١) خَيْوان: هي قرية عظيمة كثيرة الكرم عظيمة العناقيد، تقع على ليلتين من صَنْعَاء مما يلي مكة، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٥).

(٢) رَيْدة : هي مدينة باليمن على مسيرة يوم من صَنْعَاء، وفيها عيون وكروم، (ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص١١٢).

(٣) الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٤٣، ٦٤٤، وقد أشار ابن خرداذبة إلى قول الراجز:

لا بُدَّ مِنْ صَنْعَا وإنْ طال السَفَرْ   وإنْ تَحَنَّى كلُّ عودٍ وانْعَقَرْ

المسالك والممالك، ص١٣٦.

(٤) كما أنه قدَّرها بالبرد بخمسة وثلاثين بريدًا، وتقدر بالأميال بأربع مئة وعشرين ميلاً تقريبًا، (صفة جزيرة العرب، ص٣٣٨).

(٥) سعد الراشد، درب زبيدة، الرياض، دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٣.

(٦) جبل فيه منزل تستريح عنده القوافل، (الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٩، وعن مسار الطريق انظر الخريطة شكل ٤).

(٧) يَلَمْلَم: ميقات أهل اليمن، وبه بئر روية يردها المسافرون على هذه الطريق، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٩- ٨٠).

(٨) السِّرَّيْن: من المحطات التجارية الواقعة على طريق اليمن الساحلي وتبعد عن مكة عدة مراحل، (عمارة اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صَنْعَاء وزَبِيْد، ص٤٢- ٤٤).

حتى يصل إلى مدينة زَبِيْد[١]. والفرع الثاني من الطريق يعرف بالطريق الوسطى[٢] وهي تصل السِّرَّين بمدينة حَلّي، فَضَنْكان[٣]، فَعثَّر[٤]، فبَيْش، فجَازَان وهي قرية صغيرة تستريح بها القوافل[٥]. ومنها إلى الخَصوف[٦]، فخولان ذي السُحَيْم[٧] ثم إلى مدينة صَنْعَاء مرورًا ببعض المنازل التي أشار لها الحربي في حديثه عن منازل هذه الطريق[٨].

وقد فصل الإدريسي في ذكر مراحلها، فحصرها في عشرين مرحلة[٩]. ويبدو أن منازل هذه الجادة كانت متصلة في مخاليف [١٠] غير منفصلة، وظلت عامرة بقوافل التجار والحجاج حتى فيما بعد مدة هذه الدراسة؛ لأنها المعبر الرسمي للمحمل السلطاني إلى مكة المكرمة[١١].

---

(١) عمارة اليمني، المصدر السابق، ص٧٨.

(٢) عرفت هذه الطريق فيما بعد بالجادة السلطانية ؛ لأن الركب الرسمي للدولة يمر بها يعرف باسم المحمل الذي يمثل اسم الدولة الباعثة له إلى مكة المكرمة، انظر: عبدالكريم علي باز، المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، المجلد٧، ج١، لندن، دار المريخ للنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٦ وما بعدها.

(٣) ضَنْكان: من مخاليف اليمن على ساحل البحر الأحمر، (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٦٤).

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٧٦- ٧٧، هامش ٦.

(٥) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٣٠.

(٦) الخَصوف هي: مدينة مخلاف حكم وهو الذي يسمى المخلاف السليماني، (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٤، هامش رقم ٢، وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢ و ص٢٨٠).

(٧) قلعة حصينة ولأهلها منعة، (الإدريسي، جزيرة العرب، ص٣٠).

(٨) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٤٦.

(٩) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٩- ٣٠.-

(١٠) جمع مِخْلاف، وهي الأطراف والنواحي في كل بلد، وهي عند أهل اليمن كالرستاق، والرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن وهي بمنزلة السواد عند الفرس، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٧- ٣٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٨٨٨).

(١١) عبدالكريم علي باز، المحمل اليمني في عهد بني رسول، ص١٦ وما بعدها.

ثانيًا - الطريق من مكة إلى شمال الحجاز:

كانت مكة بحكم موقعها الجغرافي وأهميتها الدينية، حيث أصبحت مقصودة من جميع البلاد الإسلامية نقطة التقاء طرق عدة من كل الاتجاهات مثل الطريق التي تخرج إلى شمال الحجاز من مكة مرورًا ببطن مُرّ[١]، فعُسْفَان وهو حصن حوله آبار كثيرة[٢]، فقُدَيْدة[٣]، فالجُحْفَة[٤] ثم الأبْواء[٥] ومنه إلى السُّقيا[٦]، فالرُّوَيثَة[٧]، فالسيَّالة[٨] ومنها إلى المدينة[٩]. وبعد ذلك تسلك القوافل التجارية طرق الحج الشامي أو المصري المتجهة إلى تَبُوك وأيلة مرورًا بكثير من المحطات والمنازل التي نأتي على ذكرها بشيء من التفصيل في الحديث عن طرق التجارة الخارجية من هذا الكتاب[١٠].

(١) منزل فيه عين ماء في مسيل رمل وحوله نخيلات، الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٣.

(٢) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٤٦٣.

(٣) واد فيه قرى صغيرة، لا يزال معروفًا، المصدر نفسه، ص٤١٥، هامش رقم ٣.

(٤) الجُحفة، قرية عظيمة فيها سوق، وهي ميقات لأهل الشام، (ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨، وانظر المحطات التجارية من هذا الكتاب).

(٥) منزل فيه آبار والمسافة منه إلى الجُحفة سبعة وعشرون ميلاً، (الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٣).

(٦) منزل فيه بستان وحدائق نخل، وفيه قوم من سائر قبائل العرب، والمسافة منه إلى الرويثة ستة وثلاثون ميلاً، (المصدر نفسه، ص٢٣).

(٧) الرُّوَيثَة: منزل فيه أربع برك ماء، وتعرف الآن ببئر عباس، وتبعد عن المسيجيد سبعة أكيال، (الحربي، كتاب المناسك، ص٤٤٧، هامش رقم ٢).

(٨) السيَّالة، موضع على طريق المدينة ومكة وتباع فيها الشواهين (أي الصقور)، (قدامة بن جعفر، الخراج، ص١٨٧).

(٩) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣١.

(١٠) انظر: الفصل الثالث، التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

ثالثًا - الطرق من الحجاز إلى اليمامة والبحرين وعُمان:

وهي تخرج من مكة إلى بُسْتَان ابن عامر ومنه إلى ذات عِرْق وهي ميقات أهل العراق ومن جاء عليها من أهل اليمن وغيرهم(١)، ثم إلى أَوْطَاس(٢)، فَوَجْرَة(٣)، فَمرَّان(٤)، فضَرِيَّة(٥)، وعندها يلتقي حاج البصرة والبحرين(٦)، ومنها إلى القَرْيَتَيْن(٧)، وهي مجمع لعدد من الطرق، ثم تسير القوافل منها إلى اليمامة "جَوّ" مرورًا ببعض المنازل التي ذكرها ابن خرداذبة بشيءٍ من التفصيل في كتابه المسالك والممالك(٨). وكانت مراحل هذه الطريق خمس عشرة مرحلة ذكرها الإدريسي بشيء من التفصيل(٩).

ومن اليمامة تتفرع الطريق المتجهة إلى شرق الجزيرة العربية إلى فرعين أحدهما يسير من جَوّ الخَضارِم إلى الأَحْسَاء، ومنها إلى مدينة القَطِيف، وتلتقي هذه الطريقُ الطريقَ التي تخرج من البصرة إلى البحرين فعُمان(١٠).

---

(١) البكري، جزيرة العرب، ص٥٣.

(٢) أَوْطَاس: موضع على الطريق قريب من ذات عرق، وهي في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٨١).

(٣) وجَرَة: منزل لأهل البصرة إلى مكة بينه وبين مكة مرحلتان، (المصدر نفسه، ج٥، ص٣٦٢).

(٤) مَرَّان: منزل فيه ماء على طريق مكة البصرة، (المصدر نفسه، ج٥، ص٩٥).

(٥) ضَرِيَّة : لا تزال تعرف بهذا الاسم، (انظر الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص ٥٩٤، هامش رقم ٢، ولمزيد من المعلومات انظر: المحطات التجارية من هذا الكتاب).

(٦) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٢.

(٧) القريتان: أشار إليهما البكري بأن الدنيا منهما قرية ابن عامر والقصوى قرية بناها جعفر بن سليمان، وهي على ميلين من عنيزة، (البكري، جزيرة العرب، ص٥٣).

(٨) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٧.

(٩) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٤٤؛ وانظر كذلك: البكري، جزيرة العرب، ص٥٠.

(١٠) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٧؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٤؛ وانظر لمزيد من المعلومات: محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، بدون مكان الطبع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٠٢- ٢٠٣.

أما الطريق الأخرى فتخرج من اليمامة إلى واحة يَبْرِين[١] في اتجاه إقليم عُمان حتى تنتهي في مدينة صُحار[٢]. وكانت هذه الطرق تقطع الجزيرة العربية من الغرب إلى الشرق، وهي محفوفة بالمخاطر لكثرة الصحاري وشح المياه في بعض مراحلها[٣].

رابعاً - الطريق من عُمان إلى اليمن :

تسير هذه الطريق نحو الجنوب الغربي للجزيرة العربية بمحاذاة ساحل البحر[٤] ، حيث تخرج من عُمان إلى بلاد مَهْرَة مروراً ببعض القرى والمدن والمنازل حتى تفضي إلى مدينة الشِّحْر وهي بلاد الكُنْدُر[٥]، ومنها إلى شِبَام[٦]، ثم إلى مدينة عَدَن، وعندها تتفرع الطريق إلى فروع عدة، من أهمها الطريق التي تتجه إلى الجَنَد، فصَنْعَاء، فصَعْدَة، ثم تسلك القوافل بعد ذلك جادة الطريق اليمني المتجهة إلى مكة السابق ذكرها فيما مضى.

وتخرج طريق أخرى من عَدَن في محاذاة الساحل حتى تفضي إلى مدينة زَبِيد، ثم تلتقي بالطريق الساحلية المتجهة كذلك إلى مكة، فتسلكها القوافل العُمانية كغيرها من القوافل الأخرى التي تفد إلى مكة في مختلف المواسم[٧].

(١) يذكر الحربي أن يَبْرِين فيها منبران، وهذه البلدة لا تزال معروفة، فيها نخيل، وتقع في الجنوب الغربي من الأَحْسَاء، (كتاب المناسك، ص٦٢١، هامش رقم ٣).

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١١.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٣؛ وانظر : محمد رشيد العقيلي، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٤) انظر الشكل رقم ٣.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٧؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٣٩؛ والكُنْدُر حمل أشجار اللبان، (البكري، جزيرة العرب، ص٢٦).

(٦) مدينة بحضرموت من أهم المدن في تلك الناحية، بينها وبين عَدَن عشرون ميلاً، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣١٨).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧، ١١١؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص٩٢؛ ولمزيد من المعلومات، انظر : محمد راشد الشيان، دراسة في آثار الطرق البرية باليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دور هام بإنجلترا، كلية الآداب، ١٩٩٣م، ص ٨ من فصل التجارة القديمة.

خامساً - الطريق من اليمن إلى اليمامة :

تخرج الطريق من مدينة صَنْعَاء إلى صَعْدَة ومنها إلى مدينة نَجْرَان وتمضي منها إلى المعدن[١] عبر واحة وادي العقيق "وادي الدواسر حاليًا"[٢]، ثم إلى الفَلَج "الأفلاج" فالخرج إلى أن تصل إلى اليمامة[٣]، مرورًا بعدد من المنازل التي أشار إليها ابن خرداذبة[٤]، وعند اليمامة تلتقي هذه الجادة بالطرق التي مر ذكرها في طريق الجادة إلى عُمان، والبحرين والحجاز، وغيرها من الجهات الأخرى، فاليمامة كانت تُعَدُّ محطة تلتقي فيها عدد من الطرق البرية القادمة من الشرق والغرب والشمال والجنوب بحكم موقعها الجغرافي داخل الجزيرة العربية[٥].

٢ - الطرق البحرية الداخلية :

انحصر نشاط الطرق البحرية على سواحل الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية والغربية؛ لأنه لا يوجد داخل الجزيرة ممرات مائية يمكن أن تستخدمها وسائل النقل البحري، فكانت وسائل النقل البري هي المستخدمة في نقل السلع التجارية بين المناطق الداخلية البعيدة عن السواحل البحرية، كما سبق الإشارة إليها فيما مضى.

---

(١) هو: معدن العقيق الذي ورد ذكره لدى الهمداني في أكثر من موضع في كتابيه صفة جزيرة العرب، وكتاب الجوهرتين، كما أشار إليه الأستاذ حمد الجاسر وذكر أنه يقع في الجبال السود الواقعة حاليًا غرب مدينة الخماسين بوادي الدواسر، (انظر تعليقاته على كتاب الجوهرتين للهمداني، ص٣٨٩).

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١٢؛ وكتاب الجوهرتين، ص٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣١٢-٣١٣.

(٤) ابن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك، ص١٥٢- ١٥٣.

(٥) انظر : طرق التجارة الخارجية من الفصل الثالث من هذا الكتاب، والخريطة شكل رقم ٩.

ومع ذلك فقد ارتبطت سواحل الجزيرة العربية بطريق بحرية مهمّة تسلكها السفن والمراكب التجارية في مختلف المواسم، ويبدو أن التنقل من خلالها كان أكثر أمنًا من الطرق البرية، خاصة ما بين البحرين وعُمان واليمن لتجنب أخطار الصحراء المقفرة، وقطاع الطرق في تلك النواحي.

وكانت هذه الطريق البحرية تبدأ من موانئ البحرين مثل القَطِيف مرورًا بجزائر قَطَر ثم إلى بلاد عُمان، حيث تمر السفن بمدينة صُحَار، ومَسْقَط، فبلاد المَهْرَة ثم إلى أرض الشِّحْر مرورًا بفرضة ظَفَار المعروفة باسم (مِرباط) ثم تمضي القوافل البحرية إلى أن تحط في مدينة عَدَن، وتسير منها إلى باب المندب مرورًا ببعض المواضع التي ذكرها ابن خرداذبة بشيء من التفصيل في حديثه عن هذه الطريق[١]. ثم تفضي هذه الطريق إلى غَلافقَة فرضة مدينة زَبيد ومنها إلى مرسى عَكّ[٢]، فالحِرْدَة[٣]، فحَكَم[٤]، ثم إلى عَثَّر[٥]، فمرسى ضَنْكَان، فمرسى حَلْي، ثم إلى السِّرَّين ومنها إلى ميناء الشُّعَيْبَة الواقع قرب مكة ثم إلى ميناء مدينة جُدَّة، وتصل الطريق بعد ذلك إلى ميناء الجَار وغيره من الموانئ الأخرى الواقعة شمال الحجاز[٦].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٨؛ وانظر الخريطة شكل رقم ٧.

(٢) عَكّ: مخلاف باليمن، ومرساها يعرف باسم دهلك، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢).

(٣) الحِرْدَة، بلد باليمن له ذكر في حديث العنسي، وكان أهله ممن سارع إلى تصديق العنسي، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٠).

(٤) حَكَم، مخلاف باليمن، سمّي بالحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٠).

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٥.

(٦) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٤٨؛ البكري، جزيرة العرب، ص١٦٠، وانظر الخريطة شكل رقم ٦.

ج - المحطات التجارية :

وبالإضافة إلى الأسواق التجارية الرئيسة التي تناولتها الدراسة فيما سبق، كانت هناك مراكز تجارية أخرى تتمثل في المحطات الواقعة على الطرق البرية والبحرية في الجزيرة العربية، وقد كان لها نشاطها التجاري البارز في تجارة الجزيرة بصفة عامة، حيث تقوم بدور الوسيط بين التجار الذين يمرون عليها في طريقهم إلى الأسواق التجارية في المدن الرئيسة، وبين أهل تلك المحطات أو ما يجاوزها من أرياف وبوادٍ، فيتبادلون فيها البيع والشراء فيما يتوافر في أسواقها من سلع وبضائع تجارية حسب حاجة أهلها أو حاجة الوافدين عليها، ومن أهم هذه المحطات ما يأتي:

١ - **المحطات الواقعة على طريق الحجاز - اليمن مثل:** الطائف التي كانت من أمهات القرى الواقعة على هذه الطريق، فقد اشتهرت بتجارة الجلود والزبيب وكان أكثر فواكه مكة منها(١). ويتضح أن هذه المحطة قد استمر نشاطها التجاري فيما بعد مدة الدراسة هذه، حيث يذكر الإدريسي أنها مدينة صغيرة متحضرة، وبها تجار مياسير(٢).

وتَبَالة من المحطات التجارية المشهورة على هذه الطريق، فيها عيون كثيرة ونخل ومزارع، وكان يضرب المثل بِخِصْبِها(٣)، وعندها تتوقف القوافل

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤.

(٢) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٦، ولمزيد من المعلومات انظر صادرات الجزيرة العربية في فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٣) قال لبيد: فالضَّيفُ والجارُ الجنيبُ كأنَّما هَبَطا تَبَالة مُخْصبًا أهضامُها

ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩.

التجارية التي كانت تتنقل بين الحجاز واليمن(١). وكذلك بِيشَة بُعطان من أبرز محطات هذه الطريق، وكانت مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن تتوافر فيها المياه والمزارع، وتكثر حولها القرى(٢). ويبدو أن القوافل كانت تحط فيها رحالها وتتزود منها بالمؤن، ولهذا نشطت حركتها التجارية.

أما مدينة جُرَش فهي من أهم المحطات التجارية الواقعة في هذه الناحية، ولها أحواز كثيرة غنية بثرواتها الزراعية والحيوانية، وقد اشتهرت بصناعة الجلود لتوافر المواشي والقرظ في نواحيها، وكذلك كانت تنتج الحبوب كالذرة، والشعير، والقمح التي كانت تحمل إلى أسواق الحواضر الأخرى(٣).

ومن الراجح أن قرب مخلاف جُرَش من جادة الطريق التي تربط الحجاز باليمن قد زاد من حركتها التجارية، فقد ذكر ابن خرداذبة أنها تبعد عن قرية سَرومَ راح الواقعة على هذه الجادة بثمانية أميال(٤). فربما كانت القوافل التجارية التي تسلك هذه الطريق تعرج عليها في معظم المواسم لمزاولة البيع والشراء فيما يتوافر في سوقها من سلع تجارية، سواء ما كان من إنتاجها أم مما تجلبه القوافل إليها من بضائع الحواضر الأخرى.

وكانت مدينة نَجْرَان أيضاً من أنشط المحطات التجارية في هذه الناحية، فلها قرى كثيرة(٥)، كما تلتقي عندها الطريقُ القادمةُ من الحجاز بالطريق القادمة من اليمامة والعراق، وأهل نَجْرَان مشهورون بتجارة الجلود

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٤٠.

(٢) الحربي، كتاب المسالك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٦٤٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٢، ٣٦٩؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٨.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥ وما بعدها؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٨.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١٢، ٣١٧- ٣١٨؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٥٨.

والدبس، حيث كانت هذه المحطة وما يتصل بها من قرى غنية بثرواتها الزراعية والحيوانية لخصوبة أرضها(١).

أما محطات جادة الساحل بين الحجاز واليمن فأبرزها مرسى السِّرَّيْن(٢)، وكان لهذه المحطة حركة تجارية نشطة ؛ لأنها فرضة السروات(٣) التي قال عنها المقدسي: "والسروات معدن الحبوب والخيرات والتمور الرديئة والعسل الكثير"(٤). فكانت تختلف إليها المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق(٥). كما كانت تلتقي فيها الطرق البرية التي تسير بمحاذاة الساحل والممتدة ما بين مكة واليمن(٦). وقد استمر نشاط هذه المحطة التجاري إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، يؤيد ذلك ما رواه البكري من أنها مدينة عظيمة" فيها أسواق... وأن الميرة تجلب إليها من عَثر وحِرْدَة(٧).

ومدينتا حَلْي وعَثَّر كانتا من المحطات التجارية البارزة على هذه الجادة، فقد ذكر المقدسي أن لكل منهما سوقًا عامرة تمر بهما القوافل التجارية البرية منها والبحرية التي تنتقل بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها الغربي(٨).

---

(١) الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٦١؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص١٤٦.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٨.

(٣) السروات، رستاق كثير الحبوب، يحمل أكثرها إلى مكة وهي على تخوم الحجاز، (المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٩).

(٤) المقدسي، المصدر السابق، ص٨٩.

(٥) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٠.

(٦) أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٠٣.

(٧) البكري، جزيرة العرب، ص٤٨.

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٦؛ ولمزيد من المعلومات، انظر : البكري، جزيرة العرب، ص٤٨- ٤٩، والخريطة شكل رقم ٤.

٢ - المحطات التجارية الواقعة على الطرق التجارية التي تربط مكة بشمال الحجاز :

محطات هذه الطرق كثيرة ، منها على سبيل المثال الجُحْفَة التي تُعَدُّ من أهم محطات هذه الطريق، فكان فيها أسواق عامرة[١]. وقد أشار ابن رستة إلى أنها قرية عظيمة، فيها سوق وآبار للشرب، وهي ميقات أهل الشام[٢]، وتلتقي عندها القوافل القادمة من الشام ومصر، والعراق، لذلك كان لها نشاط تجاري بارز[٣].

كما أن مرفأ الحَوْرَاء يُعَدُّ من أشهر المحطات الواقعة على الطريق الساحلي التي تخرج من أَيْلَة إلى مكة، فكانت ترسو عند هذه المحطة السفن المصرية القاصدة المدينة[٤]. ويبدو أنها في هذه الحالة كانت لا تفرغ من التجار الذين يشترون منها ما يحتاجون إليه ويبيعون بعض ما يحملونه من سلع وبضائع في أسواقها، إذ تعد الحَوْرَاء من أنشط المحطات التجارية في هذه الناحية لكثرة التجارات التي ترد عليها سواء بالبر أم البحر.

أما وادي القُرَى [٥] فهو من المحطات التجارية المهمة في شمال الحجاز فكانت هذه المحطة كثيرة القرى والنخيل، وتلتقي عندها طريقُ الشام بطريق

---

(١) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٥٥٨، يقول عنها الشاعر:

فأصبحت أسواقها مصطفّه ... على رواء سائل ، وألفه

(المصدر السابق، الصفحة نفسها)

(٢) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨.

(٣) انظر : الطرق التجارية الخارجية في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) ذكر الحميري في كتابة الروض المعطار أنه كان بها ثماني آبار عذبة وبها ثمار ونخل، ص٢٠٥.

(٥) يعرف حاليًا باسم العُلا، (انظر: الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ، ص٤٦٣، هامش رقم ٢).

العـراق المتجـهـة من الكوفة إلى هـذه المدينة[١]. وتتـزود منها القـوافل بالماء والمؤن، وفيهـا تستقبل البضـائع الواردة من العراق والشـام التي تحمل إلى أسواق الحجاز وغيرها من الجهات الأخرى. ويتجلى نشـاطها التجاري مما رواه المقدسي بقوله: "وناحية قرح تسمى وادي القُرَى، وليس بالحجاز اليوم بلدٌ أجلُّ وأعمـرُ وآهلُ وأكثر تُجارًا وأموالاً وخيرات بعـد مكة من هذا"[٢]. وقال في مـوضع آخر: "ووادي القـرى مطرح الشـام والعـراق"[٣]. ويتبين أنه كان على من أراد الخروج إلى الشام من المدينة على الطرق الداخلية أن يمر بمحطة وادي القُرَى[٤]. وقد أسهم موقع هذه المحطة الجغـرافي في زيادة نشـاطهـا التجـاري، لأن أغلب القـوافل التجـارية القـادمـة من الشـمـال أو الجنوب تمر بها في طريقها إلى بعض أقاليم الجزيرة العربيـة، وخاصة تلك التي كانت تصلها الميرة من الشام .

وتُعَدُّ بلدة تَيْمـاء أيضـاً من المحطات التجـارية الواقعـة على طريق حاج بلام الشـام، وهـي كثيرة النخيل، وكانت ممتـار البـادية حيث تجلب لها السلع والبضـائع من أمـاكن الوفـرة الأخرى، مثل الشـام وغيـرها[٥] لمواجهـة حاجة البوادي المجاورة لها.

أمـا مـدينة أَيْلَة "العقبـة حـاليًا" فكانت من أهم المحطات التـجارية بحكم موقعهـا على رأس البحـر الأحمـر من جهـة الطرف الشمـالي الغـربي للجـزيرة العـربية. وهذه المحطة كانت تلتقي عندها كثير من القوافل التجارية وقوافل

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٧٨.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٦٧.

الحجاج وغيرهم من المسافرين القادمين من الشام ومصر، وشمال إفريقيا أو العائدين من الجزيرة العربية في هذا الاتجاه[١]. ومنها تتفرع الطرق البرية إلى فروع عدة يتناولها البحث في موضعها بشيء من التفصيل[٢]. ومما يدل على أهمية هذه المحطة التجارية ما رواه اليعقوبي عندما قال: إنها "مدينة جليلة على ساحل البحر المالح، وبها يجتمع حاجُّ الشام بحاجِّ مصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس"[٣].

٣ - المحطات الواقعة على الطرق التجارية بين الحجاز واليمامة والعراق من أهمها ما يأتي :

كانت محطة ضَرِيَّة من أهم المحطات التجارية في هذه الناحية، حيث كانت ملتقى للحاضر والبادي، فهي قرية كبيرة تجتمع فيها قوافل الحجّاج والتجار، مع من يفد إليها من البوادي المجاورة لها، ويكثر بها التجار لما يشهده سوقها من حركة تجارية نشطة ازدهرت معها هذه المحطة لكثرة القوافل التجارية التي تمر بها[٤]، فقد اشتهرت بسوقها الجامع الذي كان يضم كثيرًا من الحوانيت، منها ثمانون حانوتًا أقامها جعفر بن سليمان العباسي[٥]. فلا غرو أن تنشط الحركة التجارية في هذه السوق العامرة،

---

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٠.

(٢) انظر الفصل الثالث ، التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨- ٩٩.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٥٧، ولمزيد من المعلومات انظر: عمر دراز، الحمى في شبة الجزيرة العربية، مجلة العربي، العدد ٢١١، الكويت، يونيو ١٩٧٦م، ص٢١؛ عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٨١.

(٥) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس من سراة الهاشميين، ولي البصرة ثم المدينة سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م إلى سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م، ثم عزل عنها، ثم وليها مرة أخرى في عهد المهدي من سنة ١٦٠- ١٦٦هـ/٧٧٦- ٧٨٢م وولي معها مكة والطائف، وكان قد قام بإصلاحات عمرانية في ضَرِيَّة وفي القَرْيَتَيْن وفي غيرهما من طريق الحج، وقد استوطنت ذريته هذين الموضعين، (وانظر: الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٥٩٤- ٥٩٥).

وأن تعرض فيها البضائع للبيع، وقد ظلت على نشاطها إلى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ ورد ذكرها في بعض المصادر المتأخرة عن هذه المدة(١).

ومحطة القَرْيَتَين لا تقل أهمية عن ضَرِيَّة في حركتها التجارية التي كانت ملتقى الطرق المحلية مع طريق البصرة(٢). وهي لذلك من مراكز التجارة العامرة على هذه الطريق، لما يفد إليها من أخلاط الناس، فكان يقصدها التجار بما يحملونه معهم من سلع وبضائع يتم تسويقها وتصريف بعضها في سوقها التي تشتهر به(٣). ويبدو أن كثرة واردها ورواج تجارتها جعلت مسالكها هدفًا لقاطعي الطرق واللصوص الذين يغيرون عليها من وقت لآخر على حين غِرة(٤).

وتأتي محطة النِّبَاج "الأسياح بالقصيم حاليًا" على قائمة المحطات

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٥٧- ٤٥٩؛ السمهودي، وفاء الوفا، ص١٠٩٩.

(٢) الحربي، المصدر السابق، ص٥٨٨؛ وانظر: الوشمي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، ص٢٢٨.

(٣) ذكر الحربي أن هذه المحطة لها دور بارز في النشاط التجاري منذ قديم الزمان حيث قال: "أصيبت بالقَرْيَتَين دراهم، وزن الدرهم منها تسعة دراهم وثلثان، من بقايا طسم وجديس، (كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٥٨٨، ولمزيد من المعلومات انظر: العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، الرياض، دار اليمامة، ١٩٨١م، ص٩٧٨ وما بعدها).

(٤) تمثل أحد قطاع الطرق فقال:

وأنيـــاب ســـيخلفهـن ســـيفـي وشَــدات الكَمـيِّ علـى التِّجَـار

الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٢٨٨.

وقال قائلهم أيضًا:

ذيـابٌ تلاقـتْ مـن سُـليم وعـامـر وَجسْـر، وقـد تلفـى هنـاك ذئابها

ألاحبَّــذا بُــرّ العــراق وريحـه إذا فُتِحـتْ بعـد الطـراد عِيـابها

الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦١٤.

التجارية المهمة على طريق الحجاز البصرة، فقد وصفت بكثرة السكان والتجار، فيقول عنها الحربي: "والنباج إنما سميت لكثرة أهلها وكثرة الأصوات،... وبالنِّبَاج عين ونخل وتجار كثير ومسجد ومنبر"(١). ولا غرو أن تنشط في هذه المحطة الحركة التجارية لكثرة السكان وأن تكون التجارة فيها مربحة بدليل ما أورده الحربي على لسان أحد الشعراء حين يقول :

حلُّوا محلاً حيث حلوا، جامعًا ماءً ، ونخلاً وبناءً رائعا

وصَيْدَ بَرّ، ومُنَدّاً واسعا

للتِّجْرِ فيه متجرٌ ربيح ومنزلٌ مُطّردٌ، فسيح

تَسْتَنُّ في حافاته السيوح

فوضعوا القوم بها ما وضعوا من زادهم واحتملوا فاتسعوا

وصاح سواق بهم فاندفعوا(٢).

والشُّقَرة من المحطات التجارية المهمة على طريق المدينة الكوفة، ويتبين لنا ذلك من قول الحربي : "وبالشُّقَرة قصور وحوانيت وسوق كبيرة، ونخل في ميمنتها وآبار ماؤها عذب"(٣). إن هذا النص يكشف لنا بوضوح حركة الطرق التجارية النشطة التي ينتج عنها ازدهار بعض القرى الواقعة على الطرق التي تعتمد على القوافل التجارية المارة بها كما هو حال هذه المحطة.

---

(١) الحربي، المصدر السابق، ص٥٨٦- ٥٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص٦٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص٥٢٢.

كما أن بطن النخيل من المحطات التجارية في هذا الجانب، حيث يكثر فيها السكان والزروع، ذكرها ابن رستة فقال: "وهو منزل كثير الأهل والخير كثير النخل والزرع، والماء"(١). ويزيد على ذلك الحربي أن به قصرًا وسوقًا ومنازل(٢). وهذا دليل على نشاط حركة التجارة في هذه المحطة الواقعة على الطريق التي يسلكها من يريد المدينة أو يخرج منها في اتجاه الأقاليم الشرقية من الجزيرة العربية أو العراق.

كما أن الرَّبذَة من أحسن المحطات التجارية على هذه الجادة ومن أنشطها، فهي تتميز بكثرة آبارها، وقد أثنى على وفرة مياهها الحربي في حديثه عنها فقال: "وبها آبار كثيرة، وخيارها بئر تعرف بأبي ذر ماؤها غزير"(٣). وقد أشار ابن سعد إلى أن بعض تجار المدينة كانوا يختلفون إلى سوق الرَّبذَة لمزاولة التجارة بها في مختلف المواسم(٤). وتعد محطة معدن بني سُليم "مهد الذهب الحالي" أيضًا من محطات الطريق المهمة لتوافر المياه فيها، وعندها تلتقي طريقُ الكوفة بطريق البصرة المتجهة إلى مكة المكرمة(٥).

أما مدينة فَيْد فلها حصن كبير في بسيط من الأرض يمتد حولها ربض يطيف به سور، ولها سوق عامرة بالسكان، ويفد إليها الأعراب ينتعشون مع الحجاج والتجار في التجارات والمبايعات، وهذه المحطة في نصف طريق مكة

(١) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص١٧٧ ؛ ولزيادة المعلومات انظر : سعد الراشد، درب زبيدة، ص٣٠٦.

(٢) الحربي، المصدر السابق، ص٥٢٠.

(٣) الحربي، المصدر السابق، ص٣٢٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٤٢.

(٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٦؛ قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص١٨٦.

الكوفة، كان يودع الناس فيها أزوادهم، وخاصة الحاج، وما ثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم، ووهبوا لمن أودعوها عنده شيئًا من ذلك، وهم مغوثة للحاج[1]. وعادة يقيم في هذه المحطة العامل "الوالي" المكلف من قبل الخلافة العباسية، وقد أشار إلى ذلك اليعقوبي بقوله: "ثم مدينة فَيْد وهي المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة"[2].

ويتضح لنا مما تقدم أهمية هذه المحطة وما تتمتع به من نشاط تجاري على هذه الطريق، حيث أهّلها موقعها الجغرافي، وما يتوافر فيها من وسائل يحتاج إليها المسافر في رحلته لأن تؤدي مهمة بارزة لاستقطاب كثير من أصحاب الثروات للاتجار فيها في أثناء سفرهم من العراق إلى الحجاز مرورًا بأرض نجد أو العكس في رحلة العودة إلى العراق.

ولا غرو أن هذه المحطات وغيرها من المراكز التجارية الأخرى قد أسهمت في تنشيط الحركة التجارية فكان أصحاب القوافل التجارية والحجاج يتمونون منها ويتبادلون مع أهلها ما يحملونه معهم من تجارات كثيرة، وتظل حركتها عامرة في مختلف المواسم، ولا سيما إذا توافرت فيها الحالة الأمنية.

د - حركة السلع التجارية :

لم تكن البضائع والسلع التجارية التي يتم تداولها وعرضها في أسواق

---

(١) الحربي، المصدر السابق، ص٣٠٦، هامش رقم ٢؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٧، وانظر لمزيد من المعلومات : ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣، حيث يقول: "وهناك يترك الحاج بعض زادهم إعدادًا للإرمال من الزاد عند انصرافهم، ولهم بها معارف يتركون أزودتهم عندهم".

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٨٦؛ وانظر قائمة ولاة طريق الحج العراقي بملحقات الكتاب ، ملحق رقم ١.

الجـزيـرة العـربيـة قاصرة على الإنتـاج المحلي، إذ كـانـت في الغـالـب تشـتمل على بضـائع من مـختلـف مناطق التبـادل التجـاري التـي سـيـرد ذكـرهـا في فصـل التـجـارة الخـارجيـة، حيـث يتم نقلها وتسـويقها مـن أمـاكـن الوفـرة إلى أمـاكـن الاسـتهلاك، فـمـن اليـمـن إلى الحـجـاز وغيـره مـن مـنـاطـق الجـزيـرة العـربيـة الأخـرى كـانـت تنقـل المنسـوجـات التـي اشـتهرت بصنـاعـتها مثـل البُــرود العَـدَنيــة[١] ، والمَعَـافـريـة[٢] ، والحَـبَـرات[٣] ، والحُـلل المُوشَّـاة[٤]، والبُـرود النَجْـرَانيـة[٥]، والملاحـف السُحُوليـة التـي تجـلب من الجَنَـد إلـى مكـة[٦].

والصنـاعـات الجلدية كانت من أشـهـر صـادرات اليـمـن لسـائـر البلدان، لتوافـر الحـيـوانات التي تقـوم عليـهـا صـناعـة الجلود، كالإبل والبـقـر والغنم، والتي أشـار لهـا الهمداني في حديثه عن أنواع الثـروة الحـيـوانيـة في مناطق اليمن[٧]. فكانت جلود صَعْدَة تجلب إلى المناطق الأخرى، حـتى فيـمـا بعد مدة هذه الدراسـة، حيث يذكـر الرحـالة ناصـر خسـرو أنهـا كانت تجلب إلى الفَلَج باليـمـامـة، ثم يحـملهـا التـجـار إلى مـدينـة الأحْسَـاء[٨]. فيـبـدو إذن أن

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٩٨؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٧.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص٣٠٢.

(٣) الأصفهـانـي، الأغـانـي، ج١٥، ص١٤٥؛ والحَـبَـرة ضـرب من بُرود اليـمن، والحبـرة من التـحـبيـر أي التزيين. فيقال ثوب حبير أي موشى، (ابن سيده، المخصَّص، ج٤، ص٦٧، ٧٣).

(٤) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(٥) السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٢٣.

(٦) البكري، جـزيرة العـرب، ص٣٠؛ والملحف هو مـا يلبس فـوق سـائر اللبـاس من دثار، (ابن سـيـده، المخصَّص، ص٤٥، ٧٦).

(٧) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣؛ وانظر أيضًا : السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٢٣٥.

(٨) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١.

اليمامة كانت من مراكز تجارة أدم اليمن وجلودها المشهورة. ومن السلع التي كانت تشتهر بها اليمن وتحمل لمختلف أقاليم الجزيرة الأخرى الأدوية والعطور، مثل العنبر المعروف باسم شحري، والصمغ، واللبان الذي فاقت شهرته سائر الآفاق[١]. ومنها أيضًا العاج والجزع والعقيق والنيل الذي لا نظير له بمدينة زَبِيْد[٢]. والوَرْس[٣] الذي تشتهر به عَدَن والمُذَيْخِرَة[٤]. ويذكر الأصفهاني أن جِمال عُمان كانت تحمل الوَرْس من اليمن إلى عُمان فتصفرّ[٥].

وكانت أدوات القتال من ضمن السلع اليمانية التي تحمل إلى المناطق الأخرى في الجزيرة العربية، ومنها السيوف التي تتميز عن غيرها بجودة صناعتها[٦]. ومثلها السهام التي تشتهر بها صَعْدَة[٧]، والدروع[٨]، والرماح التي كانت تجلب لليمامة[٩].

وتشير بعض المصادر إلى المحصولات الزراعية التي تدخل ضمن السلع

---

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٢٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٧؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢١٤، ٢٣٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٧.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨.

(٣) الوَرْس: نبات أحمر في معنى الزعفران، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٣؛ ويقول عنه ابن منظور: "نبت أصفر يكون باليمن يصبغ به"، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، مادة ورس).

(٤) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٢، هامش ١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣١٨.

(٦) الكِندي، السيوف وأجناسها، ص٨، ٩، ٢١، ٢٤؛ وانظر : عبدالله السيف، الصناعة في اليمن في العصر الأموي، ص١٤٧.

(٧) البكري، معجم ما استعجم، ص٨٣٢.

(٨) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص١٤٣؛ يذكر أنها تعرف بالدروع السَلُوقية، منسوبة إلى خَربَة سَلُوق، يكثر فيها خبث الحديد.

(٩) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٦٠؛ وانظر: الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٨.

اليمانية مثل: الدبس وقوالب السكر التي اختصت بها مدينة نَجْرَان وكانت تحمل إلى عُمان ومكة[١]، ومثل ذلك العسل الذي يعمل منه الشهد المعروف بالشهد الحضُوري[٢] الجامد الذي يعبأ في قصب اليراع ويحمل إلى مكة وسائر البلدان في القصب[٣]. كما كانت الحبوب من ضمن التجارات التي تُجلب من اليمن إلى الحجاز، من ذلك ما أشار إليه الطبري أنه في سنة ٢٥١هـ/٨٦٤م حملت من اليمن الحِنْطة والذُّرة إلى مكة[٤]، وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ذكر المقدسي أنّ السِّرِّين فُرضة السَّروات والسَّروات معدن الحبوب التي يحمل أكثرها إلى مكة[٥]. ومن المحصولات الزراعية الأخرى التي اشتهر بها اليمن العنب والزبيب الذي عمت شهرته الآفاق، فكان يحمل إلى البلاد المجاورة لها والبعيدة منها؛ لأنه طيب الذوق جليل المقدار[٦].

ذكر المقدسي بعض أنواع البضائع التي كانت تحمل إلى إقليم عُمان من اليمن مثل السمك العظيم الذي يستخرج من ساحل الشِّحْر[٧]، وبعض تلك البضائع[٨] كانت من السلع الهندية والصينية التي تصل إلى

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٠- ٣٦١.

(٢) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٤.

(٣) وجبل حضور باليمن اشتهر بالشهد، وهو جبل عال منيف، يقال إنه أرفع جبل باليمن وفيه قرية بيت خولان، انظر: (الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٨، هامش رقم٢، ص٣٥٨).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٧.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٦.

(٦) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢١٥؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٨.

(٧) المقدسي، المصدر السابق، ص٨٧.

(٨) مثل الحديد، والمسك، والعود، والسروج، والغضار، والفلفل، والدار صيني، ... إلخ، وسيتم التفصيل في ذكر هذه السلع في فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

مدينة عَدَن "دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات"[١]. ومن الثروة الحيوانية التي دخلت ضمن منتجات اليمن الإبل المَهْرية[٢] التي وصفها الهَمْداني بأنها من أكرم الإبل وأنجبها، ومثلها الإبل الأَرْحَبية[٣] والمَجِيدية[٤]، وكذلك البقر الخُدَيْرية التي لا يلحق بها في العظم بقر[٥]. والبغال والحمير[٦] ، فهذه الحيوانات كانت تستخدم في حمل الأثقال والتنقل من مكان لآخر داخل الجزيرة العربية وغيرها من الآفاق الأخرى.

لقد كانت اليمن -إذن- من أغنى أقاليم الجزيرة العربية لما يتوافر فيها من ثروات زراعية وحيوانية ومعدنية، قامت عليها صناعات متنوعة فاقت شهرتها سائر البلدان الأخرى لجودتها، وهذا ما حمل ابن الفقيه على القول: "وليس من شيء له خطر إلا إليهم ينسب من فَرس رائع، أو سيف قاطع، أو دِرْع حصينة، أو حلة مصونة، أو دُرَّة مكنونة"[٧]. وأشار في موضع آخر لنشاط أهل اليمن الصناعي بقوله: "ليس فيهم إلا دابغ جلد أو ناسج بُرد"[٨].

أما عُمان فهي أيضًا كانت تصدر لأقاليم الجزيرة العربية ما يتوافر في أسواقها من سلع وبضائع تجارية سواء كان من إنتاجها المحلي أم مما يرد

---

(١) المقدسي، المصدر السابق، ص٨٥.

(٢) نسبة إلى بلاد مَهْرَة، (ابن حوقل، صور الأرض، ص٤٣).

(٣) نسبة إلى موضع باليمن يعرف باسم أَرْحَبَ، (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٢).

(٤) المَجيدية، من بلاد مجيد باليمن، (الهمداني، المصدر السابق، ص٢١٠).

(٥) الخديرية: من بلاد خدير باليمن، (المصدر السابق، ص٢١٠).

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧١- ٧٢.

(٧) ابن الفقية، كتاب البلدان، ص٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ص٤١.

عليها من تجارات مناطق التبادل التجاري التي سنوضحها فيما بعد، حيث أصبحت متاجر عُمان مربحة وأحوال أهلها واسعة، فكانت غنية بالثروات الزراعية مثل النخيل والفواكه المتنوعة، يستنتج ذلك مما رواه عنها الإصطخري، بقوله: "كثيرة النخيل والفواكه الجُرُميَّة"(١).

كذلك أشار المقدسي إلى نشاط مدينة صُحَار التجاري فقال: "بلد ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات"(٢). فقد كانت تمد بعض أقاليم الجزيرة العربية بما يتوافر في أسواقها من بضائع تجارية، يؤيد ذلك ما رواه المقدسي من أنها: "خزانة الشرق والغرب والعراق ومغوثة اليمن"(٣). كما ذكر أن مَسْقَط أول ما يستقبل المراكب اليمنية(٤). فيبدو أن التواصل التجاري بينها وبين اليمن وما يليه من أقاليم الجزيرة العربية كان عامرًا، وعلى الرغم من أن اليمن كانت غنية بثرواتها الطبيعية إلا أنها قد تحتاج إلى بعض السلع العُمانية مثل التمور، وهذا ما يفهم من إشارة المقدسي إلى أن صُحَار مغوثة اليمن، وكذلك فإن طريق القوافل البرية أو البحرية من عُمان إلى الحجاز تمر من خلال المراكز التجارية اليمانية في معظم الأوقات، حاملة معها السلع والبضائع المتوافرة في عُمان مثل آلات الصيادلة والعطور والمسك، والزعفران والبقم(٥) والساج والعاج واللؤلؤ والجزع واليواقيت والآبنوس والنارجيل

---

(١) الجرمية، هي فواكه المناطق الحارة من الموز والرمان والنبق، (الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢؛ وانظر لمزيد من المعلومات: عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص٦٠.

(٣) المقدسي، المصدر السابق، ص٩٢.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٧.

(٥) شجر البقم، تستخرج منه صبغة حمراء لصبغ الملابس، وهو يكثر في سومطرة، طعمه مثل العلقم، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٤٦؛ عادل الألوسي، تجارة العراق البحرية، ص٢٢٧- ٢٢٨).

والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والفلفل وغير ذلك من السلع الهندية والصينية[١].

فقد كان لعُمان اتصال كبير بتلك الأقطار التي سنتناول سلعها بشيءٍ من التفصيل في واردات الجزيرة العربية[٢]. لقد ذكرت بعض الدراسات الحديثة أن معظم هذه السلع كانت تنقلها القوافل العُمانية إلى الحجاز واليمامة وغيرها من مناطق الجزيرة العربية الأخرى في مختلف المواسم[٣].

والبحرين كانت تصدر المنسوجات الهجرية والقطرية إلى اليمامة والحجاز وغيرها من المناطق الأخرى[٤]. ويبدو أن هذه المنسوجات كانت على درجة عالية من الجودة، فقد كانت ضمن الهدايا التي تحمل للخلفاء العباسيين في تلك المدة، فيذكر الجاحظ أن الشاعر أبا العتاهية أهدى للخليفة المأمون هدايا كثيرة من جملتها أردية قَطَرية[٥]. وكانت البحرين تستورد المسك من الهند والصين، ومنها ينقل بعضه إلى الحجاز، فقد كان للتجار الداريين جالية كبيرة تعمل في سوق العطارين بالمدينة المنورة في صدر الإسلام[٦]. وقد استمر نشاطهم ذلك فيما بعد، ودليل ذلك ما رواه

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٢) انظر لمزيد من المعلومات فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.

(٣) أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٨٨؛ الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٨.

(٤) الجاحظ، البيان والتبين، ج٣، ص١٢١؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٣؛ عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص٣٨- ٣٩؛ محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص٢٠٥- ٢٠٦.

(٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص١٢١؛ وانظر لمزيد من المعلومات: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٣٣- ٣٣٤.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، قسم ٢، ص٤٣؛ وانظر : عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٢١.

عَرّام السُلمي - وهو من علماء القرن الرابع الهجري - من أنّ السفن من أرض البحرين ترفأ على شاطئ الجار كغيرها من السفن الأخرى[١].

ومن الحاصلات الزراعية التي اشتهرت بها البحرين - وكانت ضمن صادراتها إلى بعض أقاليم الجزيرة العربية الأخرى- التمور، فقد أصبح تمرها مضرب الأمثال[٢]. فقد كانت قلال هَجَر رائجة بَصَنْعَاء[٣]. وقد أشار ابن الفقيه إلى تعدد أنواع التمور بالبحرين، وكانت رخيصة الأسعار[٤]. واستمر تبادل تمور هَجَر من أقاليم الجزيرة العربية إلى ما بعد مدة هذه الدراسة، يؤيد ذلك ما رواه أبو الفداء أنّ أهل الأحساء والقطيف كانوا يقايضون أهل الخرج من اليمامة بالحنطة، حيث تُستبدل كل راحلتين من التمر براحلة من حِنْطة اليمامة[٥]. ويذكر أحد الباحثين أن ذلك يدل على وفرة التمر في البحرين، ووفرة إنتاج الحِنْطة في اليمامة[٦]. ومن السلع الأخرى التي كانت تجلب من البحرين اللؤلؤ الجيد الذي يستخرج من سواحل البحرين، وهو من أجود اللؤلؤ[٧]، والإبل القَطَرية التي كانت من أفضل النُّجُب[٨]. والرماح الخَطية التي اشتهرت بها البحرين.

---

(١) عرام السلمي، كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، تحقيق محمد صالح شناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٣.

(٢) في الأمثال: كجالب التمر إلى هَجَر، الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص١٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٥٧؛ وانظر : عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي الأول، ص١٨٩.

(٣) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص٢٠٢؛ والقِلال مفردها قُلَّة، وهي إناء للعرب كالجرة الكبيرة، وقِلال هَجَر شبيهة بالحِبَاب، (الرازي، مختار الصحاح، ص٤٨٣).

(٤) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٠؛ وانظر: ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤٥.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٩.

(٦) محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص٢٠٦.

(٧) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٥٤.

(٨) الأصفهاني، الأغاني ، ج١٦، ص٢٩٠؛ (والإبل النُّجُب قال عنها الأزهري: هي عِتَاقُها التي يُسَابَقُ عليها، الرازي، مختار الصحاح، ص٥٦٨).

ومثلها الرماح الرُدَيْنيَّة التي كانت تدخل في صادرات البحرين إلى مختلف مناطق الجزيرة العربية[١] حيث كانت بين هذه الأقاليم صلات تجارية بحكم الجوار ونشاط مراكزها التجارية.

ومن أبرز السلع التجارية التي كانت تجلب من اليمامة إلى الجهات الأخرى داخل الجزيرة العربية التمور التي كانت تحمل إلى الحجاز، فيروي ابن الفقيه "أن التمر ينادى عليه بين المسجدين: يمامي اليمامة، يمامي اليمامة، فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي. وبها أصناف التمور"[٢]. ويروي الحربي أن تمر الغيل "في الأفلاج" كان يحمل إلى مكة، وهذا التمر يقال له الصفري[٣]، وهو من أجود أنواع التمور في اليمامة، وقال عنه الهَمْداني: إنه سيد التمور[٤]. ويروي الرازي أن تمر اليمامة كان يباع في صَنْعَاء بغاية الرخص[٥]. وكانت الحبوب من أهم الحاصلات الزراعية التي اشتهرت بها اليمامة، وخاصة الحِنْطة التي تسمى بيضاء اليمامة، فتذكر المصادر أنها عرضت في سوق الحِنْطة والطعام في كل من مكة والمدينة[٦].

فقد كانت اليمامة تعد الممول الرئيس لأسواق الحجاز في صدر الإسلام ويبدو أنها استمرت كذلك خلال هذه المدة، لوفرة المحصولات الزراعية،

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٣١؛ وقد ذكر أن الخَطِّية منسوبة إلى مدينة الخَط بالبحرين، وكذلك الرُّدَيْنِيَّة تنسب إلى قرية ردينة الواقعة على شط البحر في شرق الجزيرة العربية.

(٢) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٩.

(٣) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٢٢؛ ويضيف أنه لا يصبر في البحر غيره لصلابته، في الصيف يمضغ مثل الكُندر وفي الشتاء ينشق كالزجاج.

(٤) الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٧.

(٥) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١٠.

(٦) مالك، المدونة، ج٤، ص٢٥١- ٢٥٤؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٣٥، ١٨٥؛ الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص٢٩٤.

ولجودتها أيضًا، فقد أثنى ابن الفقيه على جودة قمح اليمامة وطيب طعمه، حتى إنه كان يحمل إلى الخلفاء[١]. وقد كانت الحبوب بأنواعها كثيرة في اليمامة واستمرت وفرتها إلى ما بعد زمن هذه الدراسة، يظهر ذلك مما ذكره أبو الفداء أن أهل البحرين كانوا يجلبونها من الخرج[٢].

ويبدو أن المواشي كانت تكثر في اليمامة، وتباع في بقية أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، فيروي الرازي أن أغنام اليمامة جُلبت إلى اليمن، فقد وصل القطيع الواحد منها ما بين خمس مئة وأربع مئة شاة[٣]. وكذلك حُملت حدائد مدينة حَجْر والأدوات الحربية كالسيوف القُساسية[٤]، والسهام والأقواس والرماح إلى بلاد اليمن وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية الأخرى[٥].

أما الحجاز فكان إنتاجه من السلع التجارية ضئيلاً إذا ما قورن بإنتاج أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، ومع ذلك اشتهر بإنتاج التمور متعددة الأنواع التي تربو على مئة وثلاثين نوعًا[٦]. فكان الفائض من محصولها ينقل إلى بعض المناطق المجاورة للحجاز داخل الجزيرة العربية[٧]. والزبيب من الحاصلات الزراعية التي اشتهرت بها الحجاز، وكان أكثره من مدينة الطائف، ويتضح أن صادرات الحجاز من الزبيب إلى مختلف مناطق الجزيرة

---

(١) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٩.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٩.

(٣) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١٠.

(٤) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٣٦، منسوبة إلى جبل قُساس باليمامة.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٥؛ ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، ١٣٠٧هـ، ج٥، ص٢٤٢؛ وانظر لمزيد المعلومات: الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٥.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص٧٢؛ وانظر كذلك: السيف، الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، ص١٩٦.

(٧) الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٣٥٠.

العربية وغيرها قد استمرت حتى بعد مدة هذه الدراسة، فيشير الإدريسي على سبيل المثال إلى أن زبيب الطائف معروف يتجهز به إلى جميع الجهات[١]. وحب البان أشار إليه ابن الفقيه أنه كان يحمل إلى جميع البلدان[٢]. ومثله حَجر المِسَنّ الذي يجلب من جبل رَضْوَى القريب من ينبع إلى سائر الأقاليم الأخرى[٣]. وأيضًا حِنَّاء يَنْبُع وسناء مكة من صادرات الحجاز[٤]. وكانت الغالية وهي نوع من الطيب الذي يصنع في المدينة يتجهز بها إلى سائر الأقطار لجودتها وشدة الإقبال على طلبها[٥].

وكانت الجلود من السلع التجارية التي تتبادلها الحجاز مع غيرها من المناطق الأخرى داخل الجزيرة العربية، ولا سيما النعال الطائفية المضروب بها المثل لجودة صناعتها ومتانة جلدها[٦]. فيذكر البكري أن "الأدَمَ الطائفي لا يُدْبَغ في قُطْر من أقطار العالم مثله"[٧]. وبالإضافة إلى ما ذكر كانت هناك بعض السلع التجارية الأخرى التي ينتجها إقليم الحجاز، مثل بعض أدوات القتال، والزينة والمنسوجات التي ربما كانت ضمن صادراته لمناطق الجزيرة المختلفة[٨].

---

(١) الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٦.

(٢) البان، حشيشة تنبت في بادية المدينة، يستخرج منها الدهن الجيد، (ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٥).

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨؛ البكري، جزيرة العرب، ص٢٧.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٩٨؛ الغالية نوع من الطيب يُركَّب من المسك والعنبر والعود والدهن، (انظر: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٦٦).

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص١٤٤؛ الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٦.

(٧) البكري، جزيرة العرب، ص٢٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر : عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٣٧.

(٨) انظر: ابتسام السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع، ص٧٥- ٨٠ ، حيث أشارت لهذه السلع بشيء من التفصيل.

وعلى الرغم من شح صادرات الحجاز لقلة إنتاجها المحلي إلا أن أسواق مكة والمدينة وغيرها من المراكز التجارية الأخرى في هذه المدة كانت أسواقًا عالمية تصب فيها تجارات سائر الأقطار بحكم أهميتها التجارية، حيث يعاد تصدير كثير منها إلى مناطق الاستهلاك الأخرى داخل الجزيرة العربية أو خارجها(١).

وبعد هذا العرض الموجز لحركة تبادل البضائع المختلفة بين أقاليم الجزيرة العربية يمكن القول بأن الصلات التجارية بينها كانت عامرة ومنتظمة في مختلف المواسم وعلى مدار السنة، وساعد على نشاط هذه الحركة التجارية تنوع الثروة من مكان لآخر، فكان التجار يتنقلون من إقليم لآخر حاملين ما يتوافر في مواطنهم من سلع، ويعودون بالجيد من إنتاج مناطق التسويق الأخرى أو ما يجلب إليها من تجارات متنوعة من مناطق التبادل الخارجية، كما هو الحال في أسواق عُمان، واليمن، والحجاز حيث تلتقي عندها طرق التجارة العالمية التي سنتناولها فيما بعد.

---

(١) انظر : فصل التجارة الخارجية من هذا الكتاب.



الفصل الثالث

التجــارة الخارجيــة

أ - مناطق التبادل التجاري :

ب - الطرق التجارية :

١ - الطرق البرية .

٢ - الطرق البحرية .

ج - السلع المتبادلة :

١ - الواردات .

٢ - الصادرات .

د - وسائل التعامل التجاري .



التجارة الخارجية

ساعد موقع الجزيرة العربية على أن تكون لها روابط تجارية مع أقطار أخرى، فهي حلقة وصل بين بلاد شرق آسيا وجنوبها والعراق وما يقع شرقه من ناحية وبلاد حوض البحر المتوسط من ناحية أخرى، وشرق إفريقيا من ناحية ثالثة. فالجزيرة العربية بحكم موقعها الجغرافي أصبحت ممرًا لكثير من طرق التجارة العالمية البرية والبحرية ولا سيما أنها تميزت بسواحل بحرية تحدها من الغرب والجنوب ومعظم الشرق[1]، فارتبطت بتلك المناطق تجاريًا قبل الإسلام، ولاغرو أن تزدهر مع الإسلام الذي عمّ كثيرًا من تلك المناطق لأن الجزيرة العربية أصبحت قبلة المسلمين ومكان حجِّهم، وهو ما قوَّى تلك الروابط التجارية بتبادل السلع والبضائع المختلفة سواءٌ ما كان منها من إنتاج الجزيرة العربية أم ما يستورد من خارجها مثل العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، وشرق إفريقيا وبلاد فارس والهند والصين، لذلك كانت موانئ الجزيرة العربية ومدنها من أهم الأسواق العالمية لما يجلب إليها من التجارات المتنوعة.

---

(١) قال ابن حوقل: "والذي يحيط بها "جزيرة العرب" بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر، فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عُمان، ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن، حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جُدة، ثم يمتد إلى الجَار ومدين حتى ينتهي إلى أيْلَة ثم ينتهي حد ديار العرب"، (صورة الأرض، ص٢٧؛ وانظر لمزيد المعلومات: عبدالمحسن الحسيني، الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب، ص١٠٢-١٠٥).

أ - مناطق التبادل التجاري :

١ - العــراق

ونظرًا لمركز العراق السياسي خلال مدة الدراسة فقد كان يمثل أهم منطقة تجارية مع الجزيرة العربية؛ لأنه منذ تأسيس بغداد(١) أصبح مركز التقاء طرق التجارة العالمية علاوة على ما كان ينتج فيه ويصدر إلى خارجه، ومن هنا توثقت صلة العراق التجارية مع أقاليم الجزيرة العربية التي كانت قائمة من قبل ولاسيما أن بعض تجارة العراق تمر على شمال الجزيرة العربية برًا أو على سواحلها الشرقية والجنوبية واصلة شرق إفريقيا بالعراق الذي زادت صلته بها زيادة كبرى وهو ما جعل موانئ الجزيرة مثل عَدَن، ومسقط، وصُحار ودبا ودارين من أهم المحطات التجارية في تجارة العراق الخارجية مع شرق إفريقيا، وهذه الموانئ نفسها كانت محطات أُسُساً لتجارة العراق البحرية مع الهند والبلدان التي تقع شرقها، يقول أبو حنيفة الدينوري عن ميناء الأُبُلَّة: "وهي مرفأ سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين"(٢).

وسبقت الإشارة إلى تشجيع الخلفاء من بني العباس(٣) ووزرائهم وكبار رجال دولتهم على التجارة مع الحجاز عامة والحرمين خاصة فيقول أهل

---

(١) قام الخليفة أبو جعفر المنصور بتأسيسها سنة ١٤١هـ/٨٥٧م، وقد اختار موقعها حيث تلتقي عنده طرق المواصلات البرية والبحرية، ويحيط بها نهران عظيمان هما دجلة والفرات، وبهما ترتبط بمياه الخليج العربي، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧-١٠).

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١١٧.

(٣) ذكر اليعقوبي أن الواثق بالله فرّق أموالاً جمة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين وسائر قريش والناس كافة، وأسقط العشور على ما يرد في بحر الصين، (تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٨٣، وانظر فصل العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب).

مكة: "حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب"[١]. ويشير المقدسي أن "وادي القرى مطرح الشام والعراق"[٢]، فكانت الجزيرة العربية على علاقة وثيقة بالعراق من حيث التبادل التجاري فقد كان تجار العراق يجوبون أقاليمها في مختلف المواسم[٣]. ويؤكد ذلك ما أورده قدامة بن جعفر عن مدينة صَنْعَاء من أنّ أكثر تجارها من أهل البصرة[٤]. وكان لتجار العراق نشاط في صَنْعَاء وكانوا ينزلون في ناحية من سوقها عرفت باسمهم[٥]. والطريف أنهم في البصرة يسمون بالصَنْعَانيين دليلاً على عمق تجارتهم مع صَنْعَاء[٦]. كذلك كان بعض أهل اليمن يزاول النشاط التجاري في أسواق العراق، منهم إبراهيم بن إسماعيل المرطس وذكر أنه كان في البصرة تاجرًا سنة ٢٥٠هـ/٨٦٣م[٧].

زاد تبادل أقاليم الجزيرة مع العراق زيادة كبيرة نتيجة للوفرة الزراعية في أرض السواد[٨]، وما تنتجه من الحِنْطة والشعير والأرز والدخن نتيجة لسياسة العباسيين التي قامت على صيانة السدود وتشجيع الزُّرَّاع وإلغاء نظام المساحة في الجباية[٩]. أضف إلى هذا شهرة العراق بإنتاج أنواع

(١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٧؛ وعن تنقل تجار العراق في أقاليم الجزيرة انظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٥- ٧٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩، ٤٣-٤٥.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٣) ابن المجاور، المصدر السابق، ص١٣؛ وانظر: أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٨٩-١٩١.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، ملحق بالمسالك لابن خرداذبة، ص١٨٩.

(٥) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١٩، ٢٧، ص١١٢.

(٦) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص٣٧؛ وذكر منهم الرازي بني مسكين وبني بذيل، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١٩.

(٧) الرازي، تاريخ مدينة صَنْعَاء، ص١٩.

(٨) يراد به رستاق العراق وضياعها سمي بذلك لسواده بالزروع والأشجار، وطوله مئة وستون فرسخًا، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٢).

(٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٦٨؛ وانظر: ضياء الدين الريس، الخراج، ص٤٣٠، وذلك بإلغاء نظام المساحة الذي كان يفرض الخراج على أساس المساحة المحدودة من الأرض دون النظر إلى اختلاف مقدار المحصول، وأبدلوا به نظامَ المقاسمة الذي كان بموجبه تتقاسم السلطة والناس ما ينتج من محصول بنسبة معينة، كأن تأخذ السلطة الربع مثلاً وثلاثة أرباع لصاحب الزراعة دون نظر إلى المساحة، انظر تعريف نظام المقاسمة في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

كثيرة من التمور خاصة بالبصرة حتى قال الجاحظ: "إنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين وعُمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم وإذا ثلاث مئة وستون ضربًا، مغل معروف، وخارجي موصوف ، وبديع غريب مع طيب عجيب"[١].

هذا إضافة إلى أنّ الوارد إليها من إنتاج المناطق الأخرى كان كبيرًا، يدل عليه قول ابن حوقل: "وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز إلى سائر أقطار الأرض ما يستغني بشهرته عن إعادة الذكر فيه"[٢]. كما تدل عليه الضرائب المتحصلة التي يشير ابن حوقل إليها بقوله: "إنها بلغت في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م ستة ألف ألف درهم"[٣] وكان تجار الجزيرة العربية يترددون عليها حيث يذكر الهَمْداني ذلكَ قائلاً : كانت الرفاق تسلك من صَنْعَاء إلى البصرة ومن البصرة إلى صَنْعَاء طريق اليمامة[٤].

وخلاصة القول عن أثر البصرة التجاري قول ابن الفقيه: إنها "مأوى كل تاجر وطريق كل عابر"[٥]. كما اشتهرت العراق بإنتاجها الصناعي ولا سيما الزراعية منها فقد كانت البصرة تنتج أنواعًا من الخز[٦] والبز[٧]. واشتهرت الأُبُلّة بإنتاجها الزراعي والصناعي وحركتها التجارية، يقول

---

(١) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسين عبدالوهاب، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥م، ص٤٠.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٤) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩٠.

(٥) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٩٣.

(٦) الخز، هو ضرب من ثياب الحريرالمعروف بالإبريسم، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٨٢٥).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٥٤١ وما بعدها، والبز نوع من الثياب وقيل البز متاع البيت من الثياب، (ابن منظور، المصدر السابق، ص٢٠٧).

الطبري عنها: "وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها"[١]. ووصف ابن حوقل بساتينها بقوله: "وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدت على خيط، ووصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والأبنية الفاخرة"[٢]. واستمر حال نشاطها التجاري إلى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يقول عنها ناصر خسرو: "مدينة عامرة، وقد رأيت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها، وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدها أو وصفها"[٣].

واشتهرت كذلك مدينة بَغْدَاد بوفرة السلع التجارية فيها يقول عنها الجاحظ: "قد اجتمع فيها ما هو متفرق من جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات"[٤]، وكذلك وصفها اليعقوبي بقوله: "وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة، ومتجر ومتصرف؛ فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا"[٥]، فكان لتجار الجزيرة العربية صلة تجارية بها مثل تجار اليمامة الذين أشار لبعضهم ابن سعد في قوله: "حُجير بن المثنى، وكان أصله من أهل اليمامة وقدم بَغْدَاد، وكان صاحب لؤلؤ وجوهر، لزم السوق ببغداد"[٦].

وعليه فإن العراق من أهم مناطق التبادل التجاري التي كانت للجزيرة معها صلات تجارية في هذه المدة.

---

(١) الطبري، كتاب الرسل والملوك، ج٣، ص٥٩٤؛ وقال عنها أيضًا: إنها فرج الهند، ص٥٩٢؛ وانظر لمزيد من المعلومات: صالح الحمارنة، دور الأبلة في تجارة الخليج، ص٣٦.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٢.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٥٠.

(٤) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٤٠.

(٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٣٨_ وكانت وفاة حُجير بن المثنى سنة ٢٠٥هـ. انظر: محمد مصطفى الأعظمي، المحدثون من اليمامة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٥٤.

٢- بلاد الشام :

تقع بلاد الشام على الطرف الشمالي للجزيرة العربية وهي حلقة وصل تجارية بينها وبين حوض البحر الأبيض منذ القدم وخلال العصر الإسلامي، وفي ظل الخلافة العباسية احتفظت بلاد الشام بمركزها التجاري مع الجزيرة العربية نظرًا لكثرة ثرواتها الزراعية وتنوعها مثل الأرز والزيتون والتين والعنب والتفاح وقصب السكر والعسل والحنطة؛ لهذا كان أهل الحجاز يفدون إلى الشام للامتيار[١]. ومما زاد في هذه الصلات التجارية أن ركب الحاج الشامي الذي يلتحق به كثير من حجاج المغرب الآتين بحرًا إلى سواحل الشام أو برًا مع جنوب فلسطين[٢] يشكلون قوة شرائية كغيرهم من الحجاج والزوار الوافدين من كل مكان فتنتعش أسواق الجزيرة العربية وتقوى حركة البيع والشراء، فكان التجار في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد يترددون في معظم الأحيان بين الجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها من البلاد الأخرى للبيع والشراء فيما يحملونه من سلع مصدرها الجزيرة العربية أو من السلع الوافدة على أسواقها من معظم المناطق الأخرى، فكانت هذه الحقبة تشهد فترة ازدهار في نواحٍ كثيرة من البلاد الإسلامية كالعراق ومصر وأيضًا في الهند والصين[٣].

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤، ٤٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٢-١٦٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٠، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٤؛ ولزيادة في المعلومات انظر: كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٤٨٥، ج٥، ص٤٣؛ والميرة: جلب الطعام للبيع، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٥٤).

(٢) أشار الإصطخري إلى أن حجاج المغرب ومصر وفلسطين يجتمعون في أَيْلَة ثم يأخذون الطريق الداخلي إلى مدين، المسالك والممالك، ص٤٩، وانظر:

AL, WOHAIBI, THE NORTHERN HIJAZ, P,323.

(٣) عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٣٩ وما بعدها؛ عادل محيي الدين الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، ص٥٤- ٥٥؛ عطية القوصي، تجارة مصر، ص٢٢ وما بعدها.

ومن هنا كانت تجارة الجزيرة مع الشام مفيدة من حيث استيراد ما تنتجه الشام أو توريد ما تحتاج إليه الشام عبر أسواق الجزيرة يقول المقدسي عن تجارة الشام : "والتجارات به مفيدة"(١). وعبر الشام تتصل تجارة الجزيرة العربية ببلاد الفرنجة وخاصة فرنسا(٢)، وأحيانًا تمر قوافل الشام إلى الصين والهند بالجزيرة العربية، فقد ذكر المقدسي أن الخيول السورية كانت تُصدَّر للهند عبر موانئ عُمان(٣).

ومما ساعد على ازدهار هذه الصلات بين الشام والجزيرة العربية عدم وجود حواجز طبيعية، وازدهار المراكز الزراعية والصناعية والتجارية(٤) في بلاد الشام مثل دِمَشْق وعَسْقَلان وحَلَبَ، وبَعْلَبَك، وأَيْلَة وطَرَابُلس وصُور، وصَيْدا، وبَيْرُوت، وطَرَسُوس. فقد اشتهرت مدينة دِمَشْق بصناعة الأواني والأشكال والحلي والمجوهرات(٥). وعرفت دِمَشْق كذلك صناعات الزجاج والأسلحة وصناعات الأثاث(٦). واشتهرت مدينة حَلَب أيضاً نتيجة لموقعها التجاري بين الشام وما وراء ذلك خاصة الثغور(٧)

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨١٠-١٨١.

(٢) أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص٢٦٧.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٤٥، ١٦٠.

(٤) انظر الخريطة شكل رقم (٨).

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٥٦، ١٨٠-١٨١؛ وانظر: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص١٧١.

(٦) سوفاجيه، دمشق الشام، لمحة تاريخية، ترجمة فؤاد البستاني، بيروت، ١٩٣٩م، ص ٨ وما بعدها.

(٧) الثغور، هي المواضع القريبة من أرض العدو البيزنطي على الحدود الشامية البيزنطية، وهذا الاسم يشمل بلادًا كثيرة مثل المصيصة وعين زربة وآذنة، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٩.

وسائر الشامات[١]، علاوة على ثرواتها الزراعية من التين والفستق والحبة الخضراء[٢].

واستمرت حركتها التجارية إلى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يذكرها القزويني قائلاً عنها: "ومن عجائبها سوق الزجاج، فإن الإنسان إذا اجتاز بها لا يريد أن يفارقها لكثرة ما يرى فيها من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة. تحمل إلى سائر البلاد التحف والهدايا"[٣]. ويضيف ابن الشحنة قائلاً: فإنه قد يتفق أنه يباع فيها في يوم واحد ما لا يباع في غيرها في شهر كل ذلك بأطيب ثمن وأرغبه"[٤]. ومدينة بَعْلَبك من مراكز الشام التجارية الداخلية تقع على الطريق التجاري الذي يربط صور بالبلاد الشرقية من الشام، وتشتهر بَعْلَبك بكثرة خيراتها يقول عنها ابن حوقل: "مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة، بيِّنة الخصب والرخص"[٥]. وذكرها المقدسي بأنها كثيرة المزارع والأعناب ومن ضمن تجارتها الملابن[٦]. وقد استمر نشاطها التجاري إلى ما بعد زمن هذه الدراسة يظهر ذلك مما ذكره القزويني عنها من أنّ الميرة كانت تنقل منها

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٤٦؛ وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٣.

(٢) ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد الحلبي "ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م"، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٣م، ص١٥٣.

(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٨٤.

(٤) ابن الشحنة، أبو الوليد مجد الدين محمد الحلبي "ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م"، كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق يوسف سركيس، بيروت ١٩٠٩م، ص٢٥٠ وما بعدها.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٢.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦٠، ١٨١؛ والملابن جمع ملبن وهي المواشي كثيرة اللبن فالناقة إذا نزل لبنها في ضرعها فهي ملبن، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٣٧).

إلى جميـع البـلاد[١]، وقـال عنهـا ياقـوت أيضًـا: "وببعلبـك دبـس[٢] وجبـن وزيت ولبن ليس في الدنيا مثلها، يضرب فيها المثل"[٣]. وكانت أَيْلَة[٤] مركزاً تجارياً برياً وبحرياً مهماً ونقطة تجمع للحجاج القادمين من الشام أو مصر وشمال إفريقيا وبها التجارات الكثيرة[٥]، ومن هنا كانت وسيطًا تجاريًا مع الجزيرة العربية. واشتهرت أيضًا أَنْطاكِيَة بصنع الأقمشة الحريرية وعرفت مدينة عَسْقَلان بصناعة القز[٦]، وذكر المقدسي أنّ هذه المنسوجات زاهية الألوان مزدانة بأشكال الورود والزهور، تحمل إلى مختلف الآفاق[٧].

وكانت مدينة طَرَابُلس من أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط الشامية وظل ذلك حتى بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلاد، حيث أشار إليها ناصر خسرو عندما ذكر أنها تشتهر بزراعة قصب السكر والفواكه مثل الموز والليمون، وكانت هذه الفواكه تحمل يابسة أو رطبة إلى المناطق الأخرى، ويشير كذلك إلى أنها تستقبل السفن من مختلف الأقطار الأخرى[٨]. هذا بالإضافة إلى ما يذكره عنها الإدريسي عندما قال: "إنها معقل من معاقل الشام، مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأحوال وصنوف

---

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥٦.

(٢) الدبس: عصارة الرطب من غير طبخ، ويصنع كذلك من عصارة العنب وهو المقصود به في بَعْلَبك، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٩٤٣).

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٣.

(٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨.

(٦) القز: من الثياب والإبريسم، وجمعه قزوز، قال الأزهري: هو الذي يسوى منه الإبريسم، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٢).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٨٠ وما بعدها.

(٨) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٤٧.

التجارات"[١]. وأشار إلى إنتاجها الزراعي الوفير من الزيتون والكروم وأنواع الفواكه وضروب الغلات الزراعية[٢]، واختصت بصناعة الصابون واستخراج الزيت من المعاصر وصناعة الورق[٣]. ويماثلها مدينة صُوْر التي اشتهرت بصناعة الخزف والزجاج[٤]. أما مدينة صَيْداء فقد اشتهرت بوصفها مركزاً تجارياً يربط بين الشام ومصر بحريًا[٥]. ومدينة بَيْرُوت من مراكز التبادل التجاري ترد عليها القوافل البرية والسفن البحرية محملة بأنواع السلع والبضائع المختلفة، وتعود منها إلى مواطنها محملة بما يتوافر فيها من غلات وتحف ومنسوجات[٦]. وتعد مدينة طَرَسُوْس من أهم المراكز التجارية ببلاد الشام؛ لأنها على الطريق الذي يصل إلى أرض الروم، وكان يرابط بها عدد كبير من الجنود لحماية البلاد من البيزنطيين، وقد تطرق ابن حوقل إلى أهميتها فقال: "فأما مدينة طَرَسُوْس فكانت المدينة المشهورة المستغنى عن تحديدها... وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلات والأموال والسعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين"[٧]. ثم يذكر أيضًا أنه كان بها مئة ألف فارس "وذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٨٠- ١٨٥؛ وانظر: ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٠.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٤٩-٥٠.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٩٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ٥٢٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٩١.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٩٣، ١٩٨، وذكر الطبري أنها مدينة كبيرة استحدثها الخليفة المأمون، واستقبل فيها سفير إمبراطور الروم سنة ٢١٦هـ/٨٣١م وعرض عليه شروط الصلح، ومنها انطلقت حملات المسلمين في غزو بيزنطة، (تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٩١).

وشاهدتها"(١). فمن الطبيعي أن تنشط التجارة في مثل هذا المركز الذي يكتظ بالمقاتلين، فالجنود عادة يحتاجون إلى أشياء كثيرة في حياتهم من أبرزها أدوات القتال من سلاح وخيل، بالإضافة إلى السلع والبضائع الأخرى، فبعض هذه الحاجات تستورد من خارج بلاد الشام ولا سيما أن بلاد الشام تقل فيها المعادن مثل الحديد فلم يكن فيها ما يكفي صناعة الأسلحة وخاصة السيوف، فكانت تستورد الفولاذ من الهند عن طريق موانئ الجزيرة العربية الشرقية(٢). وروى المسعودي أن بعض أشجار الفواكه جلبت من الهند بعد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وزرعت في عُمان ومنه نقلت إلى الشام حتى كثرت في دور الناس بِطَرَسُوس وغيرها من الثغور الشامية(٣).

ولا ريب أن تنشط الحركة التجارية مع الشام لتنوع السلع والبضائع في مراكزها التجارية، بالإضافة إلى ما يتوافر فيها من سلع معظم أقطار البحر الأبيض المتوسط الأخرى التي تصب في أسواقها في مختلف المواسم، فلا عجب بعد ذلك أن نجد تجار الجزيرة العربية يفدون إلى الشام، فيذكر الفاكهي أن بعض أهل مكة كانوا كغيرهم من التجار يخرجون لدمشق للامتيار(٤) لسعة ثرواتها(٥).

(١) المصدر نفسه، ص١٩٣ وما بعدها، ويُلحظ أن وفاة ابن حوقل كانت سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م.

(٢) موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دمشق، دار الفكر، ص٢٣٤- ٢٣٥؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٢٤؛ نقولا زيادة، تجارة بلاد الشام الخارجية، المؤتمر الدولي الخامس لبلاد الشام، عَمان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٣٠٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٧٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٥٤.

(٥) الفاكهي، أخبار مكة، ج٤، ص١٦٠.

كما كانت قوافل الشام تختلف على أسواق الحجاز وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية فقد أشار الهَمْداني إلى بعض تلك القوافل التي كانت تؤم الطائف[١]. وذكر أيضًا الشاميين في اليمن من ضمن التجار الذين يحملون فضتها[٢]. وذكر المقدسي أن وادي القرى "مطرح الشام"[٣]. وأشاد بمهارة الصنّاع الذين شاركوا في عمارة الحرم المكي فقال: "وقد ألبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساء حمل إليها صناع الشام ومصر"[٤].

ويتضح من الروايات السابقة أن الجزيرة العربية كانت على اتصال تجاري مع الشام خلال تلك المدة، ولا سيما أن بلاد الشام كانت مزدهرة تجاريًا في هذه المدة يتجلى ذلك مما ذكره ابن حوقل عن ارتفاع مقدار خراجها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى تسعة وثلاثين ألف ألف درهم[٥].

٣- بلاد مصر:

إن العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية ومصر قديمة، فكانت مصر سوقًا رائجة للبخور اليمني؛ لأن المصريين القدامى كانوا يستخدمونه في معابدهم وفي تحنيط موتاهم[٦]. وفي الإسلام زادت

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١٣؛ قال الراجز عن قوافل الشام وهو في الفلاة في بعض أسفاره:

جاءت من الشام تؤم الطائف   تذري حصى المعزى له خذارف

(٢) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٤) المقدسي، المصدر السابق، ص٧٣؛ والفسيفساء ألوان تؤلف من مكعبات زجاجية توضع في الحيطان بعضها إلى بعض، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٠٩٥).

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٢-١٧٣.

(٦) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، ج١، ص١٢٨؛ عبدالعزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص٧٧، ٩٤، ١٣٤.

العلاقات التجارية حيث مهد لها الفاتحون الأوائل الذين استطاعوا بسط نفوذ الدولة الإسلامية على مصر، فكانت السفن التجارية والقوافل البرية تخرج من الجزيرة العربية إلى مصر في عصر الخلفاء الراشدين، وفي أيام الدولة الأموية، وتعود إلى ثغور الحجاز وجدة محملة بالسلع والأطعمة[١]. وقد زادت هذه العلاقة ونمت في العصر العباسي وخاصة خلال المدة التي تعنيها هذه الدراسة، ومما ساعد هذا الازدهار اضطراب حبل الأمن في منطقة الخليج العربي على إثر الاضطرابات التي حدثت في جنوبي العراق بسبب قيام ثورة الزِّنْج (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م) وحركة القرامطة التي سبق أن أشرنا إلى مناطق نفوذها فيما مضى[٢]. لذلك تحول معظم النشاط التجاري إلى سواحل جنوب الجزيرة وغربها، وغدت ثغورها من أهم المراكز التجارية التي يتم فيها التبادل التجاري مع مصر وغيرها من الأقطار الأخرى، مثل عدن التي يقول عنها المقدسي: "دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات"[٣].

وقد اشتهرت بعض المراكز التجارية بمصر بعلاقتها التجارية مع الجزيرة العربية من أهمها ميناء القُلْزُم[٤] الذي يعدّ أبرز الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وقد أشار إليه اليعقوبي بقوله: "وهي مدينة على ساحل البحر عظيمة فيها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر إلى الحجاز وإلى

---

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٤؛ وانظر: عطية القوصي، تجارة مصر، ص٢٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٣١ وما بعدها، ج١٠، ص٧١ وما بعدها، وانظر العوامل السلبية المؤثرة في التجارة، من هذا الكتاب.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٥.

(٤) بلد على ساحل البحر الأحمر قرب أَيْلَة والطور ومدين، وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٧؛ ولزيادة المعلومات عن هذا الميناء انظر: عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٤٠-٤١).

اليمن"(١). فكانت معظم السفن القادمة من شواطئ الجزيرة العربية تحط رحالها في ميناء القُلْزُم، ويصفها المقدسي بقوله: "إن القُلْزُم خزانة مصر وفرضة الحجاز ومغوثة الحاج"(٢)، وأضاف أنه كان يرسل منها ما لا يقل عن حمولة ثلاثة آلاف جَمل محملة بالبضاعة(٣). وأشار ابن خرداذبة إلى كثرة تردد التجار الذين كانوا يتنقلون بين مصر والجزيرة العربية على هذا الميناء حيث يقول: "ثم يركبون البحر الشرقي من القُلْزُم إلى الجَار وجُدة ثم يمضون إلى السند والهند"(٤). فهذا النص وغيره يوحي بالتواصل التجاري المستمر بين المنطقتين خلال هذه المدة. واشتهرت مدينة الفُسْطَاط بحركتها التجارية، فهي تقع على نهر النيل وتصل إليها المراكب وغيرها من القوافل التجارية امتدحها المقدسي بقوله: "كنت يومًا أمشي على الساحل وأتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة، فقال لي رجل منهم: من أين أنت؟ قلت: من بيت المقدس. قال : "بلد كبير، أعلمت يا سيدي - أعزك الله - أن هذا الساحل وما قد أقلع منه إلى البلدان والقرى من المراكب ما لو ذَهبَت إلى بلدك لحَمَلت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كان ههنا مدينة"(٥).

وعلى الرغم من المبالغة في هذا النص فإنه يدلنا على ما كانت عليه الفُسْطَاط من نشاط تجاري فعّال لكثرة السلع والبضائع الواردة لأسواقها من داخل مصر أو خارجها، يذكر ذلك المقدسي في موضع آخر: "يجيء إليه

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٦.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣-١٥٤.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٨.

ثمرات الشام والمغرب وتسيير الرفاق إليه من العراق والمشرق ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم"(١).

ولا ريب أن تكون الفُسْطَاط من أهم المراكز التجارية في مصر وهي على هذه السعة من الرزق، ويتضح أن نشاطها استمر بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث يذكر المقريزي "أنها أكثر أرزاقًا وأرخص أسعارًا"(٢). وتشتهر مدينة عَيْذَاب(٣) كذلك بنشاطها التجاري، فهي فرضة مهمة لمصر على البحر الأحمر، ولا سيما بعد أن توطد نفوذ الفاطميين في مصر، فكان هذا الميناء ترسو فيه السفن وتكثر به التجارات القادمة من الشرق عبر موانئ الجزيرة العربية التي كانت في الغالب تحمل التوابل والأدم والسلاح والطرائف والأطياب والبخور(٤)، وقد تحدث اليعقوبي عن نشاطه قائلاً: "عَيْذَاب ساحل البحر المالح، يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن، ويأتيه فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب"(٥).

ومما ساعد على ازدهار هذا الميناء من الناحية التجارية كثرة التجارات الواردة إليه - كما أشرنا من قبل - عن طريق الجزيرة

(١) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل، مصر، ١٣٢٤هـ، ج٢، ص١٨٥.

(٣) عَيْذَاب : تقع في منطقة حلايب الحالية، وكانت منفذًا رئيسًا لتجميع الذهب المستخرج من معدن العلاقي وذلك طوال القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، وقد ظلت عَيْذَاب ميناء مصر الرئيس على البحر الأحمر منذ بداية الدولة الفاطمية حتى بداية دولة المماليك، انظر ما كتبه مصطفى مسعد مفصلاً عن هذه المدينة في المكتبة السودانية العربية، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٥-١٦، حاشية رقم ٥؛ وانظر كذلك: محمد سالم العوفي، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٢٥، هامش (١).

(٤) أحمد دراج، عَيْذَاب، مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، بغداد، ص٥٣ وما بعدها.

(٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٤.

العربية، فكان البحارة يتشجعون على ارتياده لخلو سواحله من الشعاب المرجانية التي كانت تدمر السفن(١)، كما أن المسالك المؤدية له كانت آمنة في عهد الفاطميين حتى إن حمول البضائع كانت ملقاة بعيذاب لا يتعرض لها أحد(٢).

وثغر القُصَير(٣) اشتهر بحركته التجارية، ففيه ترسو بعض السفن القادمة من جنوب الجزيرة العربية، وكذلك قامت مدينة قُوْص(٤) بمثل ما قام به ثغر القُصَير من استقبال التجار القادمين من مدينة عَدَن(٥). كما أنها من أهم المراكز التجارية بمصر لوقوعها على طريق القوافل بين عَيْذَاب ونهر النيل، ويبدو أن نشاطها التجاري ظل مزدهرًا إلى ما بعد تلك المدة، يتجلى ذلك مما ذكره ابن جبير عنها في قوله: "وهذه المدينة حفيلة الأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجّار اليمنيّين والهنديّين وتجّار أرض الحبشة؛ لأنها مَخْطَر للجميع.."(٦). وأيضًا ذكرها ياقوت بقوله: "إنها مدينة كبيرة عظيمة واسعة وأهلها أرباب ثروة واسعة"(٧).

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤؛ كان للفاطميين أسطول في البحر الأحمر يقوم على حماية التجار من اعتداء لصوص البحر ومنعهم من اعتراض السفن القادمة من سواحل الجزيرة العربية أو الصادرة إليها، (انظر: أحمد درّاج، عَيْذَاب، مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، ص٥٨-٥٩).

(٣) القُصَيْر : هو موضع قرب عَيْذَاب بينهما ثمانية أيام وفيه مرفأ سفن اليمن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٧).

(٤) قُوْص : مدينة كبيرة وهي قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا وهي محطة التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣).

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣.

(٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٠.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣.

وتعد مدينة الإسكَندَرِية من أهم المراكز التجارية المصرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فكانت ترد عليها السفن التجارية بسلع الشرق والغرب وبضائعهما، كما أنها اشتهرت بصناعة النسيج المشهور والتحف الزجاجية، فكانت تحمل لها البضائع القادمة من موانئ الجزيرة العربية عن طريق المراكز التجارية المصرية الأخرى(١). أما مدينتا دِمْيَاط(٢) وتِنّيس(٣) فكانتا من المراكز التجارية التي يختلف عليها التجار من كل مكان لما اشتهرتا به من صناعة النسيج، فقد امتدح ابن حوقل الصناعة فيهما فقال: "وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشرب الدبيقي(٤) والصباغات من الحلل النفيسة التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها في القيمة والحسن والنعمة والترف والدقة، وربما بلغت الحلة من ثيابها مئتي دينار إذا كان فيها ذهب، وقد يبلغ ما لا ذهب فيه مئة دينار"(٥).

إذن مصر كانت من أنشط المناطق المجاورة التي كان للجزيرة العربية معها تبادل تجاري، فمصر تحتل موقعًا جغرافيًا متميزًا لوقوعها على بحرين هما من أهم الممرات البحرية، وأيضًا ما توافر لها من مسالك نهرية خدمت القوافل التجارية، ويضاف إلى ذلك كثرة ثرواتها الزراعية

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٥٦، ٥٧؛ نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، المكتبة العربية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٣٤- ١٣٥.

(٢) دِمْيَاط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر بين بحر الروم والنيل، مخصوصة بعمل ثياب الشرب الفائق وهي ثغر من ثغور الإسلام، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٧٢-٤٧٣.

(٣) تِنّيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفَرَمَا ودِمْيَاط في شرقيها، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠-٥١).

(٤) الدبيقي: نسبة إلى دبيق قرية من تِنيس بينها وبين الفَرَمَا، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٧).

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٢-١٥٣.

والصناعية بدليل ما ذكره المقدسي عنها في قوله: "وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صبور على الماء ثخين لين... ولا نظير لأقلامهم وزاجهم ورخامهم وخلهم وصوفهم وخيشهم وبزهم وكتانهم"(١).

فكان التواصل التجاري قائمًا بين الجزيرة والبلاد المصرية في هذه المدة، فقد أشار الهمداني إلى أن التجار المصريين كانوا يفدون إلى اليمن لشراء فضتها(٢)، كما ذكر المقدسي أن "جدة مطرح اليمن ومصر"(٣).

ولا ريب أنه مما شجع على زيادة فعاليات التبادل التجاري بين المنطقتين اهتمام حكام مصر بالحجاز ومحاولتهم بسط نفوذهم عليه منذ عهد الطولونيين فالأخشيديين ثم الفاطميين، حيث كانوا يبعثون لمكة بالمؤن والإعانات في مختلف المناسبات، يؤيد ذلك ما أشار إليه المقدسي بقوله : "والحجاز أبدًا لصاحب مصر من أجل الميرة"(٤). ولا سيما أن مصر كانت تجارتها في معظم هذا الوقت مزدهرة، ويتجلى لنا ذلك من حياة الترف ومظاهر البذخ التي صرفت على تجهيز زواج ابنة خمارويه(٥) قطر الندى من الخليفة العباسي المعتضد(٦). وكان الطولونيون يشجعون التجار على مزاولة التجارة، فذكر أحد الباحثين أن أحمد بن طولون

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٥) خمارويه ثاني حكام بني طولون، خلف والده أحمد بن طولون في ولاية مصر والشام والثغور الشامية حتى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤١٠، ص٤٧٤).

(٦) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٢٧-١٢٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٤-٢٣٦.

نفسه عمل في التجارة[1]. ومثلهم الأخشيديون شجعوا التجار وقربوهم منهم مثل التاجر يعقوب بن يوسف بن كلس الذي قال عنه كافور الأخشيدي: لو كان مسلمًا لصلح أن يكون وزيرًا[2]. وعندما أصبحت مصر قاعدة للفاطميين وفَّروا لها من الأمن ما ساعد على ازدهار النشاط التجاري، وحاولوا توطيد صلاتهم مع الحجاز فقد ذكر المقريزي أن الخليفة المعز لدين الله أرسل إلى أحد المقربين له فقال: "من لك بالحجاز من التجار تكاتبه، اكتب إلى من تراه منهم بأن يكتب إلى عَدَن يحمل ما يقدر عليه من خشب الأبنوس، فكتب إلى تاجر بمكة، وأكد عليه، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه أنه وجد ما ليس له في الدنيا نظير، وحمله في مراكب إلى القُلْزُم"[3].

ولما كانت مصر غنية بثرواتها الزراعية والصناعية لذلك استقرت بها بعض الجاليات القادمة من الجزيرة العربية مثل بني حنيفة من أهل اليمامة عندما انتقلوا بالعيالات والذرية إلى وادي العَلاقي، وكان هذا الوادي وما حواليه معادن تبر[4]، وربما ساعد وجود هؤلاء القوم على ازدهار الصلات التجارية بين الجزيرة العربية ومصر.

---

(١) عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٧١، وبلغ خراج مصر في عهد ابن طولون (٤,٣٠٠,٠٠٠) دينار، وهذا دليل على رواج الحياة الاقتصادية في مصر في عهده، (ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٩٤)؛ وقدرت ثروة أحمد بن طولون بعد وفاته بعشرة ملايين دينار نقدًا عدا ما خلفه من مجوهرات وتحف ثمينة، (عطية القوصي، المصدر السابق، ص٧٢).

(٢) المصدر نفسه، ص٧٥- ٧٧.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج١، ص٢٧٧.

(٤) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٣-٩٤، وانظر العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب، ومعادن التبر هي معادن استخراج الذهب.

٤ - شمال إفريقيا والأندلس :

يبدو أن صلات الجزيرة العربية التجارية بشمال إفريقيا وبلاد الأندلس كانت تتم في معظم الأوقات من خلال المراكز التجارية المصرية حيث ساهمت مصر في نقل البضائع التي تصلها من تلك الجهات إلى موانئ الجزيرة العربية، مثل الجَار وجُدة وعَدَن عبر البحر الأحمر، فقد كانت تصلها البضائع الواردة من أقطار الشمال الإفريقي والأندلس وما يصلها كذلك من المدن الأوربية[١]. فلما كانت مصر على صلة مباشرة بالجزيرة العربية كانت أيضًا على اتصال مباشر بموانئ شمال إفريقيا والأندلس، وقد أشار ناصر خسرو إلى هذا الاتصال فقال: "إن بحر الإسْكَندَرية كان يمتد حتى القَيْرَوَان"[٢]. وقد سبقه ابن خرداذبة إلى ذكر علاقة مصر بالمنطقتين وغيرها من الجهات الأخرى عندما أشار أنه يحمل إلى القُلْزُم من جميع الممالك المحيطة ببحر الروم وبحر الصين من أنواع الطرائف والأمتعة والتحف والجواهر، والرقيق وغير ذلك، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها[٣]. فالبلاد المصرية -كما أشرنا من قبل- قامت بمهمة الوسيط بين التجارات القادمة من الجزيرة العربية أو الصادرة إليها من شمال إفريقيا والأندلس وما جاورها من البلدان الأخرى وشاهد ذلك ما

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣-١٥٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٠٠؛ وانظر: حسين مؤنس، أثر الإسلام على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر المتوسط، ج٤، ص٥١؛ عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي بالمغرب الإسلامي، ص ٣٢٦.

(٢) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٢١، والقَيْرَوَان: هي في الأقليم الثالث، طولها ٣١ درجة وعرضها ٣٠ درجة وهي مدينة عظيمة بإفريقيا وليس بالمغرب مدينة أجمل منها، وهي مدينة أُنشئت في أيام معاوية بن أبي سفيان على يد عقبة بن نافع بن عبد قيس، واختط بها دارًا للإمارة والجامع، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٠-٤٢١).

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣ وما بعدها؛ وانظر سعيد عبدالفتاح عاشور، مدينة السويس ومنطقتها، ص٨٠.

أورده البكري فيما ذكره عن ميناء المَهْدية[١] الذي قال عنها: إنها كانت مرفأً لسفن الإسكندرية والشام وصِقِلِّيَّة[٢] والأندلس وغيرها[٣]. فكان التجار ينقلون معهم ما يتوافر من سلع في أسواق الجزيرة العربية سواء مما تنتجه أقاليمها أو الواردة عليها من الصين والهند وغيرها من البلاد الأخرى التي كانت تشحن بها سفنهم من موانئ الجزيرة العربية إلى الموانئ المصرية على ساحل البحر الأحمر[٤]. ويحمل الفائض منها عن حاجة السوق المصرية إلى شمال إفريقيا والأندلس وربما إلى أوربا، ولهذا قامت علاقة تجارية وطيدة بين الجزيرة العربية والبلاد المصرية والجهات التي كانت على صلات بمصر في المغرب الإسلامي.

ولا ريب أن التجارة تنشط مع مراكز الحضارة والاستقرار التي تكثر فيها حركة البيع والشراء لمواجهة حاجة المستهلك في تلك الجهات فيسعى التجار عادةً إلى جلب ما يحتاج إليه المجتمع من سلع وبضائع من مختلف الآفاق وتسويقها في المراكز التجارية التي يجدون فيها رواجًا لبضاعتهم[٥]. ومن أبرز المراكز التجارية التي اشتهرت بنشاطها التجاري في شمال إفريقيا

---

(١) المَهْدية: بالفتح ثم السكون اختطها عبيدالله المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند وقد جعلها دار مملكته فحصنها بالسور المحكم وأبواب الحديد المصمت وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٠- ٢٣١).

(٢) صِقِلِّيَّة: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقيا، وهي مثلثة الشكل، وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وجميع الفواكه على مختلف ألوانها، فتحها المسلمون في أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٦-٤١٧).

(٣) البكري، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت، ص٣٠ وما بعدها.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٨ وما بعدها؛ وانظر: السيد عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، ج١، ص١٣٠.

(٥) عطية القوصي، سِيراف وكِيش وعَدَن، ص٥٣.

مدينة القَيْرَوَان التي كان يعمل بها المقاطع المهدويات[١] وثياب الصوف الغالية[٢]. فقد كانت القَيْرَوَان من المحطات التجارية المهمة لوقوعها على طريق القوافل التي تقصد معظم مدن شمال إفريقيا فكانت أسواقها ملتقى للتجار من كل مكان[٣].

فكان تجار الجزيرة العربية في جملة من كان يرتاد الشمال الإفريقي من التجار، وشاهد ذلك ما أورده البكري عندما أشار إلى أنها كانت مقصداً للتجار القادمين من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد الإسلام[٤]. كما تعد مدينة بَجّاية[٥] من المراكز التجارية لما تشتهر به من وفرة الثروة المعدنية كالفضة والحديد والرصاص والنحاس[٦]. ومثلها كانت مدينة بَنْزَرْت[٧] التي اشتهرت بدبغ جلود الفَنَك فيذكر الزهري أن هذه الجلود أحسن من جلود اليمن وأذكى رائحة[٨]. ومن المدن التجارية في شمال

---

(١) المقاطع: ثياب غاية في الحسن، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١١٨.

(٢) الزُهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت في أواسط القرن السادس الهجري)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص١٠٨.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٤؛ المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد "ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م": رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، ص١١٨-١١٩؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص٢٨.

(٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٤٩.

(٥) بَجّاية مدينة ذات سور، كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب، ولهم واد غزير الماء يزرعون عليه، ولهم أسواق صالحة، (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٤).

(٦) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٣٤٩؛ (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٤).

(٧) مدينة بَنْزَرْت من أحسن البلاد، وقد شقها خليج من البحر وفيها البحيرة العجيبة وبينها وبين تونس يومان وبها جامع وأسواق وحمامات، الزهري، كتاب الجغرافية، ص٧٠١، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٩-٥٠٠).

(٨) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٠٨؛ المسري، تجارة العراق، ص٣٦٦؛ والفَنَك ضرب من الثعالب فروته أجود أنواع الفراء (الثعالبي، اللطائف، ص١٣٢).

إفريقيا كذلك مدينة تُونس التي اشتهرت بصناعة الثياب الكتانية وبزراعة القطن والعُصْفُر[١]. وتعرف الثياب التي تصنع بتونس بالإفريقي[٢]. ومثلها كانت مدينة سُوسَة[٣] حيث اشتهرت بصناعة البسط والسجاجيد وبدقة صناعة النسيج، فلها أسواق حسنة وغلات واسعة[٤]. وتعد مدينة بَرْقَة[٥] من المراكز التجارية ذات الحركة التجارية النشيطة، فقد أثنى عليها ابن حوقل بقوله: "وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلابًا لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربيين ومشرقيين، ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب"[٦]. واشتهرت كذلك مدينة أَوْذَغست[٧] بنشاطها التجاري فأهلها كما ورد في بعض المصادر أهل نعم جزيلة وأموال جليلة ولهم أسواق عامرة الدهر كله لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس، وتجارتهم إنما هي بالتبر وليس عندهم فضة[٨].

---

(١) العُصْفُر، نبات وهو الذي يصبغ به الثياب فيقال: وقد عصفرت الثوب فتعصفر، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٧٩٧).

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٨؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٠٩.

(٣) سُوسَة، بضم أوله، وهي مدينة إفريقية وأكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة، وما صنع في غيرها مشبه بها، يكون ثمن الثوب منها في بلدها عشرة دنانير، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢).

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٤.

(٥) بَرقَة: بفتح أوله والقاف، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقيا وفيها فواكه وخيرات واسعة، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٨٨- ٣٨٩).

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦٩٨؛ وانظر: منيرة الراشد، الحياة الاقتصادية في إفريقيا، ص٩٩.

(٧) أَوْذَغست: بالفتح ثم السكون وفتح الذال مدينة بالمغرب لطيفة أشبه شيء بمكة لأنها بين جبلين وبها أسواق جليلة وفي شرقهم بلاد السودان وفي غربهم البحر المحيط، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٧- ٢٧٨).

(٨) مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص٢١٥، وتجارتهم بالتبر أي الذهب.

وتعد مدينة زَوِيلة[١] كذلك من المراكز التجارية بشمال إفريقيا لاشتهارها بصناعة الجلود المعروفة باسمها، وكان يرتادها كثير من التجار، ذكر منهم اليعقوبي جماعات من أهل البصرة والكوفة وخُراسان[٢]. ولا تستبعد أن يشارك هؤلاء تجار من الجزيرة العربية، لما لهم من صلات تجارية بمختلف الأقطار بحكم موقع الجزيرة الإستراتيجي على طرق التجارة العالمية من ناحية، ولما تتمتع به من مكانة دينية جعلتها قبلة لكل المسلمين يتوافدون إليها في مواسم الحج والعمرة من كل حدب وصوب فتمكن أهلها من الاحتكاك بالحجاج والتجار الوافدين إلى الجزيرة العربية في مختلف المواسم، فكان من الطبيعي أن يكون تجارها على دراية بمراكز التجارة في مختلف الآفاق.

وتعد مدينة سِجِلْماسة[٣] من أبرز المراكز التجارية حيث اشتهرت هي أيضاً بنشاطها التجاري، فكان يرتادها تجار المشرق الإسلامي، بل استقرت فيها بعض الجاليات العراقية أشار إليهم ابن حوقل بقوله: "كانت القوافل تجتاز إلى سِجِلْماسَة، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون"[٤]. ومن الراجح أن هؤلاء التجار سيكونون على صلة وثيقة بالمراكز التجارية في المشرق الإسلامي بحكم انتمائهم إلى أوطانهم الأصلية

---

(١) زَوِيلة: بفتح أوله وكسر ثانيه وهي مدينة أول حدودها بلاد السودان وفيها جامع وحمام وأسواق تجتمع فيها الرفاق من كل جهة، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩- ١٦٠).

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٠.

(٣) سِجِلْماسة: بكسر أوله وثانيه، مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تكثر فيها الأعناب والتمور ويصنع فيها الصوف وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً؛ لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٢).

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦١.

هناك ومعرفتهم بمسالكها ونشاطها التجاري، ولا ريب في هذه الحالة أن تكون لهم علاقة وثيقة بالجزيرة العربية أيضًا، ولا سيما في مواسم الحج، من ذلك ما رواه مسكويه عن خبر القافلة القادمة من المغرب ومصر والشام قاصدة مكة سنة ٣٤٥هـ/٩٦٥م وقد وصفت بأنها قافلة عظيمة حيث كانت تضم أعدادًا كبيرة من التجار والحجاج[١].

ولم تقتصر علاقات الجزيرة العربية على شمال إفريقيا فحسب، بل امتدت إلى بلاد الأندلس، فقد كانت الأخيرة غنية بثرواتها الصناعية والمعدنية أشار إلى بعضها ابن حوقل في قوله: "وبالأندلس الزئبق والحديد والرصاص ومن الفصوص قطع كأحسن ما يكون من الأرمني المحفور الرفيع الثمن إلى حسن ما يعمل بها من الأنماط. ولهم من الصوف والأصباغ، والحرير وما يؤثرونه من ألوان الخز والقز"[٢]. ثم يقول ابن حوقل في موضع آخر: "إن بعض هذه التجارات تصدر إلى مصر ومكة واليمن"[٣].

ويمكننا القول بأن العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والأندلس قامت على التبادل التجاري، فقد كانت الحركة التجارية في بلاد الأندلس تشهد ازدهارًا في تلك المدة، ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي المتميز بالإضافة إلى وفرة خيراتها، وكذلك تشجيع بعض حكامها لحركة البيع والشراء التي تقوم على التبادل التجاري بين الأندلس من جهة وبقية الجهات الأخرى من جهة ثانية، فقد شجع الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) على استيراد السلع الفاخرة فاعتنى

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٢١٥؛ وانظر لمزيد من المعلومات: المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص٣٦٢.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٩.

(٣) ابن حوقل، المصدر السابق، والصفحة نفسها.

بتجارة مواد الكماليات، وأشار ابن حيان لبعض مواد الترف التي استوردها التجار لمواجهة طلب الحكام فقال : "فدخلت في أيامه الأندلس من المتاع الفاخر، والرياش النادر، والحيوان المستغرب والمستطرف ما لم يدخل من قبله من الخلفاء" [١]. وكان هذا الأمير ينصح القائمين على أمور الدولة بحسن التعامل مع التجار الوافدين، وقد أورد ابن حيان ما يؤيد هذا الاهتمام بقوله: كان الأمير يقول : "استدعوا مؤالفتهم بلطيف المخاطبة وامتروا غريب هداياهم بفضل المكافأة"[٢]. وسعى ابنه الأمير منذر بن محمد بن عبدالرحمن (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) للحصول على سلع الترف، فقد أكسب تجار الكماليات مكانة مرموقة لديه مثل ما حظي به التاجر محمد بن موسى الرازي الذي كان يتاجر في مواد الترف من حلي وعقاقير وغيرها من أنواع التجارات الأخرى[٣]. فقد أغدق عليه الأمير الهدايا بل إنه أدخله في خدمته وكان يستشيره في أمور الدولة[٤]. ومما شجع أيضًا على النشاط التجاري بين الجزيرة العربية والأندلس اشتغال بعض العلماء في الأندلس بالتجارة وقيامهم برحلات إلى الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى في طلب العلم ومزاولة أعمال التجارة

---

(١) ابن حيان، أبو عبدالله مروان حيان بن خلف "ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م"، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٢٧٦؛ وانظر: إبراهيم القادري، أزمة التجارة في الأندلس، ص٢٤٢ وما بعدها.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، ص٢٧٥- ٢٧٦؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص٢٨١.

(٣) المقري، أبو العباس أحمد بن محمد "ت ١٠٤١هـ/ ١٧٣٠م"، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، طبعة بيروت، ١٩٦٨م، ج٣، ص١١١؛ وانظر:
ABDULGHAFOUR 1. ROZ1: THE SOCIAL ROLE OF SCHOLARS (ULAMA) IN ISLAMIC SPAIN, BOSTON UNIVERSITY, 1983, P.35.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص١٦٩؛ وانظر: بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، طبعة مدريد، ١٩٤٥م، ص٥٦ وما بعدها.

لما تجلبه عليهم من رزق حلال[١]، ومن الملحوظ أن بعض تجار الأندلس لم يقتصر نشاطهم على الجزيرة العربية فحسب بل تعداها إلى الهند وغيرها من بلاد المشرق الأخرى، فقد تحدث ابن الفرضي عن نشاط بعضهم، فذكر أن محمد بن معاوية بن عبدالرحمن بن إسحاق بن معاوية بن هشام ابن عبدالملك بن مروان قد رحل إلى الهند في تجارة وعاد منها سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م، وكان معه بضائع منها بلغت قيمتها ثلاثين ألف دينار، ولكنه تعرض لكارثة لم يتمكن معها من الوصول إلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية، حيث تحطمت سفينته في البحر، وغرقت كل بضاعته واستطاع النجاة بنفسه من الموت[٢]. فيتضح من هذه الرواية التي ذكرناها علاقة الجزيرة العربية التجارية بالأندلس، ولا سيما الأخيرة التي كانت هي أيضاً غنية بثرواتها الزراعية والصناعية والحيوانية، فقد كانت مزدهرة في تلك المدة، حتى إنها أصبحت مقصداً للتجار من مختلف الآفاق حيث كانوا يتوافدون على معظم مدنها لما تتمتع به من نشاط تجاري مثل مدينة قُرْطبة[٣] التي اشتهرت بمعدن الزئبق الذي يجلب إلى

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، ج١، ص٣٦- ٣٧٧؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، ص٢٣٤، وانظر: التجارة الداخلية، التجار العاملون في أسواق الجزيرة العربية، من هذا الكتاب.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، ج٢، ص٧٢٣-٧٣٥؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي بالأندلس، ص٢٩٥، وكانت وفاته سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

ABDULGHFOUR 1.ROZ1, THE SOCIAL ROLE OF SCHOLARS (ULAMA) IN ISLAMIC SPAIN. P360.

(٣) قُرْطبة، بضم أوله وسكون ثانيه، مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية، يقول عنها ابن حوقل: ليس لها بالمغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة وفسحة أسواق ونظافة محال. (ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٧)؛ وهي في سطح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، وهي على نهر عظيم، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٤).

جميع أقطار الأرض[1]، وكان لها نصيب في إنتاج بعض الصناعات الجلدية وصناعة الورق[2] . كما اشتهرت مدينة مُرّسية[3] بإنتاج الكبريت الأحمر الفاخر[4] ، وتميزت هذه المدينة أيضًا بكثرة الخصب والفواكه فقد تفردت بصناعة الحُصر التي كان أهلها يتقنونها[5]، وشاركت غيرها من مدن الأندلس الأخرى في صناعة الزجاج، وكذلك تنوعت بها صناعات النسيج وكانت تصدر أصنافًا مختلفة من الحلل والديباج[6]. وتكثر فيها زراعة العنب[7]. وكانت مدينة بَلَنْسِيَة[8] من المراكز التجارية المهمة في الأندلس فقد فاقت غيرها من مدن الأندلس في إنتاج التين الذي وصفه الزهري بقوله: وفيها من أنواع التين ما ليس له نظير في بلاد الأندلس كلها[9]، ويغلب على الظن أن التين الأندلسي كان من السلع التجارية التي

---

(١) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٨٧؛ وتذكر بعض المصادر أن الزئبق يستخرج من منطقة يقال لها طروش بالقرب من قرطبة. وربما لا يوجد في غيرها، (انظر: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص٢٢٧).

(٢) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص١٥٥، ٢٠٨.

(٣) مُرّسية، بضم أوله وسكون ثانيه مدينة اختطها عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن هشام وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧).

(٤) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٨٧.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠١.

(٦) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٢٤٥-٢ ٢٤٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢١.

(٧) الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق رينهارت دوزي ودي غويه. (ليدن مطبعة بريل، ١٩٦٨م). ص١٩٤- ١٩٥.

(٨) بَلَنْسِيَة، مدينة مشهورة بالأندلس وهي شرقي قرطبة وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب وينبت بكورها الزعفران، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠).

(٩) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٠٢؛ ابن غالب الغرناطي، أبو غالب محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبدالبديع، مصر، مطبعة مصر ١٩٥٦م، ص١٦؛ ولزيادة المعلومات انظر: البكر، النشاط الاقتصادي، ص١٣٠.

تندر في غيرها، وقد سئل الإمام مالك بن أنس عن زكاة التين، وقد كان يحمل إلى خارج الأندلس كتلك الشحنة التي أرسلها الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٢٤هـ/٨٤٨م) إلى الحجاز[١]. وفي بَلَنْسِيَة كذلك تنسج الثياب الغالية من الكتان[٢]. أما مدينة مَالَقَة[٣] فتكثر فيها الفواكه مثل الموز والتفاح والجوز والقسطل والتوت، كما يقول عنها الزهري: إنها أكثر بلاد الله حريرًا[٤]. وكانت أيضًا تنتج التين الفاخر الذي يدخل ضمن عروض التجارة[٥]، ويصنع فيها الزجاج والفخار المذهب والخوص الجيد[٦]. واشتهرت مدينة غَرْنَاطة[٧] بإنتاج الذهب الأحمر الذي يقول عنه الزهري: "يوجد بها الذهب الأحمر ليس في الأرض بأطيب منه"[٨].

وقد اختصت مدينة طُلَيطُلَة[٩] بالزعفران الذي يرتفع منها إلى مختلف

---

(١) يذكر الزهري أن الرجل يشتري من التين الأخضر بربع درهم فيحمل ستين نوعًا من التين لا يشبه واحد الثاني لا في الطعم ولا في اللون، كتاب الجغرافية، ص١٠٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١١.

(٢) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٠٢.

(٣) مَالقَة: بفتح اللام والقاف، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَيّه وهي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق وكثر قصد المراكب والتجارة إليها، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٣).

(٤) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٩٤.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٤؛ وانظر: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص٣٢٦.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٣٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٥- ٢١٣.

(٧) غَرْناطة: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥.

(٨) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٩٤- ٩٥.

(٩) طُليطُلة: بضم الطائين وفتح اللامين مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس وهي غربي ثغر الروم وهي على شاطئ نهر تاجة وعليه القنطرة التي يعجز عن وصفها، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٠).

الجهات، ومثله الصبغ السماوي[١]، وقد يبدو أن مدينة إشبيلية كانت أكثر إنتاجًا للزيت الذي ينقل إلى معظم الأقطار[٢]، كما اشتهرت إشبيلية بإنتاج العُصْفُر الذي يرتفع منها[٣]. وتشارك مدينة بَجّاية[٤] غيرها من المدن الأندلسية الأخرى في صناعة الملابس مثل الأردية التي كانت ضمن السلع التي قامت عليها علاقة تبادل تجاري بالجزيرة العربية بدليل ما أورده ابن حوقل عنها في قوله: "أما أرديتهم المعمولة ببجاية فتحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها"[٥]. وتميزت مدينة المَرِيَّة[٦] بعمل الديباج المحكم الصنعة وثياب السندس الأبيض وثياب المعمة المعروفة بالخليدي التي يقول عنها الزهري: "ليس في ثياب الحرير كلها أتم منها مجالاً ولا جمالاً" [٧]. وتُعَدُّ هذه المدينة من أهم المراكز التجارية في الأندلس بحكم موقعها الجغرافي، فهي مرسى الأندلس الذي تفد إليه المراكب من كل الآفاق وتخرج منه وهي

(١) البكري، المغرب في ذكر بلاد المغرب، ص٨٨.

(٢) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٨٩؛ وانظر: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص٢٣٩.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص٩٦، ١١١؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٩٠- ١٩١.

(٤) بَجّاية: بالفتح ثم التشديد مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة بينها وبين العربية فرسخان وبينها وبين غَرْنَاطة مئة ميل، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٩).

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٩.

(٦) المرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، ويعمل فيها الوشي والديباج فيجاد عمله، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩).

(٧) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٠١؛ واهتم حكام الأندلس بدار الطراز فكانوا يختارون من يتولى الإشراف على دار الطراز، ويسمى من يتقلد هذا المنصب بصاحب الطراز، وقد أورد ابن حيان أسماء بعض من تقلد هذا العمل، (المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص١٨٥؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص١٨٢).

محملة بمختلف التجارات إلى شمال إفريقيا والإسكندرية وموانئ الشام وغيرها من الجهات الأخرى، وشاهد ذلك ما أشار إليه المقري من أن التجار كانوا يقصدونها من جميع الآفاق لما تميزت به من غريب الصناعات والتجارات كما أن أهلها كانوا مياسير[١].

وتفيدنا المصادر الأصيلة أن موانئ الأندلس حينئذ كانت مزدهرة اقتصاديًا إذ تعج بالحركة التجارية سواءٌ ما كان يرد إليها أم ما يصدر منها فيبدو أن علاقة الجزيرة العربية بالأندلس استمرت طوال تلك المدة، وليس أدل على ذلك من أن الحاج الأندلسي لم ينقطع عن التوافد على الحجاز في مواسم الحج، ولا نستبعد أن قوافل الحجاج ينضم إليها بعض التجار حيث يتوافر لهم الأمن على أنفسهم وتجاراتهم حين تنقلهم في طريقهم إلى الحجاز، كما أنهم يجدون في موسم الحج أكبر سوق يُصرِّفون فيها بضائعهم، ويعودون لبلادهم بكثير من تجارات أسواق الجزيرة التي يحتاج إليها المجتمع الأندلسي آنذاك، ثم إن الأندلس كانت تربط بين أسواق صِقِلِّيَّة[٢] وغيرها من البلاد الأوربية الأخرى من جهة، وبين شمال إفريقيا ومصر والشام من جهة ثانية، فكانت تنقل منها البضائع والسلع التجارية التي كانت من منتجات الغرب إلى موانئ الشمال الإفريقي ومنها إلى الموانئ المصرية أو الشامية، ومن ثم يتم نقلها إلى موانئ الجزيرة

---

(١) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص١٥٣- ١٥٤؛ وذكر الزهري أن من عجائبها أنها يخزن فيها الشعير ستين وسبعين سنة لا يتسوس، (كتاب الجغرافية، ص١٠٦).

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٣؛ البكري، جغرافية الأندلس من كتاب المسالك والممالك، ص٢١٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٢٢٦؛ وسبق الإشارة لمنتجاتها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

العربية، وشاهد ذلك ما أورده ابن حوقل عندما ذكر أن جميع الصقالبة[١] الخصيان المنتشرين في العالم الإسلامي إنما هم من جلب الأندلس[٢]. ويستطيع الناظر في عبارة ابن حوقل أن يستنتج أن للجزيرة العربية علاقة تجارية غير مباشرة في معظم الأحيان بجزيرة صِقِلِّيَّة وبلاد أوربا، خاصة أن أسواق الحجاز في أثناء موسم الحج كانت تستقبل التجار من مختلف الآفاق الذين كانوا يفدون إلى موانئ الجزيرة العربية بصفة عامة وميناءي الجَار وجُدة بصفة خاصة بحكم ارتباطهما بالأماكن المقدسة في مكة والمدينة، فكانوا يبيعون ما يحضرونه معهم من التجارات المختلفة[٣]. ثم يعودون لبلادهم بما يحملونه من أسواق الحجاز من منتجات شرقية، ولا سيما الهدايا والتحف التي لها طابع ديني كانت تنقل إلى الأندلس وصِقِلِّيَّة [٤].

وقد أشرنا من قبل إلى ما ذكره ابن حوقل عن بعض السلع التي كان يحملها التجار من الغرب إلى البلاد المصرية، حتى ينتهوا إلى موانئ الجزيرة العربية عند ميناءي الجَار وجُدة، وقد يتجاوزون موانئ الجزيرة العربية إلى بلاد السند والهند والصين[٥] حيث ينتقلون بمراكب تجار أو

(١) الصقالبة: من ولد بار بن يافث بن نوح، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالبة، والرقيق الصقلبي كان يؤتى به من بلاد (Slaves) على ضفاف نهر الألب عبر بلاد الجرمان وفرنسا، ويقال للخصي صقلبي، وأضاف اللخمي أنهم قبيلة من الروم. (المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٢؛ ابن هشام اللخمي، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي لحن العامة، نشر جامعة الدول العربية، ١٣٧٩هـ، ج١، ص٢٩٥).

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص١١٣؛ وانظر: حسنين محمد ربيع، وثائق الجنيزة، ص١٣٥.

(٣) حسنين محمد ربيع، وثائق الجنيزة، ص١٣٥.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٩٧؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٢٤؛ محمد زغروت، العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث، ص١١٣-١٢٨.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٦؛ وانظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣- ١٥٤.

بحارة الجزيرة العربية وهناك يبادلون ما معهم من تجارة ويشترون ما يحتاجون إليه من تجارات الصين والهند والسند، ويعودون إلى بلادهم في أغلب الأحيان من الطريق نفسه عبر موانئ الجزيرة العربية، كما كان بمقدور تجار الجزيرة العربية كغيرهم من تجار العرب والمسلمين أن يتنقلوا بين المدن والأقطار يبيعون ويبتاعون دون أن يحول بينهم وبين تجارتهم حائل[1].

فلا نستبعد وصولهم إلى بعض بلاد الإفرنج، يؤيد ذلك ما أشار إليه أحد الباحثين من أنّ بعض سكان صِقِلِّيَّة ممن كان ينتسب إلى بعض أقاليم الجزيرة العربية أو مدنها كان منهم الحضرمي، والمدني نسبة إلى المدينة المنورة أو الذماري من اليمن نسبة إلى ذِمَار أو الحجازي نسبة إلى الحجاز[2]. فيمكن أن نستنتج من هذه العبارة الواردة آنفًا أن علاقة الجزيرة العربية لم تقف عند حد البلاد المجاورة لها بل تعدتها -كما أسلفنا- إلى بعض الأقطار الأوربية البعيدة عنها.

٥ - شرق إفريقيا :

صلات الجزيرة العربية التجارية بشرق إفريقيا بدأت منذ وقت مبكر قبل ظهور الإسلام، ساعد على هذه العلاقات المبكرة بعض العوامل الجغرافية من أهمها قرب الساحل الجنوبي للجزيرة العربية من الساحل الشرقي لإفريقيا فلا يفصلهما أكثر من خمسة وعشرين ميلاً عن باب

---

(١) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٤٣١- ٤٣٢.

(٢) عباس، إحسان، العرب في صقلية، طباعة دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م، ص١٤٠.

المندب[١]، حيث ساعد القرب المكاني على توافد بعض الهجرات السكانية من الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا فاستقروا في بعض مناطقها ولا سيما الساحل المقابل لسواحل الجزيرة العربية[٢].

وزادت الصلات التجارية بين الجزيرة العربية والشرق الإفريقي بعد ظهور الإسلام فكانت هجرة المسلمين من أهل مكة إلى الحبشة، حيث اختارها الرسول - ﷺ - دارًا لأصحابه فخرج المسلمون إليها من ميناء الشُعيبة بمكة المكرمة في السنة الخامسة من البعثة النبوية[٣] الموافق لسنة ٦١٥م، وكانت الحبشة معروفة لدى أهل الحجاز كما كان بعض الأحباش يقيمون في مكة ويعملون في بعض المهن مثل الحراسة والحروب وغير ذلك من الحرف الأخرى[٤]. ويؤيد ذلك ما أشار إليه الطبري في قوله: "إن أرض

---

(١) وباب المندب اسم ساحل مقابل لزبيد باليمن وصار منه بحر اليمن الحائل بين أرض اليمن والحبشة والآخذ إلى عَيْذَاب، والقصير إلى مقابل قُوص من بلد الصعيد وعلى ساحله أَيْلَة وجدة والقُلْزُم وغير ذلك من البلاد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٩)؛ محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، ص٩. ولمزيد من التفصيل انظر: شوقي عطا الله الجمل، دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، ص١٤. وكان يستعين التجار في رحلتهم بالرياح؛ ففي شهر تشرين الثاني في كل سنة تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الشمال والشمال الشرقي لمدة أربعة أشهر فتتجه معها السفن من سواحل الجزيرة العربية إلى ساحل إفريقيا الشرقي، أما في شهر نيسان من كل سنة فينعكس هذا الاتجاه حيث تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي لمدة أربعة أشهر أخرى، فيخرج تجار الجزيرة العربية وغيرهم بسفنهم التجارية من شرق إفريقيا إلى سواحل الجزيرة العربية. المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١١٥؛ وانظر كذلك: محمد عبدالغني سعودي، الاتصالات العربية الإفريقية في العصور القديمة، ص٢٤- ٢٦؛ وانظر:
HITCHMAN C.THE LAND AND PEOPLES OF EAST AFRICA, P.61.
وانظر الخارطة شكل رقم ١٤، ١٥

(٢) جمال زكريا قاسم، استقرار العرب في ساحل إفريقيا، ص١٨٢؛ خولة شاكر الدجيلي، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الإفريقي الشرقي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠م، ص١٤٠.

(٣) كانت الهجرة للحبشة أول هجرة في الإسلام حيث خرج أحد عشر رجلاً وأربع نسوة من المسلمين من مكة إلى ميناء الشُعيبة ومنها حملتهم سفينتان للتجار إلى أرض الحبشة، (ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٤٩- ٣٥٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٣٢٨).

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٠؛ وانظر: زاهر رياض، الإسلام في أثيوبيا، ص٣٧٠.

الحبشة كانت متجرًا لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها سعة من الرزق وأمنًا ومتجرًا حسنًا(١). فبعد أن انتشر الإسلام في أنحاء المعمورة زادت أواصر الصلات التجارية بين الجزيرة العربية وشرق إفريقيا في ضوء استقرار الدولة الإسلامية وزيادة النشاط التجاري الذي شهدته الجزيرة العربية كغيرها من البلاد الأخرى، فتذكر بعض المصادر نشاط العمانيين من أهل الجزيرة العربية وسيطرتهم على سواحل إفريقية الشرقية ووصولهم إلى جزيرة قَنْبَلو(٢) وسُفالة(٣). ويبدو أن العلاقات التجارية قد توطدت بين الجزيرة العربية والشرق الإفريقي على أثر الهجرات العربية التي تتابعت من الجزيرة العربية بعد ذلك خاصة بعد أن تمكن العرب من الاستقرار في بعض سواحل إفريقيا على البحر الأحمر والمحيط الهندي وتأسيسهم بعض المراكز التجارية مثل الذين استقروا بمدينة لامو(٤) وأسسوا فيها إمارة في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي(٥). وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي نزحت هجرة عربية من منطقة الأحساء إلى إفريقية الشرقية بزعامة بعض أفراد قبيلة الحارث واستقروا

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٨.

(٢) قَنْبَلو (مدغشقر) جزيرة في بحر الزَّنْج، (المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٨)؛ ولزيادة المعلومات انظر: عبدالرحمن العاني، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية، ص٧.

(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٣، ص٣١٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧- ١١٠؛ وسُفالة "موزمبيق" آخر مدينة تعرف بأرض الزَّنْج مشهورة بإنتاج الذهب السفالي، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٤).

(٤) لامو تقع في جزيرة باتا في شرق إفريقيا وقد استقرت بها جموع من الأزد، (أحمد حمودة المصري، عُمان وشرق إفريقيا، ص٤٣).

(٥) سعيد الأزكوي، تاريخ عمان، ص٤٢؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ص٤٣٦؛ عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، ص١٢٠؛ شوقي عطاالله الجمل، دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، ص١٩.

بمدينة مَقْدَشُو[١] ومدينة بَراوة[٢]، وخضع معظم الساحل الشرقي الإفريقي لنفوذهم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين[٣]. كذلك مع بداية القرن الرابع الهجري كانت هناك بعض الهجرات العربية قد استقرت ببلاد سفالة بهدف مزاولة النشاط التجاري في السلع والبضائع التي اشتهرت بها تلك البلاد[٤] حيث كانت مناطق الساحل الشرقي الإفريقي قبلة الوافدين من الجزيرة العربية لأنها غنية ببعض الثروات الطبيعية والسلع التجارية الأخرى مثل الذهب والحديد وسن الفيل والعاج، والصمغ والرقيق وجوز الهند وزيت النخيل، وبذا أصبح شرق إفريقيا حلقة مهمة في مجال التبادل التجاري مع الجزيرة العربية، ولعل فيما ذكره المسعودي عن السفن بقبطانها العرب من أهل الجزيرة العربية التي كانت تقوم برحلات منتظمة بين موانئ الجزيرة العربية وسواحلِ إفريقيا الشرقية تأكيدًا للصلات التجارية بين المنطقتين، من ذلك ما أشار إليه بقوله: "وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج (الخليج البربري) إلى جزيرة قَنْبَلو من بحر الزَّنْج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزَّنْج، والعُمانيين الذين ذكرنا من أرباب المراكب

(١) مَقْدَشُو: أول بلاد الزنج وقال عنها أبو سعيد المغربي: "مدينة الإسلام المشهورة في تلك الصقع المترددة الذكر على ألسن المسافرين"، كتاب الجغرافية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٨٢، ومقاديشو اليوم عاصمة لبلاد الصومال الإفريقي.

(٢) بَراوة: مدينة على الساحل الشمالي الإفريقي الشرقي حيث تنتقل لها من مَقْدَشُو في اتجاه الجنوب وهي من المراكز التجارية المهمة في الساحل الإفريقي. انظر: صالح إبراهيم الشيخلي، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا في العصر الوسيط، ص٤٦.

(٣) جمال الدين زكريا قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، ص٢٨٧؛ محمد محمد أمين، تطور العلاقات العربية والإفريقية في العصور الوسطى، ص٤٨.

(٤) ابن ماجد، ثلاث أزهار في معرفة البحار، القاهرة، ص٤٠٦ وما بعدها؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ص٤٣٧.

يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري - وهم يعرفونه ببحر بربري - وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عُمان عَرَبٌ من الأزد... ويقطع هذا البحر السيرافيون، وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سِنْجَار من بلاد عُمان، وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلاث مئة، من جزيرة قَنْبَلو إلى عُمان"(١). وبحكم أن المسعودي شاهد عيان فهو يؤكد أيضًا معرفة البحارة العرب لمسالك بحر الزَّنْج عندما يعبرون إلى الساحل الشرقي الإفريقي لمبادلة التجارات المتوافرة بأسواق الجزيرة العربية بالسلع الإفريقية، مثل الذهب والعاج والصمغ فيقول: "إن أرباب المراكب العمانيون يعرفون هذا البحر ويعرفون أمواجه العظيمة"(٢). كما عرض بزرك بن شهريار(٣) لبعض رحلات أهل الجزيرة العربية ومغامراتهم التجارية في اتجاه الساحل الإفريقي الشرقي فيقول: "وحدثني إسماعيلويه وجماعة من البحريين أنه خرج من عُمان في مركبة يريد قَنْبَلو في سنة عشر وثلاث مئة فعصفت الريح وطرحت المركب إلى سُفالة الزَّنْج"(٤). وذكر في موضع آخر بعض المصاعب التي كانت تواجه أصحاب المراكب في أثناء رحلاتهم إلى الساحل الإفريقي الشرقي فقال: "حدثني ابن لاكيس أنهم شاهدوا من أمر الواق واق ما يدهش، وذلك أنهم وافوهم في أربع وثلاثين وثلاث مئة في نحو ألف قارب، فحاربوهم حربًا شديدًا، ولم يقدروا عليهم لأن حول قَنْبَلو

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧ وما بعدها. لزيادة المعلومات انظر : الحبيب الجنحاني، دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول، ص٢١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧ وما بعدها. وانظر : عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص١٣٣- ١٣٤.

(٣) بُزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٤٦. ولزيادة المعلومات انظر : محمد عبدالعال، دور الخليج في حركة التجارة البحرية في العصر العباسي، ص١١١- ١١٢.

(٤) بُزرك بن شهريار، المصدر السابق، ص١٠٦.

حصناً... وظفروا بعدة قرى ومدن من سُفَالة الزَّنْج"[١]. ويتضح أن السفن البحرية كانت تبحر إلى إفريقيا الشرقية من الجزيرة العربية على شكل قوافل قد تزيد في بعض الأحيان على ست عشرة سفينة بدليل ما ذكره بزرك عندما قال: حدثني إسماعيلويه عن بعض النواخذة أنه قال: دخلت بلاد الزَّنْج في سنة اثنين وثلاثين وثلاث مئة فقال لي بعض القافة[٢]: كم أنتم مركبًا؟ فقلت: ستة عشر مركبًا فقال: "يسلم منها إلى عُمان خمسة عشر مركبًا وينكسر واحد..."[٣]. وذكر المقدسي أن إحدى القوافل البحرية التي كانت تسير في بحر الخليج العربي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان عددها ألفين من السفن والزوارق وكانت محملة بالتمور من البصرة في يوم واحد في موسم الحصاد، ومن الراجح أن مراكب أهل الجزيرة العربية هي الغالبة على نشاط التجارة البحرية مع شرق إفريقيا والشاهد على ذلك ما ذكره ابن الوردي عن بلاد الزَّنْج عندما قال: "ومساكنهم من حد الخليج المنصب إلى سُفالة الذهب والواق واق وليس لهم مراكب بل تدخل إليهم المراكب من عُمان"[٤].

ويتجلى لنا من النصوص السابقة أن حركة التجارة البحرية كانت

(١) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١٠٦.

(٢) القافة، الكهنة قافة حذاق فهماء، فالكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، (بُزرك، عجائب الهند، ص٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٠٩).

(٣) بُزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٤٦؛ أحسن التقاسيم، ص١٢٨؛ ويوحي لنا هذا النص أن الرحلات البحرية التجارية كانت على شكل مجموعات.

(٤) ابن الوردي، أبوحفص زين الدين عمر بن مظفر "ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٦م"، خريدة العجائب وفريدة العجائب، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٠٠هـ، ص٤٩- ٥٠؛ وانظر: عبدالرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى، ص١٣٤.

نشطة بين موانئ الجزيرة العربية وسواحل شرق إفريقيا، وخاصة المراكب العُمانية التي كانت تنقل معظم السلع الإفريقية إلى أسواق الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى(١).

فقد أثبت العُمانيون مقدرتهم على أعمال الملاحة وأصبحوا سادة البحار في نقل التجارة الخارجية إذ أقبل كثير من أهل عُمان على احتراف العمل على المراكب في البحار حتى قال عنهم الشاعر:

إذا أزدية ولدت غلامًا فبشرها بملاح مجيد(٢).

ويتبين أنه قد زاد نشاطهم مع تطور الملاحة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، حتى أصبح يسترشد بهم البحارة الآخرون في أسفارهم ورحلاتهم، فقد أصبحت موانئ الجزيرة العربية مركز رسو ومراكز تجارية تصدر وتستورد السلع والبضائع، وخاصة فيما يتعلق بصلات الجزيرة العربية التجارية المتنامية مع بلدان شرق إفريقيا بصفة خاصة وغيرها من الجهات الأخرى بصفة عامة(٣).

وبرزت في شرق إفريقيا بعض المراكز التجارية التي كانت على صلة تجارية مباشرة بالجزيرة العربية مثل تلك المدن الواقعة على الساحل الشرقي الإفريقي التي تطل على البحر الأحمر أو المحيط الهندي، وتحط

---

(١) عبدالرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى، ص١٣٤.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٣، ص٣١٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٨٨؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص١٩٩- ٢٠٠.

(٣) قسطنطين زريق، التجارة الإسلامية، ص٥٤٢؛ عادل محيي الدين الألوسي، سيادة العرب على الملاحة الدولية في الفترة القديمة والإسلامية، ص٣١.

فيها السفن التجارية العاملة بين المنطقتين، ومن هذه المراكز مدينة مَقْدَشُو التي تُعَدّ من المحطات التجارية على الساحل الشرقي ببلاد الزَّنْج[١]. فقد كانت تستقبل السفن التجارية الآتية من موانئ الجزيرة العربية، كما أنها تشتهر بتجارة الصندل والأبنوس والعنبر والعاج الذي يُعَدّ أكثر السلع التجارية التي تجلب منها إلى مختلف البلاد[٢]. وتشتهر كذلك مدينة ملندة[٣] بإنتاج معدن الحديد الذي هو جل مكسب أهلها وتجارتهم، فكان النشاط التجاري في هذه المدينة يقوم في الغالب على تجارة الحديد[٤]. ومثلها مدينة ممبسة "مومباسا"[٥] اشتهرت بإنتاج الحديد[٦]. أما منطقة سُفَالة فقد أدَّت جهدًا بارزًا في النشاط التجاري إذ كانت من أهم مناطق التبادل التجاري التي يقصدها تجار الجزيرة العربية، حيث تتميز بوفرة معدن الذهب الذي يحصل عليه التجار منها، وقد كانت تُعرف بأرض الذهب أو التبر[٧]. وأشار إليها ابن خرداذبة بأنها آخر محطة تصلها

(١) بلاد الزَّنْج تمتد من مَقْدَشُو التي عُدَّتْ أول بلاد الزَّنْج إلى سُفَالة ويقول عنها المسعودي: "ومساكن الزَّنْج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سُفَالة والواق واق ومقدرًا مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم في الطول والعرض نحو سبع مئة فرسخ أودية وجبال ورمال"، (مروج الذهب، ج٢، ص٦).

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٧٣.

(٣) مدينة ملندة من بلاد الزَّنْج على الساحل وأهلها يحترفون الصيد برًا وبحرًا، (الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٥٠)؛ ولزيادة المعلومات انظر: صباح إبراهيم الشيخلي، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا في العصر الوسيط، ص٤٤.

(٤) الإدريسي، المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٥) تقع على الساحل الشرقي الإفريقي على ضفة خور تدخله المراكب، (المصدر نفسه، ص٥٣).

(٦) المصدر نفسه، ص٥٣.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧.

سفن تجار الجزيرة العربية في أسفل شرق إفريقيا[١]. أما مدينة كِلْوَة[٢] فهي من أهم المراكز التجارية التي يقصدها التجار القادمون من الجزيرة العربية، حيث تنقل لها السلع المتوافرة في أسواق الجزيرة العربية، ويعودون منها بما يجتمع فيها من البضائع التي تتوافر في بلاد شرق إفريقيا مثل الرقيق، والصمغ، والمُر، وغير ذلك من الثروات الحيوانية والزراعية التي تدخل ضمن عروض التجارة[٣]. وكانت مراكب تجار الجزيرة العربية تتجه -كما أسلفنا- نحو جزيرة قَنْبَلو (مدغشقر) طلبًا للسلع والبضائع التي تشتهر بها هذه الجزيرة مثل الذهب والعنبر والعاج[٤]. ومن المراكز التجارية كذلك في شرق إفريقيا مدينة زَيْلَع[٥] التي يتوافر بسوقها جلود النمور والزراف وأنياب الفيل[٦]. ويستطيع المتتبع لأخبار النشاط التجاري القائم بين الجزيرة العربية ومناطق شرق إفريقيا في تلك المدة أن يلمح انتظام فعالية هذا النشاط وزيادته. ويبدو أن مما ساعد على ازدهار هذه العلاقة تحول النشاط التجاري البحري من الخليج العربي

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠- ٦١.

(٢) كِلْوَة: بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء موضع بأرض الزَّنْج مدينة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٨، وهي حاليًا في تنزانيا).

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧ وما بعدها. ولزيادة المعلومات انظر: صباح إبراهيم الشيخلي، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا كما يعكسها البلدانيون العرب في العصر الوسيط، ص٤٢.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٥١؛ مروج الذهب، ج٢، ص١٧.

(٥) زَيْلَع: وهي مدينة البرابرة وهم طائفة من السودان بين بلاد الزَّنْج والحبشة ومواشيهم الجمال ولهم أغنام مشهورة السمن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٤؛ وانظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٧٠).

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٤-١٦٥.

إلى البحر الأحمر(١) خاصة بعد امتداد النفوذ الفاطمي إلى مصر وتشجيعهم لهذا النشاط وتوفير أمن القوافل التجارية التي تسلك معظم شواطئ البحر الأحمر وسلامتها، حيث خصصوا أسطولاً لحماية مراكب التجار من اعتداء اللصوص(٢).

٦ - بلاد فارس :

كانت الجزيرة العربية على صلات تجارية وبشرية ببلاد فارس قبل ظهور الإسلام حيث هاجرت بعض القبائل العربية(٣) منها واستقرت في الساحل الشرقي من الخليج العربي، وتحدث الطبري عن مثل هذه الهجرات فقال: "فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبدالقيس والبحرين وكاظِمَة، حتى أناخوا على أَبَرَشَهْر وساحل أَرْدَشِيرخُرّة وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحُروثهم ومعايشهم"(٤).

---

(١) سبقت الإشارة في غير مكان من هذا الكتاب إلى الاضطرابات التي تعرضت لها الخلافة العباسية ابتداءً من عصرها الثاني، ويأتي في مقدمة هذه المشكلات ثورة الزَّنْج، واختلال الأمن في بعض المناطق، وحركة القرامطة وقيام بعض الكيانات السياسية في بعض أجزاء من البلاد الإسلامية مثل الدولة الفاطمية التي ظهرت في المغرب الإسلامي، ثم مدت نفوذها إلى بعض مناطق الشرق الإسلامي بعد أن اتخذت من مصر قاعدة لها. وانظر فصل العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٤؛ السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٥٧-١٥٨؛ وانظر أيضًا : أحمد درّاج، عَيْذَاب، ص٥٨- ٥٩.

(٣) استقرت في بلاد فارس بعض الأسر العربية مثل آل عمارة الذين يعرفون بآل الجلندي من قبيلة الأزد، قال عنهم الإصطخري: "إنهم أقدم ملوك الإسلام بفارس وأمنعهم جانبًا" ومثلهم آل حنظلة من قبيلة تميم من ولد عروة بن أدية الذين عبروا البحر إلى فارس وسكنوا إصطخر ونواحيها وملكوا الأموال الكثيرة والقرى النفيسة، (الإصطخري، المسالك والممالك، ص٨٢)؛ وسكنت بعض قبائل تغلب وعبدالقيس وبكر بن وائل إقليم كَرْمان وتَوّج والأهواز، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦١)؛ ذكر ياقوت أنه يقال لها أيضًا توز، ج٢، ص٦٥.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥؛ ولزيادة المعلومات انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٦٥٦- ٦٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩٢.

ومن هنا قويت بعد ذلك الصلة بين المنطقتين؛ لأن سكانها ألفوا التنقل من جهة لأخرى لمزاولة نشاطهم التجاري، فيروي صاحب العقد الفريد أن تجار قريش قبيل الإسلام كان لهم نشاط تجاري مع بلاد فارس مثل أبي سفيان صخر بن حرب عندما كان تاجرًا يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم، وقد أهدى لكسرى خيلاً وأدمًا[١]. كما كان التجار الفرس يقصدون أسواق الجزيرة العربية في مختلف المواسم[٢].

ولقد ازدهرت حركة التبادل التجاري بين المنطقتين في ظل الإسلام وما زامنه من وحدة اللسان، حيث انتشرت اللغة العربية في بلاد فارس بفضل استقرار القبائل التي رافقت الفتوح الإسلامية أو التي نزحت إليها في العصر العباسي[٣]. فكان لها أثر في زيادة الروابط التجارية مع الجزيرة العربية، حيث بلغت ذروتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، ويتجلى ذلك مما ذكرته بعض المصادر[٤] من أن بلاد فارس كانت من المناطق التي لسلعها حظوة لدى تجار الجزيرة العربية فتسوق سلعها في سائر مراكزها التجارية، ومما ساعد على زيادة تبادل النشاط التجاري بين المنطقتين اشتراكهما في سواحل الخليج العربي

(١) ابن عبدربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م؛ ج١، ص٢٨٨، وانظر فصل التجارة الداخلية، التجار العاملون في أسواق الجزيرة العربية، من هذا الكتاب.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ص٤٥، ٧٨؛ وانظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٤٠- ٢٤١.

(٣) في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م نزح بعض أفراد قبيلة الأزد من عُمان إلى فارس عندما أرسل الخليفة العباسي المعتضد جيشًا كبيرًا للقضاء على الاضطرابات التي حدثت في عُمان، (السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١، ص٢٢٠؛ يقول السالمي: "فخالف أهل صُحار وما حولها من الباطنية فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرموز وغير ذلك من البلدان"، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٠).

(٤) الإصطخري ، المسالك والممالك، ص٧١- ٧٦.

وقربهما المكاني، وتوافر الأمن لنقل البضائع والسلع التجارية بين الجانبين فقد كانت الدولة العباسية تطلب من عمال فارس وضع خفارات لحراسة القوافل وحفظ الطرق من اللصوص(١). لهذا كانت السفن تتردد على موانئ المنطقتين محملة بالبضائع والسلع التجارية من هنا وهناك في حركة لا تهدأ فعمليات الشحن والتفريغ مستمرة خلال تلك المدة، فضلاً عن جلب السلع التي تتميز بها كل منطقة من الداخل، فقد اشتهرت بلاد فارس بكثرة ثرواتها المعدنية والحيوانية والزراعية فعنها يقول الإصطخري: "ويكون بأرض فارس عامة معادن من الفضة والحديد والآنك والكبريت وأشباه ذلك مما يستقل به أهلها عما يكون في سائر الأقطار"(٢). ولا ريب أن توافر الثروات الصناعية والزراعية في بلاد فارس جعلها من أهم مناطق التبادل التجاري في البلاد الإسلامية.

وكان من الطبيعي أن تقوى الروابط التجارية بين أقاليم الجزيرة العربية وبلاد فارس في هذه المدة التي كانت فيها معظم البلاد الإسلامية تحت نفوذ الدولة العباسية، ويدل على قوة هذه العلاقة أن التجار من بلاد فارس كانوا يسافرون بمراكبهم من الخليج العربي إلى سواحل شرق الجزيرة العربية وجنوبها وغربها وينتقلون بين مراكزها التجارية بما تحمله مراكبهم من تجارات مختلفة، وأشار ابن حوقل إلى مثل هذا النشاط في قوله: "جُدة كانت عامرة كثيرة التجارات والأموال، ولم يكن بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها، وكانت تجاراتهم تقوم بالفرس"(٣). فكان للفرس

(١) المصدر نفسه، ص٧١، والخفارات تعني الحراس.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٣، والآنك الرصاص أو القصدير.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩؛ وعن هذا الموضوع أيضًا انظر: الإصطخري، المسالك، ص٢٣.

نشاط بارز في تجارة الحجاز، بل إن المقدسي يذكر أنهم غلبوا على تجارتها ولهم بها قصور عجيبة[1]. كما أن المسعودي أشار إلى أن مراكب الصين كانت تأتي لسواحل الجزيرة الشرقية من سواحل فارس[2]. فهذه النصوص وغيرها تؤكد لنا نشاط الحركة التجارية المنتظمة بين الجزيرة العربية وبلاد فارس.

واشتهرت بعض المدن في بلاد فارس بنشاطها التجاري، من أبرزها مدينة شِيراز[3] التي تعد قصبة بلاد فارس يفد إليها التجار من مختلف البلاد المعمورة ويتوافر بسوقها البضائع والسلع التجارية ويقصدها التجار من الجزيرة العربية بتجاراتهم ويعودون منها بما تحتاج إليه بلادهم[4]. كما تشتهر مدينة كازَرُون[5] بصناعة المنسوجات ويتوافد إليها التجار من خارج البلاد الفارسية لشراء لفائف القماش الذي يصنع فيها[6]. وكانت مدينة سِينِيز[7] مقصداً للتجار لتميزها في صناعة الفرش الصوفية والبسط التي تجد حظوة لدى تجار الجزيرة العربية؛ لأنها تنافس غيرها لجودة صناعتها،

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٢.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص, ١١٧

(3) شِيراز: بالكسر بلد عظيم مشهور في وسط بلاد فارس وهي كثيرة الخيرات تجري وسطها القنوات، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٠- ٣٨١)، والقصبة تعني المركز.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٣ وما بعدها؛ الإصطخري، المسالك، ص٧١ وما بعدها.

(5) كازَرُون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز تكثر فيها القصور والنخيل، وبها سماسرة كبار وسوق كبيرة جادة، وبها تمر يقال له الجيلان، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٩).

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٣- ٤٣٤؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٤٩، وكانت تسمى دمياط الأعاجم.

(7) سينيز: بكسر أوله وسكون ثانيه بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سِيراف، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٠).

وقد أشاد المقدسي بجودة المنسوجات الفارسية[١]. واختصت مدينة جُور[٢] بصناعة الروائح العطرية والدهن من زهور الورد والزعفران والقيسوم[٣].

أما مدينة هُرْمز[٤] فهي أيضاً تشتهر بنشاطها التجاري بحكم موقعها الجغرافي على الطريق الملاحي الموصل بين كل من الساحل الفارسي والساحل الغربي للخليج العربي، وقد سمي المضيق البحري باسمها (مضيق هُرْمُز) [٥]. كما تشتهر مدينة بَمّ[٦] بصناعة المنسوجات القطنية الجيدة[٧].

أما مدينة سِيراف[٨] فقد اشتهرت بحركتها التجارية النشطة، فهي من أهم الموانئ على الساحل الشرقي للخليج العربي، تحطّ بها السفن القادمة من الجزيرة العربية ومن الجهات الأخرى، وتعد من أنشط مراكز تصريف التجارة العالمية[٩]، تصلها سفن الصين والهند، ومنها تنقل كثير من المراكب المحملة

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٢٦- ٤٢٧.

(٢) جُور: مدينة نزهة طيبة وإليها نسب الورد الجوري، وهو أجود أنواع الورد، وهو الأحمر الصافي، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٨١).

(٣) الإصطخري ، المسالك، ص٩٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٣؛ ولزيادة المعلومات عن صناعة الدهون انظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٦١- ٣٦٢.

(٤) هرمز: بضم أوله وسكون ثانيه وضم الميم، مدينة على ضفة البحر وهي في برّ فارس وهي فُرْضة كرمان، إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند، (ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٤٠٢).

(٥) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٩٧- ٩٨.

(٦) بَمّ: بالفتح وتشديد الميم مدينة جليلة من أعيان مدن كرمان ولأهلها حذق وأكثرهم حاكة، وثيابها مشهورة في جميع البلدان، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٧٩-٨٩٠).

(٧) الإصطخري ، المصدر السابق، ص٩٩- ١٠٠؛ وانظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص٢٥١.

(٨) سِيراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، فرضة الهند، وكانت أغنى بلاد فارس، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤- ٢٩٥).

(٩) عطية القوصي، سيراف وكيش وعدن، ص٤٥.

بالبضائع إلى مَسْقَط[١] بعُمان، يؤيد ذلك ما ذكره عنها السيرافي عندما قال: "إن كثرة السفن الصينية تُحَمَّل من سِيراف، وإنَّ المتاع يُحْمَل من البصرة وعُمان وغيرها إلى سِيراف فيعبأ في السفن الصينية بسيراف... فإذا عُبِّئ المتاع خطفوا (اقلعوا) إلى موقع يقال له مَسْقَط وهو آخر عمل عُمان"[٢]. ويتضح لنا من هذا النص أن مدينة سِيراف كانت لها صلات تجارية مع الجزيرة العربية وغيرها، فكان يحمل منها ما يصلها من البضائع والسلع الواردة عن طريق البحر إلى مختلف الآفاق، ويبدو كذلك أن التجارة هي الحرفة الغالبة على نشاط سكانها بحكم موقع مدينتهم الجغرافي المميز، فهي محطة تجارية لتجارة الشرق والغرب، وهو ما ساعد أهلها على احتراف التجارة التي يجنون منها ثروة طائلة، فقد ذكر الإصطخري أنه بلغه أن من أهلها من يجوز ماله على ستين مليون درهم اكتسبها من تجارة البحر[٣]. كما كان لهم نشاط ملاحي يفوق غيرهم فقد عمل بعضهم في البحر لنقل التجارات فيذكر المسعودي أنه سافر من الخليج العربي مع بحارة من سِيراف مرات عدة وأشاد بمهارتهم الملاحية، ومن هؤلاء البحارة الذين رافقهم المسعودي محمد بن الريدوم السيرافي وجوهر بن أحمد المعروف بابن سيرة[٤]. كذلك أشار المسعودي إلى أنه كان صديقًا لأبي زيد السيرافي الذي يعدُّ من أشهر الملاحين المسلمين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٥].

---

(١) مَسْقَط، بالفتح وسكون السين وفتح القاف، مدينة من نواحي عُمان آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر، ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص١٢٧.

(٢) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٥.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٩٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٨؛ وانظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٤٣٥.

(٥) المسعودي، المصدر السابق، ج١، ١٤٥؛ سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١٤.

ومن المراكز التجارية في بلاد فارس أيضًا مدينة عَبّادان[١] التي اشتهرت بإنتاج الحُصُر[٢]، واشتهرت جزيرة كِيش[٣] كذلك بنشاطها التجاري ولا سيما بعد أن حلت محل سيراف باستقبال السفن المحملة بالتجارات من مختلف البلاد، وقامت في هذه الجزيرة أسواق عامرة بالبضائع والسلع الكثيرة، وكان تجار الجزيرة العربية كغيرهم يترددون على أسواقها ويلقون المعاملة الحسنة من أهلها الذين تساهلوا معهم في جمع المكوس[٤]. ومن الطبيعي في هذه الحالة أن ينعكس أثر ذلك في زيادة حجم التبادل التجاري بين المنطقتين طالما تحقق لأصحاب الثروات مثل هذه التيسيرات.

٧ - بلاد الهند :

تعد بلاد الهند[٥] من أهم مناطق التبادل التجاري التي كان للجزيرة

(١) عَبّادان: بفتح أوله وتشديد ثانيه، ثغر على ساحل الخليج العربي في بلاد فارس، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٧٤).

(٢) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٥١.

(٣) جزيرة كِيش في الخليج العربي تقع بالقرب من حدود فارس ويطلق عليها العرب اسم قيس، زادت مكانتها بعد أن فقدت سِيراف مكانتها التجارية بسبب ما أصابها من آثار تدمير الزلازل في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وهو ما جعل الحركة تتحول إلى جزيرة كيش، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٧)؛ وانظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٥٧؛ وكذلك لزيادة المعلومات انظر: عطية القوصي، سيراف وكيش وعدن، ص٥٩.

(٤) عطية القوصي، المرجع السابق، ص٦١.

(٥) يذكر اليعقوبي أن الهند عدة ممالك وملوك بسبب اتساع أرضها التي تشغلها ولها حدود مجاورة مع الصين، ويسكن الهنود نصف العالم الجنوبي لقارة آسيا، ويضيف المسعودي كذلك أن الهند تمتلك مساحة هائلة وأن أراضيها متصلة بأرض الزابج، ويبدو أن مصطلح الهند أو أراضي الهند قد استخدم للإشارة إلى جميع البلاد الواقعة جنوب شرقي قارة آسيا يشمل إندونيسيا والملايو، كما أن ابن رستة عدّ جزيرة سرنديب - سيلان - وجزيرة قُومار من الهند ويتضح من مصادر البحث أن مصطلح الهند أو السند قد استخدما معًا للدلالة على الهند، (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٨٤- ٩٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٨٥١، ج٢، ص١١١؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة، ص٨٧، ٨٨، ١٣٢).

العربيــة اتصـال بهـا منـذ أقـدم العصـور. فقـد كـان بعـض سكان الجـزيـرة العربيـة مـن حضـارمـة وحـميـريين وعُمـانيـين لهـم نشـاط بـارز فـي التجـارة البحرية مع بلاد الهند آنذاك فكانت لهم جاليات في السواحل الهندية(١). وبعد ظهـور الإسـلام صـارت هـذه العلاقـة أقـوى مـن ذي قـبـل علـى أثـر الفتوحـات الإسلامية والدعوة إلى الإسلام التي أفـادت العلاقات التجارية بين المنطقتين وأصبحت أبعد وأقـوى ممـا كـانت عليه قبـل الإسـلام، فكان النشاط التجاري لا يهدأ بين موانئ الجـزيرة العـربيـة مثـل صُحار ومَسْقَط وجُدة، وبين موانئ سـواحل البلاد الهنـديـة مثـل الدَّيْبُل(٢) وكَوْلَم ملـي كانتا تنطلق منهما المراكب التجارية تجاه الجزيرة العربية أو العكس(٣). وقد زادت هـذه العـلاقـة رسـوخًا بعـد أن فُتح إقليم السِّنْد(٤) في العصـر الأموي سنة ٩٢-٩٣هـ/٧١٠-٧١١م علـى يد القـائد محمـد بـن القاسـم الثقفـي، وظلّ هـذا الإقليم أحد أقاليم الـدولـة العباسـية في تلك المدة(٥)، فسيطرة

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١١١.

(٢) كانت مدينة الدَّيْبُل الميناء الرئيس لمنطقة وادي نهـر السند وهي بلدة كبيرة كما كانت مشهورة بصناعة اللؤلؤ المستخرج من مياه البحر الذي تطل عليه، كما أنها مـرفأ تجاري مهم، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٥؛ وانظر لزيادة المعلومات: سعد حذيفة، الفتح الإسلامي لبلاد السند، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٨م، ص٥٧- ٥٨).

(٣) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٢٩؛ أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٨؛ ولزيادة المعلومات انظر: الحبيب الجنحاني، دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول، ص١٧.

(٤) السِّنْد: بلاد كبيرة فيما بين ديار فارس وديار الهند، وهي مما يلي بلاد الإسلام ثم الهند في شرق السِّنْد مكران وشيء من بلاد الهند في غربيها كَرْمَان ومفازة سِجِسْتَان وأعماله، وفي الشمال منها بلاد الهند، وقصبة السِّنْد مدينة يقال لها المَنْصُورة ومن مدنها ديبل وهي ميناء على ضفة بحر الهند والتِيز، فتحها المسلمون في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٣هـ/٧١٢م على يد القائد محمد بن قاسم الثقفي، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٧).

(٥) سعد حذيفة، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السِّنْد، ص٣٥ وما بعدها.

المسلمين على إقليم السِّنْد الذي يعدُّ جزءًا من جغرافيا بلاد الهند أدت إلى زيادة الروابط التجارية بين تجار الجزيرة العربية وبين تجار بلاد الهند، حيث اتخذه العرب جسرًا للعبور إلى سائر أقاليم الهند الأخرى الغنية بالثروات الطبيعية[١] التي أعطت أصحاب التجارات من المنطقتين فرصة التبادل التجاري لمختلف أنواع البضائع والسلع التجارية[٢]. فيبدو أنه كان للسند أهمية تجارية كبيرة لتجار الجزيرة العربية من جهة وتجار الهنود من جهة أخرى بسبب ما يتمتع به هذا الإقليم من موقع جغرافي إستراتيجي على الطرق البرية والبحرية، وما يتمتع به من وفرة التجارات والبضائع الرخيصة التي يصفها المقدسي في قوله : "إقليم الذهب والتجارات والعقاقير والآلات والفانيذ والخيرات والأرزاز والموز والأعجوبات، به رخص وسعة"[٣].

ومثل السِّنْد كانت معظم أقاليم الهند الأخرى غنية بثرواتها الطبيعية والحيوانية والنباتية يؤيد ذلك ما ذكره ابن الفقيه عندما قال: "خص الله تعالى أرض الهند والسِّنْد بأنها توجد بها سائر الروائح العطرية، والجواهر، كالياقوت، والماس وغيرها وكذلك الكركدن[٤]، والفيل، والطاووس، والعود والعنبر، والقرنفل، والسنبل، والخولجان، والدار صيني، والنارجيل، والتوتيا،

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ج٢، ص٨٥؛ ولزيادة المعلومات انظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، مجلة ثقافة الهند، المجلد الأول، ١٩٥٠م، العدد الثاني، ص١٣٤- ١٣٥.

(٢) سليمان الندوي، المرجع السابق، ص١٣٤- ١٣٥.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٧٤.

(٤) الكركدن، حيوان له في مقدمة جبهته قرن واحد، وهو دون الفيل في الخلقة وأكبر من الجاموس، (المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٧١).

والبقم، والخيزران، والصندل، وخشب الساج، والفلفل الأسود"(١). وسبقه الدينوري إلى ذكر هذه الخيرات عندما تحدث عن الهند حيث قال: "بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر"(٢). ويروي القزويني أن بلاد الهند واسعة من الناحية الجغرافية مملوءة بالعجائب(٣).

ومما سبق ذكره من نصوص يتجلى أن أرض الهند غنية بكثرة ثرواتها الزراعية والمعدنية والحيوانية وأيضًا ما اشتهر به الهنود من مهارات، كصنّاع مهرة للملابس والنسيج والأحذية والأسلحة مثل السيوف والحراب والسكاكين وصناعة السفن وبعض أنواع المأكولات كالحلوى وكصناعة الروائح العطرية وبعض الأدوية(٤). كل ذلك جعلها مقصدًا للتجار من جزيرة العرب ومن غيرها من مختلف الآفاق لتوافر سلعها ورخص أسعارها، فقد أحدث تجار الجزيرة العربية أثراً بارزًا في نقل معظم تجارات الهند إلى سائر أنحاء المعمورة، كما قاموا أيضًا بنقل البضائع من الجهات الأخرى إلى الهند، فكان تجار الجزيرة العربية يقومون بمهمة الوسطاء في نقل كثير من التجارة العالمية(٥). فيذكر ابن الساعي بعض نشاط أهل عُمان التجاري مع الهند بقوله: "ولهم متاجر مربحة وواصلهم إلى الهند لا ينقطع"(٦). ويتبين أن تجار الجزيرة العربية كغيرهم من تجار البلاد الأخرى كانوا يلقون

---

(١) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٥١.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢٦؛ ولزيادة المعلومات انظر: السيد محمد يوسف، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري، ص٢٧.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص١٢٧.

(٤) الجاحظ، كتاب الحيوان، ص١٣٠؛ بزرك، عجائب الهند، ص١٨٩؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٨.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٧، ٢٨.

(٦) ابن الساعي، مختصر أخبار الخلفاء، ص١٤١.

معاملة طيبة من الأهالي والحكام في الهند، وهو ما شجع بعضهم على الإقامة في بعض أجزاء بلاد الهند، كتلك الجاليات العربية التي استقرت في كثير من الموانئ الهندية، يؤيد ذلك ما أورده المسعودي عنهم في معرض حديثه عن مدينة صَيْمَور[١] في أثناء زيارته لها سنة ٣٤٤هـ/٩٤٥م حيث يقول : "وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة[٢] وسيرافيين وعُمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجار"[٣].

كما أن الفتوحات الإسلامية في سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م على يد محمود ابن سُبُكتِكين الغَزْنَوي قد أسهمت في تقوية العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والهند، فقد ضمت إلى الدولة الإسلامية آنذاك أجزاءً كبيرة من بلاد الهند الغنية بالثروات التجارية[٤]. ويغلب على الظن أن المسافرين والمهاجرين والتجار والحجاج كانوا في حركة دائمة، فقد كانت منطقة غرب الهند على علاقة وطيدة بسواحل الجزيرة العربية يتضح ذلك من حركة التجارة البحرية النشيطة بين المنطقتين، كما كانت السفن العُمانية واليمنية في معظم الأوقات وسيلة النقل الأساس ذات الشهرة الواسعة بما كان لها من أثر بارز في هذا النشاط، وقد بني بعضها في موانئ الجزيرة العربية الشرقية وبعضها الآخر في بعض الموانئ الهندية

---

(١) صَيْمَور: بلد من بلاد الهند الملاصقة للسند قرب الديبل يكثر فيها المسلمون، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤).

(٢) بياسرة: يراد بهم من ولدوا من المسلمين بأرض الهند، (المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢١٠).

(٣) المسعودي، المصدر السابق، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) آدم متز، تاريخ الحضارة، ج٢، ص٢٦٧.

مثل الدَّيبُل، وكَوْلَم ملي[١]. ويتضح استمرار فعاليات النشاط التجاري بين المنطقتين إلى ما بعد القرن الرابع الهجري حيث يذكر ابن بطوطة أن للعرب جاليات في مَلِيبَار[٢][٣]. كما كان بعض التجار الهنود يزاولون نشاطهم التجاري مع أقاليم الجزيرة العربية، وكان منهم من يقصد أسواق اليمن وغيرها لتجارة الجلود ومصنوعاتها[٤]. وكانت موانئ الجزيرة العربية تستقبل السفن التجارية الهندية حتى غدت مدينة عَدَن من المحطات التجارية الرئيسة التي يتم فيها تبادل السلع الهندية، كما أفاد ميناء الجَار وميناء جُدة من قدوم سفن الهند المحملة بالسلع الهندية التي تسوق في كل منها أو تفرق إلى جهات أخرى مثل مكة والمدينة حيث قوافل الحجاج أو التجار الذين يحملون بعضها إلى الشام أو مصر والعراق والحبشة وأنحاء أخرى من العالم الإسلامي[٥].

ومما ساعد على ازدهار العلاقة التجارية بين الجزيرة العربية وبلاد الهند في تلك المدة المعاملة الحسنة التي كان يلقاها التجار الهنود من التجار العرب عندما يكونون في الجزيرة العربية وهو ما شجع أصحاب

---

(١) بزرك، عجائب الهند، ص١٣٧. ولزيادة المعلومات انظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٢٠، ص١٢٩.

(٢) مَلِيبَار: إقليم كبير عظيم يشتمل على مدن كثيرة وهي في وسط الهند، يتصل عمله بأعمال مُولتان، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٦)، وكولم ملي من بلاد السند بينها وبين مَسْقَط مسيرة شهر، وتستعذب منها السفن الماء، (ابن الفقيه، البلدان، ص١١).

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٥٧١.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٨٤؛ وانظر: أبا ظفر الندوي، تاريخ كَجُرَات، دهلي، طبعة المصنفين، ص١٨٢؛ فاروق أحمد فاروق، دباغة الجلود ومشتقاتها عند العرب، ص٧-٨.

(٥) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١٢٦؛ وانظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص٩٠١.

AHMAD, MAGBUL INDIA-ARAB, RELATIONS, NEW DELHI, PP. 90-91.

التجارات الهندية على ارتياد موانئ الجزيرة العربية إذ كان الرخاء الاقتصادي في البلاد الهندية يتوقف على تصريف المنتجات الهندية في أسواق الجزيرة العربية التي كانت تنقلها السفن الكبيرة، ويدلنا على ضخامة مقادير البضائع والسلع التجارية التي كانت ترد من الهند مقدار الضرائب التي كانت تؤخذ عليها، فقد ورد على لسان أحد النواخذة الذين كانوا ينقلون البضائع والسلع بين الهند والجزيرة العربية قوله: "حملت سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م من كَلَه (الهند) إلى عُمان من السلع ما أخذ عليه حاكم عُمان ست مئة ألف دينار مكساً، وهذا عدا تلك المئة ألف من الدنانير التي عفى عنها بمروءته أو أخفى عنه الناس فلم يعلمه"[١].

يتبين لنا من هذا النص التسهيلات التي كان يلقاها التجار، وكذلك ضخامة هذه السفن التجارية التي كانت حمولتها كبيرة حيث كان يصعب إحصاء ما تحمله من سلع، بالإضافة إلى ما كانت تحمله من الركاب والعاملين عليها، وتشير بعض المصادر[٢] إلى أن السفن الهندية كانت ترى وهي تبحر باستمرار في موانئ الجزيرة العربية بما تحمله من بضائع وسلع هندية، ويتضح أن الجزيرة العربية ظلت تستقبل السفن التجارية الهندية ولم تنقطع فيما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى عصر ابن جبير حيث كانت السفن الهندية تجوب مياه البحر الأحمر عند سواحل الجزيرة العربية، ومنها إلى السواحل المصرية، فقد أشار إلى ذلك بقوله: "إن عيذاب كانت أحفل مراسي الدنيا؛ لأن مراكب الهند واليمن

---

(١) بزرك، عجائب الهند. ولمزيد من التفصيل انظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٣٠.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٦٥.

تحط بها وتقلع منها على الدوام"[١]. فمن المؤكد أن حركة التجارة الرائجة ظلت قائمة بين بلاد الهند والجزيرة العربية لالتقاء مصالحهما.

ومن أهم المراكز التجارية في الهند مدينة الدَّيْبُل، حيث اشتُهرت بسوقها العظيمة التي تكثر فيها المتاجر المتنوعة، وامتدحها ابن حوقل بقوله: "الدَّيْبُل من شرقي نهر مهران على البحر، وهي متجر عظيم وتجارتها من وجوه كثيرة وهي فرضة هذه البلاد"[٢]. ولا ريب أن يتوافد تجار الجزيرة العربية وغيرهم إلى ميناء الدَّيْبُل لكثرة السلع المتوافرة به حيث تفد إليه تجارات بعض المراكز الأخرى ببلاد الهند كالمَنصُورَة[٣] التي تشتهر بإنتاجها من الليمون وقصب السكر والأنبج[٤]، كما تشتهر بالأسعار الرخيصة[٥].

ومن المدن التي كانت مشهورة بنشاطها التجاري في بلاد الهند مُلْتَان[٦] وهي تساوي المَنْصُورة في سعتها وإن كان ثمارها أقل منها، إلا أن الأسعار فيها رخيصة ثلاثون منًا من الخبز بدرهم، وحلوى الفانيذ ثلاثة أمنان بدرهم،

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٩.

(٣) مدينة يحيط بها خليج من نهر مِهْرَان وهي في شبه جزيرة وأهلها مسلمون، (ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٧)؛ أما ياقوت الحموي فيقول عنها: "هي قصبة أرض السند وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير ولهم خليج من نهر مِهْرَان، في أهلها مروءة وصلاح ودين وتجارات"، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١١).

(٤) نوع من الفاكهة وهو نوعان أحدهما ثمرته تشبه اللوز، وهو حلو، والآخر ثمرته تشبه الأجاص، الدينوري، النبات، ليدن، ١٩٥٣م، ج٥، ص٤٥؛ وانظر: عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، ١٣٩٣٥م، ص١٩٣.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢١١.

(٦) ملتان: بالضم والسكون، هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم، وهي تساوي المنصورة في سعتها، ياقوت، (معجم البلدان، ج٥، ص١٨٩).

ومما يحمد لتجارها أنهم لا يكذبون، وتجارتهم نافقة رابحة[١]، واشتهرت كذلك تَانة (بومباي) بأقمشتها[٢]، كما أثنى المسعودي على نشاط مدينة كهنبات التجاري، فقد تفوقت على غيرها في صناعة الأحذية[٣]. وتعد مدينة كَوْلم ملي[٤] من المراكز التي تقصدها السفن التجارية فتتزود منها أيضًا بالماء العذب في طريقها إلى الصين[٥]، وتصنع فيها الأواني الخزفية التي تسمى بالغضائر، ويكثر فيها شجر الساج والبَقَّم والخيزران وعيدان الرماح ويوجد بها الرواند الصيني، والساذج الهندي الذي يندر وجوده وهو دواء نافع لأمراض العين، ومنها يجلب التجار العود والكافور واللبان[٦]. واستمر النشاط التجاري لكولم ملي حتى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إذ تحدث عنها ابن بطوطة بقوله: "إنها من أحسن بلاد المَلِبَار، وأسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصوليين، لهم أموال عريضة يشتري أحدهم المركب بما فيه ويسوقه من داره بالسلع"[٧].

وتعد مدينة كاليكوت من أهم المرافئ الهندية على ساحل مليبار إذ تكثر فيها البضائع والسلع التجارية ويعج سوقها بالتجار الذين يقصدونها من الجزيرة العربية والصين وفارس والحبشة وغيرها من

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٧٤- ٤٨٢.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٥٩؛ ولزيادة المعلومات انظر: الندوي، العلاقة التجارية بين العرب والهند، ص١١٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥٣؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٥، ٤٨٢.

(٤) ابن الفقيه، البلدان، ص١١- ١٥.

(٥) ابن الفقيه، المصدر السابق ، ص١١.

(٦) القزويني، آثار البلاد، ص٧٠.

(٧) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٥٧٥؛ ولزيادة المعلومات انظر : شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٩٠.

الآفـاق الأخـرى(١). كمـا كـان ميـنـاء دِيـو مـرفـأً عـاجًا بالسـفن الـتـي تـأتيـه من الأقطـار المجـاورة وغيـرهـا مـن مـختـلـف البلدان التي تـسلك سـفنهـا المحيط الهندي فهذا الميناء كان زاخرًا بالبضائع الواردة إليه والصادرة منه(٢).

وبالإضـافة إلـى مـا تقـدم مـن المـوانـئ فهنـاك مـوانـئ أخـرى مهمـة علـى سواحل الهنـد كـان لهـا أثـر فعـال فـي الحـركـة التجـارية مـع الجـزيـرة العربية، فـقـد كـانـت السـفـن دائمـة الغـدو والـرواح بـين الهنـد والجـزيـرة العـربيـة مشحونة بالسلع والتجـارات الثمينـة، فقد كانت التجـارة فيمـا يبدو مقصورة إلى حـد مـا علـى المناطق الساحليـة لجنـوبي شبه القارة الهندية وغربيّه، فلم تشـر مـصـادر البحـث إلـى تـوسـع رقعة التبـادل التجـاري فـي داخـل الهند خلال تلك المدة، في حين نجـد امـتـدادهـا إلـى الجـزر الهنـديـة فـي المحـيـط الهنـدي مثـل جـزيـرة سَرَنْدِيب(٣) التـي تعـد مـن أهـم المراكـز التجـاريـة الـواقعـة علـى الطـريـق إلـى الهنـد والصـين، كمـا تصـب فيهـا بعـض السـلـع التجـاريـة القـادمـة مـن الغـرب أو الشـرق، وقـد ذكـر ابـن خـرداذبـة(٤) ضـخـامـة تجـارة سَرَنْدِيب ولا سـيمـا صـادراتهـا مـن الـروائح العطرية والجـواهـر، فـمنهـا كـانت تـوزع هـذه

---

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٣٧٨؛ وانظر: أبا صلاح، كيرله القديمة والعرب، ص١١.

(٢) ذكر بعض الباحثين أن هذا الميناء كان يُعَدّ مخرج تجارة كمباي، وبها جاليات مصرية وفارسية وعربية ويعمل الأهالي كلهم في التجارة، وفي تجارة التوابل فقط يعمل حوالي (٥٠٠٠) تاجر، كما يصلها أكثر من (٢٤٠٠٠) تاجر سنوياً، وترد لها من بلاد العرب الخيول. (نعيم زكي، طرق التجارة الدولية، ص١٧١)؛ وانظر أيضًا:

LANE-POOLE, STANLEY, MEDIEVAL INDIA UNDER MOHMMEDAN, PULE, PULE A.D. LONDON 1922, PP. 170-175.

(٣) سَرَنْديب: بفتح أوله وثانيه وسكون النون، هي جزيرة عظيمة في بحر هَرْكَند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً في مثلها، وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر العباب، يوجد بها الياقوت الأحمر والماس والعود. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٥- ٢١٦)، وتعرف حالياً بسيلان.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٤- ٧٠.

السلع التجارية في مختلف المراكز التجارية في بلاد الإسلام، ومنها أيضًا تشحن السفن التجارية التي تتوجه إلى موانئ الهند والصين وسائر مراكز التجارة الشرقية[١]. ولا غرو أن تقوم بمهمة الوسيط النشط في نقل البضائع وتوزيعها بين الجزيرة العربية والجهات الأخرى بحكم موقعها الجغرافي الممتاز وهو ما أهلّها لهذه المكانة التجارية المرموقة بين المراكز التجارية في تلك المدة، بل قد استمر نشاطها التجاري فيما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد شاهد ابن بطوطة ثماني سفن بالمرسى تستعد للتوجه إلى اليمن[٢].

ومن المراكز التجارية التي كان لها أثر فعال في تجارة الجزر الهندية الشرقية مدينة كَلّه[٣] (كلاه بار) بجزيرة الملايو، وقد أشار أبو زيد السيرافي إلى نشاط هذه المدينة بقوله: "وبكَلّه مجمع الأمتعة من الأعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والأبنوس، والبَقَّم، والأفاويه كلها وغير ذلك مما يتسع ويطول شرحه"[٤]. كما أشار في موضع آخر إلى علاقة الجزيرة العربية التجارية بها فقال: "والجهاز من عُمان في هذا الوقت إليها، ومنها إلى عُمان"[٥]. وهي على الطريق إلى الصين، لذلك كانت ملتقى للتجار الذين يقصدون الصين من بلاد العرب والهند وغيرها،

---

(١) مقبول أحمد، العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص١٠٨- ١٠٩.

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٣٩٥؛ ولزيادة المعلومات انظر: شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٩٣.

(٣) كَلّه: فرضة بالهند، وهي في منتصف الطريق بين عُمان والصين وموقعها من المعمورة في طرف خط الاستواء، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٨).

(٤) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٧٠- ٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٠- ٧١.

وشاهد ذلك ما ذكره عنها المسعودي: "وهي النصف من طرق الصين ونحو ذلك، وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم"(١). كما اشتهرت بلاد الزابج (جاوة) بنشاطها التجاري لما يتوافر فيها من الثروات الزراعية والحيوانية التي تدخل ضمن السلع التجارية، فتكثر فيها العطور والكافور والعود والقرنفل والعنبر وغيرها من سائر التجارات الأخرى(٢).

من كل هذا نستخلص أن العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والبلاد الهندية في هذه المدة كانت مستمرة، حيث تدفقت البضائع الهندية إلى الجزيرة العربية، وقد كان لسفر الحجاج إلى مكة أثر كبير في توزيع بعض البضائع الهندية في أسواق الجزيرة العربية أو نقل ما يتوافر في أسواق الحجاز من سلع فيشترونها من مكة والمدينة، ويقومون ببيعها في طريق عودتهم، ومن المؤكد إفادة الأقطار التي يفد منها حجاج إلى الجزيرة العربية من هذه التجارة، ويمكننا القول إن ازدياد التبادل التجاري بين أقاليم الجزيرة العربية وبلادِ الهند كان مربحًا ومفيدًا للعاملين عليه من العرب أو الهنود نظرًا لكثرة الإنتاج للبضائع الهندية ورخص أسعارها وسهولة نقلها بالسفن إلى شواطئ الجزيرة العربية وحماية الطرق من أخطار اللصوص، كل ذلك ساعد على ازدهار حركة التبادل التجاري بين المنطقتين خلال تلك المدة.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠؛ وزيادة في المعلومات انظر: عادل محيي الدين، الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا، ص٨٧ وما بعدها.

(٢) المهراج ملك بلاد الزابج (جاوة)، (ابن رستة، الأعلاق النفيسة ص ١٣٨، وانظر: بزرك، عجائب الهند بره وبحره وجزايره، ص١٣٧).

٨ - الصين :

كان للجزيرة العربية علاقات تجارية مع بلاد الصين[١] قبل ظهور الإسلام، فبعض تجار اليمن وعُمان كان لهم اتصال ببحر الصين منذ عهد قديم كما كان تجار الصين يترددون على موانئ الجزيرة العربية، وقد أشار إلى هذه العلاقة القديمة المسعودي في قوله : "إن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عُمان وسِيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأُبُلَة، وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك"[٢].

ومن الطبيعي أن يكون للجزيرة العربية أثر في حركة النشاط التجاري إذ كانت حلقة وصل بين أقطار آسيا من جهة وبين الأقطار الإسلامية وغيرها من جهة أخرى، وذلك عن طريق سواحلها الشرقية والجنوبية والغربية[٣]، وزادت أهميتها بعد ظهور الإسلام حيث بسط المسلمون نفوذهم على مناطق واسعة في آسيا، وزادت أواصر العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والصين في عهد الدولة الأموية، وذلك بعد أن أرسل الخليفة الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) قائده المشهور قتيبة بن مسلم الباهلي إلى إقليم خُراسان لفتح بلاد ما وراء نهر جيحون حتى وصل

---

(١) الصين : بلاد من بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشمالها الترك، وهي في الإقليم الأول، طولها من الغرب مئة وأربع وستون درجة وثلاثون دقيقة، وهي بلاد شاسعة يقصد التجار أطرافها، ولأهلها ألسنة مختلفة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٠- ٤٤١).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠، ص١٥٧؛ وانظر: نقولا زيادة، تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط العربي والمحيط الهندي، ص٧٠- ٧١.

(٣) عبدالرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي، ص١١٢ وما بعدها.

إلى مدينة بُخَارى[١] وسَمَرْقَند[٢] ثم سار في سنة ٩٦هـ/٧١٥م إلى حدود بلاد الصين وأرسل إلى إمبراطورها وفدًا برئاسة هُبيرَة بن المُشَمْرَج الكلابيّ[٣]. وتتابعت بعد ذلك الوفود العربية إلى الصين في مختلف المناسبات، وكان لهذه الوفود أثرها الإيجابي في زيادة روابط العلاقات التجارية بين الدولة الإسلامية وبلاد الصين إذ قويت في عهد الدولة العباسية فيذكر أحد الباحثين أن علاقة الصين بالعباسيين كانت أقوى من علاقتهم السابقة بالأمويين سواءٌ من ناحية النشاط التجاري أم السياسي[٤]. ومما عزز هذه العلاقات الودية تلك النجدة العسكرية التي قدمها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م لمساعدة الإمبراطور الصيني (سوجونغ) للقضاء على الثورة الداخلية التي حاولت الإطاحة به، وقد تمكن الإمبراطور الصيني بهذه القوة العربية من استرداد

---

(١) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجملها وكانت قاعدة الدولة السامانية وهي كثيرة البساتين واسعة الفواكه، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٣.

(٢) سَمَرقند: بفتح أوله وثانيه، قيل إنها من بناء الإسكندر فيما وراء النهر وفيها بساتين ومزارع وهي قصبة الصُغْد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦- ٢٤٨).

(٣) قال سوادة بن عبدالله السَّلُوليّ في هذه المناسبة:

لا عَيبَ في الوَفْدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ	للصين إنْ سَلَكوا طريقَ المَنهَجِ
كسرُوا الجفون على القذَى خوفَ الرَّدى	حَاشَا الكريم هُبَيرةَ بن مُشَمرَجِ
لم يَرضَ غير الخَتْمِ في أعناقهم	ورهائنٍ دُفِعَتْ بِحَمْلِ سَمَرَّجِ
أدَّى رسالتَك التي استَرعَيتَهُ	وأتاك مِن حِنثِ اليمين بمخرجِ

الطبري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٠٢، وأشار الطبري لهذا الوفد فقال: "فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة - من أفناء القبائل... فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي والليّن من البيَاض والرقيق والنعال والعطر وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها.. فساروا عليهم هُبيَرة بن المشَمرَج، فلما قدموا أرسل لهم ملك الصين يدعوهم" وجرت بينه وبين رئيس الوفد محاورة يطول شرحها.

(٤) فيصل السامرائي، السفارات العربية إلى الصين، ص٣٥١ وما بعدها؛ وبلغت السفارات العربية إلى الصين زمن العباسيين خمس عشرة سفارة خلال المدة من ١٣٢-١٨٤هـ/٧٥٠- ٨٠٠م.

ملكه وهزيمة الثوار[١]. وقد أقام بعض هؤلاء المسلمين في الصين وفرقهم الإمبراطور في بعض المدن الصينية، وسمح لهم بالزواج من بنات الصين[٢]. وسبق أن استقر في الصين بعض العرب الفارين من خُراسان قبيل نهاية الخلافة الأموية بالمشرق سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وكان هؤلاء الهاربون من العرب يعملون وسطاءَ تجاريين بين الصين والتجار الأجانب، ولا ريب أن ازدياد عدد العرب المسلمين في الصين أدى إلى تكون جاليات عربية مع مرور الأيام، ومن الراجح أن هذه الجاليات كان لها نشاط بارز في توطيد العلاقات التجارية مع الجزيرة العربية في ذلك الوقت[٣].

وكان من الطبيعي أن يؤدي وجود مثل هذه الجاليات إلى تنشيط الحركة التجارية مع التجار القادمين من الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى، فقد أصبحت العلاقات التجارية بعد ذلك بين البلاد العربية والصين منتظمة، وزادت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي فكانت تجارة الجزيرة العربية نشطة مع الصين في هذا الوقت حتى إنها تصل إلى مدينة خَانقوا مباشرة، يقول المسعودي عن هذه المدينة: "وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة، تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعُمان ومدن الهند وجزائر الزابج

---

(١) الشيخ بيرم التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج١، ص٢٢؛ بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، ص٣٨- ٣٩.

(٢) بدر الدين حي الصيني، المرجع السابق؛ فيصل السامرائي، السفارات العربية إلى الصين، ص٢٥٥؛ وانظر: محمد زيتون، الصين والعرب، ص٣٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٨- ١٤٠.

وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز، وتقرب إلى مدينة خانقوا، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس، وغير ذلك من أهل الصين"(١).

كما كانت مراكب أهل الصين تختلف على موانئ الجزيرة العربية في معظم الأوقات خلال تلك المدة(٢). ولا ريب إن منافذ الجزيرة العربية البحرية إلى الصين ظلّت مفتوحة على الدوام، سواءٌ ما كانت مباشرة أم غير مباشرة، فكانت تجارات الصين التي تصل إلى الجزيرة العربية تُضرَب بها الأمثال، فقد قال المقدسي عن مدينتي صُحار وعَدَن: "إنهما دَهْلِيز الصين"(٣).

وأشار كذلك ابن حوقل إلى نشاط بعض تجار الجزيرة العربية في هذه المدة ممن كان له مراكب تسافر بالتجارات المتوافرة من مرافئ الجزيرة العربية إلى أقصى بلاد الهند والصين(٤).

فالملاحة بين الموانئ الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية والصين كانت نشطة ومباشرة في معظم الأوقات من القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، وكان الطريق البحري إلى الصين مفضلاً على

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٨، وخانقوا تعرف فيما بعد باسم كانتون ويلحظ أنه ورد اسمها عند سليمان التاجر خانفو في أكثر من موضع من كتابه أخبار الصين والهند وسنتتبع الإشارة إليها بهذا اللفظ عند ورودها فيما بعد.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٥- ٩٢، ٩٧.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٥٥؛ ومن هؤلاء التجار تاجر من عُمان اسمه أبو عبيدة سافر إلى الصين ومثله سليمان التاجر الذي قام برحلة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ولزيادة المعلومات انظر: حسن محمود، العالم الإسلامي، ص١٨٠- ١٨١.

الطريق البري، بدليل ما ذكره المسعودي من أن تاجرًا سَمَرقنديًا أتى من سَمَرقَند ومعه متاع كثير إلى البصرة ومنها ركب البحر إلى بلاد عُمان حيث سلك الطريق البحري إلى الصين[١]. فقد كانت السفن في طريقها إلى الهند أو الصين تقف في صُحار ومَسْقَط للتزود بالمياه، ثم تعبر المحيط الهندي مباشرة إلى جنوب مليبار، وهذا الطريق بطبيعة الحال كانت تسلكه السفن التي تقطع الرحلة الطويلة إلى الصين[٢].

ويتضح مما ذكر من نصوص أن الجزيرة العربية تعدُّ المركز الرئيس للتجارة البحرية بحكم موقعها الجغرافي المتوسط الذي يربطها بالعراق وفارس ومصر والشام وشرق إفريقيا، وكذلك ما يأتيها من الهند والصين من سلع غالية مهمة، فتدرّ أرباحًا كبيرة على الرغم مما في استيرادها أو تصديرها من صعوبات، ويمكننا القول بأن الجزيرة العربية هيمنت على معظم تجارة الصين وعن طريقها كانت كثير من السلع الصينية تنقل إلى مختلف الآفاق، فقد أشار المقدسي إلى نشاط الجزيرة العربية المتميز في هذه المدة وذلك بقوله: "من أراد التجارة فعليه باليمن أو عُمان أو مصر"[٣]. فقد كان التجار كما أسلفنا يبحرون من موانئ الجزيرة العربية إلى أن يصلوا إلى موانئ الصين[٤] التجارية عبر المحيط الهندي حاملين معهم السلع المختلفة، وقد كان الصينيون يطلقون على العرب كلمة (تاشي) أي تاجر، وهذا يؤيد وجود علاقة تجارية قائمة بين المنطقتين[٥]. ولا سيما أن

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠، وانظر خارطة الطرق البحرية رقم (١٢).

(٣) ذكر المقدسي أهمية عدن فقال: "إن من الناس من دخلها بألف درهم فرجع بألف دينار ومنهم من دخلها بمئة فرجع بخمس مئة"، المصدر السابق، ص٩٧.

(٤) المقدسي ، المصدر السابق ، ص٣٥٠.

(٥) بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ولزيادة المعلومات انظر: سيدة إسماعيل كاشف، علاقة الصين بديار الإسلام، ص٣٧ وما بعدها.

القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي شهد رواجًا عظيمًا في التجارة بين الجزيرة العربية وبلاد الصين، وقد ذكرنا في مواضع متفرقة من الصفحات السابقة أن سفن العرب كانت تخرج إلى بلاد الصين في حين ترد سفن الصين إلى مرافئ الجزيرة العربية والعراق وفارس، وكان التجار يجنون من هذه العلاقة الطيبة الأموال الكثيرة، يؤيد ذلك ما ذكره بزرك بن شهريار من أن إسحاق بن اليهودي كان يتعامل مع الدلالين بعُمان، فوقع بينه وبين أحد الدلالين خصومة، ترك على إثرها عُمان وليس معه غير مئتي دينار، فغاب عن البلاد نحو ثلاثين سنة ولم يعرف له خبر فعاد بعد هذه المدة إلى عُمان من الصين في مركب له وحده بجميع ما فيه من البضائع، واتفق مع صاحب عُمان أحمد بن هلال على أن يدفع له التاجر ألف ألف درهم ضريبةً عما كان بالمركب من الأمتعة[1].

إن هذه الرواية تكشف ما بلغه النشاط التجاري مع الصين من ازدهار في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وما حققه هذا التاجر من أرباح كبيرة في الوقت الذي بدأ فيه تجارته برأس مال يسير فيبدو أن تلك المدة كانت في معظمها أزهى فترات العلاقات التجارية بين جزيرة العرب والصين، وإن كانت هذه العلاقات قد تعكرت بعض الشيء بسبب الاضطرابات التي حدثت في الصين على أثر خروج الثائر يانشو[2] على ملك الصين وقد قام هذا الثائر بمحاصرة مدينة

---

(١) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٦٩؛ ويلحظ أن هذه الحادثة في زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م).

(٢) يذكر المسعودي: "أن نابغاً نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له يانشو وكان شريراً يطلب الفتنة، ويجتمع إليه أهل الدعارة والشر فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه، لخمول ذكره وأنه ممن لا يبالى به فاشتد أمره، ونما ذكره، وكثر عتوه وقويت شوكته، وعظم جيشه.. وشن الغارات على العمائر"..، مروج الذهب، ج١، ص١٣٨؛ وانظر العوامل المؤثرة في التجارة من هذا الكتاب.

خانفوا التي كان يقصدها تجار العرب، وقَتَلَ فيها من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس، سوى من قَتَلَ من أهل الصين مئة وعشرين ألف رجل[١]. ومهما يكن في النص من مبالغة فإنه يدل على عمق الصلة بين البلاد الإسلامية والصين في ذلك الوقت، وربما أثرت هذه الأحداث في النشاط التجاري بين الجزيرة العربية والصين؛ لأن التجار يندر قدومهم لمناطق الصراع، كما امتنع البحارة من الذهاب إلى موانئ الصين لكي لا يعرّضوا أنفسهم وأموالهم للخطر، ومع ذلك فإن التبادل التجاري لم ينقطع بين المنطقتين، وقد ظل قائمًا خلال مدة الاضطرابات هذه، ولكن كان معظم تجار الجزيرة العربية لا يصلون إلى الموانئ الصينية إنما كانوا يتوقفون عند مدينة كَلَه بار وهذا ما أشار إليه المسعودي بقوله: "وركب إلى بلاد كَلَه، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السِيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم، وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك"[٢]. فأصبحت بلاد كَلَه خلال هذه الفتنة ملتقى مراكب[٣] أهل الجزيرة العربية والصين يتبادلون فيها السلع والبضائع التي تحمل بين الشرق والغرب، وظل الأمر كذلك إلى أن سكنت الفتنة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فعادت السفن القادمة من الجزيرة العربية وغيرها تتردد

(١) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٧-١٣٨؛ ولزيادة المعلومات انظر: حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي، ص١٨٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠.

(٣) كانت السفن التي تبحر إلى الصين قوية وكبيرة حتى تستطيع مقاومة أخطار البحر، وحمل ما تحتاج إليه تلك السفرات الطويلة والمحفوفة بالمخاطر من مؤن ورجال وهي من السعة بحيث تكفي لحمل سلع وبضائع كثيرة تجني منها أرباحاً تتناسب وتلك المخاطر. عبدالرحمن العاني، دور العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ص١٤.

على الموانئ الصينية، كذلك بلغت المراكب الصينية ثغور الجزيرة العربية مثل مَسْقَط، وصُحار، وعَدَن[١]. فأصبحت العلاقات التجارية بعد ذلك بين الجزيرة العربية والصين منتظمة وزاد نشاطها في القرن الرابع الهجري حيث توثقت الروابط بين المسلمين والصين ولا سيما بعد المصاهرة التي قامت بين أسرة ملك الصين والأمير الساماني نصر بن أحمد الساماني[٢].

ونتيجة للمعاملة الطيبة، والتسهيلات التي كان يلقاها التجار من أهل الصين في تلك المدة، فقد حملت لطائف بلاد الصين من السلع والبضائع إلى بلاد الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الأخرى ما قرب منها وما بعد في البحر والتي تمر في الغالب بموانئ الجزيرة العربية ويحمل إلى الصين كذلك الطرائف والتحف والملابس غير المتوافرة في أسواق الصين[٣]. ومما يحمد لأهل الصين العدل في المعاملة وعدم الجور، يؤيد ذلك ما ذكره المسعودي بقوله: "الخصب والعدل لهم شامل، والجور في بلادهم معدوم"[٤]. واشتهرت الصين بإنتاج الخزف (الغضائر) وبصناعة الحرير[٥] المختلفة[٦].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٤٨ ، ٦١، ٦٨؛ المسعودي، ج١، ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) قامت بين أسرة ملك الصين والأمير الساماني نصر بن أحمد (٣٠١-٣٢١هـ/٩١٣-٩٤٢م) علاقة مصاهرة، حيث تزوج نوح بن نصر الساماني ابنة ملك الصين، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٤، بدر الدين حي الصيني، ص١٩٨-١٩٩؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف، علاقات الصين بديار الإسلام، ص٤٧)؛ وذكر الحموي أن والدها جهزها بمئتي خادم وثلاث مئة جارية من خواص خدمه وجواريه وحملت إلى خراسان إلى نوح بن نصر فتزوج بها.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٣.

(٤) المسعودي، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.

(٥) ذكر المسعودي مهارة أهل الصين فقال: "وأما أهل الصين فمن أحذق خلق الله كفاً بنقش وصنعة، وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم، والرجل منهم يصنع بيده ما يُقدّر أن غيره يعجز عنه"، (مروج الذهب، ج١، ص١٤٦).

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩- ٧٠).

ومما تشتهر به الصين وفرة المسك والعود والسمور(١) والديباج(٢) بالإضافة إلى وفرة الإنتاج الزراعي من الحبوب والفواكه التي أشار إليها السيرافي بالتفصيل عند كلامه عن أخبار الصين(٣).

وكانت مدينة خانفوا (كانتون) من أهم المراكز التجارية في الصين، حيث كانت مجمع التجار المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين فتصب فيها التجارات القادمة من الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى. كما أن مدينة الزيتون تُعَد من أهم المراكز التجارية في الصين لأنها تشتهر بصناعة السفن وبصناعة الخزف المتقنة(٤). ومن أبرز المراكز التجارية في الصين كذلك مدينة خَمْدَان التي تُعَد قصبة بلاد الصين، وتشتهر بسعة البلد وكثرة الخيرات، ولها أسواق حسنة يرتادها التجار المياسير(٥).

ويتجلى من الروايات التي أشارت إليها المصادر في غير موضع من هذا البحث أن العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والصين في هذه المدة كانت مزدهرة بين المنطقتين يؤيد ذلك تدفق السلع والبضائع من كل جانب على المراكز التجارية في الصين أو الجزيرة العربية.

---

(١) السمور : دابة تتخذ من جلدها فراءٌ ثمينة، أو هو الفراء نفسه، (زكي محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، ص٢٠).

(٢) الديباج: الحرير الصيني المنسوج بخيوط الذهب، (ابن منظور، ج١، ص٩٣٩).

(٣) أبوزيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٤٠.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٣٩، ٥٤١، ٥٧٣.

(٥) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٦٩. ووردت لدى المسعودي باسم حمدان، مروج الذهب ج١، ص١٤٢.

ب - طرق التجارة الخارجية :

ارتبطت الجزيرة العربية بمناطق التبادل التجاري الخارجية بطرق برية وبحرية، وتفاوتت درجة استعمال كل طريق بحكم العوامل الجغرافية والسياسية وما توفره من نواحٍ أمنية، ومما يجب مراعاته أن الجزيرة العربية ارتبطت بمناطق التبادل التجارية الشمالية منها بطرق برية وبحرية، في حين كان اتصالها المباشر بمناطق التبادل الأخرى في معظم الأوقات بالطرق البحرية.

١- الطرق البرية :

أ - الطرق البرية إلى العراق وما يليها من بلاد المشرق :

ترتبط الجزيرة العربية ببلاد العراق بواسطة الطرق البرية في معظم الأحيان؛ لأنه من الواضح أن الطريق البري أسهل وأكثر ربحًا للتجار من الطريق البحري إذا ما توافر لها الأمن ومنع اللصوص وقطاع الطرق، وتوافرت موارد المياه ولا سيما الطرق التي تعترضها بعض الصحاري نحو الحجاز والبحرين واليمامة وعُمان. وكان من أبرز هذه الطرق وأهمها ما يأتي :

طريق الكوفة وينطلق من مدينة بغداد التي كانت مستودعًا ومحطة تجارية لتجارات الهند وفارس والصين وخراسان، وأشار إلى نشاطها التجاري اليعقوبي فقال: "فيأتيها التجارات والميرة برًا وبحرًا بأيسر السعي، حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من أرض الإسلام وغير الإسلام"(١)، وذكر أيضًا أنه يحمل إليها من الهند، والسند،

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧.

والصين، والتُبّت، والترك، والدَيْلَم، والخَزَر، والحبشة، وسائر البلدان التي خرجت التجارات منها[١]، فتخرج القوافل إلى الكوفة وتمر منها ببعض المنازل الواقعة على جادة طريق الحجاز لكونها محطات لاستراحة الركب التي يتوافر فيها مناهل المياه، فأول هذه المحطات القادسية فالمغيثة[٢] فالقَرْعاء[٣] فواقصَة[٤] فالعَقبَة[٥]، فزُبالَة[٦] فالشُقُّوق[٧] فالثَعلبيّة[٨] فزَرُود[٩] فالأجْفُر[١٠] ففَيْد[١١] فتوُز[١٢] فسُمِيراء[١٣] فالحاجِر[١٤] ثم محطة معدن النَّقْرَة[١٥] التي عندها تتفرع الطريق إلى فرعين يتجه

---

(١) المصدر السابق، وانظر الخريطة شكل (٩).

(٢) المُغيثَة: منزل في طريق مكة بعد العُذيب نحو مكة، شُرْب أهلها من ماء المَطر، بينها وبين القادسية أربعة وعشرون ميلاً، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٢).

(٣) القَرْعَاء: منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة إذا كنت متوجهًا إلى مكة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٥).

(٤) واقِصَة: منزل بطريق مكة بعد القَرْعاء وقبل العقبة ويقال لها واقصة الحزون دون زُبالة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٤).

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٣٤؛ والعَقَبَة منزل في طريق مكة بعد واقِصَة لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٤).

(٦) منزل بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها سوق، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٩).

(٧) الشُقُّوق: منزل بطريق مكة من الكوفة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦).

(٨) من منازل مكة بعد الشقوق، وهي ثلثا الطريق من الكوفة، (المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨).

(٩) زَرُود: من منازل طريق مكة الكوفة وفيه بركة ماء وقصر وحوض، (المصدر نفسه، ج٣، ص١٣٩).

(١٠) الأجْفُر: موضع في طريق مكة بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخًا نحو مكة، (المصدر نفسه، ج١، ص١٠٢).

(١١) فَيْد: هو حصن كبير يمتد حوله ربض يطيف به سور، ويقيم في هذا المنزل العامل المكلف من قِبل الخلافة العباسية بأمر الطريق، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٦).

(١٢) تُوز: منزل في طريق الحاج بعد فَيْد للقاصد إلى الحجاز، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٨).

(١٣) سُمِيراء: منزل بطريق مكة بعد توز مصعدًا وقبل الحاجر، (المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٥- ٢٥٦).

(١٤) الحاجِر: موضع قبل معدن النقرة من جهة مكة، (المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٤).

(١٥) معدن النَّقْرَة: يروى بفتح النون وسكون القاف، ورواه الأزهري بفتح النون وكسر القاف، وهو منزل من منازل حاج الكوفة، (المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٨- ٢٩٩).

أحدهما إلى المدينة ويتجه الآخر إلى مكة[١]. فالآخذ إلى مكة يجتاز معدن النُّقْرة إلى محطة المُغيثَة الماوان[٢] فالرَّبَذَة[٣] فالسَّليلة[٤] فالعمق ومنه إلى معدن بني سُليم (مهد الذهب الحالي) فذاتُ عِرْق[٥] مرورًا ببعض المحطات الصغيرة، فبستان ابن عامر[٦].

وكان طريق الكوفة مكة يتخلل مناطق متباينة البيئة الجغرافية، فهو يقطع مناطق صحراوية وأخرى جبلية إذ حظي باهتمام الخلفاء العباسيين وأصحاب الشأن فأقاموا السواقي وجهزوا المحطات بالمياه الصالحة للشرب على طول الطريق وإقامة الاستراحات التي تتوقف عندها قوافل الحجاج والتجار وغيرهم من مرتادي الطريق[٧]. ولم يقتصر الاهتمام

---

(١) الحربي ، المناسك وأماكن طرق الحج، ص٥٤٥-٦٤٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٧٤- ١٧٧؛ (وللزيادة في المعلومات انظر: غيثان بن جريس، الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز، ص٤٥١ وما بعدها).

(٢) موضع ماء يعرف أيضًا باسم مغيث ماوان بين معدن النُّقْرَة والرّبذَة، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٢)؛ وأضيفت مُغيثَة إلى ماوان للتفريق بينها وبين المغيثة الواقعة بين العُذَيب والقَرعاء، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٣٢٢).

(٣) انظر : الراشد، سعد بن عبدالعزيز، درب زبيدة، ص٢٥٣.

(٤) السَّلِيلَة: موضع من الرَّبَذَة إليه ستة وعشرون ميلاً، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٣).

(٥) ذاتُ عِرْق: مَهَلٌّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة، (المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٩).

(٦) موضع يقال له بستان ابن عامر على مشارف مكة، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٧٦).

(٧) مما يزيد اهتمام الخلفاء العباسيين بأمر الطريق ما جاء في رسالة الخليفة المطيع إلى أبي تغلب الحمداني سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ومنها "وأمر بأن يوكل من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهارًا، ويستقر بها سهلاً وجبلاً، ويسير في برها وبحرها، ويقلد عليهم أهل النجدة والبسالة وذوي الشدة والجزالة، ويوعز إلى من يوليه أن يتبعوا مظان أهل الريب فيشردوهم عنها، ومكامن أهل العبث فيبعدوهم عنها، وأن يسيروا مع السابلة، ويصحبوا من يسلك الطرق من المارة ويحموا النفوس والأموال، وأن يحوطوا الذراري والتجارات، ويقفوا على من تخلف، ويسيروا بمسير من مقصده غول، ولا يلزموا أحدًا من المجتازين مؤونة، ولا يحملوه ثقلاً وكلفة، لتؤمن السبل وتحمى المسالك وتدر للرعية المتاجر وتستقيم لها أسباب العيش وتكون الطرق مضبوطة والآمال محوطة"، (الصابي، رسائل الصابي، ص١٣٤-١٣٥).

بأمر الطريق على توفير المرافق بها فحسب، بل كان يتم رصفها وإصلاحها لتتمكن القوافل المحملة بالتجارات وبالحجاج من اجتيازها في سهولة ويسر، ومن تلك الإصلاحات ما قامت بها السيدة خالصة(١) التي اشترت مئة عبد ليرصفوا الطريق من الأَجْفُر إلى المنزل بالحجارة لأن المنطقة كانت كثيرة الوحل واشترطت عليهم إن تموا ذلك فهم أحرار(٢). ومن أبرز الإصلاحات في هذه الطريق تلك التي قامت بها السيدة زُبيدة زوجة الرشيد(٣). وقد ورد في بعض المصادر أن نفقتها في الحج في ستين يومًا بلغت أربعة وخمسين ألف ألف دينارٍ(٤). وظلت هذه المرافق قائمة إلى ما بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث يذكر ابن جبير هذه المرافق في أثناء مروره بها في أواخر القرن السادس الهجري قائلاً : "وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة، انتدبت لذلك مدة حياتها فأبقت في هذه الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق، والله كفيل بمجازاتها، والرضا عنها"(٥).

---

(١) خالصة جارية الخيزران أم الخليفتين الهادي والرشيد وهي من قرية تُربة التي تقع بالقرب من مكة على مسافة يومين في واد فيه النخل والزرع والفواكه، ولهذه السيدة آثار عظيمة في المدينتين مكة والمدينة وفي الطريق إليهما، (السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص٦٢٧، ٦٨٧).

(٢) الحربي، كتاب المناسك وأماكن الحج، ص٣٠٥.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٤٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٦٦- ١٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٧٧؛ وانظر كذلك: سعد الراشد، درب زبيدة، ص٦٥، ٦٧.

(٤) الحربي، المصدر نفسه، ص٢٨٩، هامش رقم ٣.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٥.

أما الفرع الآخر من هذه الطريق فيتجه من معدن النّقْرة إلى المدينة مرورًا بالعُسَيْلَة(١) فَبطْن نخل(٢) ثم الشُقْرَة(٣).

ويتجه الطريق منها إلى المدينة عبر بعض المحطات التجارية الأخرى من أهمها بئر السائب(٤) التي تبعد عن المدينة أربعة وعشرين ميلاً(٥). ومن الإصلاحات التي قام بها خلفاء بني العباس الأوائل وضع العلامات التي توضح مسار الطريق كالأعلام والمنارات التي يهتدي بها المسافرون(٦).

ويخرج من أرض العراق طريق آخر يربط بلاد الحجاز بالبصرة مرورًا بعدد من المنازل والمحطات التجارية الواقعة على الطريق التي ذكرها الحربي في كتاب المناسك بشيءٍ من التفصيل(٧)، وهذه المحطات تكبر

---

(١) العُسَيْلَة: منزل ضيق الماء فيه خمس آبار منها ثلاثة مالحة وبئران عذبتان، (ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٦ وما بعدها؛ وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٥).

(٢) بَطْن نخل: يذكر حمد الجاسر أن هذا الموقع الآن قرية عامرة يقارب سكانها ألف نسمة، يدعه طريق المتوجه إلى المدينة من الحناكية على يمينه بعد أن يجاوزها بما يقرب عشرة أكيال، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طريق الحج، ص٥٢١، هامش رقم ١).

(٣) المصدر نفسه، ص٥٢١، والشُقْرة موضع بطريق المدينة المتفرع من درب زبيدة، وهو على ثمانية عشر ميلاً من النخيل في اتجاه المدينة وما تزال الشقرة معروفة، (انظر ما ذكره حمد الجاسر عنها في هامش ٣، ص٥٢١، من كتاب الحربي السابق).

(٤) بئر السائب: يقول عنها محقق كتاب المناسك: إنها على الطريق النجدي على (٢٤) ميلاً من المدينة وبها قصر وعمائر وسوق، سميت بذلك لأن عثمان - رضي الله عنه - حفرها للناس، ويقال لواديها العرينة، سيله يمضي منها فيدفع في الأعوص ثم في قناة، والجبل المشرف على بئر السائب يقال له شباع، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن الحج، ص٥٢٤، هامش، رقم ٣).

(٥) المصدر نفسه، ص٥٢٤.

(٦) ذكر الهمداني مراحل هذا الطريق إلى المدينة مع ذكر المسافات بينها، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٧؛ كما ذكر ابن منظور بعض وحدات القياس على الطريق فيذكر أن كل ما بين السكتين يسمى بريدًا، ويقول عن الميل: "وقيل للأعلام المبنية على طريق مكة أميال لأنها بنيت على مقادير البعد من الميل إلى الميل، كل ثلاثة أميال منها فرسخ"، (لسان العرب، ج١، ص١٨٩، ج٢، ص٤٩٧، ج٣، ص٥٥٧).

(٧) انظر الشكل رقم (١٠) الذي يبين مسار هذا الطريق والمحطات والمنازل الواقعة عليه.

وتصغر حسب أهميتها التجارية، من أبرزها النِّبَاج (الأسياح بالقصيم حاليًا) ومنها تتفرع هذه الطريق إلى فرعين أحدهما يتجه إلى مكة والفرع الآخر يسير إلى المدينة حيث يلتقي بطريق الكوفة إلى مكة في محطة معدن النّقْرَة ومنها يتابع طريقَ سيره إلى المدينة(١).

أما الطريق الذي يستمر إلى مكة، فيمر بعد ذلك بعدد من المنازل والمحطات حتى يصل إلى ضَرِيَّة(٢)، ومنها يخرج الطريق إلى مكة محاذيًا لطريق الكوفة حتى يلتقيه في أَوْطَاس ثم يمضي إلى ذات عِرق فبستان ابن عامر ومنه إلى مكة(٣).

كما يخرج طريق آخر من البصرة إلى اليمامة مرورًا بكَاظمَة(٤) فالقَرْعَاء فالصَمّان(٥)، ثم إلى اليمامة، ويخرج من اليمامة إلى مكة ويلتقي طريقَ حاج البصرة عند ضَريّة(٦). ويخرج من اليمامة فرع آخر من طريق البصرة في اتجاه اليمن مرورًا بالخرج فالفَلَج، فالعقيق(٧) فنَجْرَان ثم اليمن(٨).

---

(١) الحربي، كتاب المناسك وأماكن الحج، ص٥٨٧ وما بعدها؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٣٨؛ وانظر: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص١١٣؛ وكذلك غيثان بن جريس، الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز، ص٤٥٢.

(٢) عبدالله السيف، المصدر السابق، ص٨٠؛ وانظر: عمر دراز، الحمى في شبه الجزيرة العربية، ص٢١١.

(٣) ذكر الحربي أن ما بين البصرة ومكة أربعة وعشرون منزلاً، وعدد أميالها الصغار الأولى ست مئة وخمسة وسبعون ميلاً، (كتاب المناسك وأماكن الحج، ص٦٠٢- ٦٠٣).

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣١.

(٥) الصَمّان: أرض غليظة وفيها قيعان واسعة، وهي شرق الدهناء، وتجود أرضها بالنبت إذا أجدبت، بينها وبين البصرة تسعة أيام، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٣).

(٦) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٨؛ البكري، جزيرة العرب، ص١٥٢.

(٧) يذكر الهمداني أنه سمي عقيقًا لأنه معدن يعق عن الذهب، وهو على مرحلة من الفَلَج، صفة جزيرة العرب، ص٣١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص٣١٢-٣١٣.

كما ترتبط الأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية بالعراق بطريقين أحدهما الطريق البري الصحراوي الذي يخرج من البصرة فعَبَادَان ثم يدخل الصحراء إلى البحرين، وعلى الرغم من أنه أقصر من الطريق الآخر فإنه غير مسلوك كثيرًا،؛ لأنه تغلب عليه الصحراء وتندر فيه موارد المياه ودليل ذلك ما ذكره ابن حوقل بقوله: "والطريق من البحرين إلى عَبَادَان غير مسلوك ولا ماء فيه"(١). فمن الطبيعي أن تفضل القوافل السفر بالطريق الساحلي ما دامت قد فقدت الموارد المائية في الطريق الصحراوي.

أما الفرع الثاني فيخرج من البصرة في اتجاه البحرين بمحاذاة البحر، أثنى ابن حوقل على هذا الطريق وقدَّر مسافته بثماني عشرة مرحلة(٢)، وأنه يمر بعبادان فالخَطّ(٣) فالقطيف فالزّارة(٤) فجُوثاء(٥) فالغالبَة(٦) فالمُشَقّر(٧).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٧، وذكر ابن حوقل أن مسافته تقدر بإحدى عشرة مرحلة.

(٢) المرحلة: هي المسافة بين كل منزل وآخر، ويقدر بعدها في المتوسط حوالي خمسة وعشرين ميلاً أي ما يقرب من تسعة وأربعين كيلاً، (البكري، جزيرة العرب، ص١٥٢؛ وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٧).

(٣) الخط: من قرى البحرين تنسب إليها الرماح الخَطِّيَّة الجياد ويقال لسيف البحرين خَط، (البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٠٣. وذكر الحربي، أنها فرضة من فرض البحرين وساكنها عبدالقيس وأكثر غلتها النخل والسمك، كتاب المناسك، ص٦٢١).

(٤) الزّارة: عين الزارة بالبحرين معروفة، والزارة قرية كبيرة بها، (البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٩٣؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٦).

(٥) جُوثاء: قصر لعبدالقيس بالبحرين، وجواثاء أول موضع جُمّعت فيه الجمعة بعد المدينة، فقد استجاب المنذر بن ساوئ لدعوة الرسول - ﷺ - فأسلم وأسلم معه معظم أهل هجر وانتشر الإسلام في البحرين بسهولة ويسر وعن اقتناع تام، والبكري يقول عنها: إنها مدينة بالبحرين تكثر فيها أمتعة التجار، (معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٠٢).

(٦) الغالبَة: هي قرية بالبحرين، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٨٢- ٢٨١).

(٧) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٧٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٨٢.

ويستمر من البحرين الطريق الساحلي في اتجاه عُمان، فيمضي من ساحل هَجَر فالعُقير فقطر[١] فالسبخَة[٢] ثم إلى عُمان ثم يتجه الطريق بعد ذلك من عُمان إلى جنوب الجزيرة العربية فيمر بمِرْبَاط[٣] ومنها إلى حَضْرَمَوْت، فعدن فصنعاء ومنها إلى مكة فجدة ثم يسير إلى أَيْلَة، ومنها يخرج فرع من الطريق إلى بَالِس[٤]، فالكوفة ثم إلى البصرة، يقول الإصطخري: "فهذا هو الدور الذي يحيط بها"[٥]. ويقصد الطريق الذي يدور حول الجزيرة العربية، وفصَّل الإصطخري مراحل هذه الطريق حيث ذكر المسافة بين كل محطة وأخرى[٦].

ولم تكن الطرق التجارية التي تربط الجزيرة العربية بالعراق تتوقف في الكوفة أو البصرة أو بغداد، وإنما كانت ترتبط هذه المدن ببعض بلاد الشرق الإسلامي وما جاورها من البلاد الأخرى الواقعة في أواسط آسيا أو في جنوبها الشرقي مثل فارس وخُراسان والهند وبلاد ما وراء النهر والصين، فكانت القوافل البرية التي تقل التجار والحجاج تفد من تلك الجهات إلى

(١) قطر، إحدى إمارات الخليج العربي، (انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٧، هامش رقم ٤). وذكرها ياقوت بقوله: "وهي في أعراض البحرين على سيف الخط بين عُمان والعُقَيْر... وأحسب الثياب القطريَّة تنسب إليها"، (معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٣).

(٢) السّبخَة: من قرى البحرين، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٨٣).

(٣) مِرْبَاط: فرضة مدينة ظَفار بينها وبين ظَفار مقدار خمسة فراسخ، وكان لمرباط مرسى جيد كثر ذكره على أفواه التجار، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٩٧).

(٤) بَالِس : بلدة بالشام بين حلب والرقة وكانت على ضفة الفرات الغربية، (المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٨).

(٥) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧.

(٦) أحيانًا يذكر الإصطخري المسافات بين كل محطة وأخرى وذلك بتقديره لعدد المراحل، وفي مواضع أخرى يذكر المدة بالشهر والأيام التي تسغرقها رحلة القوافل بين بعض المحطات، فيذكر مثلاً من البحرين إلى عُمان نحو شهر، (المسالك والممالك، ص٢٧).

الجزيرة العربية في معظم الأوقات عبر المدن العراقية، فقد اتصلت العراق بفارس والهند وخُراسان والصين بواسطة الطرق البرية في بعض الأحيان، وهذه الطرق بلا ريب مكنت التجارة بين الشرق والغرب من الازدهار والانتعاش، ومن أهم هذه الطرق ما عُرف بطريق الحرير الذي يزيد طوله على أحد عشر ألف كيلو متر، ومن الطبيعي أن يجتاز أنواعًا من الأرضين حيث يخرج من الصين ويمر بسَمَرْقَنْد وبُخَارى والرّيّ، وهَمَذَان مرورًا ببلاد خُراسان إلى أن يصل إلى بغداد ومنها إلى الجزيرة العربية، في حين يخرج فرع آخر منه في اتجاه البلاد الشامية حتى يصل إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنه إلى مختلف الجهات الأخرى(١). وأيضًا هناك الطريق الذي يخرج من بغداد إلى البصرة فالأهواز، ثم إلى فارس ومنها إلى كَرْمَان(٢) ثم إلى السند ويسير بعد ذلك إلى الهند ومنها إلى الصين(٣). وكانت هذه الطريق عامرة بالحركة التجارية التي تنقلها القوافل القادمة من مختلف الأقاليم، والتي كانت تستخدمها في نقل السلع والبضائع بين الشرق والغرب(٤). ومما يدل على إقبال القوافل على هذه الطريق ونشاطها

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨- ٢٧٠، وانظر:

S.M. IMAMUDDIN, COMMERCIAL OF SPAIN WITH IRAQ, PERSIA-KHURASAN, CHIAN AND INDIA IN THE 10TH CENTUARY A.D. ISLAMIC CULTURE, VOL. XXX (1961) P, 177-178. BOULNOIS, THE SILK ROAD, NEW YORK, 1966, PP. 6-73.

وانظر: حسين المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص٢٢٣؛ وانظر: لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ص٥٤؛ نقولا زيادة، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي، ص٢٨٨.

(٢) كَرْمَان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد واسعة وقرى ومدن بين فارس ومُكْرَان وسِجِسْتَان وخُراسان، فشرقيها مُكْران ومفازة ما بين مُكْران والبحر من وراء البَلُوْص وغربها أرض فارس، وشماليها مفازة خُراسان، وجنوبيها بحر فارس، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤).

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤، ١٥٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٩٨-٣١٢.

(٤) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٥٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ٤٦٧، ٤٧٣، ٤٧٥.

التجاري مقدار الضرائب التي كانت تفرض على التجار في أثناء تنقلهم خلالها من مكان إلى آخر، وقد أشار إليها المقدسي عند كلامه عن مسار الطريق بين الهند والجهات الأخرى، حيث كانت القوافل التجارية التي تستخدمها تدفع مئة وخمسين درهمًا ضريبةً عن الحمل الواحد(١).

وأشار المسعودي إلى امتداد طريق القوافل المتجهة من الهند إلى خُراسان، ومنها يلتقي بالطريق الجبلي المتجه إلى بغداد، ثم يتصل بالجزيرة العربية عن طريق(٢) الحج البري أو عن طريق الساحل الشرقي عبر البحرين وعُمان(٣).

ويذكر ابن فضلان الطريق التجاري إلى بلاد الروس(٤) في الشمال، وقد وصف هذا الطريق بدءًا من بغداد مرورًا بفارس وخُراسان في أثناء زيارته لبلاد الفولغا سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م على رأس وفد عباسي إلى ملك السولاف(٥). وكانت الطرق من بغداد إلى خُراسان أو إلى الهند التي سبقت الإشارة إليها صالحة للارتياد في تلك المدة؛ لأن السلطات العباسية كانت مهتمة بمراقبتها وحمايتها من اللصوص وتوفير الحماية للتجار(٦). ومن

---

(١) المقدسي، المصدر السابق، ص٤٨٥.

(٢) مثل طريق بغداد والكوفة مكة، وطريق البصرة، البحرين واليمامة، مكة.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥٦- ١٥٧.

(٤) ويذكر المسعودي أن الروس أمم كثيرة وأنواع شتى، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر، (مروج الذهب، ج١، ص١٨٢).

(٥) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٦٧، ١٧٢؛ وانظر: لومبارد الجغرافيا التاريخية، ص٢٦١؛ وبلاد الفولغا هي بلاد الخزر في روسيا الحالية، والسلاف هم الشعوب المنتشرة في سهول روسيا.

(٦) أشار الطبري أنه في عام ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م تم تنصيب والٍ للإشراف على أحوال طريق بغداد خُراسان وذلك من قِبل الخليفة العباسي مباشرة، (تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٠٥- ٥١٤٠)؛ كما أوضح ابن خلدون التدابير التي اتخذها عضد الدولة لحماية طريق البصرة كَرْمَان، وحمايته من قُطّاع الطرق الذين كانوا يخيفون السبيل برًا وبحرًا، فقضى عليها سنة ٣٦١هـ/٩٧١م ومحا ما كان من الفساد منهم، (تاريخ ابن خلدون، ج٨، ص٩٥١-٩٥٢).

الطبيعي أن تشجّع هذه التسهيلات على ارتيادها ونقل تجارتهم من الصين والهند وخُراسان وغيرها من أقطار أواسط آسيا الأخرى في اتجاه البلاد العربية لتصبّ معظمها في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، ومنها يتم نقل الفائض عن حاجة السوق بها من السلع إلى الجزيرة العربية حيث كانت أسواقها تستقطب التجار لرواجها.

ب - الطرق البرية مع الشام ومصر:

ترتبط الجزيرة العربية ببلاد الشام ببعض الطرق البرية التي كانت تسلكها القوافل في أثناء تنقلها بين المنطقتين، ومن أبرز هذه الطرق تلك التي تخرج من مدينة دمشق في اتجاه الحجاز، مرورًا ببعض المنازل والمحطات الواقعة على هذا المسار مثل الصَّنَمَين(١). فأذْرِعات(٢) فالزَرْقَاء(٣) فقَسْطَل، ومنها إلى مَعَان الواقعة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز، ثم يستمر الطريق إلى ذات المَنَار(٤) فالمُغيثَة ومنها إلى سَرْغ(٥)، فتبوك فالمُحدَثة(٦) فالأَقْرَع ثم الجُنَيْنَة(٧) فالحِجْر(٨) فوادي القُرى، وتلتقي في هذه المحطة طريقُ

---

(١) قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣١).

(٢) أذرعات، بلد في أطراف الشام المجاورة لأرض البلقاء وعُمان، (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٠).

(٣) الزرقاء، موضع بالشام بناحية مَعَان على الطريق المتجه إلى الحجاز، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٧).

(٤) موضع بالشام من ديار بَلْقَيْن، (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٣ وانظر الخريطة شكل ٩).

(٥) سَرْغ: هو أول الحجاز وآخر الشام بين المُغيثَة وتبوك من منازل حاج الشام، وفيه لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢١١-٢١٢).

(٦) منزل به ماء ونخل عامرة، المصدر نفسه، ج٥، ص٦٠.

(٧) الجُنَيْنَة: من منازل طريق الشام عامرة قرب وادي القُرى، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٣).

(٨) اسم بلد ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وقد نزله رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك، (البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٢٦؛ وانظر: ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٠- ٢٢١).

الشام بطريق العراق المتجهة من الكوفة إلى هذه الناحية[١]، ومنها إلى السُقْيَا[٢]، وعندها التقاء طريق القوافل القادمة من هذه الناحية مع القوافل القادمة من مصر[٣]. ثم إلى عِتَاب فالمَرْوَة[٤] فالمُرّ[٥] فالسّوَيْدَاء[٦] فالأَرَاك ومنه إلى ذي خُشُب[٧] ثم المدينة[٨]. ويخرج الطريق بعد ذلك من المدينة في اتجاه مكة المكرمة وذكر اليعقوبي أن المسافة بينهما عشر مراحل[٩].

وهناك طريق آخر تربط الجزيرة العربية بالشام تخرج من فلسطين إلى أَيْلَة (العقبة) في اتجاه الحجاز، وكانت الطريق منها تتفرع إلى فرعين، تأخذ القوافل أحدهما إلى كل من المدينة ومكة إما الطريق الداخلية أو الطريق الساحلية، وكانت الطريق الأولى تُعرف بالتّبُوكيّة أما الثانية فيُطلق عليها اسم المُعْرِقة وكانت تسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر في اتجاه الجنوب والشمال[١٠].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٣ وما بعدها.

(٢) السُقْيَا: تعرف بسقيا يزيد وسقيا الجزل للتفريق بينها وبين سقيا غفار الواقعة في الطريق بين مكة والمدينة، وسقيا هذه تقع في وادي القرى، (الحربي، المصدر السابق، ص٦٥٠، هامش رقم ٧).

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥٣.

(٤) المَرْوَة: يذكر حمد الجاسر أنّ ذا المروة مدينة كانت مشهورة ودرست أي خربت، وقام على أنقاضها قرية تدعى أم ذرب، (المصدر نفسه، ص٦٥٠، هامش رقم ٩).

(٥) المُرّ: واد في بطن إضَم بعد ذي المروة على طريق الشام، المصدر نفسه، ج٥، ص١٠٦.

(٦) السّوَيْدَاء: بلدة على ليلتين من المدينة على طريق الشام، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٦).

(٧) ذو خُشُب: من الأودية الواقعة شمال المدينة، في طريق وادي القرى، (الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٥١).

(٨) المصدر نفسه، ص٦٥٠- ٦٥١، ٦٥٣.

(٩) وذكر اليعقوبي كذلك أن المسافة بين المدينة ومكة مئتان وخمسة وعشرون ميلاً، (كتاب البلدان، ص٧٧).

(١٠) ذكر الطبري هذين الطريقين في حديثه عن حملة أبي بكر التي وجهها في سنة ١٢هـ/٦٣٣م لفتح الشام، حيث سلك عمرو بن العاص طريق المُعرِقة في حين خرج يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة على طريق التبوكية، (تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٨٧٠)، ومما هو جدير بالإشارة إليه أن تجار قريش كانوا يسلكون هذين الطريقين قبل الإسلام مثل تلك القافلة التي اعترضها الرسول - ﷺ - في غزوة بدر وهي عائدة من الشام في طريقها إلى مكة على الطريق الداخلية، ولما أحس أبو سفيان بالخطر حول القافلة إلى الطريق الأخرى المعروفة بالمعرقة، (ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٢٦١).

وأشـار ابن خـرداذبة إلى منازل الطريق الداخليـة (التبـوكيـة) ومـحطاتهـا التي تخرج من أَيْلَة إلى حَقْل(١) فمَدْين التي تبعد عن أَيْلَة خمس مراحل ثم إلى منزل الأغَر فمنزل قَالِس(٢) فالكلاَبيـة(٣) فإلى بَدا(٤) فالسّـرحَتَيْن فالبَيْضَاء ثم وادي القُرى ومنها إلى المدينة عبر المنازل التي مرّ ذكرها(٥).

أما اتجاه الطريق الساحلي (المُعْرِقة) فذكر اليعقوبي أنها تخرج كذلك من أَيلَة إلى عَيْنُونَا(٦) فالعَوْنيد(٧) فالصَّلا(٨) ثم إلى النّبْك (المويلح) ومنها تمضي إلى القُصَيْبة فالبُحْرَة فَتبْعَل فظُبَة، ثم إلى الوجه فمُنْخُوس فالحَوْراء، فالجار، ومنه يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما يتجه للمدينة والآخر يستمر إلى مكة مارًا بالجُحْفَة، ثم إلى قُدَيد فعُسفَان ثم إلى بَطْن مَرّ(٩).

وذكر اليعقوبي أيضًا أن الطريق الساحلي كان مرتادًا في أيامه أي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي(١٠). ويبدو أن القوافل

---

(١) حَقْل: يقال إنه ساحل تيماء، وهو أيضًا قرية بجنب أيلة على البحر، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٨). وهي الآن مدينة زاهرة وميناء رئيس آهل بالسكان تتوافر فيها كل الأجهزة الحكومية.

(٢) قَالس: ورد لدى الحربي باسم فالس، ويقول إنه شمال الحجاز، (كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦٥٠).

(٣) وحقق موسل أن هذا الموضع هو العين المعروفة باسم الكليب على بعد ٥٠ كيلاً من الأغر، (الحربي، المصدر السابق، ص٦٥٠، هامش رقم ٣).

(٤) بدا: يقول البكري: موضع بين طريق مصر والشام، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٢٣٠؛ ويقول حمد الجاسر: لا يزال معروفًا، قرية يبلغ سكانها ٣٠٠ نسمة، (انظر: الحربي، المصدر السابق، ص٦٥٠).

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤٩. وانظر مسار الطرق البرية مع الشام ومصر من هذا الكتاب.

(٦) عَيْنُونَا: هي قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجوا، ويقول عنها حمد الجاسر: لا تزال معروفة بالقرب من شعيب وفيها نخل، (الحربي، المصدر السابق، ص٦٥١، هامش رقم ٥).

(٧) العَوْنيد: موضع قرب مدين بينها وبين الحوراء على جادة الطريق إلى المدينة، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٩)..

(٨) وردت عند الحربي باسم المصَلّى وهي عين تجري بقرب شاطئ البحر، (كتاب المسالك، ص٦٥١، هامش رقم ٦).

(٩) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص٩٨، ولزيادة المعلومات انظر:
AL WOHAIBI, THE NORTHERN HIJAZ. P. 335, 336.

التجارية التي تقصد مكة المكرمة دون المرور بالمدينة كانت تفضل السفر على الطريق الساحلي.

إن الطرق التجارية البرية مع بلاد الشام لم تكن تنتهي عند مكة والمدينة فحسب بل إن بعضها يستمر من مكة في اتجاه اليمن حتى عدن، وكانت هذه الطريق تُعرف قبل الإسلام بطريق البخور التي تبدأ من عدن وتنتهي بمدينة غزة على ساحل البحر الأبيض مرورًا بمكة وغيرها من مدن بلاد الحجاز وقراها الواقعة على الطريق(١).

أما الطريق البرية التي تربط الجزيرة العربية بالبلاد المصرية وما وراءها من أقطار شمال إفريقيا التي تسلكها قوافل الحجاج والتجار، فكانت تخرج من الفُسْطَاط في اتجاه المشرق مرورًا بأول منزل يقال له جُبّ عَمِيرة(٢)، فالقَرْقَرة(٣) فعَجْورد(٤)، فالقُلْزُم التي كانت من أبرز محطات هذه الطريق، ومنها تمضي الطريق عبر الصحراء إلى مدينة أَيْلَة فيلتقيها الطريقُ الشامي، ومنها تسلك القوافل القادمة من مصر وشمال إفريقيا إحدى الطريقين اللتين تسلكهما القوافل الشامية في اتجاه الحجاز المتقدم ذكرهما حتى تصل المدينة أو مكة في الجيئة والروحة(٥).

وكانت القوافل المتجهة إلى المغرب تخرج من الفُسْطَاط ومنها إلى ذات

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٦٣؛ وانظر لمزيد من المعلومات : لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص١٧٦.

(٢) في هذا المنزل يجتمع الحجاج يوم خروجهم، ويقول الشاعر:

بجُبّ عِميرَةَ ألقَتْ عصاها رِفاقُ الوافدين إلى الحَرِيم

اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨.

(٣) القَرْقَرة: منزل في الصحراء لا ماء بها، (اليعقوبي، المصدر السابق، ص٩٨).

(٤) منزل به بئر قديمة بعيدة الرشاء، (المصدر نفسه، ص٩٨).

(٥) البكري، جزيرة العرب، ص١٥٤؛ الجزيري، درر الفرائد، ص٤٥٠.

السـلاسل وإلـى منزل يقـال لـه تَرْنُوط(١)، وحـتـى تصل إلـى بَرْقَـة ومنهـا إلـى طَرَابُلُس مرورًا ببعض المحطات الأخـرى الصغيرة مثل أَجْدَابيَة وسُرْت، ومن طَرَابُلُس يتجه الطـريق إلى قَابِس ثم منها إلى أن ينتهي في مـدينة القَيْرَوَان، ثم تتفـرع منها الطريق إلى فـروع عدة أبرزها التي تتجـه إلى الشمـال الغربي لإفـريقيـا وتنتهي في السّوس الأقصى(٢). فكانت القـوافل التجارية للحجـاج تسلك هذه الجادة التي كانت عامرة في تلك المدة(٣).

وتجـدر الإشـارة هنـا إلى وسـائل النقل التي كـانت تسـتـخـدم على الطـرق البرية، يأتي منهـا الخيل والبغال والحمير والجمال وأشـار ابن حوقل إلى أن الجـمـال كـانـت أفـضل هـذه الحـيـوانات في نقـل البـضـائع عـبـر المسـالك الصحراوية، فـالوسـائل الأخرى المحملة بالأثقال كانت لا تستطيع عبورها إلا لمسافات قصيرة وغير وعرة(٤). فالجمل يستطيع اجتياز المناطق الصحـراوية الجـافـة لأنه يتـحـمل العطش والجـوع والأحـوال الصـعبـة. وكـانت القـوافل التـجـارية تفضل اجتيـاز الطرق الصـحـراوية في مـعظم الأوقـات خـلال الليل لكي تتجنب شـدة الحـرارة ولهـيب الشـمس في أثنـاء النهـار، في الصـحـاري العربية مثل الصحراء الواقعة شمال الجزيرة العربية وشرقها(٥).

---

(١) تَرْنُوط: قرية بين مصر والإسكندرية وهي كبيرة جامعة على النيل فيها أسواق ومسجد جامع، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١١٥؛ عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص٣٠٦ وما بعدها.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٣، ص١.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٢ وما بعدها.

(5) OSER E, MERCHANT MAKE HISTORY LONDON 1936, P. 96. BULLIET, THE CAMEL AND THE WHEEL, P. 55.

ويمكن القول بأن الجمل حمولته أكثر من الدواب الأخرى حيث تبلغ حمولته أكثر من (٢٥٠) رطلاً شرعيًا وفي هذه الحالة يتمكن التجار من حمل أمتعة على الجمال أكثر من حمولة الدواب الأخرى.

ويبدو أن أصحاب القوافل كانوا يراعون توافر الأعلاف والمياه في محطات الطرق التي يستريحون فيها من وقت لآخر فضلاً عن أهمية توافر السكان والأسواق في المحطة التي تتوقف عندها القوافل للاستراحة من عناء الطريق، ولمزاولة التبادل التجاري مع أهل كل منزل أو محطة يتوقفون عندها في سفرهم.

٢ - الطرق البحرية :

موقع الجزيرة العربية الجغرافي أهَّلَها لأنْ تكون حلقة اتصال تجاري بين المشرق والمغرب فهي تشرف على ثلاثة ممرات بحرية هي: البحر الأحمر، والمحيط الهندي (البحر العربي) والخليج العربي، وفيها كانت تلتقي الطرق البحرية[١] التي تسلكها شتى القوافل البحرية لنقل السلع والبضائع من مختلف مناطق التبادل التجاري التي ألمحنا إليها فيما سبق، فكانت شواطئ الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية والغربية تضم الكثير من الموانئ الصالحة لاستقبال السفن القادمة أو المغادرة فكانت بمثابة محطات تجارية نشطة لوقوعها على الطرق البحرية ولا سيما أن الملاحة في البحار التي تشرف عليها الجزيرة العربية كانت أيسر من غيرها بحكم حركة الرياح الموسمية المنتظمة في مختلف المواسم[٢]، ومن أهم الطرق البحرية التي تربطها بالمناطق الأخرى ما يأتي :

---

(١) انظر الخارطة رقم (١٢).

(٢) جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٩؛ سعد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص١٨ وما بعدها.

١ - الطريق البحري إلى العراق :

الطريق البحرية التي كانت تربط الساحل الشرقي للجزيرة العربية بالبلاد العراقية كان يفضلها كثير من أصحاب التجارات على الطريق البرية التي كانت تصل البحرين بالبصرة على الرغم من وجود بعض الأخطار التي تعترض السفن التجارية الآتية من الساحل الشرقي للجزيرة العربية والتي أشار إليها المسعودي بقوله : "الخشبات في فم البحر مما يلي الأُبُلّة وعَبّادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكراسي في جوف البحر خوفًا على المراكب الواردة من عُمان وسِيراف وغيرها"(١).

ومسار هذه الطريق البحرية المؤدية إلى العراق كما يأتي: من مَسْقَط إلى صُحَار، ومنها تعبر السفن مضيق دُرْدُور، وهذا الموضع بين جبلين، ويقال لأحدهما كُسَير والآخر عُوَيْر تسلكها السفن الصغيرة ولا تسلكها السفن الصينية الكبيرة التي تتجه إلى سِيراف مباشرة من مَسْقَط أو صُحَار، ثم تتجه على خط ساحل البحرين فتمر قطر وبعض الموانئ الأخرى مثل العُقَيْر ودارِين والقطيف إلى أن تصل إلى جزيرة أُوال (البحرين حاليًا) فكانت تقف عندها كل السفن التجارية المتجهة إلى العراق أو الخارجة منه إلى الجزيرة العربية أو الهند أو شرق إفريقيا، ويذكر ابن حوقل أن هذه الجزيرة كانت مركزًا لجمع الضرائب المفروضة على التجارات التي تمر بها(٢). ثم تمضي

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٦؛ وذكر الإصطخري الهوارات التي كانت تعترض السفن في هذا الساحل، المسالك والممالك، ص١٦.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١ وما بعدها، ولزيادة المعلومات انظر:
MILES: THE COUNTRIES AND TRIBES OF THE GULF, VOL. 1 P. 127.

السفن منها إلى موضع الخشبات التي تقع على مقربة من ميناء عَبّادان فهي على بعد فرسخين منه مما يلي البحرين[١]. ومن هذا الموضع تصل السفن عَبّادان الواقع على فم الخليج العربي الذي يبعد عن البصرة اثني عشر فرسخًا، ثم تخرج السفن منه إلى ميناء الأُبُلّة وفيها يتم تفريغ البضائع من السفن الكبيرة ثم يتم إعادة نقلها بسفن صغيرة إلى البصرة التي تُعَدّ مدخل العراق من جهة الخليج العربي. ويتجلى ذلك من وصف الجاحظ لها بقوله: "هي باب بغداد الكبير ومدخل دجلة المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا"[٢]، فكانت الطريق البحرية بين الجزيرة العربية والعراق عامرة بالنشاط التجاري، فكانت السفن التجارية تنتقل بين المنطقتين بما تحمله من ثروات تجارية سواءٌ الصادر منها أم الوارد[٣].

فكان لأهل البصرة مراكب بحرية خاصة بهم يحملون عليها السلع والبضائع، فلا يتوقفون عند ساحلها الشرقي وإنما يتجهون من مَسْقَط إلى الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، فتصل مرفأ ظَفَار ثم الشِحْر حتى تصل إلى مدينة عدن، ورُبّما لا تتوقف عندها في معظم الأحيان، وإنما تواصل مسيرها في اتجاه البحر الأحمر إلى أن تصل إلى ميناء جدة والجار في الحجاز[٤].

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠؛ السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١٤- ١٦؛ قدامة ابن جعفر، كتاب الخراج، ص١٩٣.

(٢) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦١؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٨ وما بعدها.

(٤) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧؛ السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٥-٩ ٩٠.

كـمـا أن هناك طريقًـا بحـريًا يصل بين الجـزيرة العـربيـة بالسـاحل الفارسي، فقد كانت السفن في الغالب تتجه من مَسْقَط وصُحَار إلى ميناء سِيراف وغيرها من الموانئ الأخرى على ساحل بلاد فارس، ويتضح لنا أثر هذه الطريق البحرية مما ذكره سليمان التاجر عندما وصفها بقوله: "فإذا عُبِّيَ المَتَاعُ بسِيراف، استعذبوا منها الماء، وخطفوا (أقلعوا) إلى موضع يقال له مَسْقَط، وهو آخر عُمان. والمسافة من سِيراف إليه نحو مئتي فرسخ. وفي شرقي هذا البحر، فيما بين سِيراف ومَسْقَط من البلاد، سِيفُ بني الصَفَّاق، وجزيرةُ ابن كاوان"(١). والطريق هذه لم تكن تتوقف عند مَسْقَط على الساحل العُماني، وإنما كانت تسير منها السفن في اتجاه جنوب الجزيرة العربية فتصل موانئ اليمن والحجاز في الاتجاه نفسِه الذي كانت تسلكه السفن العراقية التي أشرنا إليها سالفًا(٢).

٢ - الطريق البحري إلى شرق إفريقيا :

كان للجزيرة العربية صلات تجارية مع الساحل الإفريقي كما ألمحنا لذلك من قبل، وكان يتم التبادل التجاري بين المنطقتين من خلال طرق تخرج من أي من المراكز البحرية المتعددة على سواحل الجزيرة العربية سواءٌ من عُمان أم من اليمن. من أهمها الطريق التجارية التي تخرج من عدن في اتجاه شرق إفريقيا حتى تصل إلى أول محطة تجارية على ذلك الساحل وهي حَافُون(٣). وعن طريق هذا الميناء سارت السفن في اتجاه

---

(١) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٥ ، ٣٦.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣؛ السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٩٠.

(٣) ويقال له أيضًا حافوني، يعرف رأس حافون على الساحل الصومالي، (ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، ص٨١ وما بعدها؛ وانظر: صباح إبراهيم الشيخلي، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، أبحاث ندوة رأس الخيمة، ج٢، ١٩٧٧م، ص٦٤).

الجنوب على ساحل إفريقيا الشرقي حتى تصل مَقْدَشُو التي هي أول بلاد الزِّنْج[١]، ثم تمضي منها إلى المراكز التجارية الأخرى. وبعد أن تتزود بحاجاتها من التموين بمياه الشرب تبحر إلى بَراوة ومنها تخرج إلى مدينة باتا ثم إلى لامو وتستمر في السير منها في اتجاه الجنوب حتى تبلغ مدينة مالندي ومنبَسَة، وبعدها تخرج في اتجاه قناة زنجبار، ومنها إلى مدينة كُلْوة فكانت هذه المدينة من أهم المراكز التجارية على هذا الساحل[٢]. ثم تنتقل السفن التجارية من كُلْوة بعد ذلك في اتجاه الجنوب أيضًا إلى أن تبلغ بلاد سُفَالَة (موزمبيق) التي تعد نهاية الساحل الإفريقي[٣] وذكرها المسعودي بقوله: "وهي أقاصي بلاد الزَّنْج وإليها تقصد مراكب العُمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزَّنْج"[٤].

كما أنه تخرج من عُمان أيضًا طريق أخرى في اتجاه شرق إفريقيا تبدأ من رأس الحد بالساحل العُماني، وفي هذا الموضع مدينة صُحَار وهي قصبة بلاد عُمان، فكانت السفن القادمة من طريق الخليج العربي ترسو في هذا الميناء الذي كان يتلقى البضائع من موانئ البحرين والعراق وفارس، حيث كانت تمر بها السفن التجارية المتجهة للساحل الجنوبي للجزيرة العربية، فبعضها كان يقصد إفريقيا أو يعود إليها في رحلة العودة، ويتجلى لنا ذلك فيما أشار إليه المسعودي عندما ركب هذا البحر مع جماعة من

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧- ١٠٨؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافية، ص٨١.

(٢) بزرك، عجائب الهند، ص٧٢؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٨٣؛ جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٣١- ٢٣٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٦-٨، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٧٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٦، وقال أيضًا عن هذا الموضع: "وكذلك أقاصي بحر الزَّنْج هو بلاد سفالة".

نواخذة السيرافيين، وهم أرباب المراكب من جزيرة قَنْبَلو إلى عُمان[١]. ثم تتجه السفن بعد ذلك من ميناء صُحَار إلى جزيرة سُقُطْرَى (سقطرَه) مباشرة، وكانت هذه الجزيرة على الطريق الذي يربط بين بلاد الزَّنْج وبلاد العرب، وهي تشتهر بإنتاج الصبر[٢]. والسفن التجارية المبحرة من سُقُطْرة إلى الساحل الإفريقي الشرقي ترسو عند جزيرة قَنْبَلو جنوب شرق إفريقيا، وكانت المسافة بينها وبين عُمان نحوًا من خمس مئة فرسخ[٣]. ويبدو أن أصحاب السفن التجارية لا يفضلون هذه الطريق؛ لأنها كانت محفوفة بالمخاطر، لذلك كانت معظم السفن تتحول إلى الطريق الأخرى التي تخرج من عدن[٤].

ومما شجع التجار على طرق هذا المسار المؤدي إلى شرق إفريقيا قرب ساحلها من الجزيرة العربية عند هذه المنطقة، وكذلك قلة أخطار هذه الطريق، لذلك كانت الصلة بين الجانبين قوية وكان السفر بينهما مباشرة وتستغرق الرحلة من ثلاثة أسابيع إلى أربعة[٥]. وقد تبقى السفن في الموانئ الإفريقية لتزاول نشاطها التجاري في البيع والشراء إلى أن تتمكن من العودة إلى الجزيرة العربية مع هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تكون في غالب الأحيان مع منتصف أبريل[٦]. فكانت حركة السفن تسير وفق موسم الرياح، وكان على التجار الانتظار حتى الموسم التالي حين

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧- ١٠٨.

(٢) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٨٩؛ البكري، جزيرة العرب، ص٣٤- ٣٥، ١٣٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٩٨.

(٤) جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٣، ٣١.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠- ٦١.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١١٢؛ وانظر: شوقي عطا الله الجمل، دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، ص١٣ وما بعدها.

تهب الرياح الموسمية في عكس اتجاهها، وعلى هذا يستأنفون رحلاتهم دائمًا، وكان من الطبيعي أن يلم ربابنة السفن العربية وغيرها بفصول الرياح ومواعيد هبوبها واتجاهاتها(١).

٣ - الطريق البحري إلى مصر:

تميز الساحل الغربي للجزيرة العربية بموقعه الجغرافي، حيث إنه يمتد على البحر الأحمر الذي يعد من أهم الممرات التجارية في العالم، فعن طريقه ترتبط الجزيرة العربية بالبلاد المصرية وما يليها من الأقطار الأخرى بطريقين بحريين تسافر من خلالهما السفن المحملة بالبضائع أو الحجاج قادمةً من البلاد المصرية أو قادمة إليها، ومن يأتي إليها من شمال إفريقيا والأندلس، فكان أحد الطريقين يخرج من ميناء جُدة فتخرج منه معظم سفن البحر الأحمر في اتجاه ميناء عَيْذَاب(٢) فكان هذا الميناء يستقبل هذه السفن القادمة من ميناءَي جُدة والجار، وتفرغ حمولتها في هذا الميناء الذي يعد من أهم المراكز التجارية في مصر(٣). كما أن هذا الميناء ظل عامرًا بحركته التجارية فيما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد أشار إلى نشاطه التجاري ابن جبير (ت ٦١٤هـ) فقال عنه:

---

(١) بزرك، عجائب الهند، ص١٠٧؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ص١٢٦؛ ففي ديسمبر من كل عام تهب الرياح التجارية من الشمال الشرقي ويستمر هبوبها بانتظام في هذا الاتجاه حتى نهاية فبراير، ومن أبريل إلى سبتمبر ينعكس اتجاه الرياح فتهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي- من زنجبار إلى مدخل خليج عدن ثم إلى خليج عُمان. انظر:

HITCHAMAN, C: THE LAND AND PEOBLES OF EAST AFRICA, LONDON 1960, P. 61.

(٢) أحمد دارج، عَيْذَاب، ص٥٦.

(٣) أحمد دارج، المرجع السابق، والصفحة نفسها.

إنه من أفضل مراسي الدنيا، فكانت مراكب التجار والحجاج تحط به[١] وتقلع على الدوام فكان معظم الحجاج القادمين من مصر وشمال إفريقيا يبحرون منه لكونه آخر مرحلة إلى جُدة[٢]. ومن عَيْذَاب تنقل التجارات بالقوافل البرية إلى مدينة قُوْص الواقعة في شرق نهر النيل[٣]. وهذه المدينة كانت من أهم المحطات التجارية الواقعة على الطريق المؤدي إلى ميناء عَيْذَاب فينقل التجار بضائعهم المفرغة في عَيْذَاب على ظهور الدواب عبر الصحراء إلى أن تصل إلى مدينة قُوْص[٤]، ومنها إلى مدينة الفُسْطَاط التي اشتهرت بأسواقها العامرة إذ وصفها المقدسي بقوله: "إنها مفخر الإسلام ومتجر الأنام وخزانة المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم عجيب المتاجر"[٥]. فكانت الفُسْطَاط المدينة الرئيسة في مصر قبل تأسيس القاهرة التي أصبحت فيما بعد مدينة تجارية مهمة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٦].

أما الطريق الأخرى فهي التي تخرج من ميناء الجار إلى ميناء القُلْزُم على الشاطئ المصري حيث ترسو فيه السفن وتفرغ حمولاتها التجارية، فقد كان ميناء القُلْزُم يقع على رأس البحر الأحمر، وتصل إليه بضائع الشام ومصر والحجاز والهند وغيرها من الأصقاع الأخرى حيث تحملها السفن

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٣؛ حسنين ربيع، وثائق الجنيزة، ص٢٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٦، ٤٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٥٦، ٣٥٨.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٠-٢١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠١؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٥.

(٤) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١١١؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٥٦، ٣٥٨.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٧.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢١٣؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص٨٧-٨٨.

التي تبحر نحوه وتعود منه محملة بالتجارات المصرية والإفريقية والأندلسية والأوربية[١]. ومن القُلزُم كان التجار يحملون بضائعهم على الدواب إلى مدينة الفَرَمَا، وأشار ابن خرداذبة إلى التجار اليهود الرذانية الذين كانوا يأتون لمصر من بلاد الفرنج، ويتنقلون بين هذين الموضعين بواسطة القوافل البرية[٢]. وكانت الفَرَمَا من أهم المحطات التجارية على هذا الطريق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ويدلنا على ذلك ما ذكره المقدسي عنها أنها "مجمع الطرق"[٣]، حيث كانت تتمتع بموقع جغرافي ممتاز لقربها من ساحل البحر الأبيض المتوسط في مصر في الجزء الشرقي من دلتا نهر النيل، وفيها تلتقي القوافل التجارية البرية والنهرية[٤]. ومن الفَرَمَا تخرج القوافل[٥] إلى الفُسطَاط، حيث تجتمع مع قوافل الطرق الأخرى القادمة من قُوص، ومنها كان يخرج الطريق إلى الإسكندرية ثم إلى موانئ شمالي إفريقيا والأندلس فكان مدد هذه الجهات لا ينقطع عن مصر[٦]. وفي رحلة العودة كانت السفن تسلك الطريق نفسها في رحلة الإياب وتنقل السلع المصرية إلى ميناء جُدة أو الجار ثم تنقلها إلى سواحل الجزيرة العربية حتى تصل إلى ميناء عَدَن، ومنه تواصل السفن سيرها إلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية عند

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٠.

(٢) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٤؛ وانظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٥.

(٤) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨.

(٥) أشار المقدسي أنه كان يخرج منها ثلاثة آلاف جَمل محملة بالتجارات يتم نقلها عن طريق البر أسبوعيًا، (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٦).

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٢٤، ١٢٥.

عُمان والبحرين[١]. ويتجلى لنا نشاط الدورة التجارية التي تسلكها السفن البحرية في رواج حركة التجارة بين الجزيرة العربية والبلاد المصرية.

٤- الطرق البحرية إلى الهند والصين:

كانت السفن التجارية تستخدم في سفرها بين الجزيرة العربية والهند والصين طريقين بحريتين رئيستين؛ إحداهما تتجه مباشرة من الساحل الشرقي للجزيرة العربية؛ أما الطريق الأخرى فتنطلق من موانئ عدة على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية متجهة مباشرة إلى كَوْلَم ملي بجنوبي مَلِيبَار على الساحل الهندي، وسنتناول فيما يأتي هاتين الطريقين بمزيد من التفصيل.

الطرق الرئيسة الأُوَلى هي التي تخرج من الموانئ العُمانية حيث تبدأ من صُحَار فتمضي منها السفن التجارية إلى مَسْقَط تقلع في اتجاه الهند بعد أن تتزود منها بالمؤن التي تلزمها في رحلتها الطويلة إلى المشرق، فهذه الطريق أطول مسلك بحري ارتاده البحارة العرب على نحو منتظم[٢]، ومن مَسْقَط تمضي السفن في المحيط الهندي حتى تصل جزيرة ثارا، وهذه الجزيرة هي الحد الفاصل بين فارس والسِّنْد، ومن ثَارا تسير السفن في طريقها إلى ميناء الدّيبُل، وهذا المرفأ من أهم الموانئ على السواحل الهندية بإقليم السِّنْد وهو بالقرب من المنصورة، وقد وصفه ابن خرداذبة بقوله: "إنها

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٠٢.

(٢) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص١-١٦؛ حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٨.

سوق كبيرة للتجارات يتداول فيها التجار أنواعًا من التجارة"(١). ومن الدّيبُل تخرج السفن التجارية إلى شرقي نهر مِهْرَان (نهر السند) ومنه تسير إلى إقليم أُتَكِّين بالهند(٢). ثم تنطلق السفن إلى ميناء كَوْلَم ملي على الساحل الغربي لإقليم مَلِيبَار، وفي هذا الميناء تلتقي الطريقُ البحرية القادمة من الخليج العربي بالطريق الخارجة من ساحل جنوب الجزيرة العربية(٣). وكانت الطريق من مَسْقَط إلى كَوْلَم ملي تستغرق شهرًا على اعتدال الريح(٤). ثم إلى مرفأ آخر على الساحل الهندي يُعرف باسم بلين (بولين)، وعنده تتحول الطريق البحرية إلى فرعين أحدهما يتجه إلى مرافئ الساحل الشرقي الهندي، أما الآخر فهو الذي يخرج في اتجاه جزيرة سرنديب (سيلان) وتقدر المسافة بين الموضعين بثمانين فرسخًا، ومن هذه الجزيرة تسير السفن إلى ميناء كَلَه بار مرورًا بجزيرة رَامَني التي يكثر فيها الكافور، ومنها تخرج إلى جزيرة لَنْجَبَالُوس التي اشتهرت بكثرة سكانها(٥).

ومن جزيرة لَنْجَبَالُوس تمضي السفن إلى كَلَه بار(٦) كما ورد في وصف صاحب كتاب أخبار الصين والهند لهذه الطريق حيث يقول: "ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كلاه بار"(٧). وذكر المسعودي أنها تقع في

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١.

(٢) بزرك، عجائب الهند، ص٨٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥٠، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠- ٦٦.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٧٢- ٧٣، ٨٤.

(٤) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٦.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٣، ٦٤، ٦٥؛ أبو زيد السيرافي، أخبار الصين، ص٧٠.

(٦) ورد اسم هذا الموضع عند المسعودي باسم كله وذلك في أكثر من موضع، (انظر: مروج الذهب، ج١، ص١٤٠).

(٧) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٦، ٣٧؛ وانظر كذلك: حسين المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج، ص٢٠٧- ٢٠٨.

منتصف الطريق التي تمتد إلى بلاد العرب حيث قال عنها: "بلاد كَلَه، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، وإليها ينتهي أهل الإسلام من السيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت فيجتمعون بمن يمر من أرض الصين في مراكبهم"(١). والطريق البحري أساسًا يمتد من كَلَه بار إلى الصين مرورًا بمضيق مَلَقا(٢) الذي تخرج منه السفن حتى تبلغ ميناء الصين الرئيس خانفو في حالة استتباب الأمن، واستقرار تلك البلاد(٣).

أما الطريق الرئيسة الأخرى التي كانت تسلكها السفن التجارية المشحونة بالبضائع والسلع التجارية في اتجاه الهند والصين، فتخرج من موانئ عدة في الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، من أبرزها ميناء عَدَن، تخرج الطريق منه مباشرة إلى ميناء كَوْلَم ملي بإقليم المَلِيبَار بالهند مرورًا ببعض الموانئ الأخرى على الشاطئ الجنوبي للجزيرة العربية منها مِرْباط فرضة ظَفَار، والشِّحر(٤)، وفي ميناء كَوْلَم ملي تلتقي هذه الطريق البحريةُ بالطريق الأخرى التي تنطلق من سواحل الجزيرة العربية الشرقية ومنها تتجه السفن إلى الصين في مسار الطريق السابق ذكره نفسِه، مرورًا بجزيرة سرنديب حتى مرفأ كَلَه بار ومنه إلى جزيرة صنف بعد عبورها مضيق ملقا إلى أن تصل إلى خانفو(٥).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠.

(٢) مَلَقا: تقع على الساحل الجنوبي الغربي لساحل شبه الملايو، وتطلق على مضيق ملقا الذي يصل المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي، وكانت تسمى بالقرن الذهبي لأهميتها التجارية. (الألوسي، تجارة العراق البحرية، ص٢٥٤).

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٩؛ السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٦٠؛ ص١٠٩.

(٤) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٥٤- ٣٥٨. وفرضة ظفار أي ميناء ظفار؛ ووردت بلفظ مرسى ظفار عند ياقوت في معجم البلدان، ج٤، ص٦١.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٠ وما بعدها؛ وانظر أيضًا: عبدالرحمن العاني، دور العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الهجري، ص١٠- ١١.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن الطرق الملاحية (البحرية) كانت أسهل وأوفر للتجار من الطرق البرية، وهذا ما يفسر لنا نشاط الحركة التجارية البحرية في المحيط الهندي خلال تلك المدة إذ كانت مزدهرة ولا سيما بعد أن توافر للبحارة وسائل التقدم الملاحي مثل المرشدات البحرية، وأمن الطرق، وصناعة المراكب البحرية الكبيرة التي تتميز بحمولتها الكثيرة لكبر حجمها من السلع والبضائع بالإضافة إلى نقل الأعداد الكبيرة من المسافرين[١]. وقد كان أصحاب السفن التجارية يراعون في تحركاتهم بين الجزيرة العربية والهند في المحيط الهندي موسم هبوب الرياح الموسمية، فعندما يصلون إلى جهة سفرهم على أي من السواحل العربية أو الهندية أو الصينية كان عليهم الانتظار حتى الموسم التالي حين تهب الرياح الموسمية في عكس اتجاهها، وبذلك يستأنفون رحلاتهم حسب أوقات معينة من كل موسم[٢].

ومن الراجح أن البحارة العرب وغيرهم كانوا على معرفة جيدة بحركة الرياح الموسمية ومواعيدها واتجاهاتها، كما كانوا يعرفون أوقات المد والجزر في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر، الأمر الذي جعلهم يتجنبون أخطار التيارات البحرية فيسافرون بالبحر عندما تكون مياه البحر صالحة للملاحة[٣]. فكانت السفن تستطيع الإبحار من سواحل

---

(١) ذكر بزرك أن أحد التجار خرج في مركب من سيراف وكان معه مركب عبدالله بن الجنيد، ومركب سبأ وكانت هذه المراكب في نهاية الكبر وفي المركب ألف ومائتا رجل من التجار وغيرهم، وفيها من الأمتعة ما لا يعرف مقداره لكثرته، عجائب الهند، ص١٠٠-١٠١؛ ويذكر ماركو بولو أيضًا أن سفينة الجنك: الواحدة منها تتسع لمئتين وخمسين رجلاً، مغامراته واستكتشافاته، ص١٠٥؛ وانظر: عادل محيي الدين الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا، ص١١٧- ١١٨.

(٢) ابن قتيبة، كتاب الأنواء، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٩٥٦م، ص١٥٨، ١٥٩، ١٦٢.

(٣) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٨-٣٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

الجزيرة العربية في فصل الربيع وتعود لها في فصل الخريف، مستفيدة من التغير الذي يحدث في الرياح الموسمية، وبذلك كانت الرحلة من مسقط إلى كولم ملي تستغرق شهرًا كاملاً، وكان على البحارة البقاء هناك ستة أشهر قبل العودة إلى سواحل الجزيرة العربية لانتظار حركة الرياح الموسمية[١].

وسائل النقل البحري :

بعد أن استعرضنا الطرق البحرية بشيء من التفصيل يحسن بنا ذكر بعض وسائل النقل البحري التي كانت تجوب مياه البحر بين سواحل الجزيرة العربية والأقطار الأخرى، فقد اشتهر أهل عُمان بصناعة السفن سواءٌ ما كان يصنع في عُمان نفسها أم ما قاموا بصناعته في الهند حيث تتوافر هناك الأخشاب التي تصنع منها السفن. وقد أشار إلى ذلك السيرافي بقوله: "وبعُمان من يقصد إلى هذه الجزر التي فيها النارجيل، ومعهم آلات النجار وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا، فإذا جف قطع ألواحاً"[٢].

ولقد أسعفتنا بعض مصادر البحث بذكر السفن التي كانت تستخدم في الأعمال التجارية وغيرها من الأغراض الأخرى، فيشير اليعقوبي إلى أنواع من السفن تُعرف باسم الخيطية التي كانت تصنع في الأُبُلّة على ساحل الخليج العربي ويركب فيها إلى الصين[٣]. ومعنى ذلك أنها كانت تبحر لمسافات بعيدة، كما أشار ابن جبير إلى نوع آخر من السفن تسمى جلابات

---

(١) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص١١١؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٨٦- ٨٧.

(٢) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٨٨؛ وانظر كذلك: عبدالرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، ص١٣٧.

(٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١١٥.

التي تستخدم لنقل التجارات في البحر الأحمر ما بين الشواطئ المصرية وسواحل الجزيرة العربية[١]. ويذكر المسعودي أيضًا نوعًا آخر من السفن كانت تعمل في مياه المحيط الهندي تسمى بوارج، ومنها ما كان يستخدمه اللصوص للهجوم على سفن المسلمين المبحرة إلى الهند والصين[٢]. وهناك نوع آخر من السفن يسمى (سنبوق) كان لها أثر في حمل التجارات الضخمة، وهي التي وصفها الجاحظ بقوله: "إن ملك الزَّابَج[٣] إذا غضب على أهل مملكته، ولم يتَّقوه بالخراج بعث ألف سنبوقة في كل سنبوقة عدد كبير من المقاتلين"[٤]. وعلى الرغم من المبالغة في هذا النص فإنه يدلنا على كثرة استعمال هذا النوع من السفن التي تستخدم في نقل البضائع وشتى الأغراض الأخرى. ومن السفن التي تستخدم في نقل التجارات بين الجزيرة العربية ومناطق التبادل التجاري وبالذات الهند والصين الجنك وتُعرف في الهند باسم الجاكر فهذه السفن الكبيرة الحجم تنقل البضائع والسلع التجارية من الهند والصين إلى سواحل الجزيرة العربية[٥]. وعادة ما كان هذا النوع يرسو عند مدينة سيراف في الجانب الشرقي من الخليج العربي لكبر حجمها وارتفاع سطحها الذي يصعد إليه بالسلالم[٦]. ويبدو أنه لكبر حجمها لم تكن المياه عند سواحل البحرين تتمكن من حملها لأنها

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٦٨.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٦٥.

(٣) الزَّابَج: جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هَرْكَند في حدود الصين، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٤)، ويذكر الألوسي أنها جاوه وربما بورفيو الحالية، (تجارة العراق البحرية، ص٢٥٢)..

(٤) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ص٢١٧.

(٥) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص١١٦.

(٦) محمد رشيد الفيل، العلاقات التجارية بين العراق والصين، ص٨٦؛ عادل الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا، ص١١٧.

غير عميقة، لذلك تفرغ حمولتها عند ميناء سيراف في أغلب الأحيان، ثم تنقل إلى سواحل الجزيرة العربية بواسطة سفن حجمها أصغر من السابقة، وقد تبحر بعض السفن الكبيرة إلى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية فترسو عند ميناء عدن[١]. وكانت جميع هذه السفن تصنع من الخشب وتخاط بالحبال المصنوعة من قشرة النارجيل وبعضها من لحاء جوز الهند، وتثبت بالأوتاد الخشبية حيث لا تستعمل المسامير لعدم ملاءمتها للظروف الطبيعية البحرية بالمحيط الهندي[٢].

قصرنا الإشارة على أبرز السفن التي كانت تعمل في نقل التجارة، وقد يضيق المجال عن سرد جميع أنواع السفن البحرية التي تبحر في مياه الجزيرة العربية أو المحيط الهندي خشية الإطالة والخروج عن موضوع الكتاب[٣].

موانئ الجزيرة العربية:

كانت السفن البحرية العاملة في نقل التجارات تستخدم كثيرًا من الموانئ المنتشرة على طول شواطئ الجزيرة العربية سواءٌ ما كان منها في الجانب الشرقي أم الجنوبي أم الغربي، وهذه الموانئ كان لها أثر بارزٌ في النشاط التجاري بوصفها محطاتٍ تجارية على السواحل البحرية بحكم كونها مراكز للتصدير والاستيراد، فكان العديد من التجار يرتادونها في مختلف المواسم من مناطق التبادل التجاري القريبة منها أو البعيدة، ومن أبرز هذه الموانئ ما يأتي:

---

(١) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٥- ٣٧؛ حوراني، الملاحة العربية في المحيط الهندي، ص١١٠.

(٢) ماركو بولو، مغامراته، ص٢٠٠؛ عادل الألوسي، تجارة العراق مع إندونيسيا، ص١١٨.

(٣) انظر: البيان التفصيلي عن أنواع السفن وحجمها وحمولتها ضمن ملحقات الكتاب (ملحق رقم ٥).

١ - ميناء صحار وهو قصبة عُمان، وكان هذا الميناء من أنشط موانئ الجزيرة العربية يتضح ذلك من وصف المقدسي له عندما ذكر أنه لا ينافسه ميناء آخر فيما يتمتع به من تيسيرات وما يوجد به من مخازن للتجارة الخارجية(١). وهذا الميناء يستقبل السفن من الصين والهند ومن إفريقيا ومن العراق وفارس(٢). وقد سبقت الإشارة إلى بعض نشاطات هذا الميناء في غير مكان من الكتاب.

٢ - ميناء مَسْقَط من أهم الموانئ على ساحل الجزيرة العربية الشرقي، وبالإضافة إلى أن نشاطه التجاري كان عبارة عن محطة تتوقف عندها السفن التجارية تتزود منها بما تحتاج إليه من مؤن ومياه تلزمها في سفرها إلى الهند أو غيرها من الجهات الأخرى(٣). وهناك موانئ أخرى على الشاطئ الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية مثل فرضة ظَفَار التي كانت تصدّر منها الخيول العربية إلى الهند(٤).

٣ - ميناء عَدَن ميناء مهم على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية كان له حركة تجارية مزدهرة يتلقى البضائع والسلع التجارية من الهند والصين والساحل الإفريقي الشرقي، ومن بلاد فارس والعراق ومن مصر كذلك(٥).

وقد استمر نشاط ميناء عَدَن التجاري بعد القرن الرابع الهجري حيث أشار أبو الفداء وابن بطوطة إلى حركته التجارية الضخمة(٦).

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٢.

(٢) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٩.

(٣) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٥- ٣٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٩.

(٤) يقول ياقوت: "إن مِرْبَاط فيها المرسى، وظَفَار لا مرسى بها"، (معجم البلدان، ج٤، ص٦٠).

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١.

(٦) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص١٩٥.

كمــا أشار ابن بطوطة إلى أن سكان عَدَن يتكونون من التجار والحمالين والصيادين[١]. ومعنى ذلك أن معظم السكان كان يزاول أعمال التجارة.

٤ - ميناء جُدة وهي من الموانئ الرئيسة على الساحل الغربي للجزيرة العربية، وهذا الميناء من أبرز المراكز التجارية الخارجية التي تصب فيه البضائع الواردة من مختلف الأقطار الخارجية، ويتجلى لنا أثره البارز في النشاط التجاري من وصف ابن خرداذبة حيث يقول عنه : "تجد هنا محصولات الهند والسند وزَنْجَبَار والحبشة وفارس"[٢]. ويُعَدُّ ميناء جُدة فرضة لمكة فكانت الأخيرة تتلقى البضائع الواردة عن طريق البحر الأحمر من خلال هذا الميناء الذي يستقبل السفن القادمة من الشرق ومن الغرب[٣].

٥ - ميناء الجَار وهو أيضًا أهم الموانئ الحجازية بعد جدة، وكانت ترسو فيه السفن التجارية القادمة من أعالي البحر الأحمر مثل تلك المراكب المبحرة من ميناء القُلْزُم والمتجهة إلى جنوبي الجزيرة العربية[٤]. كما أن ميناء الجَار غير بعيد من المدينة المنورة فيقول عنه الإصطخري:

---

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص١٩٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١؛ ولزيادة المعلومات انظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٠٩.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣؛ ولزيادة المعلومات انظر كذلك: علي حسين السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر القرون الوسطى، ص١٠٩.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢١٢- ٢١٥؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص٥.

"والجار فرضة المدينة، وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شط البحر"(١).

ازدهرت الحركة التجارية في موانئ الجزيرة العربية الواقعة على الساحل الجنوبي والغربي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عندما توسعت الدولة الفاطمية وضمت إليها البلاد المصرية واتخذت من مدينة القاهرة عاصمة لها، وبفضل تشجيع حكامها للتجارة في ذلك الوقت أصبحت القاهرة تنافس بغداد عاصمة الخلافة العباسية وهو ما شجع التجار على ارتياد موانئ البحر الأحمر حاملين معهم مختلف التجارات، فقد أصبحت مصر آنذاك سوقًا رائجة لمختلف السلع والبضائع(٢).

ولا ريب فقد قامت الطرق البرية والبحرية بعمل حيوي مهم في النشاط التجاري، فمن خلالها كان نقل التجارة الخارجية من الجزيرة العربية وإليها، فكانت هذه الطرق المختلفة تصب في عدد من المحطات والمراكز التجارية، سواءٌ البرية منها أم البحرية والتي أصبحت عامرة كثيرة التجارات والأموال. وبفضل هذه الطرق التي ربطت البلاد بغيرها من مناطق التبادل التجاري الأخرى متباينة الإنتاج، توافرت البضائع والسلع المختلفة التي تحتاج إليها أسواق الجزيرة العربية أو يعاد تصديرها إلى مناطق أخرى خارجة عنها، فكان النشاط التجاري خلال تلك المدة في الجزيرة العربية مزدهرًا والطرق سابلة بقوافل التجار في الروحة والجيئة حاملين معهم التجارات التي يجنون منها الأرباح الطائلة.

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص٣٢؛ وانظر: عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٥٦.

ج - السلع المتبادلة :

كان التخصص الإنتاجي الذي غلب على النشاط الزراعي والصناعي في مناطق التبادل التجاري قد انطبع على الحركة التجارية استيرادًا أم تصديرًا، فوفرة الإنتاج الزراعي والصناعي أدت إلى إنعاش تجارة الجزيرة العربية مع معظم المناطق المنتجة، وتنوعت السلع والبضائع التي تتدفق على أسواق الجزيرة العربية من وقت لآخر، فكانت تستورد منها مما لا تنتجه، وكانت أيضًا تستورد مما تنتج، وهذا يدل على أحد أمرين إما لهبوط الإنتاج داخل أقاليم الجزيرة في مدة ما أو لزيادة الطلب في مدة أخرى.

١ - الواردات :

استوردت الجزيرة في تلك المدة من العراق الستور والبسط[١]، والثياب بأنواعها القطنية والحريرية والمناديل والعمائم[٢]، والثياب من الأبلة خاصة[٣]، والفرش والتكك[٤] وثياب الكرباس[٥] الصفيق[٦]. والخز والديباج والطيب المستخرج من البنفسج من ضمن الصادرات إلى الجزيرة العربية[٧]. وماء الورد وأدوات الزينة التي اشتهرت بها البصرة[٨]. ولم

(١) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٢٢- ٣٢، ٤٠- ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٩.

(٣) المقدسي، المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٤) جمع تكة وهي رباط السراويل، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٢٥).

(٥) الكرباس الصفيق: ثوب من القطن الكثيف السميك، وكانت هذه الثياب تنتج في قرية الحظيرة بالعراق، وانظر: (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٤٢٥).

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٤.

(٧) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٥٣؛ وانظر: المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص١٩٧.

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٨.

تقتصر الواردات على هذه السلع فحسب بل شملت جلود البغال من الموصل[١]. والسلاسل والأواني الزجاجية والخزفية والمعدنية[٢]. وكانت الأسلحة من ضمن المستورد من العراق ولا سيما السيوف التي اشتهرت بها الكوفة والبصرة والمصنوعة من الحديد والفولاذ[٣]، والسمك المملح، والحنطة والشعير[٤].

ومن إقليم خُراسان كان التجار يحملون للجزيرة العربية الثياب المروية[٥]، واللبود[٦] والأكسية الصوفية والفراء[٧] والإبريسَم[٨] المذهّب المعروف بالثوب السابري المنسوب إلى مدينة سابور[٩]، والفُرُش الخَسْروانية[١٠]، والمناديل البِيضَ المصنوعة من القطن مختلفةَ الأحجام[١١]، كما أشار الكنْدي إلى السيوف الخُراسانية جيدة الصنع[١٢]. وأشار الثَّعالبي إلى طين نَيْسَابور

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص١٣؛ والمسري، المصدر السابق، ص١٩٧.

(٢) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٣٩؛ المسري، المصدر السابق، ص٨٩٧.

(٣) الكندي ، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، السيوف وأجناسها، أخرجها القائمقام عبدالرحمن زكي، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الرابع عشر، ج٢، الصادر عام ١٩٥٢م، ص١١، ٣٤.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٤٥.

(٥) الثياب المروية التي تنسج في مدينة مرو الشاهجان عاصمة إقليم خُراسان، (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٢٨٠؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٤٦؛ النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣١).

(٦) اللبود: الصوف، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٣٤).

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص١٠، ٤٩.

(٨) مفرد الإبريسمات، وهو تعريب لكلمة إبريسم الفارسية وتطلق على الحرير قبل أن يحزقه الدود وبعد الحزق يسمى خزاً، (دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٢٨، (مادة خز)).

(٩) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٩.

(١٠) الجاحظ، المصدر السابق، ص٢١.

(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٦٧.

(١٢) الكندي، رسالة السيوف، ص١٠.

وهو طين الأكل الذي لا يوجد مثله في الأرض، يحمل إلى أدنى البلاد وأقصاها[١]، وربما كان يصدر للجزيرة العربية .

ومن أواسط آسيا يجلب التجار المسك التبتي والقاقم[٢] والكاغد[٣] السّمرْقَندي[٤]، والفِضّة والأقمشة الناعمة[٥]، والمقانع[٦] التي تصدر إلى اليمن[٧]. ومن جُرجان[٨] كذلك يُحمل الإبريسم الفاخر الذي تشتهر به أكثر من غيرها لجودته وكان يُحمل إلى جميع البلدان[٩]. ويستورد التجار من بخارى الثياب القطنية والبُسُط والمُصلّيات وثياب الصوف[١٠]. ومن بلاد الترك "الخزر" يُجْلب العبيد والإماء والدّروع والبيضات[١١] والمغافر[١٢].

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٩؛ وأشار له دوزي في تكملة المعاجم بقوله: "طين خرساني: نوع من الطين يؤكل، وهو غير معروف في المغرب"، ج٧، ص١١٣.

(٢) القاقم: دويبة في حجم الفأر لها شعر أبيض ناعم، ومنه يتخذ الفراء وهو أعز قيمةً من السنجاب، (القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٩).

(٣) الكاغد: القراطيس للكتابة وهذه نافست قراطيس مصر في جودتها، (الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٤٠)، وذكر الثَعالبي أنها صارت متجراً لأهل سمرقند، فعم خبرها، والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق، (الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٤٣).

(٤) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٨.

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٥٤٠- ٥٤٢.

(٦) جمع قناع: وهي ضرب من الثياب تغطي بها المرأة رأسها ومحاسنها، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٧٤).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٦٧.

(٨) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبُرستان وخُراسان، ويذكر ياقوت أنه يرتفع منها الإبريسم وثياب الإبريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق، (معجم البلدان، ج٢، ص١١٩).

(٩) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٤١.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٦.

(١١) جمع بيضة: وهي ضرب من الخوذ، نديم مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م، ص١٠١.

(١٢) الجاحظ، المصدر السابق، ص٢٨.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن هذه السلع والبضائع الواردة من خُراسان وأواسط آسيا كانت ترد للجزيرة العربية في أغلب الأحيان عن طريق العراق حيث يُعَدّ العراق مركزًا تلتقي فيه معظم منتجات بلاد المشرق التي كانت تُحمل له عبر الطرق البرية[١].

أما السلع التي كان يجلبها التجار من بلاد فارس إلى أسواق الجزيرة العربية فكثيرة من أهمها الأكسية الصوفية جيدة الصنع[٢]، وثياب القطن التي تصنع في مدينة بَم الفارسية[٣]، والثياب الكتان المنسوبة إلى مدينة سِينِيز والثياب الموشاة المنسوجة في مدينة تَوَّز، وماء الورد الجوري المضروب به المثل في الطيب، مجلوب إلى أقاصي المشرق والمغرب[٤]، وكان تجار الجزيرة يقبلون على شراء هذه العطور وينقلونها إلى الحجاز واليمن، لما اشتهرت به من جودة[٥]، والفُستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج، والكحل ودهن الياسمين والزمرد والسكر[٦]، ويُستورد منها أيضًا الزعفران الذي امتدحه ابن رُستة لجودته وشدة الإقبال عليه[٧]، ومن السلع الإسفيذاج "نوع من الطلاء"[٨]، وكان لفارس فضلٌ في صنع الآلات العجيبة

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٧٢، وسبق أن أشرنا لهذه الطرق في مظانها من هذا الكتاب.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٢.

(٣) الجاحظ، المصدر السابق، ص٣١؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٤٢٦- ٤٢٨، ٤٣٠-٤٣١.

(٤) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٧.

(٥) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٩٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٣؛ وانظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٦١، ٣٦٢.

(٦) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٥٣؛ كان السكر يصنع في مدينة الأهواز ويصدر إلى مختلف الآفاق، الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٦.

(٧) ابن رسُتة، الأعلاق النفيسة، ص١٥٣-١٥٨.

(٨) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مصر، بولاق، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ج١، ص١٣، يوسف خياط، المصطلحات العلمية، ص٢٦.

مثل الأقفال والمَرايا والسيوف والدّروع والجزع الفارسي[١]. وذكر البكري أن ميرة أهل البحرين كانت تُجلت إليها من فارس[٢]، ويُجلب أيضًا من فارس الأطباق الفاخرة والكمّون والحرير والمغارف[٣].

ويُجلَب من بلاد الشام مختلف التجارات المتنوعة مثل السيوف الدمشَقية والدّيباج[٤] وزيت الزيتون[٥] الذي كان يضرب به المثل في الجودة والنظافة، والخُمُر الجيدة[٦]، والبسط والأكسية الرفيعة، وثياب الكتان وثياب الصوف[٧]، والسكّر والأواني الزجاجية والمعدنية والنّحاسية التي تشتهر بصناعتها دمشق وغيرُها من المدن الشامية الأخرى وكذا المنسوجات الحريرية والقطنية[٨]. ومن السلع المستوردة من الشام أيضًا الفواكه من تفاح وزيتون وتين والحنطة والشعير والذرة البيضاء والسكر، والصابون النابلسي والطرابلسي والحِلي والأصبغة النباتية وأهمها النيلة والقرمز[٩]

---

(١) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٤١؛ البيروني، الجواهر، ص١٧٤؛ الكندي، رسالة السيوف، ص٣١.

(٢) البكري، جزيرة العرب، ص٤٠.

(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٩، ٣٢، ٤١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦٨، ٤٤٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٤.

(٤) الديباج: هو الثوب الذي سداه ولحمته حرير، (الثعالبي، لطائف المعارف، ص١٧٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٩٣٩).

(٥) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٣٢؛ ويذكر الثعالبي أنه كان يقال له الركايبي؛ لأنه كان يحمل على الإبل من الشام وهي أكثر بلاد الله زيوتاً، (ثمار القلوب، ص٥٣٢).

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٣١. والخُمُر جمع خِمار، من ملابس النساء.

(٧) الجاحظ، المصدر السابق، ص٣٤.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٥٠-٢٥١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦٠، ١٨٠-١٨١؛ وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢- ٣٠٣.

(٩) القرمز : صبغ أرميني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم، (ابن منظور ، لسان العرب، ج٣، ص٧٧).

والزعفران. وكان بعض هذه السلع أساسًا يُجلب للشام من أرمينية ثم يحمل إلى البلاد الأخرى[(١)].

كانت الجزيرة العربية في هذه المدة تستورد من مصر منسوجات الكتّان الذي يتوافر فيها بكثرة ومنها الثياب الشطوية[(٢)] والثياب المُثقلة والعمائم الشرب الملونة[(٣)]، وثياب الدبيقي[(٤)] الذي اشتهرت بصناعته بلدة دَبِيق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وربما بلغ الثوب منه مئة دينار[(٥)]. وتجلب التجار من مصر أيضًا القراطيس والزَّبَرْجَد الفائق والحَمير والبِغَال[(٦)]، والزُّمُرُّد والذهب[(٧)]، والأنطاع الحَسَنة والسيور والأردية الملوّنة والشبّ والخلّ والزيت ودُهن البلسان[(٨)]، ومن الصادرات التي كانت تصدرها مصر اللّجم الدّلاصيَّة[(٩)]، والسّكر والقمح والبز الأبيض ودهن الخروع

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٢٤؛ المقدسي، المصدر السابق، ص١٧٤؛ وانظر أيضًا : آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣١٤- ٣١٧.

(٢) نسبة إلى مدينة شطا، (الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٣٩).

(٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ص٣٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨؛ وانظر زيادة للمعلومات: جمال الدين الشيال، مجمل تاريخ دمياط، الإسكندرية، ١٩٤٩م، ص٧٠.

(٤) منسوبة إلى دَبِيق وهي بلدة بين الفَرمَا وتنيس من أعمال مصر، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٨)؛ ويذكر أحمد أمين أنه كان يصنع فيها المنسوجات للخليفة البغدادي، لا يدخل فيه من الغزل غير أوقيتين وينسج بأوقية الذهب بصناعة محكمة لا تحوج إلى تفصيل أو خياطة وتبلغ قيمته نحو ألف دينار، (أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٢، ص٢٤٤).

(٥) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٦.

(٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٧؛ ويقول الإصطخري: "وبمصر بغال وحمير لا يعرف شيء من بلاد الإسلام أحسن ولا أثمن منها"، (المسالك والممالك، ص٥٥)؛ وذكر الثعالبي أن أصحاب الثروات كانوا يفضّلون الحمير والبغال المصرية على غيرها، (لطائف المعارف، ص٦١).

(٧) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩٤.

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٣؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٢.

(٩) نسبة إلى مدينة دَلَاص،(اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٩١).

والعسل والخزف[١]. وسبقت الإشارة إلى أن تجارة خُراسان وأواسط آسيا كانت تصب في العراق لأنه بوابة المشرق، فكذلك كانت تجارة شمال إفريقيا والأندلس تصب في البلاد المصرية لأنها هي أيضاً تمثل بوابة المغرب، وهذا لا يعني أن سلع العراق أو مصر كانت كلها من إنتاجها المحلي فقد جلب التجار من شمال إفريقيا والأندلس وأوربا الكثير من السلع التي تصب في معظم الأوقات في المراكز التجارية المصرية أو الشامية، ومنها تنقل إلى الجزيرة العربية فكان التجار يحملون معهم من سلع تلك البلاد زيت الزيتون والجوز، والثياب الحريرية[٢]، ومن السلع التي كان يصدرها الشمال الإفريقي كذلك ثياب الصوف، اللبود، والفرو، والرقيق والجواري، والسمور والسيوف، والبزاة السود[٣]، وجلود النمور، وذكر الجاحظ أن ثمن الجلد منها كان يبلغ خمسين ديناراً[٤]، والعنبر المغربي الذي يُحمل من بحر الأندلس، تحمله التجار إلى مصر ومنه إلى أسواق الجزيرة العربية، وهو شبيه بالعنبر الشِّحري، إلا أن الأخير أجود من المغربي. ويستورد التجار من الأندلس الزيت الأشبيلي والوشي الأندلسي وثياب السُّندس الفاخر، والأدوية المعمولة في بِجّانَة، والتي كانت تحمل إلى كل من مصر ومكة واليمن وغيرها[٥]، والزئبق وجلود الثعالب[٦]. ومن السلع المستوردة من

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٣.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٣ وما بعدها؛ ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٢٥٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٣٩.

(٣) الجاحظ، المصدر السابق، ص٢٧؛ والبزاة من الصقور التي يصاد بها، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٥٦).

(٤) الجاحظ، المصدر السابق، ص٢٣.

(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٨؛ وانظر: البكر، النشاط الاقتصادي في عصر الامارة، ص١٤٨.

(٦) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٣١، ٦٦، ٨٩؛ كان زيت إشبيلية ينقل لمعظم الأقطار لما يتميز به من جودة رُبّما لا تتوافر في غيره، المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١٩٩.

الأندلس أيضًا الأواني الفضية والذهبية والعقاقير الطبية والأقفال المُحكمة الصنعة والجواري الروميات والصقالبة[١]، ومن الطيب الميعة[٢]، والكبريت الأحمر الفاخر الذي كان يحمل إلى العراق واليمن والشام[٣].

ويجلب من أرمينية الوسائد والتكك والفُرش والبُسُط الرقاق، والسجاد الخزّ الفاخر واسع الشهرة والثياب الصوفية[٤]. وكان التجار يجلبون الرقيق البيض من روسيا حيث كان يؤتى بهم في معظم الأحيان عن طريق فرنسا ومنها إلى الأندلس ثم إلى مصر حتى يصلوا إلى أسواق الجزيرة العربية، وربما صدّروا منها - أسواق الجزيرة - إلى جهات أخرى[٥]. كما أن التجار يحملون معهم من السّلع الروسية أيضًا إلى البلاد الإسلامية أنواع الفرو كالسمور والسنجاب، والفنك وفرو الثعالب والنشاب، والقلانس والسيوف، والدّروع والشمع[٦].

وكانت الجزيرة العربية تستورد من شرقي إفريقيا جلود النمور البرية وهي أحسن أنواع الجلود وأنقاها، وكانت أكثر جلود اليمن التي تدبغ للنعال منها[٧]، ومنها أيضًا الرّماح والذبل وهو ظهور السلاحف[٨]، والصبر

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٢.

(٢) الميعة: من أعظم الأدوية وأكثرها فائدة ومنفعة، (الزهري، المصدر السابق، ص١٣١).

(٣) الزهري، المصدر السابق، ص٨٧.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٢، ١٥٦، ١٨٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٤٣، ٣٤٥-٣٤٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٩، ج٤، ص٢٠١، ٢٠٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ص١٠ وما بعدها.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٣٦، وسبق الإشارة إلى أثر التجار اليهود الذين كانوا يأتون من هذه الجهات إلى الجزيرة العربية، انظر: التجارة الداخلية من هذا الكتاب.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢١٨- ٣٣١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٤- ٣٢٥؛ ولزيادة المعلومات حول هذا الموضوع انظر : الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٥١- ١٥٢.

(٧) الإصطخري، المصدر السابق، ص٣٢.

والعقاقير[١]، والعنبر الزَّنجي الذي يؤتى به من بلاد الزَّنْج إلى مدينة عدن وهو غير الأبيض[٢]، ويُجلب كذلك من تلك البلاد الذّرة البيضاء وقصب السكر والزّراف[٣] والعاج الذي يُجلب في الغالب من زَنْجَبار، ويستخدم في صناعة العُلب العاجية والمقابض[٤]. ويتضح أن استمرار تدفّق العاج على أسواق الجزيرة العربية استمر إلى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يؤيد ذلك ما ذكره ناصر خسرو الذي عاش في القرن الخامس الهجري من أنه رأى أنياب الفيل أُحضِرت من زنجبار وكان وزن كثير منها يزيد على مئتي منّ، كما أُحضر جلد البقر من الحبشة يشبه جلد النمر ويعملون منه النّعال في اليمن[٥]. وكان يصدر الرقيق الأسود من شرق إفريقيا إلى مدينة زبيد باليمن أو إلى عُمان ثم يتم توزيعهم حسب حاجة بقية أقاليم الجزيرة العربية[٦].

وجلب التجار السلع والبضائع الهندية المتعددة الأصناف، وشاركوا في تسويقها في مختلف البلاد، فكانوا يستوردون منها إلى أسواق الجزيرة العربية الرقيق فقد كان للعبيد سوق رائجة في مختلف البلاد العربية بصفة عامة[٧]، نظرًا لما يتمتع به رقيق الهند من الأمانة والخُلُق الحسن، وكان

(٨) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٩٠؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٩.

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٢٣.

(٢) اليعقوبي، المصدر السابق، والصفحة نفسها .

(٣) أبو زيد السيرافي، المصدر السابق، ص٨٨، ٩١.

(٤) ذكر المسعودي أن أنياب الفيلة التي تستورد من بلاد الزَّنْج تجهز من عُمان إلى أرض الصين والهند، (المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٧).

(٥) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٦٠.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥؛ وانظر أيضاً: سالم دياب، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلاد اليمن خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ص١١٦.

(٧) الجاحظ، المصدر السابق، ص٨٥.

كثير منهم يملك مواهب فنية وحرفية كالصناعة وغيرها من المهن الأخرى يتجلّى لنا ذلك من وصف ابن بطلان لنسائهم عندما ذكر أنهن رشيقات وجميلات ويتمتعن برائحة ذكية طيبة[١].

من هذا كانت تجارة الرقيق الهنود مربحة حتى إن الجاحظ جعلهم على قدم المساواة مع أصحاب السفن والصيارفة والجواهرية[٢]. ومن السلع الأخرى المستوردة من الهند أنواع الأسلحة مثل السيوف والسكاكين والأسهم والدروع، فقد عدّها المسعودي في جملة واردات الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى[٣]. ويُجلب منها أيضًا الكافور والمسك فقد اشتهرت به أسواق دارين بالبحرين[٤] والصندل والعنبر والعود الهندي الذي يُضرب به المثل في أمهات الطيب وهو على أنواع تختلف صفاتها بحسب مواضعها، وكان تجار الجزيرة العربية على دراية بأنواعه فجلبوا أحسنها مثل العود المندلي[٥] المعروف في مختلف البلاد الإسلامية بجودته[٦]. ومن صادرات الهند للجزيرة العربية الأحذية الهندية التي أشار إليها المقدسي بأنها تصنع في مدينة كهنبات وتصدر من المنصورة عاصمة السِّنّد إلى بلاد العرب[٧].

(١) ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن، (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٣٧٢- ٣٧٦.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٤، ص٣٤٤- ٣٤٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١١ وما بعدها؛ وذكر الثعالبي أن سيوف الهند يضرب بها المثل، قال" إذا كان من صنع الهند ومن طبع اليمن فناهيك به"، (ثمار القلوب، ص٥٣٣).

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٩٨؛ أحمد مقبول، أخبار العرب والهند، ص٣٦؛ الألوسي، تجارة العراق مع إندونيسيا، ص٢١١.

(٥) المندلي: نسبة إلى مندل، إقليم بجنوب الهند، (مؤلف مجهول، حدود العالم، لندن، ١٩٧٠م، ص٢٤٠).

(٦) أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١١٧؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٣.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٨٢- ٤٧٤؛ وذكر الإمام أحمد بن حنبل أن نعال الهند هذه في غاية الجودة والزخرفة فكان المتورعون لا يستخدمونها لأنفسهم، إذ كانت تليق بالأمراء أبناء الملوك ومن في حكمهم، (كتاب الورع، باب لبس النعال السندية، ص١٠١).

ومن الحـاصـلات المستوردة من الهنـد أيضًا الزّنجبيل والفـوفل[١] وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقيـة أهل الحـجاز واليمن خلال هذه المدة مضغه بدلاً من الطين[٢]. ومن السّلع المجلوبة من الهند كذلك الملابس، فقد اشـتـهـرت بصنـاعـة كـثـيـر منهـا وعلى وجـه الخـصـوص القطيـفـة الهندية الفـاخـرة[٣]، والفـوط والملابس الملوّنة[٤]. كـمـا تـوجـد دلائل تشـيـر إلى أنّ القطن كان يصدّر من الهند إلى ميناء ظَفار، حيث كان يستخدم في صناعة الملابس[٥]، وكان يُستورد من الهند ما يُصلِح الطعام من الأبزار والتوابل مثل الهيل والكمون والدارصيني[٦] "القرفة" والفلفل الأسود[٧]. ويبدو أنه كان

---

(١) فوفل: نبات ليس من نبات أرض العرب يتمثل في شجرة أشبه بنخلة النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمـثـال التمـر ومنه أسود ومنه أحمـر، تمره كـالجوز الشامي مستدير يوجد في شجر كـالنارجـيل تنبت في أرض الهند، (المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٠٩)؛ وأعطى المسعودي تفصيلاً أوسع فقال:"والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصفر ما يكون من ورق الأترج، يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مَضْغُهُ بدلاً من الطين"، ومحقق الكتاب يذكر أنه في نسخة أخرى وردت كلمة الطيب بدلاً من الطين..."، لأن المسعودي نفسه أعطى وصفاً شيقاً لتلك الخلطة وما تعطيه من رائحة ذكية للفم والبدن، ومن هنا نستبعد قضية أكل الناس للطين.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٠٩، حيث ورد في الهامش رقم ٤ بدلاً من الطيب.

(٣) المسعودي، المصدر السابق، والصفحة نفسها .

(٤) المقدسي، المصدر السابق، ص٤٨١؛ النويري، نهاية الأرب، ج١، ص٣٦٦، ٣٣٧.

(٥) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٢١، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩.

(٦) الدارصيني: هي القرفة ويكثر نباتها في الصين وفي الملايو وكانت تستعمل في العقاقير الطبية وحفظ الأطعمة، (الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، نشر عبدالحميد حنفي، مصر، ج٢، ص١٢٠؛ وانظر كذلك: الإدريسي، وصف بلاد الهند وما جاورها، تصحيح مقبول أحمد، نشر الجامعة الإسلامية بالهند، سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ص٥٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٠٣).

(٧) الفلفل: نبات له ساق أشبه بساق شجرة العريش وورقه كورق اللبلاب وله عناقيد وكل عنقود منها تكنه ورقة من المطر وتقيه من حرارة الشمس، ويجنى إذا بلغ، والفلفل الأبيض منه هو ما كان جني منه في أول بلوغه، وما تأخر بعد ذلك كان فلفلاً أسودَ، (الإدريسي، وصف بلاد الهند، ص٥٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٩٩؛ وانظر: عادل الألوسي، تجارة العراق مع إندونيسيا، ص٢٠٥- ٢٠٦).

يستورد بمقادير ضخمة لكثرة استعماله فكان سلعة رائجة في أسواق الجزيرة العربية، وربما يُصدّر الفائض منه إلى مناطق التبادل التجاري المجاورة، مثل الشام والعراق ومصر، بل حتى أقطار البحر المتوسط الأخرى[١]، ويمكن أن نستنتج أن سبب الإقبال على استيراد الفلفل بمقادير كبيرة إلى البلاد العربية هو رخص سعره الذي لم يكن مرتفعًا جدًا، وشدة الطلب عليه من ناحية أخرى، وربما استمر تدفّق الفلفل بمقادير ضخمة حتى زمن ابن جبير الواقع بعد تلك المدة وشاهد ذلك أن ابن جبير أشار إلى توافر هذه السلعة بمقادير كبيرة في زمنه، حيث يقول: "كان يوجد فلفل بكميات ضخمة لم يجد من يحمله حتى إننا ظننا أنه رخيص الثمن كالرمل"[٢]. وكانت مشاهدته لهذه المقادير في ميناء عَيْذَاب بالبلاد المصرية، وكان الفلفل من السلع الهندية التي تستورد في الغالب للجزيرة العربية[٣]، ومنها تصدّر الفائضَ لمختلف الأقطار كما أسلفْنا.

وكانت الهند تصدّر للجزيرة العربية أيضًا خشب الساج الذي كان يستعمل في أغراض متعددة منها ما ذكره المقدسي من أنّ دكاكين مكة كانت مبنية من خشب الساج والأحجار، وكذلك كانت معظم منازل مدينة صُحار في عُمان لا تخلو منه خصوصًا في الأسقف وتزيين بعض مداخلها وفي صنع الكراسي[٤]. ومن هذه الرواية يتضح لنا أهمية خشب الساج بصفته

---

(١) الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، ج١، ص٢٢٧؛ الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢١، ٢٢.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٦١، ٦٤، ٦٥.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٣؛ لطائف المعارف، ص٢١٤، ٢١٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩؛ وانظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٤٣-١٤٤، ص٩٢، واستخدم الصناع خشب الساج (التاك) في صناعة الصناديق الصغيرة ومحافظ السكاير، والآلات الدقيقة.

سلعة تجارية مألوفة في الجزيرة العربية، وقد استمر تدفقها على أسواق الجزيرة العربية حتى بعد ذلك يؤيد ذلك ما ذكره ابن المجاور أنه استُخدم في بناء قرية الأهْوَاب في اليمن بجنوب الجزيرة العربية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]. ومن الأخشاب المستوردة من الهند أيضًا أخشاب نخيل جوز الهند فقد كان التجار يجلبونه لأنه يُستخدَم في بناء السفن إذ أشار السيرافي إلى أن العُمانيين كانوا يذهبون إلى الهند لقطع أشجار نخيل جوز الهند[2] ويعودون بها إلى بلادهم لصنع القوارب، فكانوا يجنون من هذه السلعة الأموال الكثيرة[3]. وكذلك كان خشب الخيزران من السلع الثمينة التي تستورد من الهند حيث تعمل منه بعض أسرّة الجلوس[4].

كما كانت الجزيرة العربية في تلك المدة تستورد الياقوت[5] في مختلف الألوان من الهند وسرنديب[6]. ومثله العقيق والبلور الذي تصنع منه الأواني الزجاجية وغيرها من الأدوات المنزلية[7]، والرصاص[8]. ومما يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية النيلة وهي مادة للصباغة زرقاء اللون، وكانت

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج٢، ص٢٤٦.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٤- ٩٦؛ الإدريسي، وصف الهند، ص٣٤.

(٣) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١٣٠- ١٣١.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص٥٩.

(٥) الياقوت : حجر شديد متماسك رزين، منه الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر. البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص٣٩؛ وانظر: عادل الألوسي، تجارة العراق مع إندونيسيا، ص٢٣١.

(٦) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١٣.

(٧) البيروني، المصدر السابق، ص١٨٤.

(٨) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٧.

الهند مشهورة بزراعتها وتصديرها إلى مختلف جهات العالم[١]. ويجلب التجارُ كذلك من الهند بعض أشجار الفواكه، حيث يذكر المسعودي في جملة حديثه عن حاصلات الهند أن النارَنج والليمون من ثمار الهند التي نُقلت شجرتهما إلى عُمان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وتم وزُرعت في عُمان[٢].

وجُلبت أشجار جوز الهند إلى مدينة ظَفار جنوبي الجزيرة العربية[٣]. ويستورد من الهند أيضًا بعض الحيوانات مثل الفيلة التي كانت تستخدم في نقل الأثقال والتنقل من مكان لآخر[٤]. والطيور الهندية في جملة واردات الجزيرة العربية، ومن أهمها الطاووس المتميّز بألوانه الجميلة وبحجمه الضخم[٥]. وكان الطاووس يجلب أيضًا من سرنديب "سيلان"[٦]. وتستورد الببْغاوات التي تُردد الكلام ذات المهارة الفائقة في التحدّث[٧].

لقد كانت واردات الهند إلى الجزيرة العربية كثيرة ومتنوعة من مختلف السلع والبضائع التجارية، وربما يعود السبب لكثرتها إلى الروابط التجارية المتينة بين المنطقتين ولوفرة الإنتاج في السّلع الهندية[٨] فكانت الجزيرة من

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٥٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٧٨.

(٣) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص١٠٠؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٠٥.

(٤) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٢٥؛ وكتاب الحيوان، ج١، ص٨٧،٨٩، ٢٣١؛ وانظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٧٧.

(٦) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٥١.

(٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٥٣.

(٨) ذكر ابن خرداذبة ما كان يجلب من حاصلات الهند وبضائعها، (المسالك والممالك، ص١٧ وما بعدها).

أهم مراكز تسويقها حيث تجد فيها مجالاً لتصريف تجاراتها في مختلف المواسم، فكانت تتدفّق عليها من حين لآخر دون انقطاع ولا سيّما أن منطقة بلاد الهند شهدت في تلك المدة استقرارًا سياسيًا ساعدها على استتباب الأمن، وهو ما كان له أثره الطيب في الحركة التجارية النشطة القائمة بين الجزيرة العربية والهند.

ومن الصين كان يصدّر إلى الجزيرة العربية كثيرٌ من السلع والبضائع التجارية ذات الجودة العالية، إذ اهتمت الحكومة الصينية بتوطيد صلاتها التجارية مع الأقطار الأخرى(١)، فأرسلت الوفود إلى البلاد العربية وغيرها ترغّب التجار في ارتياد بلادهم وتشجّعهم على نقل البضائع الصينية برخص أسعارها(٢). وقد أبدى أحد ملوك الصين في تلك المدة اهتمامه بنقل بضائع بلاده إلى بلاد العرب بصفة عامة والجزيرة العربية بصفة خاصة، فأنشأ السفن وملأها بلطائف الصين وأرسلها مع الوفود الصينية تطوف بها مختلف البلدان لتعرض سلع الصين وبضائعها النادرة، ولاقت هذه البضائع إعجاب كثير من تجار الجزيرة العربية(٣). وكان يصل إلى ميناء عَدن الحديد والكاغَد والفَخَار والكافور والقُرنفل والدارصيني، ولذلك امتدح المقدسي نشاط عَدَن التّجاري وأشار إلى كثرة السّلع الصينية عندما قال عنها: إنها دِهليز الصين(٤). ومثل عدن كان ميناء دارين بالبحرين يشتهر بالمسك الصيني حيث كانت السفن التي تحمله تفرّغ

(١) السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٦٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤٨.

(٢) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٢٣، ١٢٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب (طبع مصر سنة ١٣٤٦هـ)، ج١، ص٨٠- ٨٢؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف، علاقة الصين بديار الإسلام، ص٦١.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٤ وما بعدها.

حمولتها في هذا الميناء[1]، وكان التجار يجلبون منها أيضًا ثياب الحرير. ووصف الجاحظ بعض الصناعات التي اختصت بها الصين في قوله: "وخَصَّ أهل الصين بالصناعات وأعطاهم ما لم يُعطِ أحدًا فلهم الحرير الصيني"[2]. ويستورد من الصين كذلك السروج والديباج واللبود والعود وأواني الذهب والفضة والغضائر[3] الفاخرة والأقفال والعقاقير[4]، والمِداد[5] والفرند[6] والشمع والدارند[7]، ومن السّلع المستوردة من الصين أيضًا الفلفل والقرنفل والأرز والبقول مثل العدس، والحمس[8]. ومن سلع الصين المجلوبة كذلك الزنجبيل والخلنجان، وهذان الصنفان من التوابل التي كانت تستعمل في طهي الطعام وفي الأغراض الطبية[9].

٢ - الصادرات :

لم تكن الجزيرة العربية في هذه المدة مستوردة فحسب، فقد كان من إنتاجها ما يفيض عن حاجتها فتصدره إلى مناطق أخرى، مبادلة بما تحتاج

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٨.

(٢) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٣٩.

(٣) الغضار: هي الصّحفة أو القصعة أو الصحن الكبير المتخذ من الخزف ذي البريق المعدني، (ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٩٩٣).

(٤) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٢٦؛ وانظر: حسين علي المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص٢٠٢.

(٥) المداد: يقال أمددت الدواة بالمداد، أي المادة التي يكتب بها، (الزمخشري، أساس البلاغة، ص٥٨٥).

(٦) الفرند: السيف، ويقال فرند السيف جوهره، والفرند أيضاً الورد الأحمر، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ١٠٩٠ ؛ وانظر : نديم مرعشلي، وزملاؤه، والصحاح مادة فرند، ص٨٥٨.

(٧) الدارند: نوع من الخشب أسود يستعمله الأطباء، (الجاحظ، المصدر السابق، ص٢٦).

(٨) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١ وما بعدها؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٧١؛ وانظر: رضا جواد الهاشمي، النشاط التجاري في الخليج العربي، ص١٠٦؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص١٨٢.

(٩) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٢، ج٣، ص٩٠٩؛ وانظر: علي السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص٢٣٣.

إليه من إنتاج تلك المناطق، أو ربما تصدر الجزيرة أشياء تحتاج إليها ولكن ندرتها في أماكن أخرى أو جودة إنتاجها تجعل التجار يصدرونها إلى مناطق أخرى، فإقليم اليمن امتاز بتصدير اللّبان فيجهز ثمره المعروف بالكُنْدُر إلى بلاد الهند والصين وإلى خُراسان وإلى معظم الآفاق لمضرب المثل بجودته[١].

وقد أشار الهمداني لرواجه في مختلف الآفاق بقوله: "ويصير في جميع الأرض"[٢]. ومن السلع المصدرة اللّك[٣] الذي أشار إليه البكري بقوله: "لا يكون إلا في بلاد اليمن، يُحْمَل إلى مصر في عيدانه ويتحول منه إلى سائر البلاد"[٤]. ومن السّلع المصدرة أيضًا الخِطْر[٥] والوَرْس ولا سيما من عَدَن وشَيْعان[٦] وفي جبل المُذَيْخِرَة[٧]. فقد ذكر الثعالبي أن هذه الأصناف كانت من خصائص اليمن: "أربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليَمَن، الوَرْس والكندر والخِطْر، والعقيق"[٨]. ويصدر المقل[٩] إلى جميع

---

(١) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٢٧؛ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ص٥٣٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٠.

(٣) اللّك: شجر حمله كحمل اللبان، (البكري، جزيرة العرب، ص٢٦)؛ وأضاف ابن منظور أن اللك إذا طبخ خرج منه صبغ أحمر يصبغ به جلود المعزى للخفاف وغيرها، (لسان العرب، ج٣، ص٣٩٢).

(٤) البكري، جزيرة العرب، ص٢٦.

(٥) الخِطْرُ: هو نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود، يختضب به، قال أبو حنيفة: هو شبيه بالكَتَم، (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٨٥٧).

(٦) شَيْعان: وادٍ يكثر به الوَرْس الناهي"الطيب" وهذا الوادي يقع في بلاد سنحان جنوب صنعاء، (الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٤، هامش رقم ٢).

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٢،١٠٣، ١٣٠.

(٨) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٥.

(٩) المقل: هو ثمار الدوم، وقال أبو حنيفة: المقل الصمغ الذي يسمى الكور وهو من الأدوية، (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥١٣).

البلاد والصبر الذي تشتهر به سقُطْرى[١]، والمُرّ وأنواع البخور الذي اختصت اليمن بإنتاج أحسنه، وكان يحمل منها إلى بلاد الهند وخُراسان وإلى جميع الآفاق الأخرى"[٢]. ومما يدل على رواج هذه السلعة على مر العصور أن اسمها ارتبط بالطريق البرية التي تربط جنوب الجزيرة بشمالها حتى الشام، وكان يعرف في كثير من المصادر بطريق البخور[٣].

والسّنَان[٤] الذي يحمل من حضرموت إلى مختلف الآفاق[٥]. وكذلك عسل الشهد الذي يحمل إلى العراق وسائر البلدان في القصب[٦]. ومثله سُكّر العُشر[٧] الذي يجهز من نجران على هيئة قطع كبار في قوالب، فقد أشار الهمداني إلى أنه حُمل إلى العراق وأعجب به من رآه نظراً لجودته[٨]. ومما اختصت به نجران أيضاً إنتاج الدبس الذي لا يعادله شيء في الجودة يصدر إلى الأقطار الأخرى[٩].

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٩؛ البكري، جزيرة العرب، ص٢٦.

(٢) البكري، جزيرة العرب، ص١١٩؛ سالم دياب سالم الصفدي، الأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد اليمن خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ص٦٥.

(٣) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٠٦ وما بعدها؛ محمد متولي، الشخصية الجغرافية لأرض اليمن، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد ٥، لعام ١٩٨١م، ص٤٠١-٤٠٢.

(٤) السّنَان: هو شجر الحُمّر، وهو التّمر الهندي وهو في أرض اليمن من حضرموت وغيرها، (البكري، جزيرة العرب، ص٢٦).

(٥) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٦) "وصفة عمله أن يحر في الشمس ويصير في عقود قصب اليراع، وتقام تلك القصبة أيامًا في بيت بارد حتى يعود إلى جموده، ثم ختمت أفواه القصب بالقصّة، وحمل"، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٨.

(٧) العُشر بضم أوله شجر له صمغ وفيه حُرّاق مثل القطن، قال أبو حنيفة: العُشر من العضاه وهو من كبار الشجر، وله صمغ، وهو عريض الورق، وله سُكّر يخرج من شُعبه ومواضع زَهْرِه، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٧٨٥.

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٠؛ وانظر: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد ١٢، العدد ٢، لعام ١٩٨٥م، ص٣٤٠.

(٩) ذكر الهمداني أن أباه كان يقول: إنه دخل الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة وأكثر بلاد النخل وأكلت الثمر ولكني ما رأيت مثل مدبس نجران جودة وعظم ثمره خاصة وأنها تملأ الكف، صفة جزيرة العرب، ص٣٦١.

واشتهرت اليمن بصناعة العطور التي اختصت بها مدينة عدن وتصدرها إلى البلدان الأخرى، يقول المرزوقي : "إن طيب الخلق جميعاً بها يعبأ، ولم يكن أحد يُحسِن صنعَهُ من غير العرب"(١). ولا غرو أن تكون صناعة الطيب هذه رائجة لتوافر العنبر في شواطئ عدن بكثرة، وقد كان عَنْبَر الشِّحْر يضرب به المثل في جودته(٢).

وتعد المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية المصنوعة في اليمن من أهم صادرات الجزيرة العربية، فكانت الحَبَرات(٣) التي تصنع في مدينة صنعاء من القطن تُحمل إلى مختلف الآفاق ومثلها الأردية والعمائم التي تُعد من أجود المنسوجات وذكرها الثعالبي بقوله: "بُرود اليمن، ويقال له وشي اليمن وعَصْب اليمن، ويضرب بها المثل في الحسن"(٤). وأشار ابن رستة إلى البُرُود اليمانية التي تصدر لمختلف الجهات وربما بلغ قيمة الواحدة منها خمس مئة دينار لمتانتها ودقّة صنعها(٥). وذكر المقدسي أيضاً أن البُرُود السُحُولية والبُرود السّعدية التي تصنع في مدينة صنعاء كانت ضمن صادرات الجزيرة إلى مختلف الآفاق(٦).

وقد أثنى الجاحظ على الوشي اليماني بقوله: "وخير الوشي الذي لا

---

(١) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٢هـ، ج٢، ص١٦٤.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٥.

(٣) الحَبَرات: جمع الحبرة وهي ضرب من برود اليمن والحبرة من التحبير أي التزيين، فيقال ثوب حبر أي موشى، ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٦٣، ٦٧.

(٤) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٤.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٢.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨؛ البكري، جزيرة العرب، ص٣٧.

إبريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني؛ لأنه يرتفع على هذا السبيل من الغزلي... وربما بلغ الثوب الغزلي ألف دينار"[١].

كما تميزت اليمن بعمل العَصَائب[٢] يؤيد ذلك ما أورده ابن الفقيه على لسان الأصمعي الذي قال: "أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن...- ذكر منها- العَصْب"[٣]. وعدّ ابن الفقيه الحُلَلَ اليمنية جيدة الصنع ضمن قائمة صادرات الجزيرة العربية إلى الجهات الأخرى[٤]. ومن منسوجات اليمن الأخرى التي تزود بها مناطق التبادل التجاري المختلفة الملايات والفوط مثل تلك التي كانت تصنع في مدينة زبيد[٥].

وتميزت اليمن بتصدير الجلود التي كانت تنتج منه الشيء الكثير وخاصة في مدينة زبيد وصنعاء وصعدة وجرش ونجران[٦]، وذكر ابن حوقل أن أكثره من صعدة التي بها مجمع التجار[٧] لتوافر القَرَظ في هذه الأماكن إذ أشار الهمْداني إلى أنه كان يباع في صعدة من ألف رطل إلى خمس مئة

---

(١) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١٩.

(٢) العَصْب: برد يمانية يعصب غزلها، (الطبري المالكي، القرى لقاصد أم القرى، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٤٧٢)؛ ويقول ابن منظور عنها: إن العصب نوع من البرود اليمني، سمي عصبًا لأن غزله يعصب أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك، (لسان العرب، ج٢، ص٩٤).

(٣) ابن الفقيه، كتاب مختصر البلدان، ص٣٦، وقد اتفقت هذه الرواية مع رواية الثعالبي السابق الإشارة إليها، ماعدا الجملة الأخيرة منها، حيث ذكر ابن الفقيه العَصْب في حين ذكر الثعالبي العقيق، وكلا الصنفين يختص بإنتاج أجودهما اليمن.

(٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٣٦؛ وانظر ما ذكره الهمداني عن الحلل اليمانية وثياب التجاوز الحرازية التي كانت تطرز بألوان الصباغات، (صفة جزيرة العرب، ص٢٠٩).

(٥) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٨٥.

(٦) المصدر نفسه، ص١٣، وذكر أن الأديم يدبغ في جميع إقليم اليمن.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٣؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٨.

بدينار(١). وكانت مطاحن القَرَظ تكثر في مدينة صنعاء خلال القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي، فكان بها ثَلاثة وثَلاثون مطحناً(٢). فالمصنوعات الجلدية مثل النعال المشَعرة والأنطاع الجيدة والركاء الحسنة كانت من صادرات الجزيرة التي كان يحملها التجار إلى البصرة وغيرها من مختلف المناطق(٣).

ومن صادرات جنوب الجزيرة العربية الأخرى بعض أنواع الأسلحة مثل الأقواس التي اشتهرت بها بلاد مُران من خولان باليمن(٤)، كما اشتهرت اليمن بصناعة السيوف فكان السيف الصنعاني من أجود السيوف ويُضرب به المثل في القوة(٥)، ذكرها الثَعالبي بقوله: "سيوف اليمن يضرب بها المثل، كما يضرب بسيوف الهند"(٦)، وكذلك النبل المشهورة بجودتها والتي كانت تفضل في القتال لمتانتها(٧)، ومثلها الدروع كانت تصدر هي أيضاً إلى مختلف البلاد لصناعتها الفاخرة، يؤيد ذلك ما أشار إليه ابن الفقيه من أنه يُنسب إلى اليمن كلُ سيفٍ قاطع أو دِرع حصينة أو حُلة مصونة(٨). وتميزت

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٩.

(٢) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١١٥؛ وانظر لمزيد من المعلومات: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٣٧.

(٣) قدامة، الخراج وصنعة الكتابة، ليدن، ١٨٨٩م، ص١٨٩، قال: "وبها يعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال وأكثر تجارهم من أهل البصرة"، وانظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٦- ٨٧، ٩٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، ٧ ، ١٣، ج٥، ص٢٤٢- ٢٤٣؛ القيرواني، جمع الجواهر، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص١٦؛ وانظر: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٢٣٩.

(٥) الكندي، السيوف وأجناسها، ص٨ وما بعدها؛ الأصمعي، كتاب السلاح، تحقيق جبار المعيبد، مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد ١٢، بغداد، ١٤٠٧هـ، ص٧٦؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٩.

(٦) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٤.

(٧) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص٣٥٠.

(٨) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٣٩٦؛ انظر أيضًا: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٥٠- ٢٥٢.

اليمن كذلك بتصدير العقيق الذي قال عنه الجاحظ: "وخير العقيق اليماني، الشديد الحُمرة الذي يُرى في وجهه شبه الخطوط"[١]. فكان العقيق يستخرج بكثرة من اليمن[٢]. ومثله الجزع المعروف بالبقراني[٣] الذي يصنع منه الخرز والفصوص والأواني البقرانية والسعوانية[٤] فقد كانت قيمة الفصّ من البقراني تباع بمئة دينار[٥]، حيث لاقت هذه المعادن شهرة كبيرة في أسواق مناطق التبادل التجاري خارج الجزيرة العربية مثل العراق، ومصر، والشام والهند، والصين، وغيرها من البلاد الأخرى[٦]. ويُعدّ اللؤلؤ أيضاً من أبرز صادرات اليمن ويستخرج من سواحل الشِّحْر وسُقُطرى ويُنقل إلى أسواق الهند وفارس وغيرها من الآفاق الأخرى[٧]، حيث تباع بأغلى الأثمان[٨] في المناطق المصدّرة إليها لشدة الإقبال على شرائها، ومن المعادن الأخرى التي تتصدر قائمة صادرات اليمن إلى خارج الجزيرة العربية الفضة التي تستخرج من معدن الرضراض فكان يقبل على شرائها تجار فارس وخُراسان والعراق ومصر، والشام حيث أشار لهم الهمداني بقوله: "فحمل التجار من العراقيين والفُرْس والشاميين والمصريين فِضَضَ اليمن في ذلك العصر، وكانوا يربحون فيها الربح الخطير"[٩].

(١) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١٥.

(٢) البيروني، الجواهر، ص١٦٤.

(٣) البيروني، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٤) نسبة إلى وادي سعوان وهو بالقرب من صَنْعاء، الهمداني، المصدر السابق، ص٣٦٤.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١١٢؛ البيروني، الجواهر، ص١٧٤.

(٦) البكري، جزيرة العرب، ص١٢٧.

(٧) البكري، المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٨) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١٢-١٣؛ الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص١٣٧-١٣٩.

(٩) الهمْداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١.

وذكر الهمّداني أنه كان في هذا المنجم أربع مئة تنور لسبك الفضة[١]، ويظهر لنا من هذه الرواية ضخامة الإنتاج. ويبدو أن الإقبال عليها كان جيداً، لأن وفرة الإنتاج أسهمت في رخص أسعارها، وفي هذه الحالة فإن عائد أرباحها سيكون مشجعاً للتجار للاتجار بها، ويؤيد ما نحن بصدده الهمّداني إذ ذكر أن سعر أربعة عشر مثقالاً بدينار[٢].

ومن السلع التجارية التي تضمها الصادرات أنواع الحلي المصنوعة في الغالب من الذهب والفضة وغيرها من الجواهر الأخرى كالأساور والخلاخل والخواتم والدمالج[٣]، ويُجلب من اليمن أيضاً الإبل المهرية[٤] والأرحبية[٥] التي تُعَدّ من كرام الإبل لقوة تحملها[٦]، والبغال والحمير الجيدة والزّراف التي عدّها الجاحظ في جملة صادرات اليمن التي كانت تجلب إلى العراق والأقطار الأخرى[٧]. ولما كانت اليمن لا توجد فيها حيوانات الزّراف فإنها كانت تجلب له من شرق إفريقيا ضمن وارداته من السلع التجارية ثُم يعاد تصديرها إلى سائر الأقطار.

ومن بلاد الحجاز يصدر السناء المكي الذي كان يحمل إلى مختلف الآفاق لجودته[٨]. وكذلك حجر المِسَنّ الذي يقطع من جبل رَضْوَى قرب

---

(١) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١؛ وانظر كذلك: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٢٣٩.

(٢) الهمداني، المصدر السابق، والصفحة نفسها .

(٣) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص١٥٧- ١٦٣.

(٤) المهرية: نسبة إلى بلاد مهرة، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٤.

(٥) الأرحبية: نسبة إلى مخلاف أرحب، (ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص١٤٤).

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٧) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص٢٧.

(٨) البكري، جزيرة العرب، ص٢٧.

المدينة المنورة ويحمل إلى البلاد الأخرى لاستعماله في سن السكاكين إذ أشار إليه ابن حوقل بقوله: "ومنه يحمل حجارة المِسَنّ إلى سائر الآفاق"(١)، كما اشتهرت الحجاز بتجارة الجلود التي تميزت بها مدينة الطائف حيث قال عنها الهَمْداني: "هي بلد الدباغ يدبغ بها الأُهُب الطائفية المعروكة"(٢). وامتدحها كذلك البكري بقوله: "والأدم الطائفي لا يدبغ في قُطْر من أقطار العالم مثله"(٣). كما أشار الإدريسي إلى أن بالطائف تجاراً جُلّ بضائعهم صنع الأديم رفيع القيمة فكانت الجلود الطائفية مشهورة، يضرب بها المثل لجودة دباغتها(٤). وربما ساعد على ازدهار صناعة الجلود في الطائف اعتدال الجو وكثرة الحيوانات مثل الإبل والبقر والأغنام في المناطق المجاورة لها، وأيضاً توافر شجر القرظ المستعمل في دبغ الجلود.

وترتب على توافر الجلود ودباغتها قيام صناعة جلدية متميزة مثل الخِفاف والنّعال الطائفية المشهورة التي كانت في غاية الجودة وتتصدر قائمة صادرات الجزيرة العربية، ومما يؤكد جودتها أنها كانت في جملة الهدايا التي قُدمت للخليفة العباسي المأمون من الحجاز(٥).

كما أن جلود الطائف نُقلت إلى خوارزم وغيرها من البلاد الأخرى لمتانتها نتيجة دبغها الفاخر(٦). ومما هو جدير بالإشارة إليه أن تجارة الجلود

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠.

(٢) الهمداني، المصدر السابق، ص٦٢٠.

(٣) البكري، المصدر السابق، ص٢٧؛ ويقصد أنه لا يصنع مثله في البلاد التي تتوافر فيها دباغة الجلود.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٦؛ وانظر : فاروق عمر، دباغة الجلود، ص٥٤٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٣٠؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٥٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٦.

(٦) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٥ ؛ وانظر: فاروق عمر، دباغة الجلود، ص٥٣٩.

في مكة كانت رائجة في مواسم الحج والعمرة لإقبال الوافدين على شرائها[١]. ويبدو أن دباغة الجلود لم تقتصر على مدينة الطائف فحسب، وإنما كانت في الغالب في كثير من أنحاء الحجاز يظهر لنا ذلك مما ذكره ابن المجاور عن هذه المهنة عندما قال: "إن الأديم يُدبغ في جميع إقليم اليمن والحجاز"[٢]. وربما لا تخلو هذه العبارة من المبالغة، ولكنها تدلنا على انتشار هذه الحرفة بكثرة، لهذا كانت الجلود ومشتقات صناعتها من أهم صادرات الجزيرة العربية إلى الأمصار الإسلامية وغيرها لما تتميز به من جودة فائقة، وهو ما جعل التجار يقبلون على شرائها فكانت من جملة عروض تجاراتهم التي يجلبونها[٣]. ومن الصادرات الأخرى الثياب المعروفة بالظهرانية[٤]، وكذلك بعض أدوات القتال مثل الأقواس التي تُصنع من شجر الشوحط والتألب الذي يكثر نباته في جبال السّروات[٥]. والسّهام المشهورة بجودة صناعتها، والنّبال[٦]، والسيوف التي تصنع في جِلْدَان[٧] بالحجاز كانت من الصادرات التجارية وتحمل إلى مختلف الأنحاء[٨].

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ص٤٧٤.

(٢) ابن المجاور، المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) البكري، جزيرة العرب، ص٢٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٦.

(٤) هي التي كانت تنسج في مر الظهران، (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٦٣)؛ وهذا الموضع يعرف حاليًا بوادي فاطمة وهو في ضواحي مكة، (مهدي الصحاف، موقع مكة وبيئتها الجغرافية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٤، المجلد الثاني، لعام ١٩٧٠م، ص٩٠٤).

(٥) ياقوت، المصدر السابق.

(٦) عرام السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٢، ٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٤٢- ٢٤٣؛ وانظر: عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية، ص٣٣٩.

(٧) جِلدان: بكسر الجيم وسكون اللام، موضع قرب الطائف بين لية والسيل، (ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٥١).

(٨) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٠.

كما تصدّر الحُلي بعد صياغتها في مكة والمدينة المنورة حيث تكثر محلات الصياغة، إذ يُستشف من الأسئلة التي كانت توجه للإمام مالك الذي عاش في الحجاز في أوائل العصر العباسي أن الصَّاغة كانوا موجودين في أسواق الحجاز[١]. وربما ساعد على ازدهار هذه الحرفة توافر المواد الخام من معادن الذهب والفضة[٢]، بالإضافة إلى الصاغة المهرة وهو ما ساعد على نجاح هذه المهنة ورواج إنتاجها حتى أصبحت الحلي الحجازية تسوق داخل البلاد وخارجها لما تتمتع به من ذوق رفيع.

ومن صادرات الحجاز أيضاً بعض أنواع الطيب الفاخر مثل الغالية التي تصنع من المسك والعود والعنبر، وقد اشتهرت بها المدينة المنوّرة، وكانت تصدّر إلى العراق وغيرها من الأقطار الأخرى[٣].

ودهان البان من السلع التي تحمل من الحجاز وكان أهل المدينة المنوّرة يطبخونه بالأدوية الطبية حتى أصبح من أفضل أطياب النساء وهو مرتفع القيمة[٤]. وأيضاً يصدّر الحناء الذي يكثر نباته في إقليم الحجاز إلى مختلف البلاد الإسلامية، فكان يقبل الحجاج على شرائه ويحملونه إلى بلادهم في معظم الأوقات هدايا[٥].

---

(١) مالك، المدونة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ج٤، ص٣٩١، ٣٩٣؛ عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٣٠.

(٢) وعن المعادن في الحجاز انظر: الهمداني، الجوهرتين، ص١٣٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠١؛ حمد الجاسر، المعادن القديمة، مجلة العرب، ج٩، ١٣٨٨هـ، ص٨٣٣.

(٣) ذكر اليعقوبي أن هذه الغالية كانت تعجب الخليفة العباسي المأمون فكان يفضل استعمالها، كما أنها كانت تعمل لأم جعفر، (كتاب البلدان، ص١٢٥؛ وانظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٩٨).

(٤) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص١٢٦.

(٥) عرام السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٢٦؛ البرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة مجموعة من الأساتذة، مراجعة عبدالحليم نصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٢م، ص٧٢.

كما تصدّر الحجاز إلى الأقطار الأخرى التمر الذي يكثر في المدينة وينبع وخيبر ووادي القُرى فكان التمر البرني والعجوة اللذان تشتهر بهما المدينة المنوّرة من أفضل التمور التي ترسل إلى مختلف الأمصار في عُروض التجارة[١]، والزبيب من السلع التجارية التي تصدّر من الحجاز ويكثر إنتاجه في الطائف، إذ ذكر الإدريسي أنه: "يتجهز به إلى جميع الجهات". ومثله العسل الذي كان يصدّر إلى العراق لجودته وتميّزه على غيره[٢]. كما يتم إعادة تصدير الفائض عن حاجة السوق المحلية بالحجاز من السلع والبضائع المستوردة من مختلف المناطق الأخرى، مثل التوابل والأطياب والرقيق، وأدوات الزينة والمنسوجات، من ذلك ما أشار إليه الثَّعالبي في قوله: "وكان يحمل من مكة والمدينة والحجاز كل عام إلى السلطان من العنبر ثَمانون رطلاً، ومن المتاع أربعة آلاف ثوب، ومن الزبيب ثَلاث مئة راحلة"[٣].

ومن صادرات اليمامة الرقيق حيث كانوا يُفضَّلون على غيرهم لصلابتهم وقوة تحملهم على المشاق، وهذا ما دعا الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور لشراء مئتي غلام من رقيق اليمامة[٤]. ويبدو أن مولدات اليمامة

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٦٨١- ٦٨٢؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٢٣٠ وما بعدها؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، ص٢٩٠.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ج٩، ص٢٩٠.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٥- ٥٤٠، ولزيادة المعلومات أيضًا انظر: الإدريسي، جزيرة العرب، ص٢٦؛ وانظر: ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٩؛ ولزيادة المعلومات أيضًا انظر: عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز، ص١١٩.

(٤) طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوابين له فقيل له لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول أنذال النفوس صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له مئتي غلام من اليمامة فصير بعضهم بوابين وبقي الباقون، (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٧٠٤، وانظر: جميل مدور، حضارة الإسلام، ص٩٠، ٩١؛ صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٩).

تميزن على غيرهن يتضح ذلك من أثمانهن المرتفعة في الغالب ويؤيد ذلك ما أشار إليه ابن الفقيه عندما قال : "لا تبلغ مولدة مئة ألف درهم إلا يمامية"[١]. وتعد النّعام والخيل العِراب ونجائب الإبل من صادرات اليمامة إلى العراق وبقية الأقطار الأخرى[٢]، فقد كان للإبل أسواق حسنة خاصة بها في اليمامة يقصدها طلابها[٣]. ومن صادرات اليمامة أيضاً التمور إذ اشتهرت بإنتاج أنواع كثيرة منها وكان يخزن بعض تمرها في أوانٍ خاصة، ويصدّر إلى خارج البلاد[٤]. ومن السّلع المصدّرة الحِنْطة المعروفة ببيضاء اليمامة التي تفوق غيرها بطيب طعمها وكانت تُحمل إلى الخلفاء في العراق[٥]. ومن صادرات اليمامة الأخرى البُرود التي تنسج في بلدة ثَرْمَدَاء بالوشم[٦]، ومثلها كانت بعض أدوات القتال ضمن الصادرات مثل الرماح والأسنّة المصنوعة من حدائد اليمامة المشهورة بجودتها[٧]، وأيضاً السيوف الحنيفية[٨] والسّهام المصنوعة بقرية بَلاد باليمامة التي كان لها شهرة فائقة لدقة صناعتها[٩]. كما يحمل التجار من اليمامة ما يجتمع بأسواقها

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٩.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٧.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٢٥٠- ٢٥١.

(٤) الحربي، كتاب المناسك، ص٦٢٢؛ ابن حزم، أنساب العرب، ص١١؛ السجستاني، كتاب النخل، ص١٠٤؛ وانظر: صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٠١ وما بعدها.

(٥) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٢٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧٦؛ وانظر : عبدالله السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٣٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٤٢.

(٨) نسبة إلى بني حنيفة الذين كانوا يقطنون اليمامة، (ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٨٥؛ وانظر: صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية بالبصرة، ص٢٤٦- ٢٤٧).

(٩) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٧١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٦.

من جلود مجلوبة أصلاً من اليمن، أو الحجاز وتفيض عن الاستهلاك المحلّي فيعاد تصديرها إلى الهند والعراق وغيرها من الأقطار الأخرى(١). ومن صادراتها كذلك الرّحال المنقوشة التي تصلها من اليمن وهي مصنوعة لتكون مراكب على ظهور الإبل يستعملها الرحّالة في أسفارهم(٢). ومما كان يجلب من اليمامة الذهب الذي كان يستخرج من معدن حِلّيت(٣) ومن معدن العقيق، فهذه المعادن مشهورة بغزارة إنتاجها ويصدّر بعضُه إلى العراق(٤) يؤيد ذلك ما رواه البكري عن معدن حِلّيت أنه: "لم يعلم في الأرض معدن أكثر منه نيلاً، لقد أثاروه والذهب غالٍ بالآفاق كلها، فأرخصوا الذهب بالعراق وبالحجاز"(٥).

ومن البحرين صُدِّر التمر الذي تشتهر بإنتاجه هَجَر وغيرها من المدن البحرينية، وهو متعدّد الأنواع وكان يصدّر إلى بلاد فارس ويضرب المثل بكثرة تمر هَجَر "كجالب التمر إلى هجر". وذكر ابن حوقل أن هَجَر(٦) أكبر مدن البحرين وأكثرها تموراً(٧). ومثل التمر كان يصدّر الدبس أيضاً إلى بلاد فارس ويُجلب بدلاً منه المِيرة التي تحتاج إليها البحرين(٨). واشتهرت

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص١٤١؛ وانظر: أحمد فاروق، دباغة الجلود وتجارتها، مجلة العرب عام ١٩٩٦م، ص٥٥٥ ؛ صالح الوشمي، ولاية اليمامة، ص٢٥٨.

(٢) أبو عبيدة، النقائض، ج٢، ص٧٥٦؛ وانظر: الوشمي، المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٣) حلّيت: جبل أسود يقع في حمى ضَرِيّة كثير التبر، (البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٧٥).

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٢٩.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، القاهرة، ١٩٤٥م، ج٣، ص٨٧٥؛ وانظر لزيادة المعلومات: السيف، الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، ص٣٢٧.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٥٧.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٨؛ وانظر: عبدالله السيف، الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، دراسات تاريخية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٨٩.

(٨) البكري، جزيرة العرب، ص٤٠.

البحرين بثرواتها المعدنية، وتصدر الفائض منها إلى الهند والصين والعراق مثل النّحاس الذي يكثر في نواحي هَجَر بالبحرين[١]. واللؤلؤ الذي كان يفضّله التجار على غيره من البلاد الأخرى لجودته ولكبر حجمه وصفاء لونه وشكله الجذاب، يؤكد ذلك ما ذكره عنه القزويني بقوله: "بها مغاصّ الدّر، ودُرّه أحسن الأنواع"[٢]. فكان يُستخرج من سواحل أُوال وهجر وسواحل قطر[٣].

فاللؤلؤ يتصدر قائمة السلع البحرينية ذات القيمة الكبيرة المصدّرة إلى أسواق الأقطار الأخرى[٤]، فكانت أسواق البحرين مراكز لتجارة اللؤلؤ الذي يُصدَّر للخارج[٥]. وتميّزت بعض مدن البحرين بعمل المنسوجات الجيدة التي كانت تُصدّر إلى العراق وغيرها من البلاد التي لها علاقة تجارية بالجزيرة العربية، من هذه المنسوجات البُرود القَطرية[٦]، وهي من الصوف وصناعتها جيدة والأردية القَطرية فقد ذكر الجاحظ أنها في جملة الهدايا التي قدمها الشاعر أبو العتاهية للخليفة المأمون[٧]، والفوط التي تعمل في مدينة الأحساء وكانت تنسج من القطن غالباً وكانت هي أيضاً[٨] من أجود المنسوجات البحرينية، وتحمل إلى البصرة وغيرها من

(١) البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص٢٧٠- ٢٧١.

(٢) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٧.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، ص٧٧- ٧٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤٨.

(٥) البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٢٩- ١٣٠.

(٦) يقول الشاعر يصف البرود القطرية:

كساك الحنظلي كساء صوف وقطريـًا فأنـت بـه تفيـد

(٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٢١.

(٨) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٤١.

الأمصار الأخرى. واشتهرت مدينة القطيف بالبحرين بصنع ثياب المروزي وثياب اللالس[١]، وربما كانت هي أيضاً من ضمن صادرات الجزيرة.

ومن صادرات البحرين الرماح الخَطِيّة التي كانت تشتهر بصناعتها قرية الخط في البحرين[٢]، والرماح الرُدينية[٣]، ويحمل من البحرين إلى مختلف الأنحاء الفائض عن حاجتها من سلع الشرق مثل التوابل والأطياب مثل المسك الذي اشتهرت به دارين حتى نُسِب إليها فقيل المسك الداري مع أنها لا تنتجه، ولكنه يجلب إليها بكثرة من الهند والصين ويعاد تصديره للعراق وغيره من الأقطار الأخرى[٤].

وكانت عُمان تصدّر النوع الجيد من معدن اللؤلؤ الذي قال عنه الجاحظ: "خير اللؤلؤ الصافي العُماني"[٥]. وكانت الدرة اليتيمة التي ذاع صيتها في الآفاق وأهديت للخليفة العباسي هارون الرشيد من لآلئ عُمان المشهورة[٦]. ومن عُمان يصدر القُنِيُّ "الرماح" إلى مختلف الآفاق[٧]، وكان

---

(١) لالس: نوع معروف من الثياب الناعمة يقول الشاعر ابن المقرب عن هذه الملابس:

ومن مروزي بالقطيف ولالس   عباء بوادي طيء وتطوعها

ديوان ابن المقرب، ص٣٠٢، وانظر: حسين علي المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص٢٥١.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٣١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨١.

(٣) نسبة إلى بلدة رُدينة على شط البحر في شرق الجزيرة العربية، (الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٣١).

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٢؛ النويري، نهاية الأرب، باعتناء الخاقاني، بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ج٢، ص١٥؛ وانظر: حسين علي المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص٢٩٨- ٢٩٩.

(٥) الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ص١٢- ١٣.

(٦) ابن الفقيه، كتاب مختصر البلدان، ص١٦؛ بزرك، عجائب الهند، ص١٨ وما بعدها.

(٧) ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص١٦.

تجار عُمان وغيرهم يحملون إلى العراق السمك الجيد المجفف، ودُهن البان[١]، والصبر[٢]، ويحملون أيضاً التمور التي تشتهر بإنتاجها عُمان إلى الهند والصين[٣]، كما يحملون من عُمان العاج الذي يستوردونه أصلاً من سواحل إفريقيا الشرقية، ويعاد تصديره إلى أرض الهند والصين وذكره المسعودي في قوله: "فيجهز الأكثر منها من بلاد عُمان إلى أرض الصين والهند، وذلك أنها تحمل من بلاد الزَّنْج إلى عُمان، ومن عُمان إلى حيث ذكرنا"[٤].

كما صُدّرت إلى العراق والشام بعضُ أشجار الفواكه التي نجحت زراعتها في عُمان، والمجلوبة من الهند بعد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م حيث انتقلت زراعتها لتلك البلاد وزُرعت فيها، ومن هذه المزروعات الأترنج المدور، والنارَنج والرياحين والبرتقال[٥]. ومما كان يصدّر إلى العراق وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى أنواع الطيب، فقد كان في جملة الهدايا المرسلة للخليفة العباسي ببغداد سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م[٦]. ومن صادرات عُمان المهمة الرقيق السود والبيض إذ ذكر ابن الجوزي أنه في سنة ٤٢٣هـ/١٠٤٥م وقع حريق بعُمان فاحترق من العبيد السود سوى البيض اثنا عشر ألفاً وأربع مئة حمل كافور[٧]. وأعتقد أن هذه الرواية لا تخلو من المبالغة، ولكنها تدلّنا على نشاط تجارة الرقيق ووجودهم في عُمان بكثرة.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٢، ص٧٩- ٨٠.

(٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص٧١.

(٣) الإصطخري، المسالك، ص٢٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٧٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٧.

(٥) المسعودي، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٨.

(٦) المسعودي، المصدر السابق، ص١٩٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٨٢.

وقد تميزت منسوجات عُمان المصنعة بمدينة صُحَار، ومثلها الأنسجة التي تصنع في مدينة نَزْوَى فكانت ثيابها منمقة بالحرير، وتحمل في جملة الصادرات إلى أنحاء مختلفة من الأقطار[١]. ومن صادرات عُمان إلى الهند الخيول العربية التي تشحن بها السفن من ميناء ظفار[٢].

هذه أهم الصادرات التجارية بين الجزيرة العربية وبقية الأقطار الأخرى في أثناء تلك المدة، ومنها يتبين أن نشاط الجزيرة العربية التجاري في تلك المدة كان مزدهرًا.

د - وسائل التعامل التجاري :

كان للتبادل التجاري بين الجزيرة العربية والأقطار الأخرى وسائل تقوم عليها أغلب المعاملات التجارية، وقد اختلفت هذه الوسائل باختلاف مناطق التبادل، حيث شهدت تلك المدة امتداداً جغرافياً واسعاً لنشاط الجزيرة العربية التجاري، فكانت النقود من أهم هذه الوسائل، وتليها كذلك في الأهمية المقايضة، بالإضافة إلى وسائل أخرى تقوم عليها حركة البيع والشراء.

فالنقود من أهم وسائل التعامل منذ فجر الإسلام في جميع أنحاء البلاد الإسلامية وغيرها من البلاد الأخرى[٣]، وقد كان في مختلف مناطق

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٩.

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ٦٢٧- ٦٢٩.

(٣) ويعرف اليوم في علم الاقتصاد أنّ النقود ذات قوة شرائية عامة غير محدودة، إذ تعطي صاحبها حقًا في الحصول على أية سلعة معروضة للتبادل، وهذا القبول العام الذي تتصف به النقود في مجال التعامل يفسر القول بأنها مقياس للقيم، ووسيط للتبادل، وأصل الثروة ومستودع للقيم في آن واحد، لأنها تتمتع بالقبول العام في الحاضر والمستقبل، (الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٣، هامش، ١٤).

التبادل التجاري أكثر من نوع واحد وذلك لاتساع الرقعة الجغرافية لتلك المناطق ولتباين أنظمة الحكومات فيها، ففي داخل دار الإسلام كان يُتعامل بالدرهم والدينار، كما أن هناك نقوداً متداولة خارج دار الإسلام بعضها بدائي قديم، فيذكر المسعودي أن الودع كان يستخدم وسيلةً في التبادل التجاري في بعض جزر الهند[١]، وظل التعامل به إلى ما بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٢]. ولذلك لا يُستبعد أن يكون تجار الجزيرة العربية الذين كانوا يتاجرون مع هذه البلاد قد استخدموا عملتها المحلية مثل "الودع" وهم في أسواق تلك البلاد، وربما استخدموا وسيلة المقايضة كذلك.

أما العملة المتطورة فهي تعتمد في الأساس على النقدين الذهب والفضة، فكان الدينار الذهبي والدرهم الفضّي[٣] يكوّنان الوحدة الأساس

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥٢، وذكر المسعودي طريقة استخدام هذه العملة بشيء من التفصيل حتى إنه قال: "وبيوت أموال هذه الجزائر الودع"، وانظر نفس المصدر، ص١٧١.

(٢) أشار كل من الإدريسي وابن بطوطة إلى استعمال هذه العملة البدائية في عصر كل منهما، وهذا ما يؤكد استمرار استخدامها فيما بعد، (انظر: الإدريسي، وصف بلاد الهند وما جاورها، ص٦٠؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٥٨٣).

(٣) قبل قيام الدولة الإسلامية كان الدينار عملة الدولة البيزنطية والدرهم الفضّي عملة الدولة الساسانية، وقد استمر العمل بهما بعد الفتوح الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية إلى عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان الذي سكّ النقد الإسلامي، (انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٥٦). وكان الدرهم الشرعي يزن ٧ على عشرة من المثقال أي "وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل"، والأوقية منه أربعين درهمًا وهو على هذا الأساس سبعة أعشار الدينار، وعن هذا الموضوع انظر: (ناصر السيد محمود النقشبندي، الدرهم الإسلامي، بغداد، ١٩٧٩م، ص١٥)؛ وتوصل علي باشا مبارك في كتابه الميزان في الأقيسة والأوزان إلى أن وزن المثقال الذي قدر به الرطل البغدادي يساوي (٤,٥٣) جرامًا وأن الدرهم بناءً عليه يساوي (٣,١٧) جرامًا ويعني أن هذا هو الدرهم الشرعي، (الميزان في الأقيسة والأوزان، دار الأنصار بمصر، ص٦١).

وعندما سُكّ الدينار الإسلامي في عهد عبدالملك بن مروان جعل وزنه مثقالاً من الذهب الخاص أي اثنين وعشرين قيراطًا إلا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع، (الكرملي، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م ص ٧٤ ، ١٠).

للتعامل التجاري في الجزيرة العربية بصفة خاصة وفي العالم الإسلامي بصفة عامة، فكانت الدراهم هي العملة الغالبة على التعامل التجاري في بلاد المشرق بصفة رسمية، في حين كان الذهب مستخدماً في مصر والشام ومعظم أجزاء الجزيرة العربية وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من البلاد الأخرى، وليس معنى هذا أن الدينار لم يكن موجوداً في أقطار المشرق، بل كان من جملة النقود المستعملة في التبادل التجاري في مختلف تلك البلاد، فكان الذهب مستخدماً بوصفه وسيلةً للتعامل في مملكة المِهْرَاج[١]. كما كان في كثير من أجزاء الهند الأخرى عملة مضروبة من الذهب والفضة مثل مملكة البلهرا الهندية التي ذكرها المسعودي بقوله: "وفي أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعتهم بهما"[٢]. وذلك سهَّل استخدام الدينار في وسائل التعامل في تلك الجهات، وهذا يؤكده سليمان التاجر عندما أشار إلى الدينار في بلاد السند والهند[٣]. وأشار إلى عملة الصين التي كانت من الفلوس المضروبة من النحاس[٤]، وكان الفلس منها قدر الدرهم البغلي[٥]، أيضاً كانت الصين أول من استعمل العملة الورقية وهي قطعة من الكاغد

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ والمهراج لقب ملك الزابج والزابج جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هَرْكَند في حدود الصين، (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٤).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٧٠.

(٣) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٩٤.

(٤) كان سبب تعاملهم بها إنكارهم على المتعاملين بالدينار والدرهم، خشية أن تتعرض العملة الذهبية والفضية للسرقة فلو دخل لص منزل رجل من العرب المتعاملين بالنقدين المشار لهما لتهيأ له حمل عشرة آلاف دينار ومثلها من الورق فيكون فيها عطب صاحب المال، (سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٦٣).

(٥) الدرهم البغلي: نسبة إلى بغل وهو اسم يهودي ضرب تلك الدراهم، وكان يعرف برأس البغل، (الكَرْملي، النقود العربية، ص٢٢٠) ومما هو جدير بالذكر أن قيمة كل ألف فلس من العملة الصينية تساوي مثقالاً من الذهب، وقد عُثر على بعضها في مدينة سيراف على الخليج العربي، وعليها كتابات صينية، (المصدر نفسه، ص٦٣؛ وانظر: ناصر خسرو، ص٣٤ وما بعدها).

بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان، وكلّ خمس وعشرين قطعة منها تساوي ديناراً واحدًا(١).

ونظراً لهذا التنوع في استخدام النقود المتخذة من الذهب والفضة وما يعادلها من عملات أخرى خارج أرض الخلافة، اقتضى كل ذلك معرفة أوزانها وأشكالها وقيمتها الحقيقية، والمعادن المستخدمة منها وقيمتها بالنظر لغيرها من العملات، وما إذا كان تبادلها يتم على أساس العدد الخاص بها أو على أساس وزنها، الأمر الذي اقتضى ألا تستعمل إلا بتفويض من الخليفة العباسي في بغداد أو الفاطمي في مصر(٢).

وهذه العملة الإسلامية كانت مما يستخدم خارج بلاد الإسلام، فقد أشارت المصادر لاستخدام الهند بعض الدراهم التي يقال لها القاهريات، وربما سميت هذه العملة باسم مصر وهو ما يوحي بالنفوذ الفاطمي بعد تأسيس القاهرة في القرن الرابع الهجري الموافق للعاشر الميلادي(٣). وكذلك استعملت العملة الإسلامية في سُفالة الهند(٤).

وتعد المقايضة من أبرز وسائل التعامل التجاري في بعض المناطق، فكانت معروفة فيما قبل، واستمرت مستخدمة بواسطة التجار بعد ذلك

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٦٣,٩، وذكر أن القطعة منها تسمى بَالِشت، هو بمعنى الدينار عند المسلمين.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٩؛ التنوخي، جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٧، ص١٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢٥٦؛ المقريزي، النقود الإسلامية، ص١٧ وما بعدها.

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص١,٣؛ المقدسي، المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ وانظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ص١٠١ وما بعدها؛ السيد محمد يوسف، علاقات العرب التجارية بالهند، ص٢٥ وما بعدها.

ولا سيما مع الهند وجزائر المحيط الهندي وبلاد الصين وأيضًا شمال إفريقيا، يذكر المسعودي بعض صور المقايضة التي كانت تتم بين التجار القادمين من الجزيرة العربية وبين سكان جزائر النجمالوس الواقعة بالمحيط الهندي بعد بحر هَرْكَنْد في اتجاه الصين حيث يبيعون العنبر والنارجيل على أصحاب المراكب القادمة من الغرب، فيتعاوضون الحديد والحرير وشيئًا من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير، وإنما بالمقايضة وكانت مبايعتهم بالإشارة يدًا بيد(١).

ونوع آخر من المقايضة كانت متبعة في ساحل جزيرة الرامني وما جاورها من الجزر الأخرى، حيث كان التجار العرب يحملون بضائعهم إلى أسواق مخصصة في موانئ تلك البلاد، ويضعونها أكوامًا ويتركونها في هذه الأماكن فيأتي أهل هذه الأسواق ويضعون بضائعهم المراد بيعها مقابل سلع التجار العرب إلى جانب الأكوام السابقة، فيأتي التجار في اليوم التالي فإذا رضي صاحب التجارة بما وجده بجوار بضاعته من سلع أخرى يقايض بها أخذها وترك بضاعته مقابلها، وإن لم توافقه البيعة اختفى وترك كل شيء كما هو إلى اليوم التالي حتى يجد أن التجار من أهل البلاد قد زادوا في حجم بضاعتهم إلى أن يتم البيع بالقبول، أو يأخذوا بضاعتهم ويتركوا بضائع التجار العرب مكانها في حالة عدم القبول، وتعرف هذه الطريقة بالتجارة الصامتة(٢).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٥٢- ١٥٣.

(٢) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٢؛ ولزيادة المعلومات انظر: عادل الألوسي، تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا، ص٢٠٠، وذكر الألوسي أن المصادر الصينية تسمي هذا النوع من التعامل التجاري بالمبايعة الصامتة ويطلقون عليها سوق الشيطان أو سوق الشبح.

وكانت معروفة في تبادل تجار المغرب مع مناطق إنتاج الذهب في غرب إفريقيا حيث يبادلون الملح بالذهب[١]، ويبدو أن تجار البضاعتين لا يلتقون قط، ومثلهم كان تجار القرنفل[٢] في بعض أجزاء من السواحل الهندية حيث ذكر المروزي أن تجار العرب الذين يقصدون تلك البلاد لشراء القرنفل كانوا يذهبون بالقوارب إلى شواطئ الجزر الهندية ويبسطون الفرش، ويضع كل تاجر كيسًا فيه الدنانير التي يرغب في ابتياع القرنفل بها ويغادرون المكان عشيًا، ويعودون في الصباح إلى ذلك المكان فيجدون على كل فرش ما يعادل قيمة الدنانير من القرنفل فيأخذونه، وإن لم يعجب ذلك بعضَهم تركه كما هو وعاد في اليوم التالي فيجد ماله بحاله ويأخذ صاحب القرنفل بضاعته[٣]. ومع هذه الإشارات إلى التجارة الصامتة فإن غرابة التعامل فيها يجعل هذه الروايات تجنح نحو الخيال أكثر من الواقع، فربّما لا تعدو أن تكون مقايضة يدًا بيد، وهذا ربما كان هو طريقة التعامل في شرق إفريقيا والجهات الأخرى.

ويبدو أن قيمة السلع في حالة المقايضة تتم لمصلحة التاجر لأن المشترين يحتاجون إلى البضائع التي في يد التاجر[٤].

---

(١) مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص٢١٥؛ وانظر كذلك: الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٢٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٢-١٣؛ وذكر عز الدين عمر موسى أن أكثر المقايضة كانت تقوم على الذهب، (النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص٣٠٣).

(٢) قال اليعقوبي: "القرنفل كلّه جنس واحد: وأفضله وأجوده الزهر القويّ اليابس، الجاف، الذكي، الحرّيف الطعم، الحلو الرائحة، ومنه الزهر، ومنه الثمر. وقيل هو ثمر شجر عظام، تشبه شجر السدر"، (كتاب البلدان، ص١٢٥).

(٣) المروزي، الطيب شرف الزمان طاهر، أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، من دون مكان الطبع ولا تاريخه، ص٤٩؛ وانظر: شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص٢٥٥.

(٤) حتى فيما بعد يبدو أن المقايضة كانت تتم في الغالب لصالح التاجر، من ذلك ما أشار إليه ابن بطوطة عن بيع العود في الساحل الشرقي من شبه جزيرة الملايو فيقول: "فيبيعون الحمل منه بثوب من ثياب القطن"، (رحلة ابن بطوطة، ص٦٢٥).

ونظراً لاضطرار بعض التجار للبقاء في منطقة التبادل مدة طويلة بسبب من العوامل المناخية، أو الإجراءات التنظيمية، خاصة في التجارة البحرية حيث يمكث التجار وقتًا طويلاً في انتظار أن توافيهم الريح الموسمية لعودتهم(١). فإن هؤلاء التجار كانوا يستثمرون أوقات الانتظار في استخدام ثروتهم مع تجار البلد المضيف لتنمية رؤوس أموالهم، إذ ذكر المقدسي على سبيل المثال ما كان يحمله تجار الجزيرة - وخاصة أهل عُمان - من سلع إلى إقليم السِّند ببلاد الهند ويقومون في الوقت نفسِه بشراء ما يناسبهم من البضائع بمقادير وفيرة(٢). ويشير الإدريسي إلى مهارة تجار الجزيرة العربية الذين يسافرون إلى الهند، بأنّ: "مراكب العُمانيين تقصد ميناء الدّيْبُل بأمتعتها وبضائعها، وقد ترد عليها مراكب الصين والهند بالثياب والأمتعة الصينية فيشترون من ذلك جُزافًا؛ لأنهم أهل يسار، وأموالهم كثيرة ويمسكونها حتى إذا سافرت المراكب عنهم وخلت السلع أخرجوا أمتعتهم وباعوا وسافروا إلى البلاد وتصرفوا في أموالهم كيف شاؤوا"(٣).

كما أن التجار عند ذهابهم إلى الساحل الشرقي لإفريقيا كانوا يمكثون في موانئ تلك البلاد مدة محددة في انتظار هبوب الرياح الموسمية،

---

(١) الرياح الموسمية كانت تسير بموجبها السفن في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر وغيرها من المياه الأخرى، فعنها يقول المسعودي: "ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابّها، قد عُلم ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبّان هيجانه وأحوال ركوده وثوراته". (مروج الذهب، ج١، ص١١٢).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٧٩.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٦٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر: محمد عبدالعال، دور الخليج في حركة التجارة البحرية في العصر العباسي الأول، ص١١٧.

فيمارسون نشاطهم التجاري إلى حين مغادرتهم في طريق العودة إلى الجزيرة العربية[١].

أيضًا كانت حكومة الصين تفرض بعض الإجراءات التنظيمية على مراكب التجار الواصلين من البلاد الإسلامية وغيرها إلى ميناء خانفو "كانتون"، حيث كانت الحكومة تلزمهم بأن تُفرغِ السفنُ شحناتها، وتودع في مخازن خاصة بها وتظل بها لمدة ستة أشهر حتى تضمن وصول آخر مراكب البحرين إلى الصين، وذلك لمنع التجار من احتكار السلع وبيعها بسعر مرتفع لندرتها في الأسواق الصينية[٢]. وبعد وصول السفن القادمة في الموسم يفرج عن تلك السلع وتسلّم لأصحابها ليزاولوا حركة البيع والشراء كالمعتاد[٣].

ولا ريب أن حجز جميع السلع وعدم السماح بعرضها في الأسواق حتى تكتمل القوافل التجارية في وقت واحد كان يؤدي إلى إيجاد منافسة من شأنها تخفيض الأسعار والقضاء على محاولة المغالاة فيها، وأعتقد أن هذه المدة التي كان يمكثها التجار في الموانئ الصينية كفيلة بأن تمكنهم من اختيار السلع التي يرغبون في شرائها والعودة بها إلى أسواق الجزيرة العربية، فضلاً عمّا يحققونه من أرباح من جراء مشاركتهم في نشاط

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٠٧- ١١٢؛ وانظر : صباح الشيخلي، العلاقات التجارية بين الخليج وشرق إفريقيا، ص٥٢ وما بعدها.

(٢) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٣٦؛ وانظر : حسين المسري، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص٢٢٤- ٢٢٥.

(٣) سليمان التاجر، المصدر السابق، ص٤٥ وما بعدها، وانظر كذلك لمزيد من المعلومات: جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٨.

التجارة الداخلية في البلد المضيف إبان مدة انتظارهم إلى حين مغادرتهم في طريق العودة إلى سواحل الجزيرة العربية[١].

وهناك وسائل للتعامل التجاري أخرى استخدمت لتسهيل النشاط التجاري وذلك بتوفير وسائل للدفع مأمونة من الضياع وخفيفة الحمل مثل السفاتج[٢] وهي عبارة عن تحويل يحمله التاجر إلى بلد بعيد بدلاً من النقود إلى وكيل في بلد آخر، ويأخذ منه مستنداً إلى حساب المرسل[٣].

وكما هو معلوم فإن السفاتج أو الحوالات ظهر استعمالها منذ وقت الدولة الأموية في أسواق الحجاز حيث أشار السرخسي أن ابن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار فيكتب لهم إلى البصرة وإلى الكوفة فيأخذون أجود من ورقهم[٤].

ويروي الصابي أن الأموال كانت ترسل من الأقاليم إلى بغداد مع رسل أو سفاتج تجار إلى تجار[٥]، وأشرنا فيما مضى إلى أن الخليفة المعتضد أنفق على إصلاح المسجد الحرام أموالاً طائلة أرسل بعضها نقداً وبعضها الآخر بالسفاتج[٦].

(١) انظر: سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٥٤، وانظر لمزيد المعلومات: بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصّين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص١٣٢ وما بعدها.

(٢) سبق تعريفها في الفصل الأول من هذا الكتاب، ومن الملحوظ أن بعض الفقهاء ينظر للسفتجة على أنها قرض يمنحه المقرض إلى المقترض ليوفيه إياه في البلد الآخر، ويرى بعضهم أنها حوالة، لهذا السبب ترد لدى الفقهاء إما في كتاب القرض أو كتاب الحوالة، (السرخسي، كتاب المبسوط، ج٤، ص٣).

(٣) المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، والجزء والصفحة أنفسهما.

(٥) الصابي، الوزراء، ص٨١؛ وانظر لمزيد من المعلومات: حمدان الكبيسي، أسواق بغداد، ص٢٦٤.

(٦) انظر التمهيد من هذا الكتاب.

ولا نستبعد أن تستخدم الحوالات هذه في أسواق الجزيرة العربية بكثرة ولا سيما في الأسواق المركزية مثل مكة وجدة وعدن وصُحار بحكم علاقتها التجارية العالمية، ولأن نظام السفتجة كان معمولاً به في المجال التجاري على نطاق مناطق التبادل التجاري الأخرى(١).

وكانت الصكوك(٢) من وسائل التعامل التجارية المألوفة في ذلك الوقت(٣)، وهو في الأساس سند الدين الذي ربما كان يشهد عليه العدولُ لإثبات حق المدين على الدائن، من ذلك ما رواه ابن خرداذبة: "ولقد رأيت صكًا كتب بدين على أبي سعيد وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار"(٤). فقد كانت الصكوك مستعملة في مختلف أقاليم دولة الخلافة(٥). وسبق الإشارة إلى الأغراض المتعددة التي استخدمت فيها هذه الصكوك.

ولا ريب أن هذه الحوالات والأوامر الخطية أسهمت في زيادة النشاط التجاري القائم بين الجزيرة العربية والأقطار الأخرى، فكان التجار يستخدمونها لتسهيل نقل الأموال بين رحلاتهم التجارية البعيدة لتجنب مخاطر الطريق.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص ١٤٦، ١٥، ١٨٧، ٣٥٠.

(٢) جمع صك، والأصل فيها كلمة فارسية "جك" معربة بمعنى كتاب أو أمر خطي بدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٥٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦١.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦١؛ وانظر كذلك: ناصر خسرو، سفرنامه، ص١١٩، ١٤٦.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص١٥٨؛ خسرو، سفرنامه، ص١٩٦؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٨٠.

الخاتمــــة



شهدت الخلافة العباسية ضعفًا سياسيًا في مركز الخلافة نفسها عندما تعاظم نفوذ الأتراك وسيطرتهم على الأمور في عهد الخليفة المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي (٢٤٧- ٢٥٦هـ/ ٨٦١-٨٦٩م)، وكانت هذه الحقبة تعرف بفترة فوضى الأتراك؛ لأن الجند كانوا يعزلون الخليفة ويولّون من شاؤوا، وأصبحوا هم أهل الحل والعقد لا ينازعهم أحد، فانفرط نظام الدولة لضعف الخلفاء وقلة حيلتهم، وكُفت أيدي الوزراء فلم يعد لهم سلطان على الإدارة، وصار الجيش ممزق الأوصال بين المتنافسين من الأتراك، فلم تستطع الخلافة نفسها السيطرة على العراق نفسه فضلاً عن الولايات الأخرى.

في هذه المدة ظهرت حركات مناوئة للخلافة مثل الزُّط، والزَّنج، والقرامطة، وبذا فقدت الخلافة العباسية هيبتها ودبَّ الوهن في كيانها، وأصبح الخليفة ألعوبة في أيدي الأتراك.

وصاحب الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية ظهور قوة جديدة تغلبت هي أيضاً على مركز الخلافة وتمثلت في نفوذ البويهيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على السلطة داخل العراق سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، فانتزعوا من الخليفة العباسي ما كان قد بقي له من نفوذ، حتى إنهم شاركوا في شارات الخلافة وألقابها، وهم المختلفون عنه مذهبًا.

تأثرت الجزيرة العربية بهذه الأحداث التي هيمنت على الخلافة في مركزها خلال تلك المدة فشهدت أقاليم الجزيرة العربية ظهور دويلات

صغيرة أو أسر حاكمة تتبع العباسيين اسمًا وتستقل عنهم فعلاً، بل إن مجرد التبعية الاسمية للخليفة قد زالت في بعض الأقاليم، كما حدث من الفاطميين، بل إن من الحكام من استقل عن الخلافتين معًا، نعني خلافة العباسيين، وخلافة الفاطميين. وفي بعض الأحيان حتى مجرد الاتباع الاسمي سقط. وكان لكل من هذه الكيانات السياسية التي ظهرت في الجزيرة العربية عاصمتها وبلاطها.

أثرت الأوضاع السياسية التي شهدتها الجزيرة العربية في تلك المدة تأثيرًا كبيرًا في التجارة، وهذا التأثير كان إيجابيًا حينًا وسلبيًا حينًا آخر، غير أن تلك الأوضاع ما كانت لتثمر ثمرات إيجابية حينما واتتها الظروف إلا لثلاثة عوامل مهمة كان لها كبير الأثر في تجارة الجزيرة العربية في تلك المدة، وهي الإسلام ووحدة الدولة - ولو اسميًا - والموقع الجغرافي، ومن بعد ذلك جاءت العوامل إيجابية حينًا وسلبيةً حينًا آخر مختلفة من منطقة إلى أخرى.

لقد وحَّد الإسلام الجزيرة العربية لأول مرة وجعلها جزءًا من دولة كبيرة كان مركزها السياسي في الجزيرة العربية مع الراشدين، ولكنها ظلت مركزًا روحيًا لتلك الدولة على اختلاف أطوارها الإسلامية وتبدل عواصمها، فكان لهذه المكانة الدينية أثرها الإيجابي في ازدهار تجارتها، فعلى الرغم من أنه بدأت تقوم فيها كيانات سياسية شبه مستقلة إلا أنها من الناحية الاسمية كانت تتبع الدولة العباسية وهو ما سهل حرية التجارة، لهذا كان التجار ينتقلون في الجزيرة العربية أو في أرض الخلافة في أمن واطمئنان.

كما امتدت الدولة الإسلامية بامتداد الأمة الإسلامية، ولهذا أفاد

التجار من انتشار الإسلام خارج دار الخلافة، حيث الهند والصين وإفريقيا وغيرها من بقية البلاد الأخرى ولا سيما أن للجزيرة العربية موقعًا جغرافيًا إستراتيجيًا في قلب العالم المعروف آنذاك. فقد مكَّنها هذا الموقع من تبادل البضائع ونقلها من أماكن الوفرة إلى أسواق الاستهلاك كما هو الحال في نقل البضائع الهندية والصينية إلى مركز التجارة في العراق، والشام ومصر، وغيرها من البلدان الأخرى، وكذلك جلب ما يتوافر في أسواق تلك الآفاق من سلع تحتاج إليها أسواق الجزيرة العربية فيعاد تصديرها إلى بلاد المشرق فالجزيرة العربية كانت بحكم موقعها الجغرافي مفترق الطرق لكثير من التجار الذين كانوا يتوافدون على أسواقها في مختلف المواسم ومن مختلف الآفاق.

كان للحج أثره الإيجابي في التجارة في تلك المدة، فمع انتشار الإسلام كثر الحجاج لأداء الفريضة من مختلف أصقاع المعمورة، ومن ثَمَّ زادت حركة التجارة في أسواق الجزيرة العربية بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة، فقد كانت مكة في موسم الحج يتضاعف نشاطها التجاري.

كما أوضح الكتاب اهتمام الخلفاء العباسيين والفاطميين وبعض الأغنياء وأهل الورع بالإنفاق على الحرمين الشريفين وإصلاح مرافق الحج والإنفاق على أهلها، وكان هذا العمل الخيري مستمرًا يتنافس عليه الخلفاء والأغنياء من الأمراء وأصحاب الثروات محتسبين ذلك لوجه الله تعالى وخدمة دينهم الحنيف.

ولم يتوقف الاهتمام على الحرمين الشريفين فقط فقد اهتم الخلفاء بالطرق ومثلهم فعل بعض المحسنين، فأقاموا فيهما المحطات والآبار والبرك ورصفوا بعضها ووفروا فيها معظم الخدمات والمرافق التي تحتاج لها القوافل في طريقها إلى الحرمين الشريفين. وكان الماء من أهم ما يحتاج

إليه المسافرون عبر مسالك الجزيرة العربية، لذلك صرفت الأموال الطائلة على توفيره بواسطة الخلفاء والأمراء ومحبي الخير، فيسر ذلك على التجار وغيرهم سلوك الطرق البرية، وقد اهتم الخلفاء بضبط الأمن في تلك الطرق، وذلك ساعد على انتعاش التجارة في الجزيرة العربية. واعتاد التجار مرافقة قوافل الحج الكبيرة حاملين معهم أثمن البضائع لشعورهم بالأمان في صحبة الحجاج .

وعلى الرغم من تعدد العوامل الإيجابية التي ساعدت على ازدهار التجارة في الجزيرة العربية، إلا أن هناك بعض العوامل التي عرقلت النشاط التجاري وحدَّت من نموه وازدهاره في بعض المناطق وفي بعض الفترات وذلك أدى إلى ندرة السلع في أسواق الجزيرة في بعض الأحيان، وقد تناول الكتاب هذه العوامل بشيء من التفصيل فيما مضى، وعلى الرغم من ذلك فإن التجارة في هذه المدة لم تتأثر كثيرًا بالعوامل السلبية؛ لأنها لم تكن متصلة زمانًا ولا متسعة مكانًا.

كما شهدت التجارة الداخلية في الجزيرة العربية نشاطًا ملحوظًا في معظم هذه المدة مع تفاوت من منطقة إلى أخرى حسب تأثرها بالعوامل الإيجابية والسلبية السابقة الذكر، فقد تنوع الإنتاج الزراعي والصناعي من منطقة لأخرى، وارتبطت أقاليم الجزيرة العربية بعضها ببعض بشبكة من الطرق التجارية العامرة بحركة القوافل التجارية في مختلف المواسم.

ونتيجةً لازدياد النشاط التجاري نمت كثير من مدن الجزيرة العربية نموًا كبيرًا، وكانت تجارة هذه المدن تعتمد على الأسواق التي تقام فيها إما بصفة يومية أو أسبوعية، وفي مقدمة هذه المدن مكة والمدينة وصنعاء،

ومدن سواحل الجزيرة العربية مثل جُدة وعَدَن ومَسْقَط وصُحَار ودَارِين، فكانت أسواق هذه المدن تصب فيها البضائع والسلع من كل مكان، وكانت تحتوي على مخازن لتخزين البضائع الواردة من مناطق التبادل التجاري، وأشار الكتاب إلى جاليات التجار من مختلف الجنسيات الذين كانوا يزاولون الأعمال التجارية في أسواق الجزيرة العربية ويقومون على رعاية مصالحهم التجارية.

وقد أسهمت أسواق المحطات والقرى الواقعة على خطوط التجارة البرية أو البحرية داخل الجزيرة العربية في زيادة نشاط الحركة التجارية، فكانت لها أسواق يتم فيها تبادل البيع والشراء فيما يتوافر فيها من سلع وبضائع تجارية، وعادة ما تخدم هذه المحطات أهل البوادي والأرياف المحيطين بها، بالإضافة إلى وفود قوافل الحجاج والتجار وغيرهم من المسافرين كما هو الحال في طرق الحاج العراقي، ومثلها طرق الحاج الشامي والمصري ومن شاركهم في استخدام هذه الطرق.

ولم تخلُ أسواق الجزيرة من التنظيم في هذه المدة، وهو ما ساعد على رواج تجارتها الداخلية، فكانت الأسواق حسنة التنظيم، حيث خصص لكل تجارة ناحية خاصة بها داخل السوق الكبير، وكانت هذه الأسواق تخضع لرقابة السلطات وفقًا لتعاليم الإسلام، فكان يتولى المحتسب أو من يعاونه من عمّال السوق مراقبة المكاييل والموازين، والحكم بين أصحاب المهن فيما قد يقع بينهم من خصومة، ومراقبة الأسعار العادلة بما يكفل مصلحة البائع والمشتري.

كذلك أوضح الكتاب أبرز الطرق التجارية البرية والبحرية الداخلية والخارجية، حيث تعددت مسالكها في كل الاتجاهات وربطت أسواق

الجزيرة العربية بعضها ببعض وكذلك ربطتها بمناطق التبادل التجاري الأخرى. وقد تبين أن الطرق البحرية كانت أكثر أمنًا وأسهل في الاستخدام من الطرق البرية.

ونظرًا للطبيعة الصحراوية للطرق البرية في الجزيرة العربية، فإن تجار الجزيرة كانوا هم المسيطرين على مسالكها، حيث كان من المتعذر على التجار الأجانب سلوكها؛ لأن مجاهل الصحراء كالمحيطات لا يسلكها إلا من تعوَّد عليها وخَبِرَ أميالها ومراحلها وطبيعتها التضاريسية وما فيها من مناهل المياه ومكامن الخطر.

وبعد دراسة علاقة الجزيرة العربية التجارية مع مناطق التبادل التجاري نستخلص من ذلك أن الجزيرة العربية - بحكم موقعها الجغرافي - أصبحت ممرًا لكثير من طرق التجارة العالمية، فقد تميزت بسواحل بحرية تحدها من ثلاث جهات، فارتبطت بتلك المناطق تجاريًا، وما زاد في حجم هذا التبادل التجاري انتشار الإسلام في هذه المدة الذي عم كثيرًا من تلك المناطق، فالجزيرة العربية أصبحت قبلة المسلمين ومكان حجهم، وذلك زاد في حجم النشاط التجاري وتبادل السلع والبضائع المختلفة سواء ما كان منها من إنتاج الجزيرة العربية أم ما كان يستورد من خارجها مثل العراق والشام ومصر، وشمال إفريقيا والأندلس وشرق إفريقيا وبلاد فارس والهند والصين، لذلك كانت أسواق الجزيرة العربية من أهم الأسواق العالمية لما يجلب إليها من التجارات المتنوعة.

وبمراجعة صادرات الجزيرة العربية ووارداتها يتبين أن الميزان التجاري كان في صالح كثير من مناطق التبادل التجاري، حيث كانت سلع الصين والهند مثلاً تجد في أسواق الجزيرة العربية رواجًا كبيرًا للإقبال

على شرائها من مختلف فئات السكان لجودتها أو لرخص أسعارها في معظم الأحيان.

ويبدو في الوقت نفسه أن تجار الجزيرة العربية ومن شاركهم من تجار البلاد الأخرى كانوا يعيدون تصدير بضائع الهند والصين أو شرق إفريقيا إلى جهات أخرى خارج الجزيرة العربية تلبية لطلب الأثرياء وكبار الموظفين والتجار، وبوجه الخصوص الوزراء والخلفاء حيث كانوا يقبلون على شراء السلع الكمالية مثل: العطور والبهارات والجواهر والأسلحة، والمنسوجات الفاخرة.

وعلى ذلك استمرت السلع والبضائع تتدفق على أسواق الجزيرة العربية من مختلف الآفاق من وقت لآخر بصفة مستمرة. كما أسهمت الجزيرة العربية في كثير من السلع الفاخرة التي كانت تنتجها بعض أقاليمها مثل: منسوجات اليمن والجلود ومشتقاتها، وكانت لهذه السلع شهرة عالمية.

وأوضح الكتاب وسائل البيع والشراء القائمة بين تجار الجزيرة العربية وغيرهم في مناطق التبادل التجاري، فكان التجار يستخدمون النقود الفضية والذهبية، بالإضافة إلى استخدام العملة السائدة في المنطقة التي يتاجرون معها، وكانت المقايضة من وسائل التبادل التجاري وغلبت على التعامل مع سكان الجزر في المحيط الهندي.

كما أوضح أن تجارة الجزيرة العربية كانت تتمتع بنشاط كبير خلال تلك المدة ، حيث أسهم موقعها الإستراتيجي على خطوط التجارة العالمية في ازدهارها، ومكنها هذا الموقع المرموق من تصدير البضائع الإفريقية إلى الهند، والبضائع الصينية والهندية إلى العراق

والشام وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من الآفاق الأخرى، كذلك كانت الجزيرة العربية سوقًا رائجة يؤمها كثير من تجار العالم مثل التجار اليهود الراذنية الذين كانوا يقصدونها في رحلاتهم التجارية من أوربا إلى الهند. بالإضافة إلى كثرة الوافدين على الجزيرة في مواسم العبادات من مختلف الجهات الإسلامية.

وتبين من ذلك أن الازدهار التجاري لم يقتصر على أقاليم الدولة العباسية، مثل العراق ومصر، وإنما شاركت الجزيرة العربية في هذا الازدهار التجاري الذي كان سائدًا في تلك المدة.

والله ولي التوفيق

الملحقــــات

١ - جداول توضيحيـــة ١ - ٥

٢ - خـرائط من شكل رقم ١ - ١٥



الملحق رقم (١)

كشف ببعض أسماء ولاة (عمال) طريق الكوفة - مكة في عصر الدول العباسية

اسم الوالي	سنة / سنوات التعيين	الخليفة
محمد بن إبراهيم بن علي	-	المنصور
يقطين بن موسى	١٦١هـ/٧٧٧م - بقي متعهداً للطريق حتى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م وكان ينوب عنه أخوه أبو موسى	المهدي
عمر بن فرج(*)	٢٣١هـ / ٨٤٥م	الواثق
يحيى بن هرثمة	٢٣٣هـ / ٨٤٧م	المتوكل
جعفر بن دينار	٢٣٩هـ / ٨٥٣م	المتوكل
أبو الساج	٢٤٤هـ ٨٥٨م	المتوكل
محمد بن حاتم	-	المستعين
عبدالله بن سليمان	٢٥١هـ/٨٦٥م كان مساعداً لأبي الساج	المستعين
الحارث	٢٥١هـ/٨٦٥ حل مكان عبدالله بن سليمان	المستعين
محمد بن عبدالله	٢٥٢هـ / ٨٦٦م	المستعين
أحمد الموفق	٢٥٧هـ / ٨٧٠م	المعتمد
كفتمر علي بن الحسين بن داود	٢٦٢هـ / ٨٧٥م	المعتمد
علي بن مسرور البلخي	٢٦٥هـ / ٨٧٨م حل مكان أخيه محمد ابن مسرور البكري، وقد قتل علي في العام نفسه على يد بني أسد	المعتمد
محمد بن الساج	٢٦٦هـ / ٨٧٩م	المعتمد
محمد بن أحمد الطائي	٢٧١هـ / ٨٨٤م	المعتمد
أبو بكر عبدالله بن يوسف	-	المعتضد
إبراهيم بن أبي الأشعث	٢٩٤هـ / ٩٠٦م	المكتفي
أبو حامد ورقاء بن محمد الشيباني	٣٠٣هـ / ٩١٥م	المقتدر بالله
أبو الهجاء عبدالله بن حمدان	٣١١هـ / ٩٢٣م	المقتدر بالله

(*) وفي الوقت نفسه عُيِّن إسحاق بن أبي حميضة واليًا على طريق البصرة - مكة .

المرجع ، الراشد ، سعد ، درب زبيدة ، ص ٦٣ - ٦٤.

الملحق رقم (٢)

جدول بأسماء أهم أسواق الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر الميلادي

م	الحجاز	اليمـــن	عُمان	البحرين	اليمامة
١	مكة المكرمة	صنعاء	صحار	هجر	حجر
٢	جـدة	صعدة	مسقط	المشقر	الخضرمة
٣	المدينة المنورة	زبيدة	جلفار	الأحساء	الفلج
٤	الطائف	ظفار	مرباط	ثاج	الحائط
٥	وادي القرى	عدن	ظفار	الخط، وبها الرماح الخطية	جماز بالفقي
٦	ينبع	جرش	السر	عدولي	أكمة
٧	خيبر	نجران	نزوة	القطيف	خزية
٨	الجحفة	الجند	دبا	دارين	العسجدية
٩	الحواراء	الجريب	صلالة	أورال (جزيرة البحرين الحالية)	النباج
١٠	الجار	الشحر	حفيت	قطر	الثعلبية
١١	تيماء	السرين		العقير	معدن النقرة
١٢	تبوك	الذنائب			القريتين
١٣	أملج	سحول التي منها الثياب السحولية			ضرية
١٤	منى	سلوق وتنسب لها الكلاب السلوقية			فيد
١٥	تبالة	ريـــــدة			قرقرى
١٦	رنية	جبلان وتنسب له البقر الجبلانية			ثرمداء
١٧	العيص	غلافقة			حربة
١٨	بيشة	سوق المعدن الرضراض			
١٩	الأبواء	ذمـار			

م	الحجاز	اليمـــن			
٢٠	مدين	رباك			
٢١	السقيا	جيشان			
٢٢	تربة	أتحم			
٢٣		عثـر			
٢٤		حلي			
٢٥		شبام			
		تريم			
		إب			

يُلَحظ أن هناك عـددًا آخـر من الأسـواق الدائمـة الأخـرى في مـدن الجـزيرة العـربيـة وقـراها ونواحيها حفلت بذكرها المصادر، لم نأت على ذكرها في هذا البيان الموجز فما ذكرناه من أسواق الجزيرة العربية في هذا الجدول إنما هو على سبيل المثال لا الحصر .

المصدر : معتمد على المصادر المدونة في هوامش البحث المتعلق بالأسواق في هذا الكتاب.

الملحق رقم (٣)

جدول بأبرز السلع الواردة من مختلف مناطق التبادل التجاري

بلد المصدر	السلع الزراعية	السلع الصناعية	السلع الحيوانية	العطور	الرقيق
العراق	الأرز والتمور ونبات الكتان الرفيعة والشعير وحب الرمان والفواكه المقددة والفواكه المجففة.	الثياب القطنية والحريرية والمناديل والعمائم والحرير والديباج والطيالسة من الصوف والفرش والستور والبسط والأنماط والوسائد والمنسوجات والعسل والجبن والسمن والملح والحديد والسلاسل والثياب الوشيمة والقرام والموازين وحجر الزجاج والصابون والأقلام والثياب والكرياس الصفيق والأواني الزجاجية والخزفية والمعدنية والحديدية والسلاسل والرصاص.	الجلود وخاصة جلود البغال والخيل الأصلية	أدوات الزينة مثل الحناء وماء الورد ونبات الكتان الرفيعة والطيب المستخرج من البنفسج والعنبر	
الشام	الحبوب والفواكه	زيت الزيتون والمنسوجات والسكر والعسل والصابون والأصبغة والورق والشب والخزف والأواني الزجاجية والخزفية والمعدنية والحديد والسلاسل والرصاص والأواني المعدنية والنحاسية والحديدية والسيوف والحلي.			

بلد المصدر	السلع الزراعية	السلع الصناعية	السلع الحيوانية	العطور	الرقيق
مصر	القمح وأنواع الحبوب الأخرى	الثياب والرقاق والأقمشة المشهورة مثل الدبيقي والستور والبسط والقراطيس والشب والخزف والسكر والعسل والزمرد والذهب والمعادن .	الحمير والبغال		
شمال إفريقيا والأندلس	التين والفستق والزعفران	اللبود والأكسية والبسط الرقيق والفرش والخزف والزئبق والأقفال والأواني الفضية .	الدواب والصوف وجلود النمور والبغال والبزاة السود	العنبر المعروف بالصبر المغربي والعقاقير الطبية والعطور	الجواري الأندلسيات
فارس (إيران)	أصناف عديدة من الفواكه مثل الخوخ والسفرجل والكمثرى والتفاح وشراب الفواكه والكتان والفستق والقطن .	الثياب المروية والطنافس والإبْرَيْسَم والمناديل والزعفران والأقساط والفؤوس والعسل والسكر والأكسية الصوف وثياب الكتان والدروع والزجاج وماء الورد والكحل والمرايا والأقفال والسيوف .		دهن الياسمين	
ساحل إفريقيا	الذرة البيضاء وقصب السكر	العاج والذهب والرماح	جلود النمور والزراف وجلود البقر	العنبر الداكن والتوابل والعقاقير	الرقيق الأسود الحبشة والسودان

بلد المصدر	السلع الزراعية	السلع الصناعية	السلع الحيوانية	العطور	الرقيق
أرمينيا		اللبود والفرش والبسط الرقاق والصوف والوسائد والتكك والخز الفاخر وملح البورق .	البغال		الرقيق الأبيض
بلاد الأفرنج الروم		الديباج والثياب الكتانية والبسط والتكك وجلود الخز والأقفال المحكمة وأواني الذهب والفضة والدنانير الخالصة القيسرانية والأحجار الكريمة والمرجان .		الورد والأطياب مثل الميعة	الجواري الروميات والصقالبة
أواسط آسيا		الثياب والمصليات وغراء المسك والعسل والقدور الكبيرة الحجم	فرو الثعالب والسنجاب والأغنام والبقر	المسك التبني والكاغد السمرقندي	الرقيق التركي
الهند	القرنفل والفلفل وجوز الهند والقطن والهيل والكمون والدارصيني وخشب الساج وأشجار الفواكه	الفوط والملابس الملونة والثياب المخملية والنيل الذي يتخذ لصبغ الثياب والصندل والأحذية والأواني الزجاجية والأدوات المنزلية والرصاص والرماح والسيوف والأحجار الكريمة		الأطياب والمسك والعود والعنبر	الرقيق الهندي
الصين	القرنفل والقمح وبعض أنواع الفواكه المجففة والزنجبيل وأنواع التوابل الأخرى	ثياب الحرير والسروج والورق الفاخر والمداد والغضائر والشمع البراذين والفرند وأواني الذهب والفضة والأقفال والرماح		الأطياب وعلى الأخص المسك والعود والغضائر	الجواري

– معتمد على مصادر الكتاب ومراجعه المشار إليها في قائمة المصادر .

الملحق رقم (٤)
جدول صادرات الجزيرة العربية

الإقليم	السلع الزراعية	السلع الصناعية	السلع الحيوانية	العطور	الرقيق
اليمن	الحبوب، الزبيب، اللبان الخطر، الورس، المقل، اللك، الصمغ، السناء، الزعفران، المر، الكادي، الدبس	العسل الجامد، قوالب السكر، الدبس، المنسوجات القطنية، والصوفية والحريرية مثل العمائم والبرود والحبرات والأردية والعصائب والقطائف، والحلل، والوشي، والملايات، والحراب، وأدوات القتال مثل الأقواس والسيوف والدروع والرماح، والأطباق والأقداح الخشبية، والعقيق والجزع واللؤلؤ والذهب، والفضة، والنعال، والقطران	الزراف والإبل المهرية والجلود مثل جلود البقر والنمور والقرود	البخور والعطور	الرقيق
الحجاز	التمور والعسل وبعض أنواع السلع الأخرى الواردة للحجاز ويعاد تصديرها، العنب، الزبيب، السنا المكي	الثياب والحلي المصنوعة من الذهب والفضة أو المعادن الأخرى، وحجر المسن، ومواد الدباغة، والسيوف، والسهام، والأقواس، والنعال والجلود الفاخرة، والنعال الطائفية التي يضرب بها المثل		بعض أنواع الطيب والحناء ودهن البان	

الإقليم	السلع الزراعية	السلع الصناعية	السلع الحيوانية	العطور	الرقيق
اليمامة	التمور والتوابل التي يعاد تصديرها	اللؤلؤ، الدبس، المنسوجات مثل الأردية القطرية والفوط والبرود، الرماح، النحاس	الخيل والأغنام والإبل		الرقيق
البحرين	التمور والتوابل التي يعاد تصديرها	اللؤلؤ، الدبس، المنسوجات مثل الأردية القطرية والفوط والبرود، الرماح، النحاس		المسك	
عمان	أنواع المحصولات الزراعية، التمر، اللبان، الأبنوس، الساج، جوز الهند، تصدير الشتلات الزراعية مثل الأترنج، النارنج .	اللؤلؤ ، السمك المجفف ، العاج	الخيل والإبل والطير	العنبر	الرقيق

– معتمد على مصادر الكتاب المشار إليها في هوامش الصادرات من هذا الكتاب .

الملحق رقم (٥)

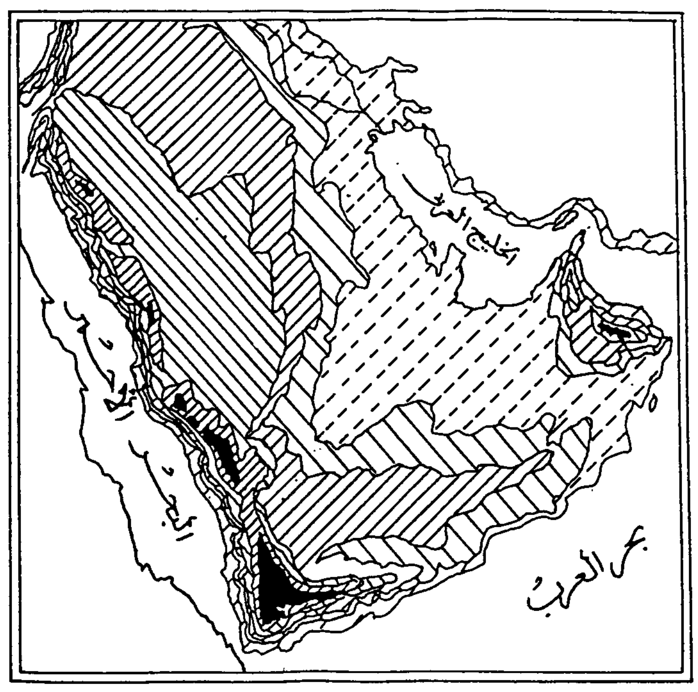
جدول بأسماء السفن وأحجامها وحمولاتها ومواصفاتها

م	اسم السفينة	الطول	العرض	العمق	عدد الأشرعة	الحمولة بالطن
١	جفن					
٢	الأهورة					
٣	بارجة					
٤	الباتامارس	٧٦	٢١		١ – ٢	٦٠ – ٢٠٠
٥	البغلة	٧٤	٢٥	١١	١ – ٣	١٥٠ – ٤٠٠
٦	الباركات				٣	١٠٠ سلة فلفل
٧	الجاكر					
٨	الجرم					
٩	جلبة				١٢	
١٠	جنك					
١١	الخلية					
١٢	الداو	٨٥	٢٠	١١	١	١٥٠ – ٢٠٠
١٣	الدوينج					
١٤	الدوني	٧٠	٢٠	٩	١	
١٥	الزو				٢	١٠٠ – ٤٠٠
١٦	الدهيبة					٨٠ – ١٨٠
١٧	السفيات					
١٨	السنبوق	٨٠				١٥
١٩	الشوعي					
٢٠	العكبري					
٢١	الفجيني	١٧٦ ذراعًا	٢٠ ذراعًا	١٧ ذراعًا		
٢٢	الفنجة				٣	

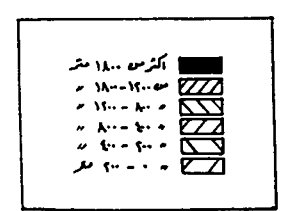
م	اسم السفينة	الطول	العرض	العمق	عدد الأشرعة	الحمولة بالطن
٢٣	الككم					
٢٤	الكندرة					
٢٥	الهوري	١٠ - ٢٠				
٢٦	البدن	٤٥	١٠	١ - ٢	١٠ - ١٠٠	
٢٧	البتيل	٧٥		٢ - ٣	٢٠٠	
٢٨	البقارة	٢٥ - ٣٥				
٧	الشاشة	١٠				
٨	الماشورة	٢٥		١		
٩	الرمث	٩				

المرجع : شوقي عبد الله عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ٤١ - ٩٠٤هـ / ٦٦١ - ١٤٩٨م .

الشكل رقم (١)



مقياس رسم: ١: ١٧مليون

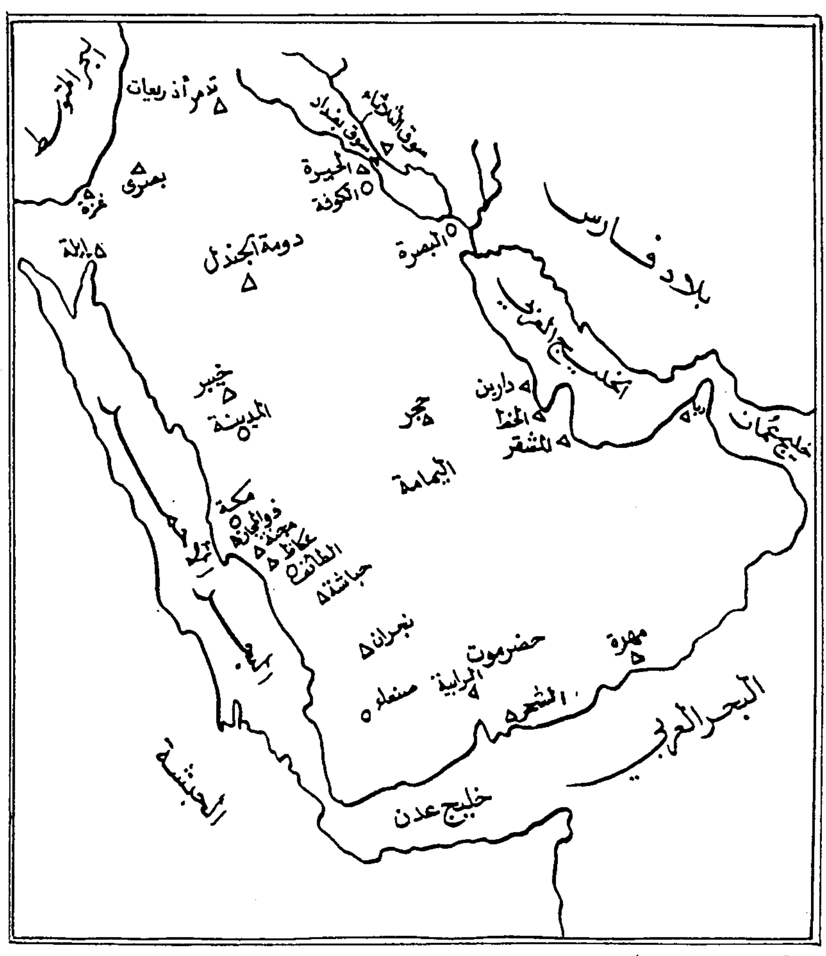


تضاريس الجزيرة العربية(١)

---

(١) البكري، جزيرة العرب، تحقيق عبدالله الغنيم.

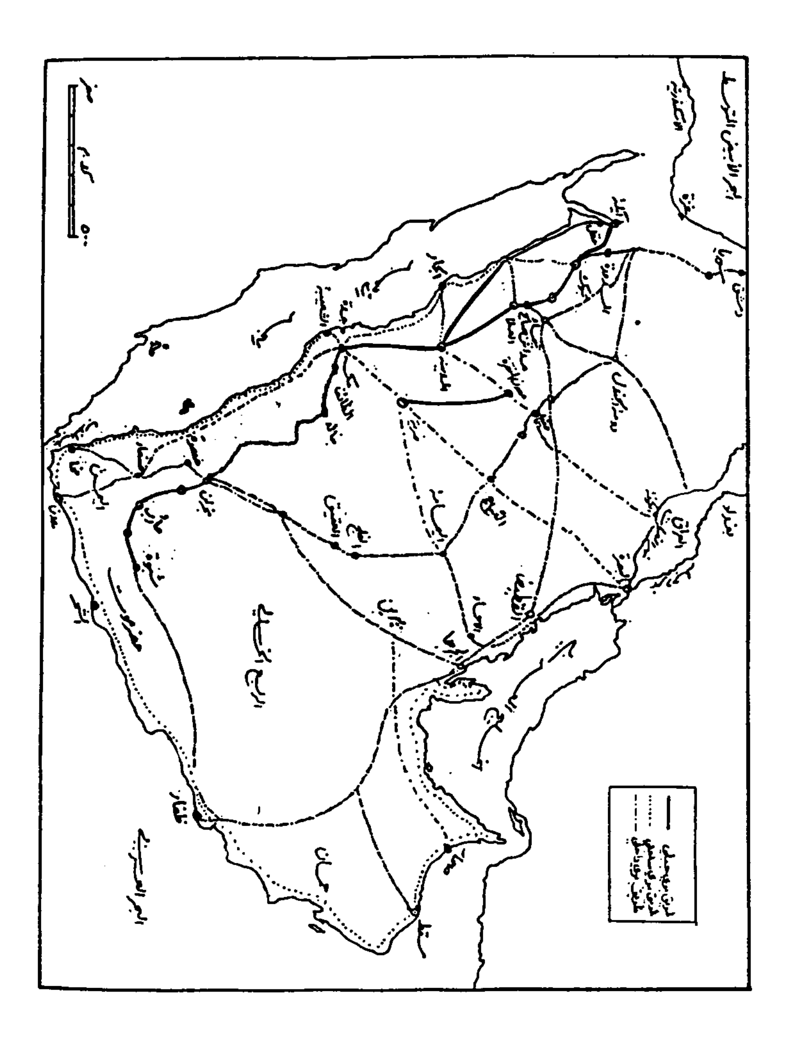
الشكل رقم (٢)



الأسواق المشهورة في الجزيرة العربية[١]

(١) حمدان الكبيسي، أسواق العرب قبل العصر العباسي.

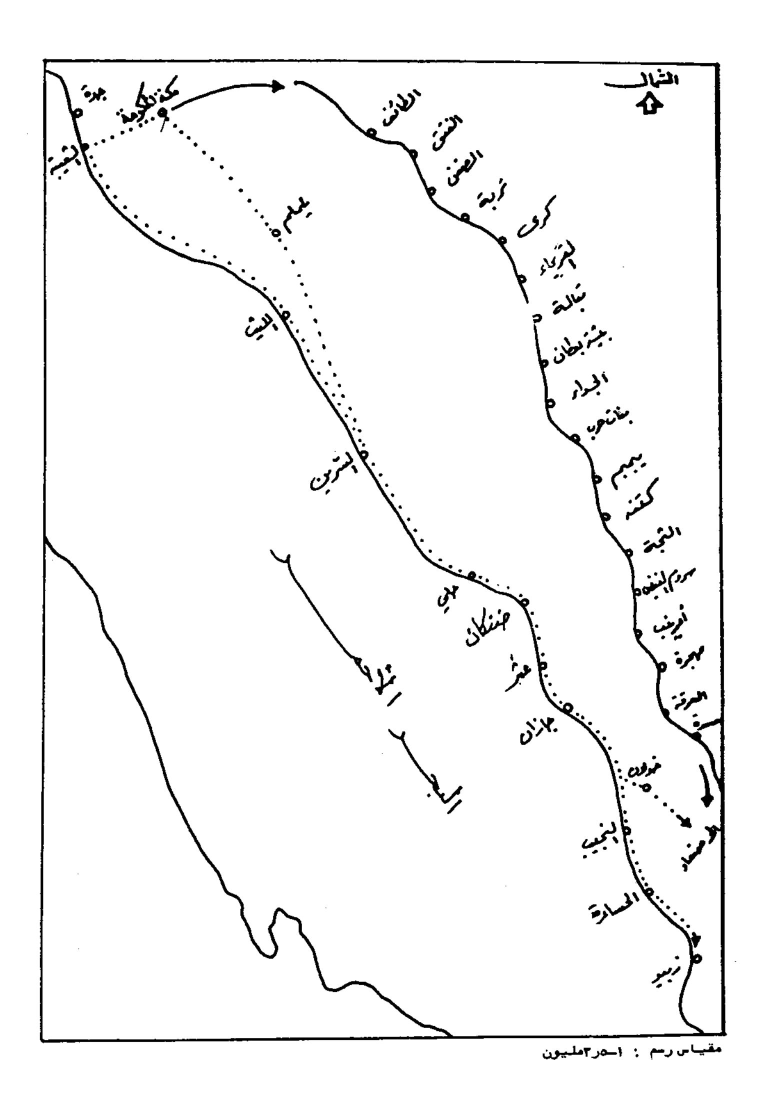
الشكل رقم (٣)



الطرق الرئيسة للتجارة الداخلية بالجزيرة العربية(١)

(١) بتصرف من كتاب درب زبيدة للدكتور سعد الراشد، وكتاب مكة وعلاقاتها الخارجية للدكتور أحمد الزيلعي، وكتاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدكتور عبدالله السيف.

الشكل رقم (٤)

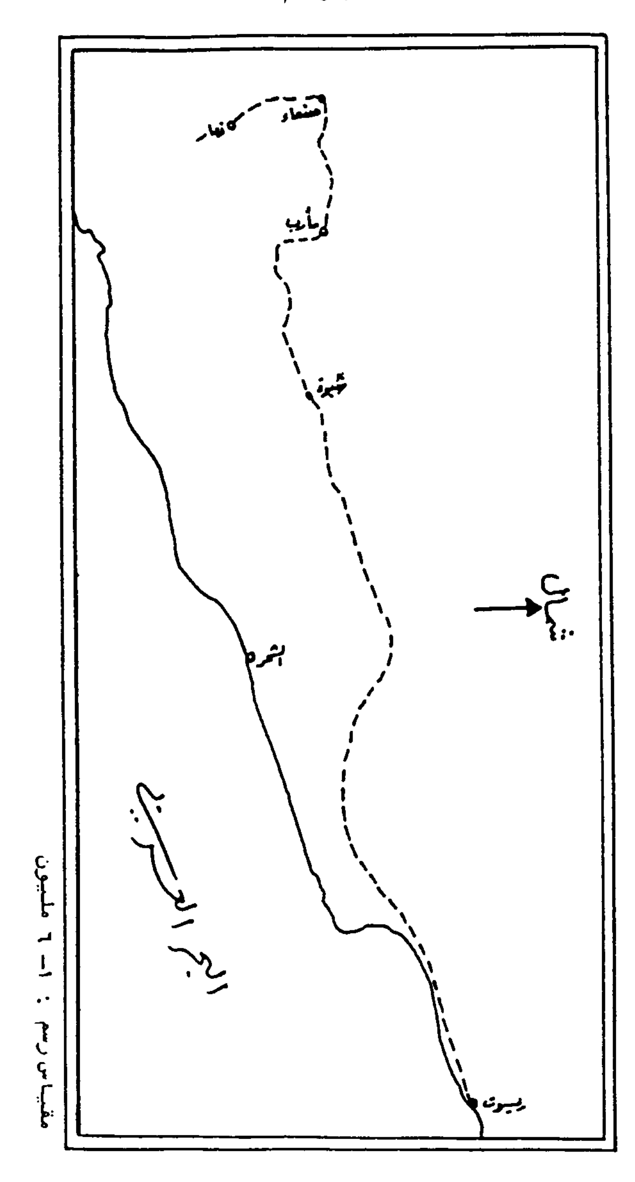


مقياس رسم : ١سم ر٣مليون

الطريق الجبلي والساحلي من الحجاز إلى اليمن[١]

(١) كتاب المناسك للحربي؛ الإدريسي: جزيرة العرب؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية.

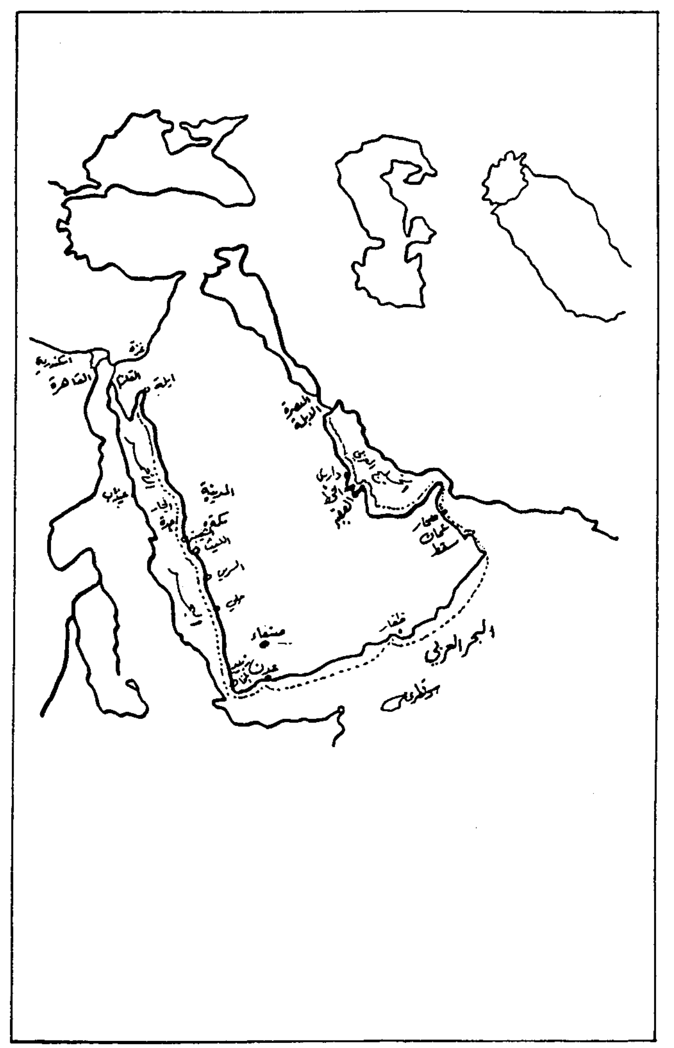
الشكل رقم (٥)



اتجاه الطريق البري من صنعاء إلى حضرموت[1]

(١) كتاب البكري: جزيرة العرب، تحقيق عبدالله الغنيم.

الشكل رقم (٦)



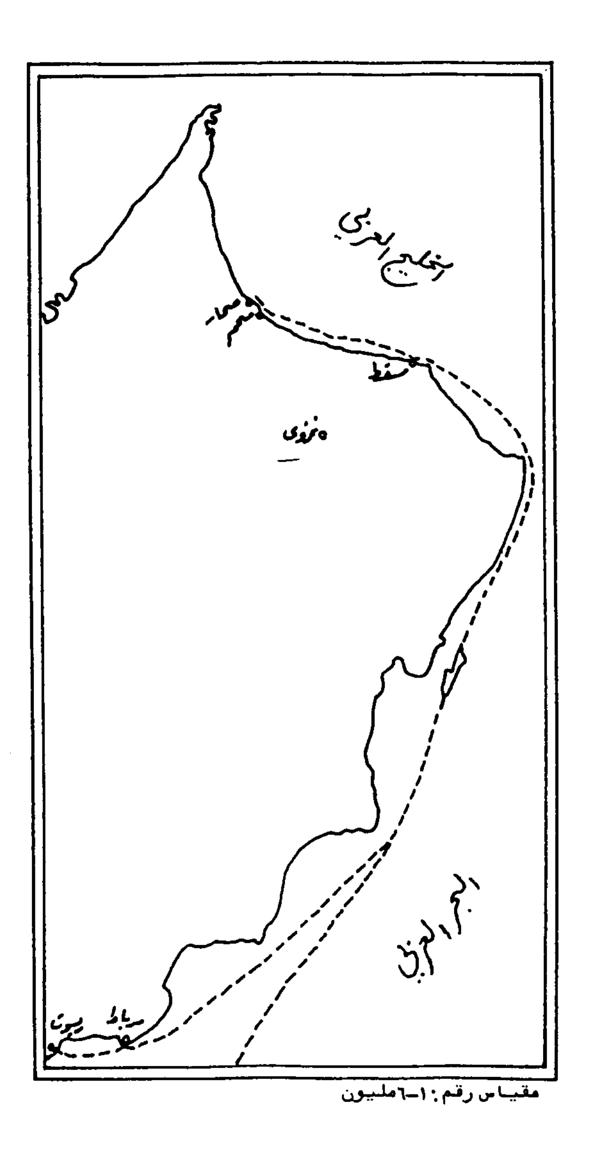
مقياس رسم : ١- ٢٦ مليون

الطرق البحرية الداخلية في القرن الثالث والرابع الهجري(١)

---

(١) بتصرف من كتاب الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، لمؤلفه سمير علي الخادم.

الشكل رقم (٧)



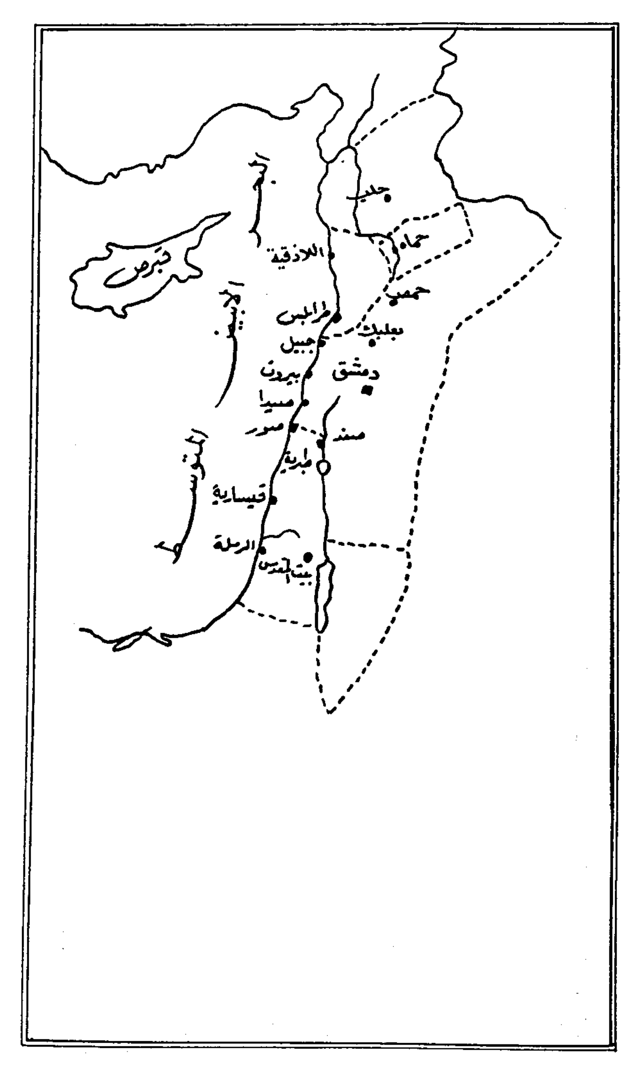
مقياس رقم: ١–٦مليون

الطريق البحري من اليمن إلى عُمان[(١)]

---

(١) البكري، جزيرة العرب، تحقيق عبدالله الغنيم.

الشكل رقم (٨)

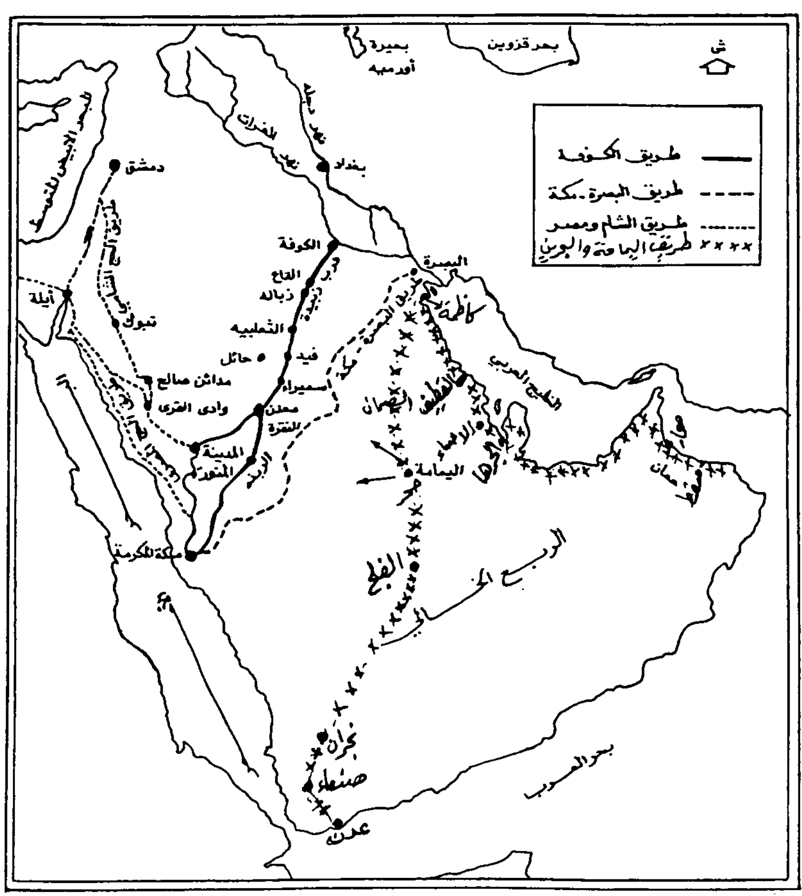


مقياس رسم : ١= ٥ره مليون

المراكز التجارية في بلاد الشام(١)

(١) السيد عبدالعزيز سالم: طرابلس الشام، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ١٦ لعام ١٩٦٢م.

الشكل رقم (٩)

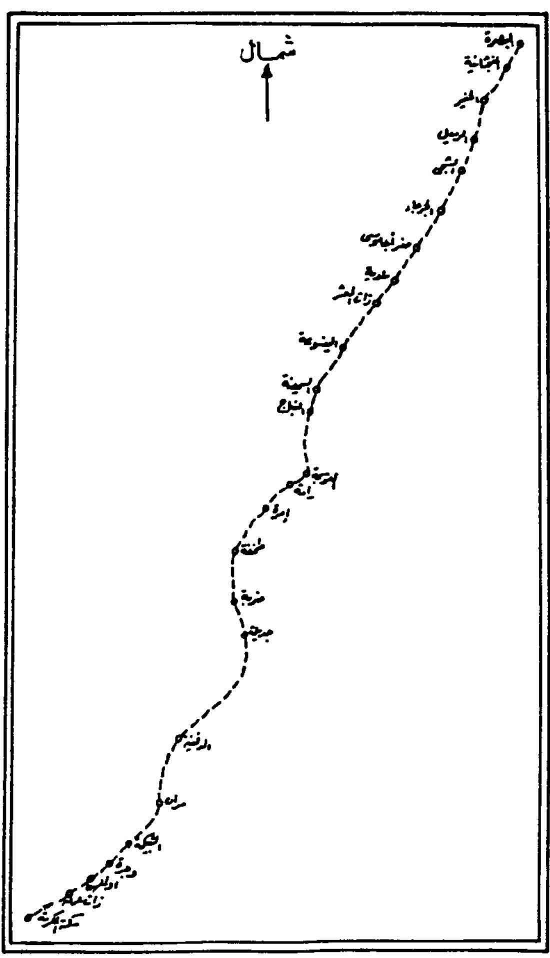


مقياس رقم : ١-١٦مليون

طرق التجارة الخارجية البرية[1]

(١) الدكتور سعد الراشد: كتاب درب زبيدة؛ والدكتور السيف: الحياة الاقتصادية.

الشكل رقم (١٠)

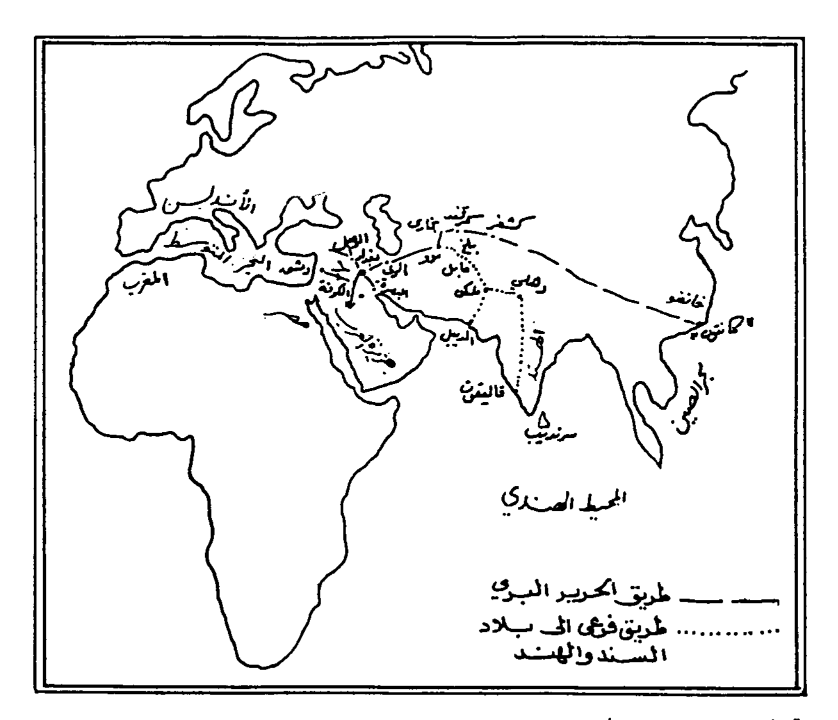


مقياس رسم : ١سم ر٦ مليون

محطات طريق البصرة - مكة[1]

(١) البكري: جزيرة العرب، تحقيق عبدالله الغنيم.

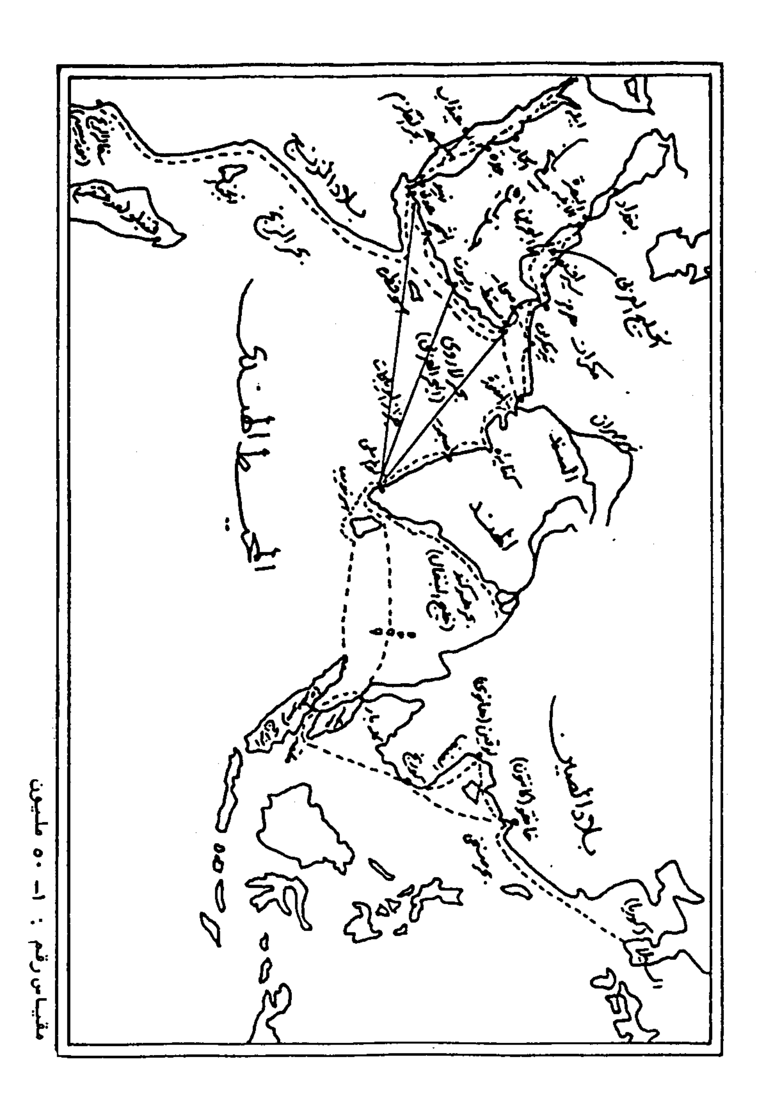
الشكل رقم (١١)(*)



مقياس رسم : ١- ٨٠ مليون

(*) صالح محمود محمد: بغداد وطريق الحرير.

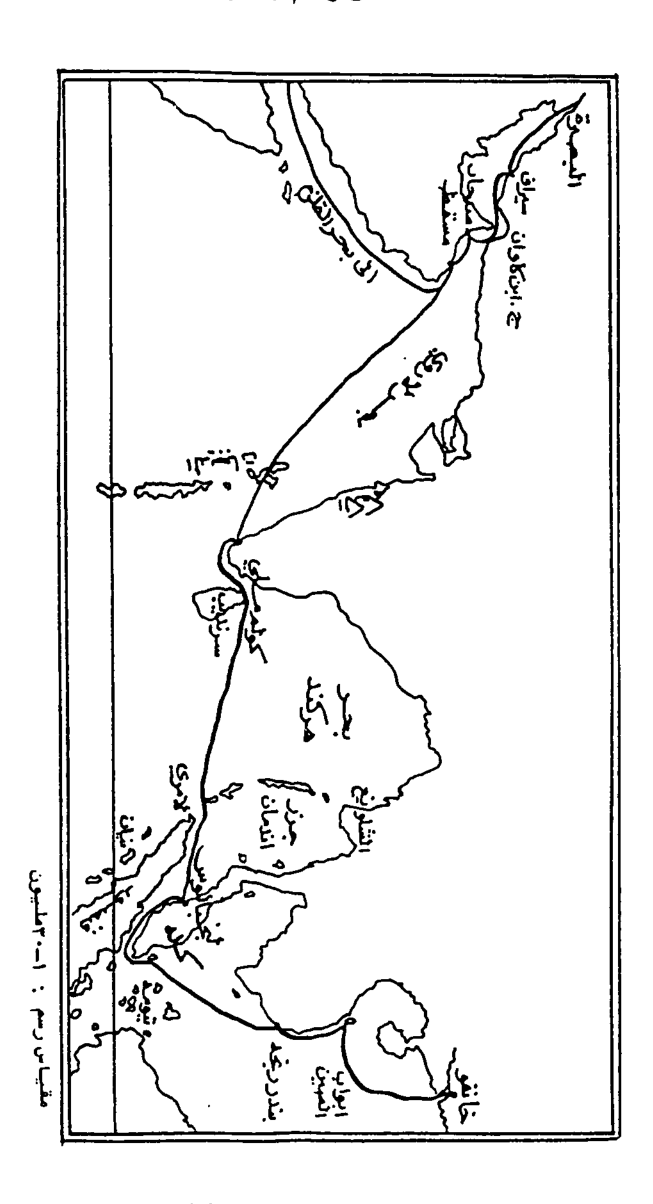
الشكل رقم (١٢)



طرق التجارة الخارجية البحرية في القرنين الثالث والرابع الهجري[١]

(١) بتصرف من كتاب تجارة العرب في العصر العباسي للدكتور حسين علي المسري.

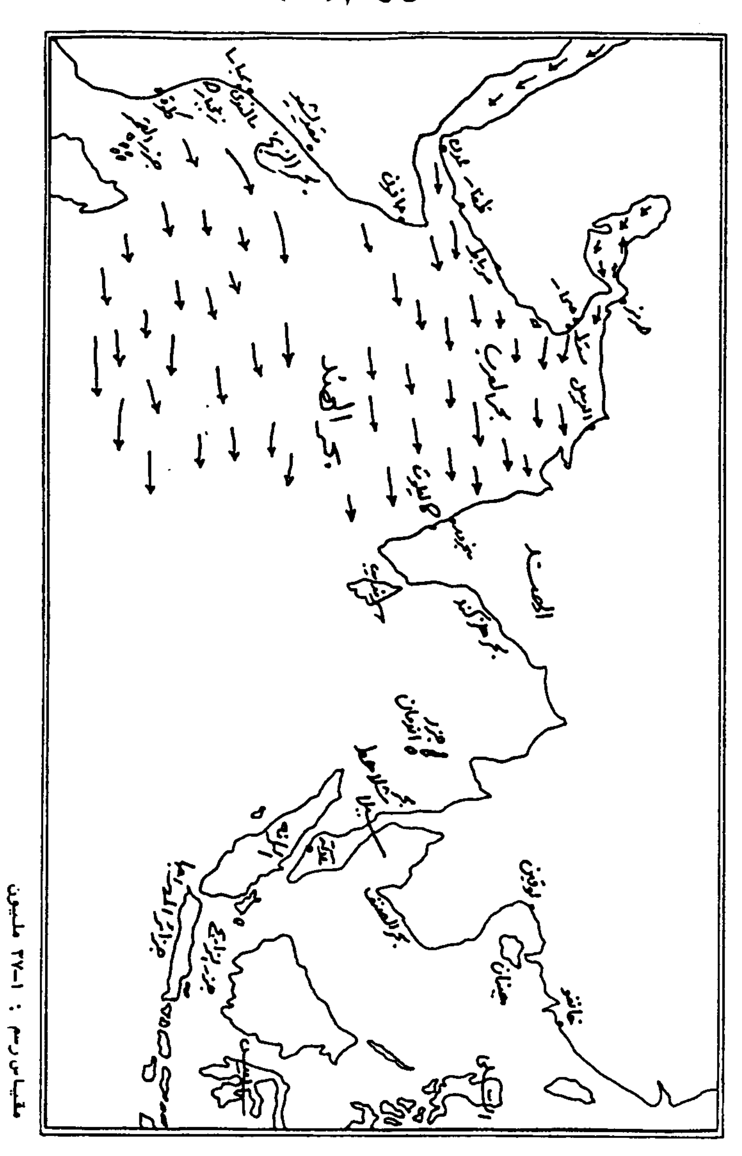
الشكل رقم (١٣)



طرق الحرير البحرية[(١)]

(١) سليمان التاجر: أخبار الصين والهند.

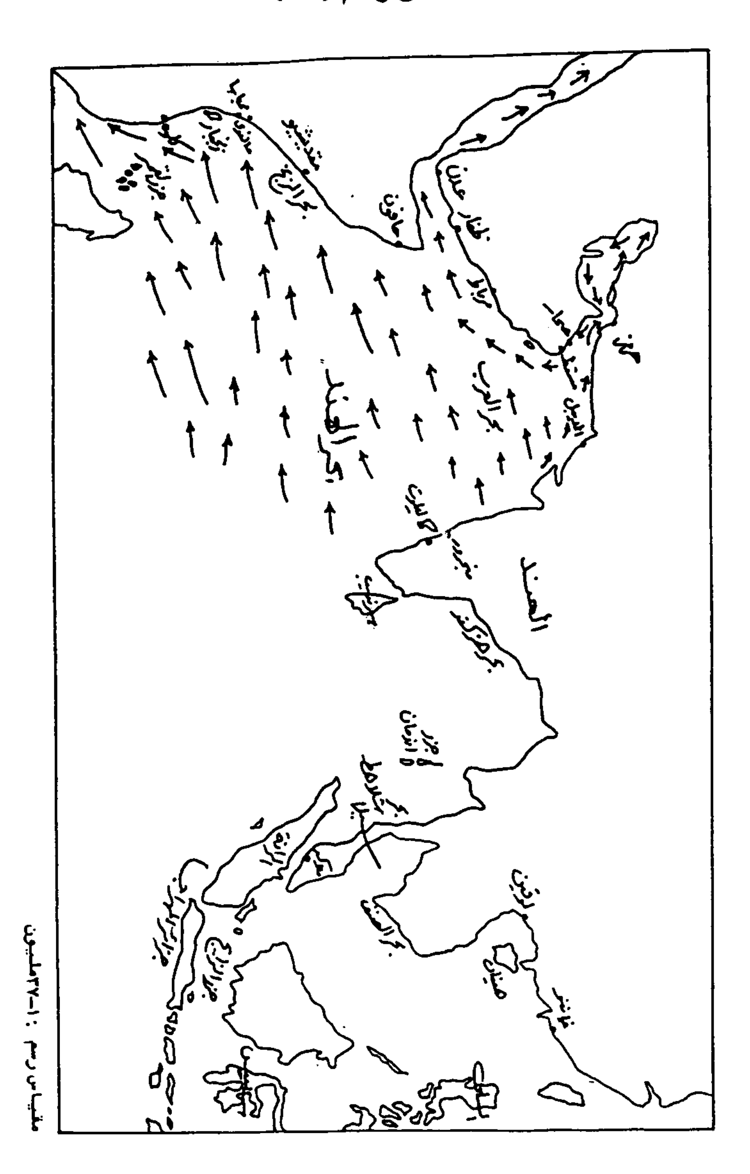
الشكل رقم (١٤)



التيارات البحرية في فصل الصيف[١]

(١) الدكتور شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية.

الشكل رقم (١٥)



التيارات البحرية في فصل الشتاء[١]

(١) الدكتور شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية.



المصادر والمراجع



أولاً- المصادر القديمة :

١ - ابن آدم، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان الأُموي (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م):
كتاب الخَراج، صحّحه وشرحه أحمد محمد شاكر، بيروت، نشر وطبع دار المعرفة، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢ - ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشّيْباني الجَزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣ - ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م):
معالم القربة في أحكام الحِسْبة، تحقيق محمد محمود شعبان المطيعي وصديق أحمد عيسى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٤ - الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (٥٦٠هـ/١١٦٤م):
جزيرة العرب، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق الدكتور إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي والعشرون، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٥ - ....
وصف الهند وما يجاورها من البلاد "مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ، جمع وتصحيح مقبول أحمد، الجامعة الإسلامية، الهند، ١٩٥٤م.

٦ - الأزْرَقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة (ت نحو ٢٥٠هـ/٨٦٥م):
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٣، بيروت، دار الأندلس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧ - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهَروي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م):
تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.

٨ - الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الجيني، القاهرة، دار القلم، ١٨٣١هـ/ ٨٢٥م.

٩ - الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبدالله (ت ٢٢١هـ/ ٨٢٥م):
بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٨م.

١٠ - بامخْرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م):
تاريخ ثَغر عَدَن وتراجم علمائها، تحقيق علي حسن علي عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٨م.

١١ - ابن بسّام، محمد بن أحمد التميمي (ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م):
نهاية الرُتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام السامرّائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
١٢ - البُستي، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
موارد الظمآن، تحقيق ونشر محمد عبدالرزاق حمزة، بيروت، دار الكتب العلمية، ن.ت.
١٣ - ابن بَطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):
رسالة في شِرَى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٤م.
١٤ - ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله، (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)
رحلة ابن بطوطة، شرح وتعليق طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٥ - البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):
جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، الكويت، المطبعة العصرية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
١٦ - ....
مُعْجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٧ - ....
المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، منتخب من كتاب المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.
١٨ - البَلاذُري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَغْدَادي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):
فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت، مكتبة الهلال، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٩ - بولو، ماركو (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م):
رحلات ماركو بولو، ترجمة عبدالعزيز جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٧م.
٢٠ - البَيْروني، أبو الرّيحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ/ ١٤٠٨م):
الجماهر في معرفة الجواهر، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢١ - ابن البِيطار، ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي البناتي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٩١هـ.

٢٢ – البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م):
المحاسن والمساوئ، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٠م.
٢٣ – الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البغوي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٨٥هـ.
٢٤ – ابن تشافين الظاهري، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):
كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بول رافيس، باريس، ١٨٩٥م.
٢٥ – التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):
جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، طبعة دار صادر، ١٩٧٣م.
٢٦ – ....
الفرج بعد الشدة، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، ١٩٠٣م.
٢٧ – ابن تَغْرِي بَردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف البشغاوي الظاهري (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦م.
٢٨ – ابن تَيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله الحراني (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):
الحِسبة ومسؤولية الحكومة الإسلامية، تحقيق صلاح عزام، القاهرة، مطبوعات الشعب، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
٢٩ – ثابت بن سِنان، أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م):
أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق واليمن، تحقيق سهيل زكار، الرياض، دار الكوثر، ١٩٨٩م.
٣٠ – الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):
ثِمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
٣١ – ....
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مكتبة الحسين التجارية، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
٣٢ – ....
لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٣٣ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن طرارة الكناني البصري (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):
البخلاء، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٣٤ – ....
البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م.
٣٥ – ....
التبصّر بالتجارة، تحقيق حسن حسين عبدالوهاب، ط٢، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥م.
٣٦ – ....
ثلاث رسائل للجاحظ، تحقيق جي فان فولتن، ليدن، ١٩٠٣م.
٣٧ – ....
الحيوان ، تحقيق يحيى الشامي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦م.
٣٨ – ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):
رحلة ابن جبير ، ط٢، تحقيق لجنة التراث، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨٦م.
٣٩ – الجزيري ، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن محمد الأنصاري (ت نحو ٩٧٧هـ/١٢٥٩م):
الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حَمَد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٤٠ – الجعدي، عمر بن علي بن حمزة بن سمرة، (ألفه سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م):
طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٥٧م.
٤١ – الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس بن عبدالله، (٣٣١هـ/ ٩٤٢م):
كتاب الوزراء والكتاب، مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي، ١٩٣٨م.
٤٢ – ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قزاوغلي عبدالله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن، ١٩٥٢م.
٤٣ – ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القُرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
المنتظِم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن، ١٣٥٧هـ.

٤٤ – أبو حامد الأندلسي الغرْناطي، أبو حامد محمد بن عبدالرحيم بن سُليمان بن أبي الرّبيع المازني القَبسي (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م):
تُحفة الألباب، تحقيق جبريل فراند، باريس، المطبعة الوطنية، ١٩٢٥م.
٤٥ – ابن الحايك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهَمْدَاني (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م):
الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوَع، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٦م.
٤٦ – ....
كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبَيضاء، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٤٧ – ....
صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٤م.
٤٨ – أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن علي بن العباس، (ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م):
الإمتاع والمؤانسة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
٤٩ – ابن حيان، أبو مروان حيّان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦):
المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٥٠ – ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمير بن عمرو الهاشمي البَغْدَادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م):
المُحَبّر، تحقيق أيلزة ليجستن شتيتر، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٤٢م.
٥١ – الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبدالله البغدادي (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م):
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٦٩هـ/١٩٦٩م.
٥٢ – ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):
جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م/١٣٩١هـ.
٥٣ – الحمادي، محمد بن مالك اليماني (عاش في أواسط القرن الخامس الهجري):
كشف أسرار الباطنية ، القاهرة، مطبعة دار الأنوار، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.
٥٤ – الحميري، أبو سعيد نشوان (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م):
الحور العين، القاهرة، بدون مكان وتاريخ الطبع.

٥٥ - ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م):
كتاب الورع، د . م، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.
٥٦ - ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حَوقل البغدادي الموصلي (ت نحو ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):
صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.
٥٧ - ابن خُرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن أحمد الخراساني (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م):
المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦٧م.
٥٨ - الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن، (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩هـ):
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدلة الرسولية، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩١١-١٩١٤م.
٥٩ - الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الشافعي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠):
تاريخ بَغداد أو مدينة السلام، تصحيح محمد سعيد العرفي، محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ن.ت.
٦٠ - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
٦١ - ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم البَرمكي الأَرْبِلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
وفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.
٦٢ - خليفة العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):
تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ١٩٨٥م.
٦٣ - الدّارِمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام الدّارِمي (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨ م):
سنن الدارمي، نشر دار إحياء السنة النبوية، دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ.
٦٤ - ابن دُريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريَد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م):
جَمهرة اللغة، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٤٥هـ.
٦٥ - الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت ٥٧٠هـ/١١٧٤م):
الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٦٦ - الدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن عيسى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
حياة الحيوان، القاهرة، المطبعة المسيحية، ١٣٠٥هـ.
٦٧ - الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن المالكي (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م):
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، د.ت.
٦٨ - ابن الدَّيْبع، وجيه الدين أبو عبدالله عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشافعي (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م):
بغية المستفيد في تاريخ مدينة زَبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٧٩م.
٦٩ - ....
الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٧٠ - ....
قُرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٣٧٤هـ.
٧١ - الدِّينَوري، أبو حنيفة بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):
الأخبار الطِّوال، تحقيق السيد عبدالمنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠م.
٧٢ - الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):
دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
٧٣ - الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت نحو ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م):
مختار الصحاح، القاهرة، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٠م.
٧٤ - ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (كان حياً سنة ٢٩٠ هـ/٩٠٢م):
الأعلاق النفيسة، نشر بعناية دي غويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦٧م.
٧٥ - الرشيدي، أحمد (ت نحو ١١٧٨هـ):
حُسن الصفا والابتهاج بذكر من ولِي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م.
٧٦ - ابن الرفعة، نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م):
الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، د.ت.

٧٧ - زريق، ابن حبيب حميد بن محمد (ت ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م):
الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر، مرسي عبدالله، القاهرة، دار الكتب، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧٨ - الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م):
أساس البلاغة، القاهرة، مطبعة أولاد أورفان، ١٣٧٢هـ.

٧٩ - ابن الساعي البغدادي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبدالله (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م):
الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السِّير، بغداد، المطبعة السيريانية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

٨٠ - السالمي، أبو بشير شيبة بن نور الدين عبدالله:
نهضة الأعيان بحرية عمان، د.ن، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، د.ت.

٨١ - السالمي، الإباضي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م):
تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، تحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري، القاهرة، مطبعة الشباب، ١٣٥٠ هـ.

٨٢ - السِّجِستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م):
النخل، تحقيق إبراهيم السامرائي، الرياض، دار اللواء، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٣ - السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م):
التّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة، دار نشر الثقافة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٤ - ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٣٥م):
الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٨٥ - ابن سعيد المَغرِبي، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالملك الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
كتاب الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

٨٦ - ....
المُغْرِب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م.

٨٧ - السّلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصري (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤-١٩٥٦م.

٨٨ - السَّمْهُودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن بن علي الشافعي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٨٩ - ابن سِيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥):

المخصص، بيروت، منشورات المكتب التجاري، د.ت .

٩٠ - السيرافي، سليمان التاجر (ت نحو ٢٣٧هـ/٨٥١م):

أخبار الصين والهند، منشور معه كتاب أبي زيد السيرافي، تحقيق إبراهيم خوري، بيروت، مطبوعات دار الموسم للإعلام، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٩١ - السَّيُوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخُضيري (ت ٩١١هـ/١٥٠٥):

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٩٢ - ....

حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٧هـ.

٩٣ - الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي المكي (ت ٢٠٤هـ/٨١٦م):

الأم، تصحيح محمد زهري النجار، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٣م.

٩٤ - ابن شبَّة، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن رَيْطة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م):

تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جدة، دار الأصفهاني، ١٤٠٢هـ.

٩٥ - أبو شجاع، محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله الروذراوري (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م):

ذيل تجارب الأمم، د.ن، القاهرة، ١٩١٦م.

٩٦ - ابن الشِّحْنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمود (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م):

كتاب دار المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق يوسف سركيس، د.ن، بيروت، ١٩٠٩م.

٩٧ - ابن شَدَّاد، عز الدين أبو عبدالله محمد الحلبي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م/١٩٦٢م.

٩٨ - الشمس الشامي، شمس الدين محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م):
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٠م.

٩٩ - شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م):
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٢٣م.

١٠٠ - الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م):
نهاية الرتبة في طلب الحِسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م.

١٠١ - الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م):
تاريخ أبي الحسين هلال الصابي، مذيل على كتاب الوزير أبي شجاع، باعتناء مدرور وبعده د.س. مرجليوني، القاهرة، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م.

١٠٢ - الصّنْعاني، أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الرازي (ت نحو ٤٦٠هـ/١٠٦٧م):
تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبدالله العمري، دمشق، ١٩٧٤م.

١٠٣ - الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م):
أخبار الراضي والمتقي بالله من كتاب الأوراق، تحقيق ج. هبورث، د.ن، القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٩٣٥م.

١٠٤ - ابن طاهر البغدادي، أبو منصور عبدالقادر بن طاهر بن محمد الفقيه الشافعي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ١٩٨٨م.

١٠٥ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جَرير بن يزيد الأرملي (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م.

١٠٦ - الطبري، محب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المالكي (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م):
القرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ.

١٠٧ - ابن الطِّقْطَقي، فخر الدين محمد بن علي العلوي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م):
الفخري في الآداب السلطانية، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٣٩م.

١٠٨ - ابن ظهيرة، جمال الدين محمد بن نجم الدين أمين القرشي (ت نحو ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م):
الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، ط٢، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٠٩ - العباسي، أحمد بن عبدالحميد (ت ق ١٠هـ/١٥م):
عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري، تصحيح حمد الجاسر، ط٤، أسعد طرابزوني الحسيني، القاهرة، ن. ت.

١١٠ - ابن عبدالبر القرطبي، جمال الدين أبو عمر يوسف بن عمر النمري المالكي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م.

١١١ - ابن عبدربه، أبو عمر أحمد (ت ٢٣٨هـ/ ٩٣٩م):
العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١١٢ - ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله:
رسالة في آداب الحسبة، ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.

١١٣ - ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) :
تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي، بيروت، دار العودة.

١١٤ - أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى التميمي البصري الخارجي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م):
نقائض جرير والفرزدق، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٥م.

١١٥ - ابن عذاري، أبو عبدالله محمد المراكشي (ت نحو ٩٦٥هـ/١٥٥٧م):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جورج كولان، ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، لبنان، ١٩٦٧م.

١١٦ - العذري، أحمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م):
نصوص عن الأندلس من كتاب ترفيع الأخبار وتنويع الآثار والبساتين في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.

١١٧ - عَرّام، عرام بن الأصبغ السلّمي (ت نحو ٢٧٥هـ/٨٨٨م):
كتاب أسماء جبال تِهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق محمد صالح شناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١١٨ - العرشي، حسين بن أحمد (ت نحو ١٣٣٠هـ/١٩١١م):
بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من مَلك وإمام، عن نشرة أنستاس ماري الكرْمَلي، القاهرة، مطبعة البرتيدي، ١٩٣٩م.
١١٩ - العصامي، عبدالملك بن حسن بن عبدالملك المكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م):
سِمْط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧٩هـ.
١٢٠ - أبو علي الهجري، هارون بن زكريا (ت ق ٤هـ/١٠م):
التعليقات والنوادر، تحقيق حمود عبدالأمير الحمادي، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١م.
١٢١ - ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (١٠٨٩هـ/١٦٧٨ م):
شذرات الذهب، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
١٢٢ - عمارة اليمني، نجم الدين محمد عمارة بن علي بن زيدان أحمد الحكمي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م):
تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٧م.
١٢٣ - ابن عمر، يحيى بن عمر الكناني (ت٢٨٩هـ/٩٠١م):
أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥م.
١٢٤ - عمر الجعدي، أبو الخطاب عمر بن علي بن سمرة بن الحسين بن الهيثم (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م):
طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٢٥ - ابن غالب الغرْناطي، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م):
نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبدالبديع، مصر، مطبعة مصر، ١٩٥٦م.
١٢٦ - الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م):
إحياء علوم الدين، مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، د.ت.
١٢٧ - الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م):

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٥٦م.

١٢٨ - ....

العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي وفؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٢٩ - الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس (ت نحو ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م):

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دُهيش، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٣٠ - أبو الفداء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الشافعي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

تقويم البلدان، تحقيق رينود، مالك كوكيه ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.

١٣١ - ....

المختصر في أخبار البشر، بيروت، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

١٣٢ - أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم عبدالرحمن بن مروان البغدادي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م):

الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٧-١٩٣٧م.

١٣٣ - ....

مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

١٣٤ - أبو الفرج الملطي، أبو الفرج غريغريوس يوحنا بن هارون بن توما (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

تاريخ مختصر الدول، الحازمية، لبنان، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ.

١٣٥ - ابن الفَرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠٢١م):

العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٣٦ - ابن فَضْلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن أسد بن حماه (ت نحو ٣٠٩هـ/٩٢١م):

رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

١٣٧ - ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ق ٣هـ/٩م):

مختصر كتاب البلدان، نشر باعتناء دي خويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

١٣٨ - ابن فهد، نجم الدين بن عمر بن محمد بن أبي الخير محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ.

١٣٩ - ابن الفوطي، كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني (ت ٤٢٣هـ/١٣٢٣م):

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، المكتبة العربية، ١٣٥١هـ.

١٤٠ - الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الشافعي (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م):

القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

١٤١ - ....

المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١٤٢ - ابن القاسم، يحيى بن حسين (ت نحو ١٠٩٩هـ/١٦٨٩م):

غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٤٣ - ابن قُتيبة الدِّينَوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

الأنواء، نسخة طبق الأصل لطبعة حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٦م.

١٤٤ - ....

الشعر والشعراء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م.

١٤٥ - ....

المعارف، تصحيح محمد إسماعيل الصاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠م.

١٤٦ - قُدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م):

نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، بغداد، مكتبة المثنى، مجلد مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، طبعة بالأوفست من طبعة ليدن، ١٨٨٩م.

١٤٧ - القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م):

صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

١٤٨ - القزويني ، أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):
آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠م.
١٤٩ - ....
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م.
١٥٠ - القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م):
صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
١٥١ - ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م):
تاريخ أبي يعلى، المعروف بذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م.
١٥٢ - القَلْقشَنْدي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
١٥٣ - ....
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٣م.
١٥٤ - ....
مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإرشاد، ١٩٦٤م.
١٥٥ - ابن كثير القُرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢):
البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٩م.
١٥٦ - الكِنْدي ، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١م):
كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.
١٥٧ - الكِنْدي، أبو يوسف يعقوب بن إسحق (ت نحو ٢٥٦هـ/٨٧٠م):
السيوف وأجناسها، أخرجها عبدالرحمن زكي، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.
١٥٨ - لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الغرناطي (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (أو تاريخ أسبانيا الإسلامية)، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م.
١٥٩ - مؤلف مجهول :
الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

١٦٠ - مؤلف مجهول:
العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق وداد القاضي، بغداد، مكتبة المثنى.

١٦١ - مؤلف مجهول:
قصص وأخبار جرت في عُمان، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٦٢ - ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م):
سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣م.

١٦٣ - مالك بن أنس، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م):
المدونة، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م.

١٦٤ - ....
الموّطأ ، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٦٥ - المالكي، أبو بكر عبدالله محمد (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١):
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/١٩٨٦م.

١٦٦ - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٥٤٠هـ/١٠٥٨م):
الأحكام السلطانية، القاهرة، مطبعة السعادة ، ١٩٠٩م.

١٦٧ - ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب (٦٩٠هـ/ ١١٩١م):
تاريخ ابن المجاور المسمى تاريخ المستبصر، طبعة ليدن، ١٩٥١م.

١٦٨ - محمد الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م):
السّمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سمث، جامعة كمبردج، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.

١٦٩ - مرتضى الزّبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):
تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٨٤م.

١٧٠ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبدالله الشافعي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):
التنبيه والإشراف، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي، بغداد، المكتبة العصرية، ١٩٣٨م.

١٧١ - ....

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، بيروت، ودار المعرفة، ن.ت.

١٧٢ - مسكَويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م):

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، باعتناء هـ.ف. آمدروز، القاهرة، ١٩١٤م.

١٧٣ - المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّا الحنفي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.

١٧٤ - المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٧٣٠م):

نفْح الطِيب من غُصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٧٥ - المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م.

١٧٦ - ....

إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م.

١٧٧ - ....

البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تولى نشره ومراجعته إبراهيم رمزي، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، ١٣٥٦هـ.

١٧٨ - ....

الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٤هـ.

١٧٩ - ....

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخريجي، ١٩٥٥م.

١٨٠ - ....

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦م.

١٨١ - ....

شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد عبدالستار عثمان، القاهرة، مطبعة الأمانة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٨٢ - ....
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت، مطبعة الساحل الجنوبي، ١٩٥٩م.
١٨٣ - ابن مَمّاتي، أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعد (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):
قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٣م.
١٨٤ - المنّاوي، زين الدين محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي القاهري الشافعي (ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م):
النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١م.
١٨٥ - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة الأنصاري المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):
لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
١٨٦ - ابن النجار، محيي الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله ابن محاسن (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م):
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٥٦م. (نشر مع شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي).
١٨٧ - ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م):
سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م.
١٨٨ - النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م):
سنن النسائي، شعبان فورت، إستنبول، ١٩٨١م.
١٨٩ - نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م):
منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق عظيم الدين أحمد، مطبعة ليدن، ١٩١٦م.
١٩٠ - النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود المكي الحنفي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م):
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٤م، (نشر مع كتاب أخبار مكة المشرفة للأزرقي ج٣).
١٩١ - ....
تاريخ القُطبي المسمى كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة، شرح محمد طاهر الكردي، مكة المكرمة، المكتبة العلمية، ١٣٧٠هـ.
١٩٢ - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):
المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.

١٩٣ - النّويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٣-١٩٥٥م.
١٩٤ - ابن هشام، جمال الدين أبو محمد بن عبدالملك بن هشام (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م):
السيرة النبوية، تعليق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
١٩٥ - الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر السهمي الأسلمي، (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م):
كتاب المغازي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م .
١٩٦ - ابن الوَردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفّر بن عمر بن محمد بن علي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٦م):
خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٠٠هـ.
١٩٧ - وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م):
أخبار القضاة، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٧-١٩٥٠م.
١٩٨ - اليافعي، عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليم بن فلاح الشافعي (ت ٧٦٨هـ):
مرآة الجِنان وعِبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، تحقيق عبدالله الجَبّوري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.
١٩٩ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
المشترِك وضعاً والمفترِق صقعاً، ط٢، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م.
٢٠٠ - ....
معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٠١ - ....
معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط٢، تحقيق د.س. مرجليوث، القاهرة، مطبعة هندية، ١٩٢٣م.
٢٠٢ - اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهيب بن واضح (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):
كتاب البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٠٣ - ....
تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٠م.
٢٠٤ - اليمني، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م):
تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، مطبعة مخيمر، ١٩٦٥م.

ثانيًا - الدراسات الحديثة :

أ - الكتب :

١ - الألوسي، عادل محيى الدين:
تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، د.ن، د.ت.

٢ - الألوسي، محمود شكري :
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، صحّحه محمد بَهجة الأثري، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

٣ - أحمد، محمد عبدالعال:
الأيوبيون في اليمن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٤ - ابن إدريس، عبدالله عبدالعزيز:
مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥ - آشتور، عبلة، عبدالهادي:
التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبدالهادي عبلة، ومراجعة غسان سبانو، دمشق، دار قتيبة، مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨٥م.

٦ - الأعظمي، محمد مصطفى:
المحدثون من اليمامة، (إلى ٢٥٠هـ تقريبًا)، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩٤م.

٧ - الأكوع، إسماعيل بن علي:
الوثائق اليمانية من قبل الإسلام إلى ٣٢٣هـ/٩٣٤م ، بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٨ - أمين أحمد:
ظهر الإسلام، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.

٩ - ....
فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٠ - بالنثيا، أنخل جنثالث:
تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، طبعة مدريد، ٥٤٩١م، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

١١ - باوزير، سعيد عوض:
معالم تاريخ الجزيرة العربية، عدن، منشورات مؤسسة الصبان، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

١٢ - البرّاوي، راشد:
الموسوعة الاقتصادية، نشر دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
١٣ - البكر، خالد بن عبدالكريم بن حمود:
النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٤ - بكر، سيد عبدالمجيد:
الملامح الجغرافية لدروب الحج، مطبوعات تهامة، ١٤٠١هـ.
١٥ - ابن بُليهِد، محمد بن عبدالله:
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، القاهرة، مطبعة السنّة المحمدية، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
١٦ - بروكلمان، كارل :
تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٣-١٩٥٦م.
١٧ - بوركهارت، جون لويس:
رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة عبدالعزيز الهلابي، وعبدالرحمن الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
١٨ - تامر، عارف :
الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٩ - ترسيسي، عدنان:
اليمن وحضارة العرب، بيروت، مكتبة الحياة، د.ت.
٢٠ - الجاسر، حَمد:
مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٦م.
٢١ - الجمّال، غريب:
النشاط الاقتصادي، جدة، دار الشروق، ١٩٧٧م.
٢٢ - ابن جُنيدِل، سعد:
عالية نجد، الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٩م.
٢٣ - حافظ، علي:
فصول من تاريخ المدينة، جدة، شركة المدينة للطباعة، ١٩٨٤م.
٢٤ - الحداد، محمد يحيى:
تاريخ اليمن السياسي، القاهرة، دار الهنا للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٥ - الحُديثي، نِزار عبداللطيف:
أهل اليمن في صدر الإسلام، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م.
٢٦ - حسن، إبراهيم حسن:
تاريخ الإسلام السياسي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م
٢٧ - حوراني، جورج فضلو:
العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٥م.
٢٨ - حيدر، محمد علي:
الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م .
٢٩ - ابن خميس، عبدالله:
المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٣٩٨هـ.
٣٠ - دحلان، أحمد بن زيني (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م):
خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، القاهرة، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ.
٣١ - دي غويه، ميخائيل جان:
القرامطة، ترجمة وتحقيق حسني زينة، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٨م.
٣٢ - الدجيلي، خولة شاكر:
العلاقات الإسلامية مع الساحل الإفريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠م.
٣٣ - الدريويش، أحمد بن يوسف بن أحمد:
أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٣٤ - الدوري، تقي الدين عارف:
عصر إمرة الأمراء في العراق، بغداد، مطبعة أسعد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٥ - الدوري، عبدالعزيز الدوري:
العصر العباسي الأول، بغداد، ١٩٤٥م.
٣٦ - ....
دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة الرسالة، ١٩٤٥م.
٣٧ - الراشد، سعد بن عبدالعزيز بن سعد:
درب زبيدة، الرياض، دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٨ - الراشد، منيرة عبدالرحمن:
الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الأغالبة - رسالة غير منشورة - كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٣٩ - رفعت، إبراهيم:
مرآة الحرمين، ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.
٤٠ - الريس، محمد ضياء الدين:
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.
٤١ - زامباور، إدوارد فون:
معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي حسن، وحسن محمود وسيدة كاشف، القاهرة، مطبعة، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.
٤٢ - زكي، محمد حسن:
الصين وفنون الإسلام، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.
٤٣ - زلوم، عبدالقادر:
عُمان والإمارات السبع، بيروت، مكتبة الحياة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٤٤ - الزهراني، رحمة الله:
بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٥ - الزهراني، ضيف الله يحيى:
زيوف النقود الإسلامية، مكة، مطابع الصفا، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٦ - ....
موارد بيت المال في الدولة العباسية، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٧ - زيتون، عادل:
العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق، دار دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٨ - زيتون، محمد محمود:
الصين والعرب عبر التاريخ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م.
٤٩ - زيني دحلان، أحمد بن زيني بن أحمد دحلان المكي النهروالي (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م):
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام، ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.
٥٠ - الزيلعي، أحمد عمر :
مكة وعلاقاتها الخارجية "٣٠١-٤٨٧هـ"، جامعة الرياض، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨١م.

٥١ - سالم، السيدعبدالعزيز :
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
٥٢ - السباعي، أحمد :
تاريخ مكة، الطبعة الثالثة، مكة المكرمة، مطابع قريش، ١٣٨٧هـ .
٥٣ - سرور، محمد جمال الدين:
النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٥٦م.
٥٤ - ....
الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م.
٥٥ - سعيد، عبدالفتاح عاشور:
مدينة السويس ومنطقتها منذ الفتح العربي إلى بداية العصر الحديث، د. ت.
٥٦ - سوفاجية ، جان :
دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، بيروت، المطبعة الكاثوليوكية، ١٩٣٦م.
٥٧ - السويلم ، ابتسام :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير مطبوعة، مقدمة لكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ.
٥٨ - السيف، عبدالله محمد:
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٥٩ - سيد، عبدالمنعم عبدالحليم:
حضارة مصر الفرعونية دراسة تحليلة مقارنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.
٦٠ - الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر:
أدوار التاريخ الحضرمي، جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٣م.
٦١ - شاكر، محمود:
شبه جزيرة العرب نجد، دمشق ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
٦٢ - الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:
النظم الإسلامية في اليمن، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٩هـ.
٦٣ - شرف الدين، أحمد حسين:
اليمن عبر التاريخ، الرياض، مطابع البادية للأوفست، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٦٤ - الشريف، أحمد إبراهيم:
مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦٥ - الشَكْعَة، مصطفى:
سيف الدولة الحمداني، القاهرة، دار القلم، ١٩٥٩م.
٦٦ - ....
سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام، القاهرة، مكتبة المتنبي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٦٧ - شهاب ، حسن صالح :
أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط١، دار الفارابي، ١٩٧٧م.
٦٨ - الشيَّال، جمال الدين:
مجمل تاريخ دمياط، الإسكندرية، ١٩٤٩م.
٦٩ - صالح ، عبدالعزيز:
تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٢م.
٧٠ - الصِّفْدي، سالم دياب:
الأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد اليمن خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، - رسالة ماجستير غير منشورة- مصر، جامعة المنيا، كلية الآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٧١ - الصيني، بدر الدين حي:
العَلاقات بين العرب والصين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.
٧٢ - العاني، عبدالرحمن عبدالكريم:
عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م.
٧٣ - عباس، إحسان:
العرب في صِقلية، بيروت، طباعة دار الثقافة، ١٩٧٥م.
٧٤ - آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن:
تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء من القديم والجديد، ط٢، مكتبة المعارف، ١٩٨٢م.
٧٥ - عبدالمولى، محمد أحمد:
العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩١م.
٧٦ - العبودي، محمد بن ناصر:
معجم بلاد القصيم، الرياض، دار اليمامة، ١٩٨٠م.
٧٧ - عبيد، فردوس منصور:
العَلاقات اليمنية المصرية في فترة حكم الصُلَيحيين، ندوة/ العلاقات اليمنية المصرية، العدد ١٦-١٨، ١٩٨٩م.

٧٨ - العتيبي، تركي مسيمير الحافي:
الحياة الاقتصادية في صِقِلِّيَّة الإسلامية، الرياض، مطابع القوات المسلحة، ١٤٠٧هـ.
٧٩ - عثمان، حسن:
البحر الأحمر كطريق تجاري في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك، د . ن، القاهرة، ١٩٣٩م.
٨٠ - عثمان، شوقي عبدالقوي:
تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٨١ - العقيلي، محمد رشيد:
الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة، عَمان، مكتبة المحتسب، ١٩٨٣م.
٨٢ - علي ، جواد :
المُفَصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.
٨٣ - العلي، زكيه عمر:
التزيّن والحلي عند المرأة في العصر العباسي، بغداد، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦م.
٨٤ - العلي، صالح أحمد:
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩م.
٨٥ - ....
الحجاز في صدر الإسلام، دراسة في أحواله العمرانية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٨٦ - العمر، جهاد صالح:
العَلاقات التجارية للخليج العربي ، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٠م.
٨٧ - عمر، فاروق:
التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٨٨ - ....
الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية "٣٤٧-٤٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٦م"، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٧٧م.

٨٩ - ....
مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العُماني، بغداد، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٧٩م.

٩٠ - العوفي، محمد سالم:
العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلْجُوقي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩١ - عيسى، أحمد:
القوى البحرية والتجارية في حَوض البحر الأبيض المتوسط، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٩٢ - غالب، مصطفى:
القرامطة بين المد والجزر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م.

٩٣ - غنيمة، يوسف رزق الله:
تجارة العراق قديماً وحديثاً، ط١، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

٩٤ - فهمي، سامح عبدالرحمن:
المكاييل في الإسلام، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٩٥ - فهمي، نعيم زكي:
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

٩٦ - الفيل ، محمد رشيد:
أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، الكويت، جامعة الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩٧ - قاسم، جمال زكريا:
الأصول التاريخية للعَلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥م.

٩٨ - قطب، سيد:
في ظلال القرآن، ط٣١، طبع دار الشروق، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

٩٩ - القوصي، عطية:
تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م.

١٠٠ - كاشف، سيدة إسماعيل:
مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م، بيروت، طبعة دار الرائد، ١٩٨٦م.

١٠١ - الكرملي، أنستاس ماري:
النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م.
١٠٢ - الكيالي، سامي:
سيف الدولة وعصر الحمدانيين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩م.
١٠٣ - لسترانج، جي:
بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
١٠٤ - اللميلم، عبدالعزيز بن محمد:
العلاقات بين العلويين والعباسيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
١٠٥ - ....
نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، د.ن، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
١٠٦ - لوبون، غوستاف:
حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
١٠٧ - ....
حضارة الهند، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الأولى، القاهرة، إحياء الكتب، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.
١٠٨ - لويس، أرشيبالد:
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة عيسى أحمد محمد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م.
١٠٩ - لويس، برنارد:
أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ترجمة حكمت تلحوق، مراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م.
١١٠ - ماجد، عبدالمنعم:
السجلات المستنصرية، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
١١١ - ....
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦م.
١١٢ - مالكي، سليمان عبدالغني:
بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١١٣ - مبارك، علي:
الميزان في الأقيسة والأوزان، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٨٩٢م.

١١٤ - مباركيوري، أطهر:
العرب والهند في عهد الرسالة، ترجمة عبدالعزيز عزت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
١١٥ - متز، آدم:
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
١١٦ - محمد، محمد عوض:
الشعوب والسلالات الإفريقية، ١٩٦٥م.
١١٧ - محمود، حسن أحمد:
حضارة مصر الإسلامية، العصر الطولوني، القاهرة، ن.ت.
١١٨ - محمود، حسن سليمان:
تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩م.
١١٩ - المختار، فريال داوود:
المنسوجات العراقية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة ببغداد، بغداد، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦م.
١٢٠ - مرزوق، محمد عبدالعزيز:
الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، لبنان، ن. ت.
١٢١ - المسري، حسين علي:
تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
١٢٢ - ....
العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٢م.
١٢٣ - مسعد، مصطفى محمد:
المكتبة السودانية العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.
١٢٤ - معروف، ناجي:
المدخل في تاريخ الحضارة العربية.
١٢٥ - المعمري، أحمد محمود:
عمان وشرقي إفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله، عمان، ١٩٧٩م.
١٢٦ - المنّاوي، محمد عبدالرؤوف:
فَيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ.

١٢٧ - المنذري، عبدالعظيم:
الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
١٢٨ - موسى، عز الدين عمر:
النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، طبعة دار الشرق، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٢٩ الناصر، علي حسين السليمان:
النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٣٠ - النبراوي، إبراهيم راشد:
حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م.
١٣١ - الندوي، محمد إسماعيل:
تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، بيروت، دار الفتح، ن.ت.
١٣٢ - النقشبندي، ناصر السيد محمود:
الدرهم الإسلامي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩م.
١٣٣ - ....
الدينار الإسلامي، بغداد، ١٩٥٣م.
١٣٤ - هايد، د.ف:
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا وعز الدين فودة، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.
١٣٥ - هنتس، فالتر:
المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.
١٣٦ - الوشمي، صالح بن ناصر:
ولاية اليمامة، الرياض، منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٢هـ.
١٣٧ - ....
الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
١٣٨ - ويلسون، آرنولد، ت:
الخليج العربي، ترجمة عبدالقادر اليوسف، الكويت، مكتبة الأمل.
١٣٩ - اليوزبكي، توفيق سلطان:
تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

ب - المقالات :

١ - الألوسي، عادل محيي الدين:
الصلات التجارية بين الخليج العربي وجنوب شرقي آسيا في العصر العباسي، البصرة، مجلة الخليج العربي، السنة ١٩، المجلد ١٦، العدد ٣-٤، ١٩٨٤م.

٢ - أحمد، لبيد إبراهيم:
التجارة في العصر الأموي، القاهرة، مجلة المؤرخ العربي، السنة ١٩، العدد ٤٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣ - أومان، جيوفاني:
المصطلحات البحرية في الخليج العربي، البصرة، مجلة الخليج العربي، المجلد ١٣، العدد ١، ١٩٨١م.

٤ - باز، عبدالكريم علي:
المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، مجلد٧، ج١، لندن، دار المريخ للنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥ - باقر، طه:
علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، بغداد، مجلة سومر، المجلد ٥، الجزء ٢، ١٩٤٩م.

٦ - البكر، منذر:
العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني، المِربد، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، السنة ٣، العدد ٤، ١٩٧٠م.

٧ - بوتشيش، إبراهيم القادري:
أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، الرّباط، مجلة المناهل، السنة ١٢، العدد ٣٢، مارس ١٩٨٥م.

٨ - الجاسر، حمد:
المعادن القديمة في بلاد العرب، الرياض، مجلة العرب، السنة ٢، جزء١١، جُمادى الأولى، ١٣٨٨هـ.

٩ - ابن جريس، غيثان بن علي:
الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة، الرياض، مجلة العرب، السنة ٢٦، الجزء ٧-٨، مُحرّم/ صفر ١٤١٢هـ.

١٠ - جميل ، فؤاد :
الخليج العربي في مدوّنات المؤرخين والبلدانيين الأقدمين، بغداد، مجلة سومر، المجلد ٢٢، الجزء ١-٢، ١٩٦٦م.

١٢ - الجنحاني، الحبيب :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سِجِلْماسة عاصمة بني مدرار، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥، ١٩٧٧م.
١٣ - ....
دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٢، ١٩٨٢م.
١٤ - حسن، محمد عبدالغني:
التجارة الإسلامية في عصور مختلفة من الإسلام، القاهرة، مجلة المقتطف، مجلد ١٠٣ الجزء ٥، ديسمبر، ١٩٤٣م.
١٥ - الحديثي، نزار:
إمارة بني الأخيضر في اليمامة، بغداد، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٢، ١٩٧٧م.
١٦ - ....
اليمامة في الإدارة العربية، بغداد، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٢، ١٩٧٨م.
١٧ - الحضرمي، عبدالرحمن:
تِهامة في التاريخ، صنعاء، مجلة الإكليل، السنة ١، العدد ٢، ١٩٨٠م.
١٨ - ....
مدينة زبيد في التاريخ، صنعاء، مجلة الإكليل، السنة ١، العدد ١، ١٩٨٠م.
١٩ - الحمارنة، صالح:
دور الأُبُلَّة في تجارة الخليج، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥، ١٩٧٧م.
٢٠ - الحميدان، عبداللطيف:
إمارة العصفوريين ودورهم السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، البصرة، مجلة كلية الآداب، العدد ١٥، ١٩٧٩م.
٢١ - دراج، أحمد السيد:
إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الميلادي، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، ١٩٦٨م.
٢٢ - ....
عِيذاب، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٧.
٢٣ - دِراز، عمر:
الحِمى في شبه الجزيرة العربية وأثره في تحسين المراعي وصيانة التربة وإيقاف زحف الصحراء، الكويت، مجلة العربي، العدد ٢١١، يونيو ١٩٧٦م.

٢٤ - الراشد، سعد بن عبدالعزيز:
دنانير عباسية نادرة، ضرب صنعاء. محفوظة في متحف الآثار بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، المجلد ٣، العدد ٢، ١٤١١هـ.
٢٥ - زغروت، محمد محمد إبراهيم :
العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، الرياض، مجلة الدارة، السنة ١١، العدد ١، شوال ١٤٠٥هـ.
٢٦ - زكي، عبدالرحمن:
صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٥، ١٩٥٦م.
٢٧ - الزهراني، ضيف الله بن يحيى:
الجار ميناء ومدينة، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢٨ - زيادة، نقولا:
تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة ١، العدد ٤، ١٩٧٥م.
٢٩ - ....
الطرق التجارية في العصور الوسطى، بيروت، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة ٥، العدد ٥٩-٦٠، ١٩٨٣م.
٣٠ - ....
الطرق التجارية في العصور الوسطى سِلع ومتاجر، بيروت، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة ٦، العدد ٦٢-٦٣، ١٩٨٣-١٩٨٤م.
٣١ - ....
الطرق التجارية في العصور الوسطى سِلع ومتاجر، بيروت، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة ٦، العدد ٧١-٧٢، سبتمبر- أكتوبر ١٩٨٤م/ ذو الحجة ١٤٠٤هـ- محرم ١٤٠٥هـ.
٣٢ - السامر، فَيصل:
السفارات العربية إلى الصين في العصور الوسطى الإسلامية، بغداد، مجلة الجامعة المستنصرية، السنة ٢، العدد ٢، ١٩٧١م.
٣٣ - سعيد، شايف عبده:
أخبار جغرافية اليمن الاقتصادية والاجتماعية في مصنّفات الجغرافيين والمؤرخين اليمنيين، صنعاء، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٨، ١٩٨٧م.

٣٤ - ....

الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى، صنعاء، مجلة دراسات يمنية، العدد ٤١، ١٩٩٠م.

٣٥ - ....

اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى، صنعاء، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٩، ١٩٨٧م.

٣٦ - سلطان، طارق فتحي:

العلاقات التجارية بين العرب والصين في القرون الوسطى، آداب الرافدين، مجلة كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد ١٣، ١٩٨١م.

٣٧ - السيف، عبدالله بن محمد:

الزراعة في جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٤١٧هـ.

٣٨ - ....

الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، مجلد الدارة، العدد الثاني، السنة التاسعة، محرم ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٣٩ - ....

الزراعة في شرق الجزيرة العربية في العصر العباسي، مجلة دراسات تاريخية، الجزء ١، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٠ - ....

الزراعة في اليمامة في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد ٤، السنة ٩، رجب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤١ - ....

الصناعة في الجزيرة العربية في العصر العباسي، الرياض، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٢، العدد ٢، ١٩٨٥م.

٤٢ - ....

الصناعة في اليمن في العصر الأموي، مجلة الدارة، العدد ٣، السنة ١٩، ربيع الآخر، جمادى الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٣ - ....

عام الرمادة، الرياض، مجلة العصور، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٩٠م.

٤٤ - الشامي، أحمد عبدالحميد:

العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٢، ١٩٨٠م.

٤٥ - الشامي، فضيلة:
الدولة اليعفرية بصنعاء والجند ونشاطها السياسي والعسكري من عام ٥٢٢-٣٩٣هـ، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١١، ١٩٧٩م.
٤٦ - الشعبي، حسين عيظة:
مدينة صَعدة عبر أطوار التاريخ، صنعاء، مجلة الإكليل، السنة ٧، العدد ١، ١٩٨٩م.
٤٧ - الشيخلي، صباح إبراهيم:
العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، أبحاث ندوة رأس الخمية، لعام ١٩٧٧م، ج٢، ص٦٤.
٤٨ - الصحاف، مهدي:
موقع مدينة مكة المكرمة وبيئتها الجغرافية، بغداد، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٤، مجلد ٢، ١٩٧٠م-١٩٧١م.
٤٩ - أبو الصلاح، (الأستاذ):
كِيرلة القديمة والعرب، مجلة ثقافة الهند، المجلد ١٣، العدد ١، حيدر أباد، يناير ١٩٦٢م.
٥٠ - طَرخان، إبراهيم علي:
الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٨، ١٩٥٩م.
٥١ - عاشور، سعيد عبدالفتاح:
بعض أضواء جديدة على العَلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٤، ١٩٦٨م.
٥٢ - العلي ، صالح أحمد:
ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى (٢)، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٧، ١٩٧٦م.
٥٣ - ....
الخِضاب، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٨، ١٩٧٧م.
٥٤ - ....
طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب: طرق المواصلات في الحجاز، الرياض، مجلة العرب، السنة ٢، الجزء ١١، جمادى الأولى ١٣٨٨هـ.
٥٥ - ....
المعالم العُمرانية في مكة المكرمة في القرنين الأول والثاني، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٤٠، الجزء ١، ١٩٨٩م.

٥٦ - ....
المعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الأول والثاني: المعالم العُمرانية حول المسجد الحرام، بغداد، مجلة المجمع العراقي، المجلد ٤٠، الجزء ٢، ١٩٨٩م.
٥٧ - عمار، عباس:
المدخل الشرقي لمصر، القاهرة، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، المجلد ٢١، ١٩٦٤م.
٥٨ - الغامدي، سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي:
الفتح الإسلامي لبلاد السند، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، الرسالة الثانية والخمسون، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٥٩ - فاروق، محمد:
دِباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام، الرياض، مجلة العرب، السنة ١٠، الجزء ٧-٨، محرم ١٣٩٦هـ.
٦٠ - قاسم، جمال زكريا:
استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، القاهرة، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد ١٠، ١٩٦٧م.
٦١ - القوصي، عطية:
سيراف وكيش وعدن (من القرن الثالث الهجري حتى القرن السادس)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون، ١٩٧٦م.
٦٢ - القيسي، نوري حمودي:
الملابس في معجم لسان العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد ٣٨، الجزء ١، ١٩٨٧م.
٦٣ - كاشف، سيدة إسماعيل:
العرب والبحار، القاهرة، حولية كلية البنات بجامعة عين شمس، العدد ٤، يوليو ١٩٦٤م.
٦٤ - ....
علاقة الصين بديار الإسلام، القاهرة، مجلة الآثار، جامعة القاهرة، كلية الآثار، العدد ١، ١٩٧٥م.
٦٥ - كنار، ماريوس:
بَغداد في القرن الرابع الهجري والقرن العاشر الميلادي، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، مجلة المورد، المجلد ٢، العدد ٢، ١٩٧٣م.
٦٦ - لبيب ، صبحي :
التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٤، العدد ٢، ١٩٥٢م.

٦٧ - ....

العلاقات التجارية بين العراق والصين في القرون الوسطى، بغداد، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، السنة ٢، المجلد ٢، ١٩٦٤م.

٦٨ - الماجد، عبدالله:

الهيضمة: حاضرة الأفلاج القديمة، مجلة العرب، السنة ٢، الجزء ٨، صفر ١٣٨٨هـ.

٦٩ - متولي، محمد:

الشخصية الجغرافية لأرض اليمن، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥ لعام ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٠١-٤٠٢.

٧٠ - محمد، صباح محمود:

بَغداد وطريق الحرير، القاهرة، مجلة المؤرخ العربي، السنة ١٩، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧١ - محمد، غازي رجب:

البيوت القلاعية في اليمن، بغداد، مجلة سومر، المجلد ٣٧، الجزء ١-٢، ١٩٨١م.

٧٢ - المدعج، عبدالمحسن مدعج:

الأبناء منذ دخولهم اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري: دراسة لأوضاعهم السياسية والاقتصادية، دمشق، مجلة دراسات تاريخية، السنة ١١، العدد ٣٧-٣٨، ١٩٩٠م.

٧٣ - معروف، ناجي:

عروبة المدن الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٧، ١٩٦٤م.

٧٤ - مورتيل، ريتشارد:

أنساب أشراف مكة الحَسنيين، الرياض، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٢، العدد ٢، ١٩٨٥م.

٧٥ - ....

مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة ٣٥٨هـ/٩٦٩م- ٩٢٣هـ/١٥١٧م، الرياض، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٢، العدد ١، ١٩٨٥م.

٧٦ - موف، ادا:

التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة نوري البخيت، مجلة الخليج العربي، العدد ٩، البصرة، ١٩٧٨م.

٧٧ - ناجي، عبدالجبار:

دوافع أطماع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة في القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، السنة ٦، العدد ٨، ١٩٧٣م.

٧٨ - ....

صفحة من علاقات البصرة التجارية الخارجية في العصر الإسلامي الوسيط: البصرة وأقطار الخليج العربي، البصرة، مجلة الخليج العربي، العدد ١، ١٩٧٣م.

٧٩ - ....

العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصور الوسطى، البحرين، مجلة الوثيقة، السنة ٣، العدد ٦، يناير ١٩٨٥م.

٨٠ - النبراوي، رأفت محمد:

التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، الرياض ، مجلة العصور، المجلد ٤، الجزء ٢، ١٩٨٩م.

٨١ - الندوي، السيد سليمان:

العلاقات التجارية بين العرب والهند، مجلة ثقافة الهند الصادرة عن مجلس الهند للروابط الثقافية، المجلد الأول، العدد الثاني، يونيو ١٩٥٠م.

٨٢ - الهاشمي، رضا جواد:

النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٢، ١٩٨٠م.

٨٣ - يوسف، السيد محمد:

علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري، القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد ١٥، الجزء ١، مايو ١٩٥٣م.

ج - المراجع الأجنبية :

1 - Al - Mad'aj, Abd Al-Muhsin Mad'aj M.
The Yemen In Early Islam 9-233/630-847 - A Political History - Published for "The Center for Middle Eastern and Islamic Studies" - University of Durhan by Ithaca Press London 1988.

2 - Al-Thenayian, Mohammed A. Rashed
"Archaeological Study of The Yemen; Highland Pilgrim Route Between Sanaa And Mecca" - Durham University, School of Oriental Studies, 1993.

3 - Al Wohaibi . Abdullah.
The Northern Hijaz In The Writings of the Arab Geographers, Beirut 1973.

4 - Ashtor.
The Karimi Merchants, JRAS, April 1956.

5 - Bulliet, Richard W.
The Camel And The Wheel, Harbvard, 1977.

6 - Day, Clive:
A History of Commerce, London, 1940.

7 - De Somogyi, J
Trade in the Quran and Hadith., MW, VIII, No.2, April 1962.
Trade in Classical Arabic Literature, MW, V. LV. No. 1, April, 1965.

8 - Donner, Fred Mcgraw
Mecca's Food Supplies and Muhammad's Boycott Journal of the Economic and Social History of the Orient, Volume XX, Part III, Oct. 1977.

9 - Fishcel, Walter J:
Jews in the Economic and Political Life of the Medieval Islam, London, 1937.

10 - Freeman-Grenville,:
The East African Coast, Oxford, 1962.

11 - Goitein, S.D.:
Jews and Arabs, their contacts through the Ages, New York, 1955.

12 - Harold, Ingrams:
Arabia and Isles, London, 1946.

13 - Heyd, W.
Histoire du Commerce du levant au moyenage, edition francaise refondue et considerablement le patronage de la societe de l'orient latin par furey raynaud. - Leipzig, Otto Harrassomitg, 1885.

14 - Hitchman, C.
The Land And Peoples of East Africa (London 1960).
15 - Imamuddin, S. M.
Bayt Al Mal And Banks In The Medieval Muslim World - Islamic Culture, Volume 35, 1961.
16 - Imamuddin, S. M.
commercial of Spain With Iraq, Persia - Khurasan, China and India in the 10th Centurey A.D. Islamic Culture, Volume XXX (1961) Boulnois.
17 - Imamuddin, S. M.
The Silk Road, New York, 1966.
18 - Khalidi, Tarif (Editor)
Land Tenure And Social Transformation In The Middle East - American University of Beirut, 1984.
19 - Lane-Poole, Stanley
Medieval India Under Mohmmedan Pule A.D. London 1922.
20 - Lewis, Bernard
Fatimiler ve Hindistan Yolu - I.U. Iktisat Fcultesi Mecmuasi, C.II.s., Istanbul, 1949 - 1950.
21 - Lewis, Bernard
The Fatimids And The Route To India, FRSEUI,Volume II, 1953.
22 - Lopez, R.S. & Raymund, I.W.:
Medieval Trade in the Mediterrranean World, London, 1955.
23 - Madelung, Wilferd
Land Ownership And Land Tax In Northern Yemen And Najran:- 3rd - 4th / 9th - 10th Century, Oxford University
24 - Magbul, Ahmed
Commercial Relations of India With The Arab World (100 B.C.) Up To Modern Times, 1964.
25 - Miles, George C.
Some Islamic Coins In The Berne Historical Museum - Volume XIV - 1966.
26 - Miles, George C.
The Countries And Tribes Of The Persian Gulf, Frank Cases, 1966.
27 - Morony, Michael
Commerce In Early Isalmic Iraq - Univesity of California, Los Angeles, Department of History 1993 Harmood Academic Publishers Printed in Malaysia.
28 - Navdi Rashid
Industry and Commerce under the Abbasids - JPUHS, V-1, Part I, 1963.
29 - Phillips, Wondell
Oman A History - London, 1960.

30 - Paul, A.
Aidhab, a Medieval Red Sea Port - SNR, V. XXXVI, 1955.

31 - Rozi, Abdulghafour I.
The Social Role of Scholars (Ulama) In Islamic Spain - A study of medieval Biographical Dictionaries (Trajim) - Boston University, 1983.

32 - Rushbrooke, E.:
Western Arabic and the Red Sea, Oxford, 1946.

33 - Tahtooh, Hussain Ali
Commercial Relations Between The Arab World And India (3rd and 4th/9th and 10th Centuries) - A Thesis submitted For PhD In The University Of St. Andrews, 1986

34 -Thompson, James Wstfall:
Economic and Social History of the Middle Ages, 2 Vols., London, 1960.

35 - Wilson, Arnold T.:
The Persian Gulf, George Allen, 1940.



المحتـــويات

المحتويات

الموضـــوع | **الصفحة**



إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١- **فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد** ، السيد أحمد مرسي عباس ، ١٣٩٥هـ .

٢- **لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، ١٣٩٥هـ .

٣- **سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده** ، عبدالوهاب فتال . (د . ت) .

٤- **سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز** ، عبدالوهاب فتال . (د . ت) .

٥- **عثمان بن عبدالرحمن المضايفي** - عهد سعود الكبير ، عبدالوهاب فتال . (د . ت) .

٦- **الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود** ، عبدالوهاب فتال . (د . ت) .

٧- **هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، أمين سعيد ، ١٣٩٥هـ .

٨- **المرأة : كيف عاملها الإسلام** ، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ . (د . ت) .

٩- **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز** ، د . عبدالفتاح أبو علية ، ١٣٩٦هـ .

١٠- **العرب بين الإرهاص والمعجزة** ، محمد حسين زيدان ، ١٣٩٧هـ .

١١- **بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة** ، محمد حسين زيدان ، ١٣٩٧هـ .

١٢- **رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية** ، محمد حسين زيدان ، ١٣٩٧هـ .

١٣- **الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي** ، مناع القطان ،١٣٩٦هـ .

١٤- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية** ، محمد كمال جمعة ، ١٣٩٧هـ .

١٥- **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه** ، محمد إبراهيم رحمو ، ط٢، ١٣٩٨هـ .

١٦- **تاريخ الدولة السعودية** ، أمين سعيد ، ١٤٠١هـ .

١٧- **مكة في عصر ما قبل الإسلام** ، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، ١٣٩١هـ .

١٨- **الأطلس التاريخي للدولة السعودية** ، إبراهيم جمعة ، ١٣٩٩هـ .

١٩- **أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز**، شعر محمد العيد الخطراوي ، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته) .

٢٠- **محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ،١٣٩٩هـ.

٢١- **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد** ، تأليف راشد بن علي الحنبلي ، تحقيق : عبدالواحد محمد راغب ، ١٣٩٩هـ .

٢٢- **دليل الدوريات بالمكتبة** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٢٣- **دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٢٤- **دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٢٥- **قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٢٦- **دليل دارة الملك عبدالعزيز** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٩هـ .

٢٧- **أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلميّة المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٢٨- **دراسات في الجغرافية الاقتصادية " المملكة العربية السعودية والبحرين "** ، د. أحمد رمضان شقلية ، ١٤٠٢هـ .

٢٩- **الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ .

٣٠- **الأمثال العامية في نجد " ٥ أجزاء "** ، محمد بن ناصر العبودي " أسهمت الدارة في طباعته " ، ١٣٩٩هـ .

٣١- **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز** ، رابح لطفي جمعة ، ١٤٠٢هـ .

٣٢- **الملك فيصل والقضية الفلسطينية** ، د. السيد عليوة ، ١٤٠٢هـ .

٣٣- **علاقة ساحل عمان ببريطانيا** " دراسة وثائقية " ، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، ١٤٠٢هـ .

٣٤- **سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي** ، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، ١٤٠٢هـ .

٣٥- **عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)** ، تأليف عثمان بن بشر ، تحقيق : عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ ، ١٤٠٢هـ .

٣٦- **المرافئ الطبيعيّة على الساحل السعودي الغربي** " دراسة مقارنة تطبيقية " ، د. محمد أحمد الرويثي ، ١٤٠٣هـ .

٣٧- **السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر**، د. محمد أحمد الرويثي ، ١٤٠٢هـ .

٣٨- **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب** ، لمؤلف مجهول ، تحقيق : أ.د. عبدالله العثيمين ، ١٤٠٣هـ .

٣٩- **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١) ، ١٤٠٣هـ .

٤٠- **بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد** ، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢) ، ١٤٠٣هـ .

٤١- **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩- ١٣٤١هـ** ، خالد محمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣) ، ١٤٠٣هـ .

٤٢- **السمات الحضارية في شعر الأعشى : دراسة لغوية وحضارية** ، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤) ، ١٤٠٣هـ .

٤٣- **الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر** ، عبدالقدوس الأنصاري ، ١٤٠٣هـ .

٤٤- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية** ، محمد كمال جمعة، ط٢ ، ١٤٠١هـ .

٤٥- **الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي** ، د. عاصم الدسوقي ، ١٤٠٣هـ .

٤٦- **مكة في عصر ما قبل الإسلام** ، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، ط٢، ١٤٠١هـ .

٤٧- **أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه** ، محمد إبراهيم رحمو، ط٣ ، ١٤٠٢هـ .

٤٨- **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود** ، تأليف : عبدالرحمن بن أحمد البهكلي ، تحقيق : محمد بن أحمد العقيلي ، ١٤٠٢هـ .

٤٩- **فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .

٥٠- **دارة الملك عبدالعزيز : الكتيب الإعلامي الأول للدارة** ، ١٣٩٨هـ .

٥١- **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة** ، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٥) ، ١٤٠٨هـ .

٥٢- **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م** ، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته) ، ١٣٩٥هـ .

٥٣- **مدينة الرياض : دراسة في جغرافية المدن** ، د. عبدالرحمن صادق الشريف ، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته) .

٥٤- **المنهج المثالي لكتابة تاريخنا** ، محمد حسين زيدان ، ١٣٩٨هـ .

٥٥- **الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦- ١٣٠٩هـ** ، د. عبدالفتاح أبو علية ، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته) .

٥٦- **لوحة نسب آل سعود** ، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة . (د.ت) .

٥٧- **جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية** ، رتبها د. إبراهيم جمعة . (د.ت) .

٥٨- **الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥- ١٤١٥هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ .

٥٩- **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م** ، تأليف إيجيرو ناكانو ، ترجمة سارة تاكا هاشي ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٦٠- **الرحلات الملكية : رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض** ، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ .

٦١- **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى** ، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية -٦) ، ١٤١٧هـ .

٦٢- **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة** ، د. فهد بن عبدالله السماري ، ١٤١٧هـ .

٦٣- **يوميات رحلة في الحجاز** ، تأليف : غلام رسول مهر ، ترجمة : د. سمير عبدالحميد إبراهيم ، ١٤١٧هـ .

٦٤- **معجم التراث (السلاح)** ، سعد بن عبدالله الجنيدل ، ١٤١٧هـ .

٦٥- **جدة خلال الفترة ١٢٨٦- ١٣٢٦هـ : دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة** ، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية - ٧) ، ١٤١٨هـ .

٦٦- **بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣- ١٥ رجب ١٤١٧**، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٧هـ .

٦٧- **حوليات سوق حباشة** ، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش ، ١٤١٨هـ .

٦٨- **مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ .

٦٩- **الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)** ، إسماعيل حسين أبو زعنونة ، ١٤١٩هـ .

٧٠- **رحلة الربيع** ، فؤاد شاكر ، ١٤١٩هـ .

٧١- **فجر الرياض** ، عبدالواحد محمد راغب ، ١٤١٩هـ .

٧٢- **معجم مدينة الرياض** ، خالد بن أحمد السليمان ، ١٤١٩هـ .

٧٣- **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية** ، تأليف إيجيرو ناكانو ، ترجمة : سارة تاكاهاشي ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .

٧٤- **رحلة داخل الجزيرة العربية** ، يوليوس أويتنج ، ١٤١٩هـ .

٧٥- **الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)** ، د. فهد بن عبدالله السماري ، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع ، ١٤١٩هـ .

٧٦- **الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة** ، د. فان درمولين ، ١٤١٩هـ .

٧٧- **الرحلات الملكية : رحلات جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض** ، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢ ، ١٤١٩هـ .

٧٨- **خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)** ، د. محمد بن عبدالله النويصر ، ١٤١٩هـ .

٧٩- **مختارات من الخطب الملكية (جزءان)** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ .
٨٠- **نساء شهيرات من نجد** ، د. دلال بنت مخلد الحربي ، ١٤١٩هـ .
٨١- **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد** ، تأليف راشد بن علي الحنبلي ، تحقيق : عبدالواحد محمد راغب . ط٢ ، ١٤١٩هـ .
٨٢- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر** ، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري ، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ، محمد بن عبدالله الحميد ، ١٤١٩هـ .
٨٣- **صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)** ، تأليف ك. سنوك هورخرونيه نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ ، ١٤١٩هـ .
٨٤- **لماذا أحببت ابن سعود** ، محمد أمين التميمي ، ١٤١٩هـ .
٨٥- **ديوان الملاحم العربية** ، محمد شوقي الأيوبي ، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع ، ١٤١٩هـ .
٨٦- **أصدقاء وذكريات . انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م** ، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري ، جيل أ. روبيرج ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٨٧- **الطريق إلى الرياض : دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ /١٩٠١- ١٩٠٢م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ .
٨٨- **الرواد : الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ .
٨٩- **الزيارة الملكية : زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو** ، شركة أرامكو - لجنة المؤرخين ، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري ، ١٤١٩هـ .
٩٠- **يوميات الرياض : من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي** ، أحمد بن علي الكاظمي ، ١٤١٩هـ .
٩١- **الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية** ، د. ناصر بن محمد الجهيمي ، ١٤١٩هـ .
٩٢- **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية** ، فيليب ليبنز ، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ .
٩٣- **جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية** : دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة ، د. خيرية قاسمية ، ١٤١٩هـ .
٩٤- **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري** ، سعد بن جنيدل ، ١٤١٩هـ .
٩٥- **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٩٦- **المملكة العربية السعودية في مئة عام: معلومات موجزة** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ .
٩٧- **عبدالعزيز (الكتاب المصور)** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ .

٩٨- **أصدقاء وذكريات ، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م** ، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري ، جيل أ. روبيرج ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .

٩٩- **الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى : القسم الأول ١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤م - ١٩٥٣م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٠هـ .

١٠٠- **الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢١هـ .

١٠١- **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثاً) ط١** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢١هـ .

١٠٢- **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ط٢ ، ١٤٢١هـ .

١٠٣- **سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية - القضية الفلسطينية - ١٣٤٨-١٣٧٣هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٢هـ .

١٠٤- **الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ** ، عبدالرحمن أحمد فراج ، ١٤٢١هـ .

١٠٥- **مؤتمر فلسطين العربي البريطاني - المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٢هـ .

١٠٦- **رحلة إلى بلاد العرب** ، تأليف أحمد مبروك ، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري ، ١٤٢١هـ .

١٠٧- **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي** ، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٨) . ١٤٢٢هـ .

١٠٨- **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** ، الشيخ حمد الجاسر ، ١٤٢٢هـ .

١٠٩- **الجيش السعودي في فلسطين** ، صالح جمال الحريري ، ١٤٢٢هـ .

١١٠- **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج** ، ج.ج. لوريمر ، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري ، ١٤٢٢هـ .

١١١- **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية** ، عبدالرحيم محمود جاموس ، ١٤٢٢هـ .

١١٢- **الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩- ٦٣٦هـ / ١٠٧٦- ١٢٣٨م** ، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية - ٩) ، ١٤٢٢هـ .

١١٣- **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود / دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف** ، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري ، د. ناصر بن محمد الجهيمي ، ١٤٢٢هـ .

١١٤- **Najd Before The Salafi Reform Movement, "نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية"** د. عويضة بن متيريك الجهني ، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية) .

١١٥- **"اليمامة في صدر الإسلام" Al-Yamama in the Early Islamic Era.** د. عبدالله بن إبراهيم العسكر ، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية) .

١١٦- **التحليق إلى البيت العتيق** ، د. عبدالهادي التازي . (سلسلة كتاب الدارة -١) ، ١٤٢٢هـ .

١١٧- **الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣- ١٣٨٠هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ .

١١٨- **الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)** ، أبو النجا الحجاوي المقدسي ، ١٤٢٣هـ .

١١٩- **جامع العلوم والحكم (جزءان)** ، ابن رجب ، ١٤٢٣هـ .

١٢٠- **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود : خطب وكلمات** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٣هـ .

١٢١- **معجم ما ألف عن الحج** ، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي ، ١٤٢٣هـ .

١٢٢- **برنامج المحافظة على المواد التاريخية** ، دارة الملك عبدالعزيز ، مكتبة الكونغرس ، ١٤٢٣هـ .

١٢٣- **مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها** ، جمع وتحرير إدوارد. ب . أدكوك ، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر ، د. فؤاد حمد فرسوني ، ١٤٢٣هـ .

١٢٤- **العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود** : بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام ، القاهرة (١٤٢٢/١٢/١هـ) ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ .

١٢٥- **علم القراءات: نشأته، أطواره ، أثره في العلوم الشرعية**، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢ ، ١٤٢٣هـ .

١٢٦- **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف** ، د. فهد بن عبدالله السماري ، د. ناصر بن محمد الجهيمي ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ .

١٢٧- **مستخلصات بحوث مجلة الدارة** ، دارة الملك عبدالعزيز (جزءان) ، ١٤٢٣هـ .

١٢٨- **الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود** ، نايف بن علي السنيد الشراري ، ١٤٢٣هـ .

١٢٩- **موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦- ١٩٤٨م)** ، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة - ٢) ١٤٢٣هـ .

١٣٠- **مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين** ، د. عبدالفتاح حسن أبو علية ، ١٤٢٣هـ .

١٣١- **العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود** ، دارة الملك عبدالعزيز ، الجامعة اللبنانية ، ١٤٢٣هـ .

١٣٢- **كلمات قضت - معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت** ، محمد بن ناصر العبودي (جزءان) ، ١٤٢٤هـ .

١٣٣- **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** : بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ ، دارة الملك عبدالعزيز ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ .

١٣٤- **موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية** ، إعداد : دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية ، ١٤٢٤هـ .

١٣٥- **التاريخ الشفهي ، حديث عن الماضي** ، تأليف : د. روبرت بيركس ، ترجمة د. عبدالله ابن إبراهيم العسكر ، ١٤٢٤هـ .

١٣٦- **الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، د. عبدالرحمن بن علي العريني ، (سلسلة كتاب الدارة - ٣) ١٤٢٤هـ .

١٣٧- **طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز** ، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ .

١٣٨- **مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٤هـ .

١٣٩- **المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب : إشارات موجزة** ، د. فهد ابن عبدالله السماري ، ١٤٢٤هـ .

١٤٠- **الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة** ، د. معراج بن نواب مرزا ، د. عبدالله بن صالح شاووش ، ١٤٢٤هـ .

١٤١- **مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٤هـ.

١٤٢- **المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)** ، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل ، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف ، ١٤١٩هـ .

١٤٣- **تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية** ، د. بدر بن عادل الفقير ، ١٤٢٤هـ .

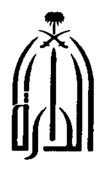
١٤٤- **رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام** ، تأليف: سعد بن أحمد الربيعة أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيزالربيعة ، (سلسلة كتاب الدارة - ٤) ١٤٢٤هـ .

١٤٥- **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز : دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦- ١٣٢٦هـ)**، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٠) ، ١٤٢٥هـ .

١٤٦- **تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧- ١٣٣٣هـ)** ، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١١) ، ١٤٢٥هـ .

١٤٧- **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، التاسع والعاشر للميلاد** ، د. سعيد بن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٢) ، ١٤٢٥هـ .





ص. ب : ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية - هاتف : ٤٠١١٩٩٩/٤٠٨١٦٣٦ فاكس : ٤٠١٣٥٩٧
P.O.Box 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A - Tel: 4011999 / 4081636 Fax: 4013597
البريد الإلكتروني : E-mail: info@darah.org.sa موقع الإنترنت : www.darah.org.sa



